

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِلْإِسْلَامِ الشُّوْكَانِي

أَوْ

وَلَايَةِ اللَّهِ وَالطَّرِيقِ إِلَيْهَا

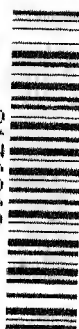
مُسْتَقْبَلِ رَحْمَتِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَايَةِ اللَّهِ وَالطَّرِيقِ إِلَيْهَا



Bibliotheca Alexandrina



9136860

قطر الولي على حديث الولي

للامام الشوكاني

أو

ولاية الله والطريق إليها

تحقيق وتقديم

الدكتور إبراهيم إبراهيم هلال

كلية البنات - جامعة عن شمس

مطبعة

دار الكتب الإسلامية بمكة المكرمة

١٣١٣ هـ - ١٩٩٥ م - ٩١٦١٠٧

مستند: ۱۳۳۵/۱۴۳۵
(۱) ۱۳۳۵/۱۴۳۵

الإهداء

إلى من أغرس فأحسن الغراس ، إلى من علمني كيف أقرأ
وكيف أكتب . إلى روح أستاذي العالم الإنسان ، والإنسان العالم
الأستاذ الدكتور محمود قاسم .

أهدى هذا الكتاب كشيرة طيبة من ثمار غرسه الكريم ،
وزهرة باسمه قدسيت من فيضه المذنب ؛ ومن جوده الواسع
العميم .

تلميذكم الوفي لكم

ابراهيم ابراهيم هلال

حديث الولي

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى :

« من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدي بشيء
أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقربُ إلي بالنوافل حتى
أحبه ، فإذا أحببته : كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به
ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن
استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس
عبي المؤمن : يكره الموت ، وأكره إسماؤه » .

(صحيح البخاري)

بسم الرحمن الرحيم

تشتمل هذه الدراسة على ثلاث فقرات : الاولى تعريف بالإمام الشوكاني صاحب (تمار الولى) . والثانية : الدراسة على هذا الكتاب وهي دراسة مقارنة في الولاية والطريق إليها . تهدف إلى مناقشة الإمام الشوكاني في ذلك الكتاب وبيان مدى مراافقة ما جاء فيه للقرآن الكريم والسنة الصحيحة :

كما تهدف إلى مناقشة الصوفية ، في آرائهم للمناظرة ، وللوازنة بينها وبين آراء الإمام الشوكاني في هذا الكتاب ، ثم بيان الاصول التي تقوم عليها ، والروايد التي أمدتها ، سواء أكانت إسلامية أم غير إسلامية .

والثالثة : تحقيق الكتاب : (تمار الولى ، على حديث الله) .

وهذا الكتاب في عموميه يعتبر دأ على آراء الباطنية ، من الرافضة والوفية في الولاية والأولياء ، وتبيننا للصورة الحقيقية للولى كما يريد الله سبحانه ، حسبما ورد في القرآن الكريم ، وفي السنة الصحيحة .

كما يعتبر من جهة ثانية دفاعاً عن الإسلام في أخص ناحية فيه ، وأسسها بوجوده وكيانه ، وهي ناحية تحمله ، ونقله عن الرسول ﷺ إلى الناس الذين لم يروه ولم يأخذوا عنه مباشرة ، تلك المهمة التي قام بها الصحابة رضی الله عنهم وأدبرها على عجلها . ولكنهم لقوا من الرافضة ، ثم من الباطنية - خلفائهم - ، الكثير من الشك ، والتشكيك فيهم ، والنقيص لهم ، ما كان كفيلاً بأن يززع الثقة بهم والإيمان عن طريقهم .

فكانت مهمة الإمام الشوكاني ، أن تقدم بهذا الكتاب لبيان فضلهم ومنزلتهم من ولاية الله سبحانه ، وأنهم بالنسبة لجأدهم في تاتق هذه الدعوة ونشرها والمحافظة عليها صاروا رموس الأولياء ، وأصبحوا المرجع الأول لمن يريد أن يتلقى الإسلام بضاً خالصاً من كل شوب .

فإذا عمد أئمة الباطنية والرافضة إلى تنقيصهم ، ومخارلة التشكيك فيما يؤخذ عنهم ، فإما ذلك لسكى يفضوا على الإسلام عن هذا الطريق . فهي دعوة غنوصية في واقعها^(١) ، وجهت توجهها مجوسياً فارسياً^(٢) .

لذلك أعطى المؤلف صحابة رسول الله ﷺ ما يجب لهم من التكريم ومن درجة الولاية لله ولرسوله ، وقنى بالعلماء الماملين الذين ساروا على نهجهم . وبهذا يكون قد شارك في تدهيم بناء الإسلام أمام مهاجمة من الرافضة والباطنة

كما يعتبر من جهة ثالثة ، داعياً إلى طريق الولاية الحقيقية ، ورسيداً إليه ، حين جعل الصحابة والعاملين قدوتنا ، وحين أوضح معالم هذا الطريق ، ببيان ماأشار إليه الحديث ، من أن طريق الولاية - بمسد الإيمان بالله هو أداء الفرائض ، والزيادة عليها بالمواقل ، وأن هذه وتملك ، أنواع عديدة ، كما جاءت في القرآن والسنة .

ومنهجه في ذلك هو للمنهج السلفى الذى يرد إلى الكتاب والسنة كل شىء ويجعل هدفه فى التقرب إلى الله المحافظة على الشريعة وإحياءها بالعمل بها ، لاتعطيلها . فبدلاً من أن يتقرب الإنسان إلى الله - على طريقة الصوفية -

(١) أنظر نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ج١ ص ١٨٦ ، ١٨٧ . الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٥ ، دراسات فى الفلسفة الإسلامية ص ١٢٦ - ١٤٧ الأنجلو سنة ١٩٦٦
(٢) المصدرين المتقدمين ، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام الطبعة الأولى

عن طريق الرياضة والمجاهدة التي تفسد على الإنسان صحته وحياته ، وتبعده عن خدمة المجتمع الذي حض الرسول ﷺ على خدمته بقوله « خير الناس أنفهم للناس » ، فإنه يتقرب إليه عن طريق الإيمان الصحيح ، والعبادة الشرعية السليمة التي قوامها أداء المأمورات ، واجتناب المنهيات : ثم التنفل بما يستطيعه الإنسان من صلاة وزكاة ، وصيام ، وحج ، ور صدقة ، وبأداء هذه العبادات على وجهها ، وبالأداب التي رسمها الشرع في أدائها ، وبالاختصار على طريقة الفقهاء المجتهدين الذين يلمون بالإمام السكافي ، بالكتاب والسنة ويعملون بما فيهما من تشريعات تتصل بالعبادة ، أو الأخلاق ، أو المعاملات ، لا الصوفية الانعزاليين المجردين .

كما أن رأيه في القضاء والقدر ، وزيادة العمر وتقصانه ، وربطهما بقانون السببية ، ودعم ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة ، يهذب إبرازاً لجانب حتى معقول من حوانب الدين الإسلامي ، طالما خبطت فيه العقول ، واضطربت فيه الآراء والأقلام ، مما ألقى ظلالاً من النوا كل والكسل على العالم الإسلامي . فخدمت همة المسلمين ، وألقوا كل شيء على القضاء والقدر ، وتركوا الأخذ بالأسباب التي هي في الواقع قانون الحياة الدنيا التي ألقاها الله عليه ، كما أنها قانون الحياة الآخرة في تقرير المصائر ، وتطبيق الثواب والعقاب

وبهذا ، فقد قدم لنا الإمام الشوكاني صورة ناصعة للإسلام في واقعه ، وكما يجب أن نكون عليه ، بصورة لرجاله وأولياء الله سبحانه كما يجب أن يكونوا . وفي الوقت ذاته رد دعاوى الباطنية والمتطرفين من الصوفية ، ومحاولة دعمهم لأرائهم بهذا الحديث (حديث الولي) .

وأخيراً ، فيعتبر الإمام الشوكاني بهذا الكتاب ، قد ملأ فراغاً ظل ينتظر من يملؤه من يوم أن فشت الأفكار النصوصية في البيئة الإسلامية ، واتجهت

إلى أن تجد لها منبأ في هذا الحديث ، تدعم به آراءها في الولاية وفي كرامات الأولياء ، أو معجزاتهم كما يصفونها في بعض الأحوال . وفي مذاهبها الفلسفية التصوفية التي هي واقعة نوع من الإلهاد والشرك . فحقق بذلك لهذا الحديث عملاً كان جديراً به ، وكان في حاجة إليه ، كما أشار إلى ذلك في مقدمة هذا الكتاب ، وكما سيتبين لنا من قراءة الدراسة التي قدمتها بين يديه .

والله أسأل أن يجعل على هذا خالصاً له حبه ، وأن ينفع به الأمة الإسلامية في حاضرها وللتوئب ، ومستقبلها الناهض العظيم .

ابراهيم ابراهيم هلال

ذي القعدة سنة ١٣٩٧ هـ

فَالْأَمْرُ لِلَّهِ
وَالطَّرِيقُ إِلَيْهَا

(الفقرة الأولى)

التعريف بالامام الشوكاني

ميلاده ونشأته — حياته العامة والعلمية — أساتذته

تلاميذه — كتبه — حياته الخاصة

التعريف بالإمام الشوكاني

١ - ميلاده ونشأته :

هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني . والشوكاني : نسبة إلى هذني شوكان ، أو إلى هجرة شوكان^(١) ، وهما ايمان لقرية واحدة بينهما وبين صنعاء دون مسافة يوم ، وهي نسبة والده . والصنعاني : نسبة إلى صنعاء .

ولد بهجرة شوكان « حسبما وجد بخط والده » في وسط نهار يوم الإثنين الثامن والعشرين من شهر القعدة سنة ١١٧٣ هـ^(٢) ولا مجال للاختلاف في تاريخ ميلاده بعد هذا النص منه ومن والده^(٣) .

وكان والده قاضي صنعاء ، ومن العلماء البارزين فيها ، فيه طيبة وصالح تسهل من يعرفه حق المعرفة يتيقن أنه من أولياء الله ، ولعل هذا كان له أثره في حياة ابنه بعد ذلك .

نشأ بصنعاء ، فقرأ القرآن ، وجوده على جماعة من شايخ القراء بصنعاء وفي أثناء ذلك كان قد حفظ عدة مختصرات : في الفقه والنحو ، والعروض

(١) نلاحظ أنه نسب على غير قياس ، لأن النسب إلى المضاف ، يكون إلى صدره ، وقد قال الإمام الشوكاني : إنها (نسبة غير صحيحة) - ٤٨١ ج ١ من البدر الطالع .

(٢) المصدر المتقدم ص ٢١٥ ج ٢ ويوافق سنة ١٧١٠ م .

(٣) قد ذهب البعض إلى تحديد ميلاده بتاريخ غير هذا التاريخ ، مثل السيد محمد صديق حسن خان ، والدكتور أحمد أمين . أنظر : الأعلام للزركلي ج ٢ ص ١٩ ، ومعجم المؤلفين لسكاحالة ج ١١ ص ٣ ، وزعماء الإصلاح في العصر الحديث ، للدكتور أحمد أمين ص ١٩ طبعة سنة ١٩٤٨ .

وآداب البحث ، وعلوم اللغة ، وطالع عدة كتب من كتب التاريخ والأدب ، ثم شرع في طلب العلم ، فدرس على والده ، وعلى البارزين من العلماء في عصره في مختلف العلوم : الدينية ، واللسانية ، والعقلية ، والرياضية ، والفلكية . وظل كما يقول : يأخذ عن شيوخه حتى استوفى كل ما عندهم من كتب ، بل زاد في قراءاته اختلاصة على ما ليس عندهم وكان طلبه للعلم في صغره نفسها ، لم يرحل عنها هل عادة طلاب العلم أمام إذن أبيه له في الرحلة ، فكان هذه إثنين .

وكان في أثناء دراسته ، يلتقى ما يأخذ عن مشايخه ، إلى تلاميذه الذين اجتمعوا عليه ، وهو لا يزال في دور الطلب الأول ، ولذلك كانت دروسه تبلغ في اليوم واللييلة ، ثلاثة عشر درساً ، منها ما يأخذ عن أساتذته ، ومنها ما يلقاه على تلاميذه

ثم تفرغ لإفادة طلاب العلم ، فكانوا يأخذون عنه في كل يوم زيادة على عشرة دروس كما قال : في فنون متعددة كالنفسير والحديث والأصول والمعاني ، والبيان ، والمنطق . وتقدم الإفتاء ، وهو في نحو العشرين من عمره ، وكانت ترد عليه الفتاوى من خارج صغره ، وشيوخه إذ ذاك أحياء وكان الإفتاء يدور عليه وحده ، وهو في هذه السن

وقد أحاط --- إلى جانب العلوم العربية والدينية --- بالعلوم الرياضية والطبيعية والإلهية ، وعلم الهيئة ، والمناظرة والوضع ، وحده دور معلم مباشر . ودرس هذه العلوم أيضاً لتلاميذه .

وفي الجملة ، فقد درس دراسة واسعة ، واطلع اطلاعا ، ينذر أن يحيط به غيره ، فليس من المستطاع مجرد ما درسه من كتب ، أو استجازه من مراجع ومن يرجع إلى كتابه --- مثلاً --- (تحاف الأكارب بإسناد الدفاتر) يدرك مدى

ما كان عليه هذا الرجل ، من تنوع في الثقافة ، واتساع فيها . وقد برع في كل ذلك تقريباً ، وصنف ودرس فيه . ولاغرو أن رأينا بعض كتاب التراجم يعرف به فيقول : مفسر ، محدث ، فقيه ، أصولي ، مؤرخ ، أديب ، نحوي ، منطقي ، متكلم ، حكيم^(١) .

٢ — حياته العلمية والعامية :

وقد أعانته هذه الثقافة الواسعة والعميقة ، وذكرؤه الخارق . إلى جانب إتقانه للحديث الشريف وعلموه ، على الاتجاه وجهة اجتهادية وخلع رتبة التقليد ، وهو دون الثلاثين ، وكان قبل ذلك على المذهب الزيدي ، وصار علماً من أعلام الاجتهاد ، وأكبر داعية إلى ترك التقليد ، وأخذ الأحكام اجتهاداً من الكتاب والسنة ، فهو بذلك يعد طليعة المجددين والمجتهدين في العصر الحديث ومن الذين شاركوا في إيقاظ الأمة الإسلامية والعربية في هذا العصر .

وقد أحس بوطأة الجمود ، وجنابة التقليد الذي ران على الأمة الإسلامية من بعد القرن الرابع الهجري ، وأثر هذا كله في زلزلة العقيدة الإسلامية ، واعتناق البدع والإعتقاد في انحرافات وشيوعها ، وتحلل الناس من التعاليم الدينية ، وانكبابهم على الموبقات ، والمنكرات . مما جعله يشرع قلبه ولسانه في وجه الجمود والتقليد ، ويقف حياته على محاولة تغيير هذه الأوضاع الفاسدة ، وتطهير تلك العقائد الباطلة ، فكتب للعلاء تارة ، وللعوام أخرى ، وللسلاطين ثالثة . وما كتبته في ذلك إلى الحاكم أو إمام المسلمين في اليمن وغيرهين وهو لا يزال بعيداً عن الحياة السياسية ، رسالة بعنوان « الدواء العاقل في دفع المدو والمصائل » ، بين فيها أن الفتنة لا تنزل بالبلاد ، ولا يتغلب عدوها عليها ،

(١) معجم المؤلفين لـ كحلالة ج ١١ ص ٥٣ .

إلا بسبب ما عليه أهلها من معاص ، وذلك على سبيل العقوبة لهم ، وقد وقع هذا في الإسلام ، فقد سلط الله على أهله « طوائف من هدوهم عقوبة لهم ، حيث لم ينتهوا عن المنكرات ، ولم يحرصوا على العمل بالشرعية المطهرة ، كما وقع من تسليم الطوارج ، ثم تسليم القرامطة والباطنية ، ثم تسليم الترك ، وكما يقع كثيراً من تسليم الفرنج ونحوهم »^(١).

وهو يصنف حال الشعب المحكوم ، إلى ثلاثة أصناف ، « رعايا يأتمرون بأمر الدولة ، وينتهون بنهيها ، وأكثر هؤلاء لا يحسنون الصلاة ، فمنهم من تركها كلية ، ومنهم من أداها بطريقة غير مقبولة ، وكذلك الصيام ، فربما لا يكمل شهر رمضان صوماً إلا القليل ، وكثيراً ما يأتي هؤلاء بألفاظ كفرية كالخلف بالطلاق ، والخلف بالخروج من الدين ، والاستغاثة بغير الله تعالى . من نبي أو رجل من الأموات »^(٢).

والقسم الثاني وهم بقية البلاد الإسلامية ، التي ليس للدولة عليها سلطان ، كبلاد القبلية ، والشرق ونحو ذلك « ممن لم يسكنوا المدن ، وهؤلاء الأحرار فيهم أشد وأفطع ، فإنهم جميعاً لا يحسنون الصلاة ولا القراءة ، وبالجملة فالفرائض الشرعية بأسرها من غير فرق بين أركان الإسلام الخمسة وغيرها مهجورة عندهم ، بل كلمة الشهادة ، قد ضاعت من ألسنتهم فضلاً عن قلوبهم ، وسط الإشتغال بأولياهم ، من أصحاب القبور ومن يدهون الصلاح فيهم »^(٣).

وأما القسم الثالث : وهم الساكنون في المدن ، فهم وإن كانوا أقرب من

(١) رسالة الدواء العاجل في دفع العدو الصائل ص ٦٥ . ضمن مجموعة أخرى . طبع السنة الحمديّة .

(٢) المصدر المتقدم ص ٥٦ .

(٣) نفس المصدر ص ٦٣ ، ٦٤ .

هذين إلى الخير ، إلا أن غالبهم عامة جهال ، يهملون كثيراً مما أوجبه الله عليهم من الفرائض ، جهلاً وتساهلاً ، « فهم لا يحسنون أركان الصلاة ، ويتعاملون في بيعهم وشراهم بطرق يخالفون فيها المسلك الشرعي ، وكثيراً ما يقع منهم الربا ، ويتكلمون بالألفاظ الكفرية ، وينهك كثير منهم في معاص صغيرة وكبيرة ، ومع ذلك فهم أقرب الناس إلى الخير ، وأسرعهم قبولاً للتعليم ، إذا وجدوا من يعزم عليهم عزيمة مستمرة دائمة^(١) . ثم يوجه النداء إلى الحاكم وأنه هو المسئول المباشر عن هؤلاء جميعاً فيقول :

« والواجب على إمام المسلمين ، وعلى أحواله افتقاد هؤلاء ، والبحث عن مباشرتهم ، وعن كيفية ممانعتهم ممن يتولون عليهم » ويختتم هذه الرسالة بقوله : « والله المسئول أن يلهم إمام المسلمين ، أقام الله به أركان الدين ، القيام بما أرشدناه إليه في هذه الرسالة ، وإبلاغ الجهد في أحوال هذه الأحكام التي ذكرناها ، فإنه إذا فعل ذلك صلحت له أحوال الدين والدنيا ، ودفع الله عن رعاياه كل محنة ، ولم يسلط عليهم عدواً قط كائننا من كان »^(٢) .

ولاشك في أن تحول هذه الأمة الإسلامية ، إلى تلك الحالة من الأعمال ، لا يكون إلا عن نبيذها لكتاب الله وسنة رسوله ، وتعوضهم عنها بمقالات أصحاب المذاهب السابقين ، ومن تبهم من العلماء الذين جهدوا على آراء هؤلاء السابقين ، واتخذوا التشيع عقيدة ، والتصوف مذهباً^(٣) . ومن هنا وقف على مواطن الداء ، وأخذ يشخص الدواء ، فبين أن الرجوع إلى كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، هو الطريق الوحيد لصلاح الدين والدنيا ، وأن

(١) المصدر المتقدم ص ٧٠

(٢) نفس المصدر ص ٧٢

(٣) الدر النفيد في إخلاص كلمه التوحيد ص ٣١ ، ٣٢

على علماء الدين أن يزنوا أقوالهم وأفعالهم ، بيزان الكتاب والسنة ، لا بأقوال سلفهم ممن هم مثلهم ، بل ربما أقل من مستوهم في العلم والتفكير ، وفرص الحياة العملية والكتابية ، وأن هذه هي الروح الاجتهادية التي دعا إليها القرآن الكريم ، وسار عليها الصحابة رضی الله عنهم والسلف الصالح : وعلى الشعب أن يزن أفعاله بيزان الكتاب والسنة الذي لا يتعارض مع ميزان العقل الصحيح . وعلى هذا الأساس صدر في دعوته إلى عودة الاتجاه الاجتهادي ، فدارت كل بحوثه ومؤلفاته على هذا الأساس ، ووجدنا فيها العناية كل العناية بالكتاب والسنة ، والمساهمة في إحياء علومها : سواء منها ما هو عقلي ، أو لسانی وبياني ، أو تاريخي ويمكن أن نتبين أبعاد هذه الحياة العملية العملية ، في ثلاثة خطوط بارزة :

(١) دعوته إلى الاجتهاد ونيل التقليد .

(٢) دعوته إلى العقيدة السلفية في بساطتها أيام الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم .

(٣) دعوته إلى تطهير العقيدة وتنقيتها من مظاهر الشرك الخفي .

(١) دعوته إلى الاجتهاد

لقد ذهب إلى أن ترك الاجتهاد من القادر عليه كفر وشرك ، لأنه تعطيل لكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإحلال لقول صاحب المذهب محلها^(١) .

والأمام الشوكاني في هذا ، يعبر عن الروح الاجتهادية ، لدى الأمة

(١) القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد ص ٢٧

السابقين ، وإن كان قد تشدد في الحكم على المقلد القادر على الاجتهاد بالشرك .
فمثلاً نرى الإمام الغزالي^(١) يوجب الاجتهاد على القادر عليه دون أن يدينه
بالشرك ، أو بالكفر ، إذا أصر على التقليد ، لأن الذي وصل إلى درجة
الاجتهاد « غير عاجز » ، فلا يكون في معنى العاجز ، فينبغي أن يطلب الحق
بنفسه فإنه يجوز الخطأ على العالم ، بوضع الاجتهاد في غير محله ، كما أنه يجوز
على المجتهد أيضاً ، الذي نقله أن يبادر بالحكم قبل استتمام الاجتهاد ، والغفلة
عن دليل قاطع . والسالم للمقلد قادر على معرفة ما يعرفه إمامه الذي نقله ،
ومن الممكن أن يتوصل بنفسه إلى ما يريد ، إما إلى درجة اليقين ، وإما إلى
الظن ، فكيف يبنى الأمر على عمارة كالميمان ، وهو بصير بنفسه ؟^(٢) .

ويحمل على هؤلاء المقلدين ، الذين يبالغ بهم التعصب لإمامهم ، أن يعتقدوا
فيه العصمة عن الخطأ في الأحكام ، مع أن المجتهدين أنفسهم ، لا يدعون العصمة
« أو يمدون الحق وقفا عليهم »^(٣) .

وكذلك يرى الإمام الشوكاني أن القدرة على الاجتهاد ، ليست بالأمر
الذي يتطلب تفوقاً في الإحاطة بعلوم الاجتهاد ، وعلم السنة . بل يكفي في ذلك
أن يكون على علم من لغة العرب ، بحيث يستطيع به أن يفهم كتاب الله العزيز ،
بعد أن يقوم لسانه بشيء من علم النحو والصرف ، ووض من مهمات كليات
أصول الفقه ، وإطلاع على كتب السنة المعاصرة التي جمها الأئمة المعبرون ،
كالصحيحين وما يمتحق بهما مما ألزم فيه مذهبوه العصمة ، أو جمعوا فيه بين

(١) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ

(٢) المستصفي في علم الأصول ص ١٢٢ ، وينظر أيضاً ص ١٠٢ — ١٢٥

(٣) دراسات في الفلسفة الإسلامية ، لأستاذي الدكتور محمود قاسم ص ٧٠

(الغزالي ورأيه في العقل والتقليد)

الصحيح وغيره مع البيان لما هو صحيح ، ولما هو حسن ، ولما هو ضعيف .
ولا يشترط في هذا أن تسكون الأحاديث محفوظة له ، بل يكون ممن يتمكن
من استخراجها من مواضعها عند الحاجة ^(١) وهو لا يرى بعد ذلك ضرورة
الإحاطة بعلوم البلاغة لفهم كتاب الله ، فإنه يغنى عنها ما هلهيه المجتهد من
معرفة بالغة والنحو والصرف والأصول . وأما علوم البلاغة ، فإنها ليست
لازمة لاستخراج الأحكام ، وإنما هي لمعرفة بلاغة القرآن الكريم ، وما هلهيه
من إيجاز .

فالتبحر في هذه العلوم ، ليس مراداً للقدر على الاجتهاد ، ولا مانع منه
عند الإمكان ، فإن به فقط يظهر التفاوت بين المجتهدين . وإلى مثل هذا
التبسيط ، ذهب الشيخ الطواهرى في دعواته الإصلاحية أخيراً ^(٢) . هذا بالنسبة
للعلماء المختصين . وأما غيرهم فلا يجوز لهم التقليد أيضاً ، ولا أخذ آراء الآخرين
دون دليل ؛ بل لابد أن يسألوا أهل الذكر عن الأحكام ويستروونهم للنصوص
في ذلك ، ويطلبون منهم الأدلة على ما يقولون ، وإلا كانوا مقلدين أيضاً . لأن
التقليد ، كما أجمع عليه العلماء ، هو أخذ رأى الغير دون دليله ، رأياً من يطلب
الدليل ، فقد ارتفع على مستوى التقليد وأصبح قريباً من رتبة الاجتهاد ، فهذا
صنف ثالث بين المجتهدين والمقلدين وهو مرتبة وسط بينهما ، فهو حامل بدليل
بواسطة مجتهد . وهذا الصنف كان موجوداً أيام الرسول صلى الله عليه وسلم
والصحابه رضی الله عنهم وهو غالب السلف الصالح وهم خير القرون ، ومن أنكر
هذا وقال : إن جميع الصحابة كانوا مجتهدين ، أو مقلدين ، فقد أهظم الفرية ،
وجاء بما لا يقبله عارف .

(١) البدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع ص ٨٥ ، ٨٦ إرشاد الفحول
في علم الأصول ، ص ٢٢١ قارن : العلم والعلماء ص ١٣٨ للشيخ الطواهرى
(٢) انظر العلم والعلماء ص ١٣ ، ١٤

وهو في ذلك أقرب إلى روح الدين ، التي تخاطب في الإنسان عقله وتفكيره ، من الإمام الغزالي ، الذي لا يرى الأمر إلا أحد وجهين : إما اجتهاد للقادر عليه ، وإما تقليد للعامي أو الذي لم يصل إلى درجة الاجتهاد من المتعلمين ، وعلى هذا فالإمام الغزالي يبيح التقليد بلفظه ومعناه ، ويجعل له شروطاً وأوضاعاً ، يلتزمها المقلد في أخذه عن غيره^(١) .

والإمام الشوكاني ، يواجه للمقلدين في العالم الإسلامي بكلام أئمتهم الأوائل الذين اجتهدوا لأرائهم ، بأنهم من الممتنع عليهم ؛ بل من الحرام أن يقلدوه في تلك الآراء ، بل يقارنوا بينها وبين الحديث ؛ وإذا صح الحديث فهو مذهبهم ، هذا هو رأي مالك وأبي حنيفة والشافعي وابن حنبل وغيرهم من علماء الاجتهاد ، سواء كانوا من مذاهبهم ، أو على مذاهب أخرى^(٢) . وهو في هذا قريب من الإمام الغزالي الذي يواجه المقلدين من العلماء ، بأنهم يقلدون من لا يرى لنفسه مزية على غيره ، أو أنه قد أصاب الحق من جميع وجوهه^(٣) وفي القطر اليميني يواجههم بالإمام الذي قلده وبآرائه . وهو الإمام الهادي يحيى بن الحسين^(٤) ، وأنه « صرح تصريحاً ، لا يبقى عنده شك ولا شبهة بمنع

(١) دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ٨٨ ، ٨٩ فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة للإمام الغزالي ص ١٧٤ ضمن مجموعة القصود العوالي
(٢) القول المفيد ص ٢٣ ، قطر الولي في (وجود الاجتهاد في المذاهب حجة على المقلدين)

(٣) انظر دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ٧٠

(٤) ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب (رض) ولد عام ٢٥٥ هـ بالمدينة المنورة وخرج إلى اليمن سنة ٢٨٠ هـ وملك ما بين صنعاء ، وصعدة ثمانية عشر عاماً ، وجاهد طاعني القرامطة عليها ابن الفضل ، ثم مات سنة ٢٩٨ هـ وقد سمي الذين قلدوه (بالهدوية) نسبة إليه ، كما سمي أتباع الشافعي بالشافعية ، وأبي حنيفة بالحنفية . انظر وفقهم بفقهم الهدوية

التقليد له ، وهذه مقالة مشهورة في الديار اليمنية ، يعلمها مقلدوه فضلاً عن غيرهم ، ولكنهم قلده شاء أم أبى . وقالوا : قلده وإن كان لا يجوز ذلك عملاً بما قاله بعض المتأخرين : أنه يجوز تقليد الإمام الهادى ، وإن منع من التقليد ، وهذا من أغرب ما يطرق سمعك ، وبهذا تعرف أن مؤلفات أتباع الإمام الهادى في الأصول والفروع ، وإن صرحوا في بعضها بجواز التقليد ، فهو على غير مذهب إمامهم . وهذا لما وقع لغيرهم من أهل المذاهب »^(١) .

والإمام الشوكانى ؛ يرى أن التقليد بإصرارهم على التقليد ، يخرجون على منطلق الحياة ، وسنن السكون ، فإنهم قد ادعوا أن الله قد « رفع ما تفضل به على من قبلهم من الأئمة من كمال الفهم ، وقوة الإدراك ، والاستعداد للمعارف . وهذه دعوى من أبطال الباطلات ، بل هي جهالة من الجهالات ، فإن نهاية للعالم ليست كبدايته » بل هو سائر في طريق التطور والكمال ، والنضج العقلى ، هن طريق ازدياد المعارف وتطورها^(٢) . وهو في هذا يتفق مع ديكارت الذى يرى « أن العلم متقدم دائماً نحو مرتبة نسبية من الكمال ، وأن عظماء الرجال هم الذين يأتون دائماً بأراء جديدة »^(٣) .

ثم هناك دعوى أخرى ، يدعيها المتولدون ليبروا بها قودهم من الاجتهاد ، وهى أن العلم كان ميسراً لمن كان قبلهم ، ولكنه الآن أصبح تحصيله صعباً عليهم ، وهى أهل عصورهم المتأخرة .

(١) القول المفيد ص ٢٥ ، ٢٦

(٢) إرشاد الفحول لتحقيق الحق من علم الأصول ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، البدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع ج ٢ ص ٨٤ ، ٨٥ ، القول المفيد فى أدلة الاجتهاد ، والتقليد ص ٢٦ ، ٢٧

(٣) المسطق الحديث لأستاذى الدكتور محمود قاسم ص ٢٨ ، وانظر أيضاً ص ٣٢ فى نسبة المنطق

ولكن الإمام الشوكاني ، يرى أن هذه دهورى باطلة أيضا ، فإنه لا يخفى على من له أدنى فهم ، أن الاجتهاد قد يسره الله للمتأخرين ، تيسيرا لم يسكن للمساكين ، لأن التفاسير للكتاب العزيز ، قد دونت ، وصارت في الكثرة ، إلى حد لا يمكن حصره . وكذلك السنة المطهرة ، تكلم الأئمة في التفسير ، والتجريح والتصحيح والترجيح ، بما هو زيادة على ما يحتاج إليه المجتهد ، وقد كان السلف الصالح ومن قبلهم مؤلفاء المتكبرين يرحد للحدث الواحد من قطر إلى قطر . « فالاجتهاد على المتأخرين أيسر ، وأسهل من الاجتهاد على المتقدمين ولا يخالف في هذا من له فهم صحيح ، وهقل سوى »^(١) .

هذه إشارة إلى رأيه في الاجتهاد والتقليد ، وعنوان لروح مذهبه ، وهو في ذلك عالم أصيل متمكن ، مقتنع بما يقول متحمس له ، من باب التدين والمحافظة على الكتاب والسنة ، وهو يقول في ذلك : « والذي أدين الله به أنه لا رخصة لمن علم من لغة العرب ، ما يفهم به كتاب الله بعد أن يقيم لسانه بشيء من علم النحو والصرف ، وشطر من مهمات كلمات أصول الفقه ، في ترك العمل بما يفهمه من آيات الكتاب العزيز ، أو السنة المطهرة ، ولا يحل التمسك بما يخالفه من الرأي سواء كان قائله واحدا ، أو جماعة ، أو الجمهور »^(٢) .

تجسد هذه الروح القوية في جميع كتبه التي وصلتنا والتي ألفت في علوم الكتاب والسنة جميعها ، مما يجعل منه مجاهدا كبيرا في هذا الميدان ، لا مجرد عالم صاحب دعوة وكفى ، وقد وقف بعض كتبه ، على بيان وجوب الاجتهاد ، وعدم جواز التقليد ، مثل : كتاب (السيل الجرار) ، وكتاب (أدب

(١) إرشاد الفحول ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٢) البدر الطالع ج ٢ ص ٨٤ وما بعدها .

الطلب ، ومنتهى الأرب) ، وكتاب (القول المفيد في أدلة الإجتهد والتقليد)
 بغية المستفيد في الرد على من أنكر الاجتهاد من أهل التقليد . بل لقد بلغ
 به دقته للمقلدين وتأكيده لفكرته في تطور العلم دائماً وسيره نحو الكمال ، أن
 ألف كتاباً للتراجع ، كدليل على وواقعي على أن باب الإجتهد لم ينسد ، وأنه
 مفتوح إلى يوم الدين ، ذلك هو كتابه المشهور « البدر الطالع » بمحاسن من
 بعد القرن السابع ذكر فيه أصنافاً من المجتهدين ، أو ممن فاقوا رتبة الإجتهد ،
 كما طال لفكرة انتهاء الإجتهد بآنتهاء القرن السادس الهجري وفي ذلك يقول :
 « فإنه لما شاع على ألسن جماعة من (الرعا) اختصاص سلف هذه الأمة
 بإحراز فضيلة السبق في العلوم دون خلفها ، حتى اشتهر عن جماعة من أهل
 هذه المذاهب الأربعة تهور وجود مجتهد بعد المائة السادسة كما نقل عن البعض ،
 أو بعد المائة السابعة كما زعمه آخرون .
 على تراجع أكابر العلماء من أهل القرن الثامن ومن بعدهم مما بلغني خبره إلى
 عصرنا هذا ، ليعلم صاحب تلك المقالة ، أن الله ، وله المنة ، قد تفضل على
 الخلف ، كما تفضل على السلف ، بل ربما كان في أهل العصور المتأخرة من العلماء
 المحيطين بالمعارف العلمية على اختلاف أنواعها من يقل نظيره من أهل العصور
 المتقدمة ، كما سيقف على ذلك من أمعن النظر في هذا الكتاب » (١) .

وقد وقف جزءاً من هذا الكتاب موضع التحقيق والدراسة وهو (قطر
 الولي على حديث الولي) على ذلك أيضاً (٢) ، وبين فيه جهاده مع المقلدين
 وما رآه منهم وما قاله فيهم ، وأشار إلى أنه رأى منهم الكثير ، وقال فيهم من
 الشعر ماضور به حاله وحالهم ، وأودع ذلك كله كتابه المتقدم : (أدب الطلب

(١) البدر الطالع ج ١ ص ٢ ، ٣ .

(٢) ينظر : (حماية العلماء العاملين للأمة من التقليد) .

ومنتهى الأرب) ، ومن قوله في ذلك :

يا غارقين بشؤم الجهل في بدع ونافرين عن الهدى القويم ، هدا
ما باجتهاد قتي في العلم منقصة النقص في الجهل لاجيا كم الصمد
لاتسكروا مورداً عندنا لشاربه إن كان لابد من إنكاره فردوا

هدا بالنسبة للمقلدين من الزيدية^(١) وغيرهم ، أما بقية علماء الزيدية ، وهم
كثيرة ، فكانوا على الإجتهد ، وعلى تقدير وإجلال للشوكاني ، كما كانوا هم
أيضا موضع إجلاله وثنائه ، وفيهم يقول : « فإن في ديار الزيدية من أئمة
الكتاب والسنة عدداً يجاوز الوصف ، يتقيدون بالعمل بنصوص الأدلة ،
ويتمدون على ماصح في الأمات الحديثة ، وما يلتحق بهامن دواوين الإسلام
المشتملة على سنة سيد الأنام ، ولا يرفعون للتقليد رأساً ، بل هم على خط السلف
الصالح »^(٢) .

وربما كان متأثرا في اجتاده ببعض شخصيات المجتهدين السابقين منهم ،
كالسيد محمد بن إبراهيم بن الوزير^(٣) الذي ترجم له ترجمة حافلة ، وأثنى عليه
ثناء عاترا^(٤) .

كما كان له منهم التلاميذ الكثيرون ، معاصرون ومتأخرون ، وقد وفوا

(١) وعرف هؤلاء بإسم الهدوية ، نسبة إلى الإمام الذي قلده رغما عنه ،
وهو الامام الهادي يحيى بن الحسين آخر علماء المائة الثالثة بعد الهجرة في اليمن
(القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد) ص ٢٥ ، ٢٦ : وقد تقدمت ترجمة له
فيما سبق .

(٢) البدر الطالع ج٢ ص ٨٢ ، قارن قطر الولي : في (أهل اليمن والاجتهاد)

(٣) (من سنة ٧٧٥ - ١١٤٠ هـ) نفس المصدر ص ٨١

(٤) ينظر نفس المصدر ص ٨١ - ٩٣

له ، ولما دأته^(١) ، ويكنى أن يكون منهم السيد محمد بن محمد زباره ، الذي يرجع إليه الفضل في نشر كتبه هنا في مصر ، وتعرف المصريين به كما أن الأئمة الحاكمين كانوا أسرع الناس إلى اقتناء كتبه وروايتها ، والمحافظة عليها^(٢) ، وبلغ بهم أن جعلوا ما كان منها في مكتبة صنما ، ضمن الكتب التي لا يجوز خروجها من المكتبة ، حرصا عليها ومحافظة^(٣) .

(٢) الدعوة إلى عقيدة السلف في الأصول

يرى الإمام الشوكاني « أن طرق المتكلمين لا توصل إلى يقين ، ولا يمكن أن تصيب الحق فيما هدفت إليه ، لأن معظمها قام على أصول ظنية ، المستند لها إلا مجرد الدهوى على العقل ، والفرية على الفطرة ، فسلك فريق منهم قد جعل له أصولا تخالف ما عليه الآخر ، وقد أقام هذه الأصول على ما رآه عنده هو صحيحا من حكم عقله الخاص المبني على نظره القاصر . فبطل عنده ما صح عند غيره ، وقاسوا بهذه الأصول المتعارضة كلام الله ورسوله في الإلهيات وما يتصل بها من العقائد ، فأصبح كل منهم يعتقد نقيض ما يعتقده الآخر ،

(١) وهو يقول في ذلك ، بعد حديثه عن كثرة المجتهدين في اليمين : (بل غالب الآخذين عنا ، وهم العدد الجرم ، هم بهذه الصفة ، وعلى هذه الحصلة المحمودة) قطر الولي في (أهل اليمين والاجتهاد) .

(٢) كما في قطر الولي ينظر صفحة الغلاف والعنوان في المصور ، وينظر ص ٣ من تفسير الشوكاني ج ١ في بدئه يروي تلميذه محمد زباره هذا التفسير عن سيف الإسلام أحمد بن قاسم بن عبد الله بن حميد الدين عن السيد الحافظ ، عبد الكريم بن عبد الله الحسني اليمني المتوفى سنة ١٣٠٩ هـ عن القاضي أحمد ابن محمد بن علي الشوكاني ، المتوفى سنة ١٢٨١ هـ عن أبيه .

(٣) ينظر : نهاية فهرس الخزانة المتوكلية لمكتبة الجامع المقدس بصنعاء الموجود بدار الكتب المصرية .

وكل منهم يزعم أن العقل يقتضى ما يعتقد . وحاشا العقل الصحيح السالم عن تغير ما فطره الله عليه ، أن يتعقل الشيء ونقيضه ، فإن اجتماع النقيضين محال عند جميع العقلاء فكيف تقتضى عقول بعض العقلاء أحد النقيضين ، وعقول البعض الآخر النقيض بعد ذلك الاجتماع ؟ . وما هذا الأمر إلا الغلط البحت الناشئ عن العصبية ^(١) . ثم جعلوا هذه الأصول ، معيارا لصفات الرب تعالى ، فأثبتوا لله تعالى الشيء ونقيضه ، ولم ينظروا إلى ما وصف الله به نفسه ، وما وصف به رسوله . « بل أن وجدوا ذلك سوافقا لما تعقلوه ، جعلوه مؤيدا له ومقويا ، وقالوا قد ورد دليل السمع مطابعا لدليل العقل ، وإن وجدوه مخالفا لما تعقلوه ، جعلوه وارداً على خلاف الأصل ومتشابها ، وغير معقول للنعى ، ولا ظاهر الدلالة . ثم قابلهم المخالف لهم بنقيض قولهم ، فافتري على عقله بأنه قد تعقل خلاف ما تعقله خصم ، وجعل ذلك أصلا يرد إليه أدلة الكتاب والسنة ، وجعل المتشابه عند أولئك محكما عنده ، والمخالف لدليل العقل عندهم ، وافقاه عنده ^(٢) فوقعوا في التناقض أمام فهم كتاب الله العزيز ، إلى جانب ما ذهبوا إليه من الباطل ومن مظاهر ذلك ما وقع فيه المعتزلة ، من مبدأ نفى الصفات ، بناء على مبدئهم فى التنزيه ، وما غلا فيه الأشعرية من الوقوع فى التجسيم ، بناء على ما ذهبوا إليه من التأويل ، والمبالغة فى الإثبات ^(٣) . ويجعل الإمام الشوكلى إلى جانب ذلك على بعض المسائل التى تجلى فيها هذا الخطأ وذلك التناقض فى قول : « وإن كنت تشك فى هذا ، فراجع كتب الكلام ، وانظر المسائل التى قد صارت عند أهلنا من المراكز ، كمسألة التحسين والتوبيخ ، وخلق الأفعال ،

(١) كشف الشبهات عن المشتبهات ص ٢٢ ، ٢٣

(٢) التحف فى مذاهب السلف ص ٥٠ ، ٥١

(٣) انظر رسالة الأشعرى فى استحسان الخوض فى علم الكلام ص ١٠ ، ١١

وتكليف ما لا يطاق ، ومسألة خلق القرآن ، فإنك تجد ، بحكيمته لك
بمعينه « (١) » .

ويرى أستاذنا الدكتور محمود قاسم ، أن هذا الاختلاف ، والتناقض بين
هؤلاء الكلام طبعى ، « طالما كانوا ينهجون منهج الجدل ، وطالما ينسوز في كثير
من الأحيان أنه لا يحق للباحث في مسائل الدين ، أن يطبق الاعتبارات الإنسانية
على الأمور الإلهية » . وهذه هي علة التناقض والاختلاف عندهم (٢) .

لذلك كان المسلك القويم في الإلهيات والإيمان بما جاء فيها ، هو مسلك
السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، من حمل صفات البارى على ظاهرها ،
وفهم الآيات والأحاديث على ما يوحيه المعنى اللغوى العام ، وعدم الخوض في
تأويلها . والإيمان بها على ذلك دون تكلف ولا تعسف ولا تشبيه ولا تعطيل ،
وإثبات ما أثبتته الله لنفسه من صفاته ، على وجه لا يعلمه إلا هو . فإنه القائل :
(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) فأثبت لنفسه صفة السمع والبصر ، مع
نفي المماثلة للحوادث في الوقت نفسه (٣) ، وأن القرآن عربى ، وخطب قوماً
عرباً على الفطرة ؛ فلا داعى للتطرق إلى ما وراء اللغة من هكليات مخترعة ،
بل الواجب فهمه في ضوء ما جاءت به اللغة ، وما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم
من شرح وإيضاح .

وينتهى الغزالى وابن رشد إلى مثل ما سينتهى إليه الشوكانى من قصور

(١) كشف الشبهات ص ٢٢ ، ٢٣

(٢) مقدمة في نقد مدارس علم الكلام ص ٩ ، ١٠ من مناهج الأدلة في
عقائد الملة .

(٣) التحف في مذهب السلف ص ٥٣ ، فتح القدير في علم التفسير ج ١ ص ٥١٤

علم الكلام عن أن يكسب الناس الإيمان ، عن طريق تلك الأدلة الجدلية ^(١) ،
التي لا تصلح للجمهور ولولا للعلماء ، فإنها بعيدة عن أن تكون « طرقاً نظرية
يقينية » ، ولا طرقاً شرعية يقينية » وهذه الأخيرة هي الطرق التي جاء بها
الكتاب العزيز ليفهم عن طريقها الخاصة والماسة ، « وذلك أن الطرق
الشرعية إذا تؤملت وجدت في الأكثر قد جهت وصفت : أحدهما أن
تكون يقينية ، والثاني أن تكون بسيطة غير مركبة ، أعني قليلة المقدمات ،
فتكون نتائجها قريبة من المقدمات الأولى » ^(٢) . أما أدلة المتكلمين
في تعقيداتها وتشعباتها ؛ وهدم قيامها على أسس يقينية فإنها غالباً ما يلزمها
شكوك عويصة ، « لا يتخلص منها العلماء المهرة بعلم الكلام فضلاً عن
العامة » ^(٣) . ولأجل هذا فقد صرح الإمام الغزالي « بأن الخوض في علم
الكلام حرام لكثرة الآفة فيه » ^(٤) ، وأن الواجب الرجوع إلى طريقة
السلف ؛ لأن مذهبهم هو الحق ^(٥) .

ويمكن أن نعتبر هذا رداً لما ذهب إليه (أبو الحسن الأشعري) من
استحسان الخوض في علم الكلام ، وادعى أنه اجتهاد وهو جائز ، وأنه أولى
بالجواز من أحكام حوادث الفروع « لأن حكم مسائل الشرع التي طريقها
السمع ، أن تكون مردودة إلى أصول الشرع الذي طريقه السمع ، وحكم

(١) ص ٧١ وما بعدها من دراسات في الفلسفة الإسلامية . ويفصل التفرقة بين
الاسلام والزندقة للغزالي ص ١٧٣ ، ١٧٤ ضمن مجموعة القصور العوالي .

(٢) مناهج الأدلة في عقائد الملة ص ١٤٨ — ١٤٣ .

(٣) المصدر المتقدم ص ١٣٧ ، ١٣٣ ، وينظر الفصل الأول بأسماء الحاش
بالبرهنة على وجود الله ، ففيه إبطال لأدلة المتكلمين بطريقة عملية .

(٤) مصدره المتقدم ص ١٧٣ .

(٥) إجماع العوام عن علم الكلام ص ١٣ ، ٣٣ .

مسائل العقلية والمحسوسات ، أن يرد كل شيء من ذلك إلى بابه «^(١) ثم يجعل أيضا ، براهين المتكلمين صورة من براهين القرآن^(٢) ، في إثبات وجود الله ، ووحدايته .

وغنى عن البيان أنه يقرب الحقائق بذلك ، فإن الفروع ليست من السمعيات ، وإنما الأصول هي التي منها ، كما أن موازين علم الكلام ليست من موازين القرآن الكريم في شيء كما هو واضح في القسطاس المستقيم للغزالي وغيره .

والإمام الشوكاني يجعل عمدته في الدهوة إلى مذهب السلف هاتين الآيتين الكريمتين قوله تعالى : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » ، وقوله : « ولا يحيطون به علما » ففيهما الإثبات والنفي ، إثبات صفات الباري ونفي مماثلة هذه الصفات للحوادث ، ثم تقييد هذا الإثبات بظاهر ما صرحت به الآيات وأجملته ؛ والزجر عن الخوض في كيفية هذه الصفات ، فإن الله سبحانه قد أخبرنا ، أنهم لا يحيطون به علما ، فمن زعم أن ذاته كذا أو صفته كذا ، فلا شك أن صحة ذلك متوقعة على الإحاطة ، وقد نفيت عن كل فرد من الأفراد «^(٣) : « ولا يحيطون به علما » .

نجد هذا المذهب مشبوتا في تضاعيف كتبه ، وقد أفرد له بعض الرسائل مثل رسالة (التعحف في مذهب السلف) ، و (كشف الشبهات عن المشتبهات)

(١) رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام ص ١٠

(٢) المصدر المتقدم ص ٣ — ٩

(٣) نفس المصدرين ، والصفحتين المتقدمتين . والآية الأولى رقم (١١) سورة الشورى والثانية رقم (١١٩) سورة طه .

وقد اهتمت هذا المذهب اجتهدا لا تقليدا ، فقد كان في بادئ أمره عليه
ولكنه أراد أن يزداد به بصيرة ، فنحول بعض الوقت إلى علم الكلام
وأكب على مؤلفات طوائفه المختلفة ، وشغل بها زمنا ، فلم يظفر بشيء ولم
يستفد غير الخطيئة والخيرة ، وهو يقول في ذلك : « ولتعلم أنني لم أقل هذا تقليدا
لبعض من أرشدني إلى ترك الاشتغال بهذا الفن كما وقع جماعة من محقق العلماء ،
بل قلت هذا بعد تضييع برهة من العمر في الاشتغال به ، وإحفاء السؤال لمن
يعرفه ، والأخذ عن المشهورين به ، والإكباب على مطالعة كثير من مختصراته
ومطولاته ، حتى قلت عند الوقوف على حقيقته من أبيات منها :

وغاية ما حصلته من مباحثي ومن نظري من بعد طول التدبر
هو الوقف ما بين الطريقتين حيرة فما علم من لم يبق غير التحير ؟
على أنني قد خضت منه غماره ولم أرتض فيه بدون التبجر^(١)

(٣) دعوته إلى تطهير الاعتقاد

رأى الإمام الشوكاني ما أدخله غلاة الشيعة والصوفية على العقيدة الإسلامية
من جراء رفعهم للقبور ، وبناء القباب وتجميلها على الأموات من أئمتهم
وأولياهم ، وجرحهم العاة إلى زيارتها والذبك بها ، والتوصل بأصحابها واعتقادهم
فيهم القدرة على الضرر والنفع ، وشيوع هذا في الناس وتناوله فيهم ، وميلهم
بهذا عن دعوة الله ، إلى دعوة هؤلاء الأموات والمكوف على قبورهم وطوافهم
بها وتعظيمها والذبك لهم والندب إليهم ، فأعلم أن هذا كفر صراح ، ولا يمكن
أن يتفق مع شهادة (أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) فإن مقتضى هذه

() المتحف في مذهب السلف ص ٥٤ ، كشف الشبهات ص ٢٣ ، ٢٤

الشهادة ألا يعتقد إنسان في غيره أنه يستطيع أن يفعل له ما يختص الله وحده
بالقدرة على فعله ، وألا يأتي من الأعمال ، ولا من العبادات ، ما يشعر بهذه
الاهتقاد ، وأنه من الواجب على كل مسلم أن يتخلص شهادة التوحيد لله .
وإخلاص التوحيد لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله ، والنداء والامتعة
والرجاء واستجلاب الخير واستدفاع الشر له ومنه لا يفتره : « فلا تدعوا مع
الله أحدا »^(١) . « له دعوة الحق » ، والذين يدهون من دونه لا يستجيبون لهم
بشيء »^(٢) . « وعلى الله فليترك كل المؤمنين »^(٣) . « هذا دعاء القرآن نحو
إخلاص الدين » ، أو التوحيد لله .

كما أن الرسول ﷺ قد نهى عن رفع القبور ، أو بناء المساجد عليها
أو بالتقرب منها ، وبين أن هناك من خصال الذين ضلوا من التمييز واليهود
من قبل ، فإنهم كانوا إذا مات فيهم رجل الصالح بنوا على قبره مسجداً .
ويرد على أنه تشبهة أنفسهم بما أخرجه مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال :
قال لي علي : « ألا أبشرك بما يعني عليه رسول الله ﷺ ؟ ألا تدع دورته
إلا طمسها ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته »^(٤) .

ويبين أن بناء القبور ورفع القباب عليها ، وتجميلها على ما هو متبع الآن
من شأنه أن يوحى بالعظمة في نفس الزائر من العوام ، فيقع في الكفر من
حب لا يشعر « فقد ذهب بعض أهل مكة إلى القبة المقامة على قبر الإمام أحمد
ابن الحسين (صاحب ذي بين) فرآها وهي موقدة بالشموع ، والبخور والعلاب

(١) سورة الجن آية : ١٨ . (٢) سورة الرعد آية : ١٤ .

(٣) سورة إبراهيم آية : ١١ .

(٤) الدر المنضيد في إخلاص كلمة التوحيد ص ١٥ .

(٥) المصدر المتقدم ص ١٤ ، شرح الصدور بتحريم رفع القبور ص ١٣ .

ينفتح في جوائنها ، وعلى النبر السطور الفائقة ، فقال هند وصوله إلى الباب :
أسميت بالثبير بأدحم لراحمين^(١) . ولما نهى الرسول ﷺ عن إضاعة
القبور ، أو بنائها بالجص أى الجير ، وما يشبهه .

ومما ذكره الأثران ، والحنام قديماً ، قد تطورت في كثير من الأحوال من
مثل هذه الألفية على المسلمين عند العرب ، وعند قوم نوح ، فاللاد ، اسم رجل
صالح ، كان يلبس للحجاج السور ، فمات فمكفوا على قبره ، « وفي الصحيح
عن ابن عباس (رضي الله عنهما) في قوله تعالى : « ولا تذرن آلهم ، ولا تبرن
رداً ، ولا سواعا ولا يعوث » ويعرق ، ونسرا » قال : هذه أسماء رجال من
قوم نوح ، لما هلكوا ، أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم ،
التي كانوا يجلسون عليها أنصاباً وسجوداً ، بأسمائهم ففعلوا ، فلم يعبدوا ، حق
إذا هلكوا ، ونسى العالم هبنت وقال غيروا حرم من السلف لما ماتوا عكفوا
على قبورهم^(٢) .

وهو يظهر بهذه الدعوة للعوام وللخواص . ومما كتبه يشتم فيه على بعض
الخواص ، ممن نسوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، واناسقوا وراء التعصب
أي التقليد بمسألة بعنوان : « شرح الصبور بتحريم رفع القبور » وهو على
هادته يجعل المسألة التي تدور عليها هذه الرسالة « ضرورة من صور الاجتهاد ،
أمر من الرد إلى كتاب الله وسنة الرسول بمنه الاختلاف ، أو هند إرادة الحكم
الصحيح ، فيقول : « ولنجعل هذه المسألة التي جعلناها مثلاً لما ذكرناه ،

(١) نفس المصدر ص ١٧ ، الدر النضية في إخلاص كلمة التوحيد ص ١١ :

(٢) المصدر المتقدم ص ١١ ، الدرارى المضئنة للشوكاني أيضاً ص ٢٤٨ -

٢٤٩ . وقارن كشف الشبهات لابن عبد الوهاب مطبعة السنة المحمدية ص ٦ .

وأيضاً لما أُمليناه : هي المسألة التي لهج بالكلام فيها أهل عصرنا ومصرنا ، خصوصاً في هذه الأيام لأسباب لا تخفى ، وهي : مسألة رفع القبور والبناء عليها كما يفعله الناس من بناء المساجد والقباب على القبور ^(١) . وهذه المسألة هي الرد على الإمام (يحيى بن حمزة) ^(٢) في قوله : لا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء والملوك لاستعمال المسلمين ، ولم ينكر . فيثبت أن هذا أول نداء بهذه البدعة صدر في الديار اليمنية ، ثم تنابع المؤلفون في الفتنة بهذا التصريح والجواز وراءه ، تقليداً له واقتداء به . وهو يبطل هذه الفتوى بإبطال أدلتها التي أسندوها بها صاحبها ، وهي « استعمال المسلمين ، ولم ينكر » فإن استعمال المسلمين أو عدم إنكارهم ، إذا تعارض مع الكتاب أو مع السنة ، كان ذلك الاستعمال باطلاً ، فإن المرجع في الجواز وعدمه هو كتاب الله وسنة الرسول : « فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول » ^(٣) . وقد ظهر في الكتاب والسنة أن هذه أعمال تتساوى مع الكفر ومع عبادة الأصنام . وقد قال الرسول (ﷺ) ، « كل أمر ليس عليه أمرنا ، فهو رد » ^(٤) ثم إن علماء المسلمين في كل عصر ، مازالوا يروون أحاديث رسول الله (ﷺ) في إيمانهم ، فعل ذلك ويقررون شريعة الإسلام في تحريم ذلك في مدارسهم ومجالس حفاظهم ، يروونها الآخر عن الأول والصغير عن الكبير ^(٥) .

(١) ص ٧٦ من الرسالة المذكورة ، شرح الصدور بتحريم رفع القبور ص ١٢ .

(٢) من كبار أئمة الزيدية في اليمن في القرن الثامن الهجري . ولد (عام ٦٦٩ هـ) وتوفي سنة ٧٤٧ هـ .

(٣) سورة النساء : ٥٩ .

(٤) شرح الصدور بتحريم رفع القبور ص ٩ وما بعدها .

(٥) نفس المصدر ص ٢٣ وما قبلها .

وهذا يرينا كيف أن التقاليد وترك الاجتهاد كان له أيضاً ، مدخل في تشويه العقيدة ، والإخلال بإخلاص التوحيد لله ، وأن الطريق إلى تصحيح العقيدة هو الرجوع إلى الكتاب والسنة في كل عمل أو اعتقاد .

وقد رأى الإمام الشوكاني أن إخلاص التوحيد ، أو النطق بشهادة « أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » على وجهها ، هو الطريق إلى أداء العبادات ، ثم أداء الأعمال اليومية على وجهها بمراقبة الله فيها ، وأن المجتمع لا يمكن أن يستفيد من إيمانه أو إسلامه في حياته الاجتماعية أو الاقتصادية والسياسية ، إلا إذا كانت هذه الشهادة خالصة من مظاهر الشرك ، فهنا يمكن أن ينتفع الإنسان من هذه الشهادة ديناً ودنياً ، وأنه ما أضر المسلمين ، وقعد بهم عن الاستمرار في نهضتهم وهزتهم ، إلا تحريف هذه الشهادة ، وحيلولة مظاهر الشرك بينها وبين حلولها في القلب أو حلولها ، ولكن بزيف وتشويه ، وأن هذه هي هلة المسلمين اليوم ، والتي وراء كل جمود وتأخر وذلة^(١) .

وقد أخذت هذه الدعوة منه حيزاً كبيراً بحيث صار فيها في عين إماما ، كابن عبد الوهاب في الحجاز من قبل ، وابن تيمية في مصر والشام ، ولاقي من جرائها الكثير من المنعصبين ومن المقلدين ، ورعى بالنصب من أجلها ، ومن أجل دعوته إلى الاجتهاد والرجوع بالنظر بع ، إلى طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين

ولكن طبيعة ساوكة ترد عليهم ، فإنه لم يذكر الرسول ﷺ ولم يصل عليه إلا وصلى على آله أيضاً معه ، نرى هنا واضحاً في كتبه التي وصلتنا ،

(١) رسالة الدواء العاجل في دفع العدو الصائل ص ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٨ وما بعدها . الدر النضيد في إخلاص كلمه التوحيد ١٩ ، ١٣ ، ١٥ .

كما نراه أيضا في كتابه الذي ألفه بعنوان ، « در السحاب في مناقب القراية والأصحاب » فقد جمع فيه كل ما وصلت إليه يده ، مما نسب الرسول ﷺ في فضائل علي رضي الله عنه وزوجه فاطمة وأولادها رضي الله عنهم .

(الشوكاني) وابن تيمية وابن عبد الوهاب

وهو في هذا ، ليس متأثرا ، بابن تيمية ، ولا بابن عبد الوهاب كما يتمادى إلى الدهن وإنما سعة ، إحاطته بالسنة ، وكثرة رصيده من محفوظها ، ثم تشبعه بالناحية العقلية التي امتاز بها الزيدية في عمومهم ، وغلبة الروح الاجتهادية عليهم ، هو الذي أثر فيه ووجه هذه الوجهة القويمة ، كما كان لنشأته السالطة ، في كنف والده الصالح أثر كبير في ذلك ، وأثار هذه الروح وأبرز هذه الوجهة ، ماسمه في العالم الإسلامي ، ومارآه في قطره من مظاهر الخروج على الكتاب والسنة ، من جمود ، ومن تشويه في العقيدة ، فنهض يدعو إلى كتاب الله ، ويرشد إلى طريق النهضة بكل ما أوتي من علم ، ومن سلطان .

وقد ظهر لنا هذا الاستقلال في تلك الدعوة ، من النظر في نشأته عموما ، وفي موقفه من دعوة ابن عبد الوهاب ورأيه فيه ، وفي ابن تيمية ، فـ رغم أنه ينتهي في النهاية ، إلى ما قاله ابن عبد الوهاب ، إلا أنه قد وضع في رده على خلفه سعود بن عبدالعزيز في إحدى قصائده أن له اتجاهات خاصا يختلف شيئا ما عن ابن عبد الوهاب ، وأنه ، إذا كان قد جعل التوسل بالأولياء ، وزيارة قبورهم كفرا بعد ذلك في غير هذه القصيدة^(١) فإنما هذه لعقيدته الخاصة

(١) انظر شرح الصدور ص ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، الد البضيد طبعة الدمشقي سنة ١٣٥١ ص ١٦ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ .

ودراسته الشخصية ، فيقول في هذه القصيدة ، مخاطباً أهل نجد ، بعد أن وصل إليه منهم ما أوجبها :

نرد إلى الكتاب إذا اختلفنا	مقاتلنا ، وليس لنا جحود
مضى خير أنفرون ، ومن تذر	ولا قيل ، ولا قال ولود
لهم من حلة الإنصاف حل	رلبس المدي لم برود
وما قالوا بتكفير لقوم	لم بدع على الإسلام سود
وما قالوا بأن الرفض كفر	وبدعته تنق طاب الجلود
فكيف يقال قد كفرت أناس	يرى لنبورهم حجر وهود
فإن قولوا أتى أمر صحيح	بتسوية القيور فلا جحود
ولكن ذاك ذنب ليس كذراً	ولا فسقاً فهل في ذاردود
والإكاف من يعصى بذنوب	كفوراً ، ان ذا قول شرود
ولي في ذا كتاب قت فيه	مقاتلاً ليس ينكره الحسود
وقد سارت به الركبان شرقاً	وغرباً لم ترد فيه ردود ^(١)

وهكذا يصرح في هذه القصيدة بأنه لم يصل إلى نفس الرأي الذي وصل إليه أتباع ابن عبد الوهاب ، وأنه إذا كان قد ساواهم في شيء ، فإنما هو قد وصل إليه قبل أن يعرفهم .

كما أن باوغ الشوكاني «رتبة النضج العلمي والعقلي في من مبكرة ، ووصوله إلى رتبة الاجتهاد ، وهو دون الثلاثين ، وبما صرته لابن عبد الوهاب

(١) نيل الوطر للشيخ محمد زبارة ص ٢٩٩-٣٠٢ ، وهي إحدى المكاتبات التي جرت بينه وبينهم .

تقريباً^(١) . إذ أنه توفي والشوكاني منه إذ ذاك ثلاث وثلاثون ، يعطى أن هذا عالم وذاك عالم ، هذا نشأ في صنعاء ، وذاك نشأ في الحجاز ، وكلاهما انجبه اتجاهها مستقلاً عن الآخر في وقت متعاصر تقريباً ، وخاصة أن الإمام الشوكاني لم ينتقل من صنعاء

فإذا كان هناك تطور في عقيدة الإمام الشوكاني ، وصل به إلى أن تسارى مع عقيدة ابن عبد الوهاب أو قرب منها ، فإنما هذا الاجتهاد الخاص ، ولا يعمدو أن يكون مجرد توافق والتقاء طبيعي على نتيجة واحدة لمذهبين ، جملاً منهلما واحداً : هو الكتاب ، والسنة ، وآثار السلف الصالح . وهكذا إذا كان المبدأ متحداً ، فلا بد أن تكون الغاية والنتيجة متشابهة .

ومن هنا فهو يلتقى مع ابن عبد الوهاب على الدعوة إلى تطهير الاعتقاد وكون كل منهما موجهاً للنهضة العلمية والدينية وجهة عقلية مصلحية منتجة في العصر الحديث .

وبالمسبة لابن تيمية ، فالأمر يكاد أن يكون كذلك ، رغم أنه نقل عن هذا الأخير ، بعض نقول ، وتأثر به في اتجاهه التصوفي أخيراً ، كما هو واضح في كتاب قطر الولي^(٢) . فإنه قد ترجم لابن تيمية في (البدر الطالع) ورغم أنه قد أعطاه حقه في الثناء ، إلا أنه لم يشر إلى أنه قد أخذ عنه شيئاً ، أو تأثر

(١) إذ أن ابن عبد الوهاب ولد سنة ١١١٥ هـ وتوفي سنة ١٢٠٦ هـ والشوكاني (١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ) .

(٢) ينظر (العنوان الخاص بأفضل الأولياء ، وطبقات الأولياء) ، وقارن ، الفرقان لابن تيمية ص ٢٧ - ٢٩ ، ٤٠ - ٤٥ ، قطر الولي فيما يتصل بتصوفه العنوان الخاص بالواجب على الولي فيما يصدر من أعمال ، وقارن الفرقان ص ٧٢ ، الطبعة الثانية سنة ١٩٥٨ .

به أو افتخعت منه . ويبدو أن قراءته له بعد تكونه العلمى ، فإنه لم يشر فى ترجمته لنفسه ، إلى كتب ابن تيمية ضمن الكتب التى قرأها ، وتعلم فيها أو هلمها ^(١) . وفى ذلك نفي لما يذهب إليه الشيخ عبدالمعالي الصعدي ، من أن الشوكانى كان مقلدا لابن تيمية ، وأنه لا يفتخر من المجتهدين ^(٢) ، فهو كلام لشخص ، لم يخبر هذا الرجل ، وأغاب الظن أنه سمع عنه سماها شوهاً ، أو قرأ له فقط ترجمته لابن تيمية ، ففهم من احتفائه به ، أنه مقلد له .

٣ — أساتذته :

نذكر منهم :

١ — والده على بن محمد الشوكانى ^(٣) .

٢ — السيد عبدالرحمن بن قاسم الهدانى ^(٤) .

٣ — العلامة أحمد بن عامر الحدادى ^(٥) .

٤ — السيد العلامة استاهيل بن الحسن بن أحمد ابن الإمام القاسم ابن محمد ^(٦) .

٥ — العلامة القاسم بن يحيى الخولانى ^(٧) .

(١) وهذا واضح أيضاً ، من البطرفى تاريخ تأليفه للبدر الطالع ، ولقطار الولى ، فان الأول متقدم على الثانى بكثير ، فإنه قد انتهى من تأليفه عام (١٢١٠ هـ) ، ومن قطر الولى سنة ١٢٣٩ هـ ، فيظهر أنه قد تكون علمياً ، ووصل إلى درجة الاجتهاد ، قبل أن ينطبع فى نفسه ابن تيمية .

(٢) المجددون فى الإسلام ص ٤٧٢ — ٤٨٥ (٣) توفى سنة ١٢١١ هـ .

(٤) توفى سنة ١٢١١ هـ (٥) توفى سنة ١١٩٧ هـ (٦) توفى سنة ١٢٠٦ هـ .

(٧) توفى سنة ١٢٠٩ هـ ، وولد سنة ١١٦٢ هـ ، وقد اعتبره الإمام الشوكانى شيخه الأكبر وأثنى عليه علماً وديناً ، ويذكر أنه رافقه فى الطلب أيضاً ، إلى جانب تلمذه عليه .

٦ — العلامة عبد الله بن اسماعيل النهدي ، درس عليه كل شرح (ايساغوجي) للقاضي زكريا^(١) .

٧ — العلامة الحسن بن اسماعيل النهدي ، درس عليه شرح الشمسية للقطب . حاشيته للشريف^(٢) .

٨ — السيد الإمام عبد القادر بن أحمد السكوكباني^(٣)

٩ — السيد العلامة علي بن ابراهيم بن هلي بن ابراهيم بن أحمد بن هاشم^(٤)

١٠ — السيد العارف يحيى بن محمد الخورقي^(٥) .

١١ — الناضي عبد الرحمن بن حسن الأكرع^(٦)

٤ — تلاميذه .

منهم :

١ — السيد محمد بن محمد زبارة الحسيني اليمني الصنعاني ، الذي ترجم للشوكاني في كتابه (نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر) والذي ساهم في نشر بعض مؤلفات الشوكاني في مصر . وهو من الجيل الثاني من تلاميذ الشوكاني ، توفي سنة ١٣٨١ هـ . وحوالي ١٩٦٢ م .

(١) توفي سنة ١٢٨ هـ (٢) توفي سنة ١٢٠٨ هـ .

(٣) ينتهي نسبه إلى الإمام المهدي أحمد بن يحيى ولد سنة ١١٣٥ هـ قال عنه الشوكاني : لم ترعيني مثله في كماله ، ولم آخذ عن أحد يساويه في مجموع علومه . «
وتوفي سنة ١٢٠٧ هـ .

(٤) ولد سنة ١١٠٣ هـ وقيل سنة ١١٢٩ هـ وتوفي سنة ١٢٠٧ هـ .

(٥) ولد تقريباً سنة ١١٦٠ هـ وهو شيخ الشوكاني في علم الفرائض والوصايا ، والضرب والمساحة ، وتوفي سنة ١٢٤٧ هـ .

(٦) توفي سنة ١٢٠٦ هـ .

٢ — محمد بن أحمد السودى ، ولد سنة ١١٧٨ ولازم الشوكانى منذ ابتداء طلبه إلى انتهائه ، وقال فيه الشوكانى :

أهـز المسالى أنت للدهر زينة وأنت على رشم الطواصيد ماجده

توفى سنة ١٢٢٦ هـ .

٣ — محمد بن أحمد مشهم الصيدى الصنعمانى ، وتولى القضاء فى صنعاء وغيرها وأثنى عليه الشوكانى كثيراً . ولد سنة ١١٨٦ هـ . وتوفى ١٢٢٣ هـ .

٤ — السيد أحمد بن على بن محسن بن الإمام الميركل على الله إسماعيل ابن القاسم . ولد سنة ١١٥٠ هـ ، واشتغل بطلب العلم بعد أن قارب الخمسين ، ولازم الإمام الشوكانى نحو عشر سنين فى الطلب توفى سنة ١٢٢٣ هـ .

٥ — السيد محمد بن محمد بن هاشم بن يحيى الشامى ثم الصنعمانى ولد سنة ١١٧٨ هـ وتوفى سنة ١٢٥١ هـ .

٦ — عبدالرحمن بن أحمد البهسكى الضمدى الصيبانى ولد سنة ١١٨٠ هـ درس على الشوكانى وغيره ، ولكنه اختلف بالشوكانى اختصاصاً كاملاً ، وكان من أوفى تلاميذه له ، ولى القضاء وتوفى سنة ١٢٢٧ هـ .

٧ — أحمد بن عبد الله الضمدى ، ولد سنة ١١٧٤ هـ . نسبة إلى (ضمد) . أخذ عن الشوكانى وغيره ولكن صلته به كانت أكثر ، صار المرجع إليه فى التدريس ، والإفتاء (ضمد) وما حولها ، وله أسئلة هدية إلى أستاذه الشوكانى أجاب له عنها فى رسالة سماها (العهد للضمد) فى جيد مسائل هلامه (ضمد) ^(١) . وتوفى سنة ١٢٢٢ هـ .

(١) البدر الطالع ج ١ ص ٧٧ ، وسماها الشوكانى فى رواية أخرى (عقود الزبرجد) . انظر كتبه فيما سأتى ، والبدر الطالع ج ٢ ص ٢٢٠ .

وقد نشرت هذه الرسالة : أجوبتها وأسئلتها في كتاب (أنباء الشريعة) :
مجموعة رسائل الإمام الشوكاني . في دار النهضة العربية في القاهرة .

٨ - - - - - علي بن أحمد هاجر الصنعاني ، ولد تقريباً سنة ١١٨٠ هـ . تبحر
في العلوم العقلية وأتقنها ودرس على الشوكاني في علم المنطق وغيره . قال عنه
الشوكاني بالنسبة للمنطق : « وهو يفهمه فهما بديها ، ويتقنه إتقاناً عجيباً . .
قل أن يوجد نظيره مع صلاحية في الدين » . توفي سنة ١٢٣٥ هـ

٩ - - - - - عبد الله بن محسن الحيمي ثم الصنعاني : ولد تقريباً سنة ١١٧٠ هـ ،
درس على الشوكاني واستفاد منه في عدة فنون ، ونقل كثيراً من رسائله ،
وهو من التلاميذ الذين لازموا الشوكاني ، وأحبهم وأحبوه . توفي بعد
سنة ١٢٤٠ هـ .

١٠ - - - - - القاضي محمد بن حسن الشجوي الدساري . ولد سنة ١٢٠٠ هـ . سمع
على القاضي محمد بن علي الشوكاني صاحب الترجمة ودرس عليه ، وأجازته
إجازة عامة في رجب سنة ١٢٣٩ هـ ، ويعتبر أول شخص ترجم للشوكاني بإفاضة
ومن جميع نواحيه ، وذلك في كتابه (النقصار في جريد زمن علامة الأقاليم
والأمصار ، ويتصد بعلامة الأقاليم والأمصار أستاذه (محمد بن علي الشوكاني)
هذا ، فجعل هذا الكتاب ثلاثة أقسام : الأول منها في ذكر ولادة شيخه هذا
ونشأته وكيفية طلبه ، وخلال وخصلته ، وذكر مؤلفاته ، وبعض رسائله ونظمه ،
والثاني في تراجم مشايخه . والثالث في تراجم تلامذته . وكان شاهراً أديباً
بليغاً قال بعض من ترجموا له . « فهو الفرد الكامل والعماد الفاضل ، بل الذي
ألفت إليه البلاغة زمامها . . . صار إمام أهل بلده في علوم الآلات على
اختلافها . . . » توفي سنة ١٢٨٦ هـ .

١١ - - - - - (ابنه) القاضي أحمد بن محمد الشوكاني ولد في سنة ١٢٣٩ هـ ،

« وكان له الاشتغال التام بمؤلفات والده ، حتى حاز من العلم السهم الوافر ، وانتفع به عدة من الأكار ، وتولى القضاء العام بمدينة صنعاء ، وله مؤلفات مفيدة »^(١) وكان أكبر علماء الدين بعد والده ، توفي سنة ١٢٨١ هـ .

هذا ، وتلاميذ الإمام الشوكاني أكثر من أن يحصوا^(٢) ، وقد جمع أمانته وتلاميذه في كتابه (الإعلام بالمشايخ الأعلام والتلامذة الكرام) . وهؤلاء هم تلاميذه المباثرون ، أما غير المباشرين فما أكثرهم ، ففي الدين لا تزال مدرسته قائمة إلى اليوم على أقوى ما تكون ، ورجالها يضيق عنهم نطاق الحصر ، وكلهم على مبدأ الاجتهاد .

وقد كان الإمام الشوكاني محظوظاً ، أو كان الكتاب والسنة محظوظين على يديه ، إذ سريعاً ما انتشر مذهبه في الاجتهاد في الهند ، وباكستان على يد تلميذه الشيخ عبد الحق بن فضل الهندي - كما يقال - وحمل منه لواء هذه الرسالة ، تلميذ الشوكاني غير المباشر والمتحمس له (السيد / محمد صديق حسن خان) (١٢٤٨ - ١٣٠٧) هـ أمير مملكة : (بهوبال) بالهند ، والذي كان مهتماً بنشر كتبه هناك .

ونلاحظ أنه معجب ، ومقدر غاية التقدير لأمانته ، إلى جانب أنه يذكر تلاميذه بكثير من الفضل والثناء .

(١) نيل الوطر ج ١ ص ٢١٥ . المطبعة السلفية .

(٢) وتراجمهم تملأ تقريباً أربع مجلدات كبار من كتابه (البدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع) ، وكتاب (نيل الوطر في تراجم رجال الدين في القرن الثالث عشر) لتلميذه السيد محمد زبارة .

٥ — كُتِبَ :

(١) ومن الكتب التي لا تزال مخطوطة^(١)

- ١ — الأبحاث البديعة في وجوب الإجابة إلى أحكام الشريعة .
- ٢ — الأبحاث الهضية في الكلام على حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة
- ٣ — إبطال دهمي الزجاء على تحريم طلاق السماع .
- ٤ — الإبطال لدعوى الإختلال في حل الإشكال : ردّها على بعض العلماء في رد هذا الأخير إلى رسالة الشوكاني : (حل الإشكال في إجماع اليهود على النقاط الأربع) . ينظر مقدمة فتح القدير (ص ٥) .
- ٥ — إتحاف المهرة في الكلام على حديث (لا عدوى ولا طيرة) .
- ٦ — (أدب الطلب ومنتهى الأرب) نسخة بخط المؤلف ومن وقفه على مكتبة الجامع المقدس بصنعاء . رقم (٣٠٢) حديث . وقد حكى فيه ، ما وقع له مع المتألمدين وتاريخ حياته كاملاً في طلب العلم ، وما الذي يجب أن يكون عليه طالب العلم ، وما يجب أن يحصله^(٢) .
- ٧ — (إرشاد الأفيان إلى تصحيح ما في عقود الجمان) رسالته ردّها على السيد الملامه حسين بن يحيى الديلمي ، في اعتراضه على ما في كتاب الشوكاني :

-
- (١) ملاحظة : ما أمكن العثور عليه أو على مكانه ، فقد نبهت عليه وعرفت به . وما لم يمكن نقله كما ورد في مصادر الآتية نهاية هذا البحث
 - (٢) انظر قطر الولي : (جهاد الشوكاني للمقلدين) ، ص ٨٩ ج ٢ من البدر المطالع . وقد قال عنه الامام الشوكاني في هذا الموضع الأخير : « فهو كتاب لا يستغنى عنه طالب الحق » .

(عقود الجمان) (١).

٨ - (إرشاد السائل ، إلى دلائل المسائل) ضمن مجموع ١٣ مجاميع المتوكية بصنعاء .

٩ - (إرشاد النبي إلى مذهب أهل البيت في صحيح النبي) ضمن مجموع (٥٣) مجاميع بالمتوكية . وقد أشار إليه في قطب الولي : وفيه يقول فاني قد نقلت فيه نحو أربعة عشر إجماعاً لآئمة أهل البيت على تعظيمهم جانب الصحابة ، واتباعهم لهم ، وتسليمهم بملذمتهم .

١٠ - (إرشاد المستفيد إلى دفع كلام بن دقيق العيد في الإطلاق والتقييد).

١١ - (إشراق النورين في بيان الحكم إذا تخلف عن الوعد أحد المتضمنين) .

١٢ - (إطلاع أرباب الكمال على ما في رسالة الجلال في الملال من الاختلال) .

١٣ - (الإعلان بالمشايخ الأعلام ، واللامعة الكرام) جملة كالمعجم لشموخه وتلاميذه (٣) .

١٤ - (لائحة السائل في العشر المسائل) رقم ٣ من مجموع ٥٩ مجاميع بالمتوكية .

١٥ - (أمنية المنشوق في تحقيق حكم المنطق) .

١٦ - (إيضاح الدلالات على أحكام الخيارات) .

(١) مقدمة فتح القدير في علم التفسير ص ٥٠ .

(٢) في موقف أهل البيت من الصحابة (رضي الله عنهم) .

(٣) البدر الطالع ج ٢ ص ٣٢٠ .

- ١٧ — (إيضاح القول في إثبات العول) .
- ١٨ — (بحث في الإضرار بالجوار) رقم ٥٦ من مجموع (٥٩) مجاميع متوكية .
- ١٩ — (بحث فيما تفعله النساء من الإنشاءات) ضمن مجموع (٥٠) مجاميع متوكية .
- ٢٠ — (بحث في الرد على الزخشرى ، في استحسان بيت المربة في سورة سبحان) ٣٨ من مجموع (٥٩) المتوكية .
- ٢١ — (البحث المسفر عن تحريم كل مسكر ومفتر) .
- ٢٢ — (بحث فيما يتعلق بعورات النساء) رقم ٥٧ من مجموع (٥٠) مجاميع بالمتوكية .
- ٢٣ — (بحث في قوله تعالى : (يوم يأتي بعض آيات ربك) رقم ٦ من مجموع (٥٩) مجاميع متوكية .
- ٢٤ — البحث الملم المتعلق بقوله تعالى « إلا من ظلم » .
- ٢٥ — (بحث في مستقر أرواح الأموات) رقم ٣٧ من مجموع (٥٩) مجاميع المتوكية .
- ٢٦ — (بغية الأريب من معنى اللبيب) . قال هنه في البدر الطالع : إنه نظم ، وأنها رسالة ذكر فيها ما تمس الحاجة إليه من « معنى اللبيب » وشرحها (٣) .
- ٢٧ — (بحث في الإضرار بالجوار) . ضمن مجموع (٥٠) مجاميع المتوكية .
- ٢٨ — (بحث في سؤال يتعلق بالصلاة) رقم ٤٥ من مجموع (٥٩) متوكية .
- ٢٩ — (بحث في العمل بقول المفتي) . رقم ٣٦ من مجموع (٥٩) متوكية .
-
- (١) البدر الطالع ج ٢ ص ٢٢٠ .

- ٣٠ — (بحث في قوله (صلى الله عليه وسلم) : « الدنيا ملعونة . . . »)
 رقم ١٦ من مجموع (٥٠) مجاميع المنوكية . وهذا البحث يقع في نحو صفتين ،
 وقد تكلم فيه من ناحية الإسناد وأورد له شواهد في « مناه » ، وبين أن لعنها
 إنما يكون في حال التكالب عليها دون مراعاة لحق الآخرة .
- ٣١ — (بحث في الكلام على الجهر ، « بسم الله الرحمن الرحيم »)
 رقم ٨ مجموع ٥٩ مجاميع المنوكية .
- ٣٢ — (بحث في كون أسباب التفرق ، هو « لم رأى ») .
- ٣٣ — (بحث في كون الولد يلحق بأبيه) رقم ٢٣ من مجموع (٥٩) المنوكية .
- ٣٤ — (بحث في السجود المنفرد) ضمن مجموع (٥٠) مجاميع المنوكية .
- ٣٥ — (بحث فيمن قرأ ، ولم يشق القاف) . نفس البيان للمقدم .
- ٣٦ — (بحث فيمن أوصى ، بالثالث ، قاصداً إهرام الوريث) نفس البيان .
- ٣٧ — (بحث في بيع وقف الذرية) نفس البيان .
- ٣٨ — (بحث في شفعة الجار) نفس البيان .
- ٣٩ — (بحث في النهي عن مودة أهل السوء) ضمن مجموع (٥٩) المنوكية .
- ٤٠ — (بحث في هل يجوز قضاء المئبد) ضمن مجموع (٥٠) المنوكية .
- ٤١ — (بحث في وإخاته (صلى الله عليه وسلم) لله حابة) رقم ٣١ من
 مجموع (٥٩) منوكية .
- ٤٢ — (بحث ، في وصايا الضرار) ضمن (٥٠) المنوكية .
- ٤٣ — (البغية في مسألة الرؤية) (أى رؤية الله سبحانه وتعالى) . أثبت
 فيه إمكان رؤية الله في الآخرة ، ورد فيه على المعتزلة الذين أنكروا ذلك .
 وأثبت عدم إمكان رؤية الله في الدنيا . وقد أشار إليه في تفسيره ج ٥
 (٤ — قطر الولي)

ص ٣٣٠ عند تفسيره لقوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة » .
صورة القيامة ^(١) .

٤٤ — (بنية المستفيد في الرد على من أنكر الاجتهاد من أهل التقليد) .

٤٥ — (تحرير الدلائل على مقدار ما يجوز بين الإمام ، والمؤتم من الارتفاع والحائل) .

٤٦ — (التشكيك على النفسك لبقود التشكيك) .

٤٧ — (تشنيف السمع بإبطال أدلة الجهم) أى الجمع بين الصلاتين في الحضر رداً على القائلين بجواز ذلك من الزيدية ^(٢) .

٤٨ — (تشنيف السمع بجواب المسائل السبع) .

٤٩ — (تفريق النبال ، إلى إرسال المقال) . رد بهذه الرسالة على السيد عبد الله بن هيسى الكوكراني ، حين ألف رسالة سماها (إرسال المقال ، على إزالة حل الإشكال) يناقض فيها ما ذهب إليه الإمام الشوكاني في رسالته (حل الإشكال في إيجاب اليهود على إلتقاط الأزبال) ^(٣) .

٥٠ — (تنبيه الأمثال ، على عدم جواز الاستعانة من خالص المال) رقم (١١) من مجموع (٥٩) التوكلية ^(٤) .

٥١ — (تنبيه ذوي الحجا على حكم بيع الرجا) .

(١) أنظر مقدمة فتح القدير في التفسير ص هـ .

(٢) أنظر مقدمة فتح القدير في التفسير ص هـ .

(٣) أنظر الصدر المتقدم .

(٤) هكذا ورد في فهرس التوكلية ، وفي هدية العارفين ، ولكنه جاء في مقدمة فتح القدير ، بدون كلمة : « عدم » ومتبعاً بهذه العبارة : « يعنى طلب ولاية الجور من الأغنياء ظلماً من المال يسمونه معونة » . ص و .

- ٥٧ — (التوضيح في تواتر ما جاء في المهدى المنتظر ، والدجال ، والمسيح)
 قد أشار إلى هذا الكتاب ، بقوله « وقد تواترت الأحاديث بنزول هيسى
 معها أوضحنا ذلك في مؤلف مستقل يتضمن ذكر ما ورد في المنتظر ، والدجال
 والمسيح » . فتح القدير في التفسير ج ١ ص ٤٩٧ ، هند تفسيره لقوله تعالى :
 « وإن من أهل الكتاب ، إلا ليؤمن به قبل موته ، ويوم القيامة يكون
 عليهم شهيدا » .
- هذه من بعض الإخوة في المدينة أنه طبع في الهند قبل سنة ١٣٤٠ .
- ٥٣ — (جواب سؤالات وردت من كوكبان) ضمن مجموع (٥٩)
 المتوكلية .
- ٥٤ — (جواب سؤالات وردت من بعض العلماء) رقم ٢٤ ضمن مجموع
 (٥٩) متوكلية .
- ٥٥ — (جواب سؤالات من الفقيه قاسم بن لطف الله) رقم ١٧ ضمن
 مجموع (٥٩) المتوكلية .
- ٥٦ — (جواب سؤال في نجاسة الميتة) رقم ١٨ من مجموع ٥٩ المتوكلية .
- ٥٧ — (جواب سؤال يتعلق بيمين العنت والشهادة) رقم ١٣ من
 مجموع (٥٩) .
- ٥٨ — (جواب الشوكاني على الدعاميني) ضمن مجموع (٥٩) .
- ٥٩ — (جيد النقد في عبارة الكاشف والسعد) .
- ٦٠ — (حل الإشكال في إيجاب اليهود على النقاط الأزال) .
- ٦١ — (الدراية في مسألة الوصاية) أي وصاية الرسول (صلى الله عليه
 وسلم) على ابن أبي طالب رضي الله عنه فيما يدعى البعض رقم ١٤ من مجموع
 (١٧) المتوكلية .

٦٢ — (در السحابة ، في مناقب القزابة والصحابه) .

وهو كتاب متوسط الحجم ، ألفه الإمام الشوكاني ، ليبين فضيلة كل من قزابة الرسول ﷺ ، وأصحابه وجهه منحه منحصرأ في خمسة أبواب ، الباب الأول : في المناقب العامة لهم جميعاً ، أو لطائفة كثيرة منهم كالأنصار وأهل بدر ، وأهل بيعة الشجرة . الثاني : في مناقب العشرة المبشرة بالجنة . الثالث : في مناقب أهل البيت عموماً وخصوصاً ذكورهم وإناثهم الرابع : في مناقب كل فرد من غير العشرة من الصحابة . الخامس : في مناقب السابقين ، وسائر الأئمة هلى الخصوص والعموم .

وهذا الاسم كما سماه به صاحبه في مقدمته حيث قال : « وقد سميت هذا المختصر : (در السحابة في مناقب القزابة والصحابه) ص ٣ ، ولكنه ورد في المراجع التي ذكرته : « در السحاب في مناقب القزابة والأصحاب » ، وقد فرغ مؤلفه من كتابته في جمادى الأولى سنة ١٢٤١ هـ . والنسخة التي بأيدينا منقولة من الأصل في ١٤ محرم سنة ١٣٦٠ هـ .

(وهذا الكتاب جمع من أحاديث الرسول ﷺ التي وردت في هذه الشأن) .

٦٣ — (دفع الإهتراضات على إيضاح الدلالات) .

٦٤ — (رسائل في أحكام لبس الحرير) .

٦٥ — (رسائل على مسائل من السيد العلامة على بن إسماعيل) .

٦٦ — (رسالة في جواز استناد الحاكم في حكمه إلى تقويم العدول) .

٦٧ — (رسالة في حكم الإتصال بالسلطين) .

٦٨ — (رسالة في حكم للولد) .

- ٦٩٩ — (رسالة على مسائل لبعض علماء الحجاز) .
- ٧٠ — (رسالة في حكم الجهر بالذكر) .
- ٧١ — (رسالة في اختلاف العلماء في تقدير النفاس) .
- ٧٢ — (رسالة في حكم صبيان الذميين إذا مات أبواهم) .
- ٧٣ — (رسالة في إرضاع الكبير لعذر ، هل يقتضى التحريم أم لا ، وفيما يقتضى التحريم من الرضاع) .
- ٧٤ — (رسالة في التحلي بالذهب للرجال) :
- ٧٥ — (رسالة التسمير) .
- ٧٦ — (رسالة الرد على القائل بوجوب التحية) .
- ٧٧ — (رسالة رفع المظالم والمآثم) .
- ٧٨ — (رسالة الطلاق) .
- ٧٩ — (رسالة الطلاق البدهى يقع أم لا) .
- ٨٠ — (رسالة في حشد السفر الذى يجب معه قصر الصلاة) .
- ٨١ — (رسالة في الكلام على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة) أشار إليها في تفسيره ، في سورة الأحزاب ج ٤ ص ٢٩١ .
- ٨٢ — (رسالة في الكسوف ، هل لا يكون ذلك إلا في وقت معين على التقطع أم ذلك يتخلف) .
- ٨٣ — (رسالة في حقوق ثواب القراءة المهداة من الأحياء إلى الأموات) .
- ٨٤ — (رسالة في مسائل الصور) .
- ٨٥ — (الرسالة المكتملة في أدلة البسملة) .

٨٦ — رسالة في (وجوب توحيد الله عز وجل) .

وهكذا رسائل كثيرة ، يذبونها الحصر ، منها المتوسط ، ومنها المطول .
وقد جمع منها كما قال ، أربع مجلدات كبار ، وسماء : (الفتح الرباني في فسار
الشوكاني)^(١) ، وقد اجتمعت في البحث عن هذا الكتاب ومعرفة مقره .
فلم أصل إلا إلى أنه موجود منه الآن ثلاثة مجلدات هذه ورثة السيد / أحمد بن
قاسم حميد الدين هلى ما يقال .

٨٧ — (رفع البأس عن حديث النفس والهوى ، والوسواس) رقم ٧٠
من مجموع (٩٥) المتوكلية .

٨٨ — (رفع الجناح عن نافي المباح) .

٨٩ — (رفع الخصام في الحكم : ألم من المسكالم) .

٩٠ — (الروض الواسع في الدليل المنيع هلى هدم انحصار علم الجوع) .
هكذا كما جاء في مقدمة فتح القدير في رواية حسين الأنصاري أنه تلايه
الشوكاني المباشرين ، وجاء في إيضاح المسكنون بخلاف كلمة (عدم)

٩١ — (زهر السرير الفاتح بفضل المعمرين ، أبي بكر وعمر رضي
الله عنهما) .

٩٢ — (سؤال عن الوصية للوارث) ضمن مجموع ٥٠ متوكلية .

٩٣ — (سؤال في شفعة الجار) ضمن مجموع ٥٠ متوكلية .

٩٤ — (سؤال في التحليل لإسقاط الشفعة) ضمن مجموع (٥٠) متوكلية .

٩٥ — (سؤال في بيع وقف الذرية) ضمن مجموع (٥٠) متوكلية .

(١) أنظر البدر الطالع في ترجمته ج ٢ ص ٢٢٣ .

٩٦ — (سؤال في إجبار الجار البيع مع الضرر) ضمن مجموع (٥٠) متوكية
 ٩٧ — (السييل الجرار المتدفق هلى حـدائق الأزهار) فى الفقه ، وهو
 يعتبر تطبيقاً عملياً من الإمام الشوكانى ، لمبدأ الاجتهاد فى مسائل الفقه ، وناهضاً
 للفقه الهدوى فى الزيدية ، إذ أنه يأتى ، بالمألة التى تكلم عنها الإمام المهدى
 أحمد بن يحيى المرتضى (٧٧٥ — ٨٤٠ هـ) فى الأزهار أو علق عليها فى شروحه
 هو أو غيره ، فيبسطها ، ويبين ، وجه التقليد فيها للإمام الهادى يحيى بن
 الحسين^(١) ، أو الإمام يحيى بن حمزة^(٢) أو غيرهما ، أو الاستقلال بالرأى
 والتصحب له ، و يقيم الدلائل من القرآن والسنة هلى بطلان ذلك وابتداهه ،
 سواء كان هلى نفس الحكم ، أو على فساد المنهج ، بكل ثورة ، وكل حماس
 ثم يبين وجه الصواب ، وأن مرجع هذا الصواب ، إنما هو للاجتهاد ، وقد
 اطلمت هلى نسخة من هذا الكتاب بنفسى ، كانت هنا ، مع أحد العلماء ،
 فى زيارة له^(٣) .

وقد قال الإمام الشوكانى نفسه عن هذا الكتاب ، وهو بصدد تأليفه ،
 حين كان يكتب ترجمة هن نفسه فى البـدر الطالع : « وهو الآن يشتغل
 بتسنيف الحاشية التى جعلها على الأزهار : (من الأزهار للإمام المهدى أحمد
 ابن يحيى المرتضى) — وقد بلغ فيها إلى كتاب الجنائيات وسماها (السبل الجرار
 هلى حدائق الأزهار) وهى مشتملة هلى تقرير مادل هليه الدليل ، ودفع
 ما خالفه ، والتموضى لمسايل يبنى التموضى له ، والاعتراضى عليه من شرح
 الجلال وحاشيته .

(١) من أعيان علماء آخر المائة الثالثة من الزيدية وقد تقدمت ترجمته ص ٩١

(٢) من (٦٦٩ — ٧٠٧) .

(٣) وهذا الكتاب الآن فى سبيل النشر . عن طريق المجلس الأعلى للشئون
 الإسلامية بالقاهرة وقد بدأ نشره سنة ١٣١١ هـ على أجزاء وصدر منه الآن جزءان .

وهذا الكتاب أن أهان الله على تمامه فسيمعرف قدره من يعترف بالفضائل
وما وهب الله لعباده من الخير ٥ .

ويوجد لهذا الكتاب ثلاث نسخ بمكتبة صنعاء ، الأولى مجلدان : الأول
يحتوى ٥٨٥ صفحة تحت رقم (١٠٠) فقه ، والثانى ٦٠٤ صفحة تحت رقم
(١٠١) فقه ، وكتبت هذه النسخة سنة ١٣٠٠ هـ والنسخة الثانية فى مجلد
واحد وكتبت سنة ١٢٤١ هـ ، تحت رقم (٣٤٧) فقه ، والثالثة بخط الشوكانى
نفسه ، وانتهى منها سنة ١٢٣٥ هـ تحت رقم (٣٥٢) فقه فى مجلد واحد ،
ونلاحظ ، أن تأليف هذا الكتاب قد امتد فرق نحواً من اثنى عشر عاماً ،
وذلك لإشغاله بالقضاء ، والحكم ، فى معظم أيام حياته من (سنة ١٢٠٩ —
سنة ١٢٥٠ هـ)^(١) .

وقد بدأ نشره سنة ١٣٩١ هـ على أجزاء وصدر منه الآن جزءان .

٩٨ — (شفاء الملل فى زيادة الثمن لمجرد الأجل) .

٩٩ — (الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقلات أرباب الاتحاد) .

١٠٠ — (الصوارم الهندية المسلوكة على الرياض الندية) .

١٠١ — (الطلوع المنيف فى الانتصاف للسعد من الشريف) فى المسألة
المشهورة التى تنازع فيها بين يدي تيمورلك^(٢) .

١٠٢ — (طيب النشر فى جوانب المسائل العشر) .

(١) البدر الطالع ج ٢ ص ٢٢٣ هذا وما يذكر أن الشوكانى قد انتهى من
تأليف البدر الطالع هذا سنة ١٢١٣ هـ . أنظر مقدمة فتح القدير فى التفسير
(ص د) .

(٢) أنظر فتح القدير (المقدمة ص هـ) .

- ١٠٣ — (العذب الخبير في جواب عالم بلاد عسير) (في النوحيد ، وفاتحة الكتاب) ^(١) .
- ١٠٤ — (عقود الجمان في شأن حدود البلدان ، وما يتعلق بها من الضمان) هـكذا ورد في البدر الطالع في ترجمة المؤلف لنفسه ، وورد في فهرس المتوكلية بالإفراد (هقد) رقم ١ من مجموع (٩٠) مجاميع .
- ١٠٥ — (فتح الخلاق ، في جواب مسائل عبد الرزاق) (علم المنطق) . وهي رسالة مشتملة على جواب مائة وخمسون سؤالاً في علم المنطق ^(٢) .
- ١٠٦ — الفتح الرباني في فتاوى الشوكاني (أربعة مجلدات) ^(٣) .
- ١٠٧ — (فتح القدير بين المَعذرة والتمعير) ، رقم ٢ من مجموعة (٥٩) مجاميع المتوكلية .
- ١٠٨ — (القول الجلي في لبس النساء للحلي) .
- ١٠٩ — (القول الحسن في فضائل أهل اليمن) رقم ٣٩ من مجموع (٥٩) مجاميع المتوكلية .
- ١١٠ — (القول الصادق في حكم الإمام الفاسق) .
- ١١١ — (القول المقبول في رد خبر الجَوهول ، من غير صحابة الرسول) .
- ١١٢ — (القول الواضح ، في صلاة المستحاضة ، ونحوها من أهل العلم والجرايح) رقم ٥ من مجموع (٥٩) مجاميع المتوكلية .

(١) عن القاضي محمد حسين الزهيري من علماء اليمن المعاصرين توفي سنة

١٩٦٦ م .

(٢) مقدمة فتح القدير ص و .

(٣) البدر الطالع ج ٢ ص ٢٢٣ .

- ١١٣ - كشف الرين عن حديث ذى البدين .
- ١١٤ - كشف الأستار هن حكم الشفعة بالجوار .
- ١١٥ - (كشف الأستار فى إبطال كلام من قال بفناء النار) . رقم ٢٢ ضمن مجموع (٥٩) مجاميع المتوكلية .
- ١١٦ - (كفاية المحتفظ) .
- ١١٧ - (المباحث الدرية ، فى المسألة الحاربية) رقم ١٩ من مجموع (٥٩) متوكلية .
- ١١٨ - (مجموع أسانيد) (الشوكانى)^(١) .
- ١١٩ - (المختصر البديع فى انطاق الوسيم) : ذكر فيه خلق السموات والأرض والملائكة والجن والإنس ، ومرد غالب ما ورد من الآيات والأحاديث فى ذلك ونسكلم فيها ، فصار فى مجلد ، ولسكنه لم يبيضه^(٢) .
- ١٢٠ - (المختصر السكافى من الجواب الشافى) .
- ١٢١ - (مطلع البدين ، ومجمع البحرين « فى علم النفسير ») .
- ١٢٢ - المقالة الفاخرة ، فى بيان اتفاق الشرائع على الدار الآخرة . وقد ذكرها أول الفصل الثانى المتعلق ، (باتفاق الشرائع على إثبات الآخرة) ، من كتابه (إرشاد النقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات) المتقدم الذكر .
- ١٢٣ - (منحة المنان فى أجرة الغاضى والسجان) .

(١) انظر انخاف الأ كابر ص ١٠ طبعة حيدر آباد سنة ١٣٢٨ رقم ٧٠ مصطلح حديث تيمور ، بدار الكتب المصرية .

(٢) البدر الطالع ج ٢ ص ٢٢٠ .

١٢٤ — (نثر الجوهري في حديث أبي ذر) .

نسخة مخطوطة بخط المؤلف بمكتبة صنعاء ، ملحقة بنسخة قطار الولي (الأصل) الموجودة هناك تحت رقم (٨٦٦) حديث . نسخة أخرى مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٣٣٤٧٣ ب) ، وهي مصورة (بالفوتوستات) من الأصل الموجود بصنعاء ، وكنت قد أتيت بالنسخة المخطوطة من صنعاء مع (قطار الولي) وأخذت دار الكتب لهما صورة : كل كتاب صورة خاصة ، ومنقصة عن الأخرى وصارا في مجلدين .

وهي رسالة علي حديث أبي ذر رضى الله عنه الذي يرويه الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل بهذه العسينة : « يا هبادى ، إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا . . يا هبادى كلكم جائع إلا من أعطمته . . يا هبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفروني أغفر لكم . . الخ » كما رواه مسلم في صحيحه .

وقد تعرض الإمام الشوكاني في شرحه لهذا الحديث في هذه الرسالة إلى هذه نقاط هي :

(١) تسليم سب الرافضة للصحابة رضى الله عنهم .

(٢) سبب تسمية الرافضة لهذا الاسم .

(٣) إظهار ضلال الرافضة ، على لسان الإمام الهادي يحيى بن الحسين ،

حيث روى حديثاً في كتابه الأحكام مسلسلاً بآبائه من «هذه» إلى عند الحسن ابن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، من علي رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبه في شأن هؤلاء الرافضة وعرفه بهم ، وأمره بقتلهم . . . ظهورهم . . .

٤ — ثم بيان الطريق الحقيقي إلى معرفة الله سبحانه .

٥ — ثم ما المراد بالفطرة ، إلى حديث في خلق أفعال العباد ، ثم إلى بيان قيمة الاستغفار بالنسبة للإنسان ، وكون طبيعة الإنسان تقتضى الخطأ ثم الاستغفار من هذا الخطأ ، وعدد صفحات هذه الرسالة (٢٤) .

١٢٥ — (نزعة الأحداق في علم الاشتقاق) ضمن مجموع ٥٠ مجاميع للتوكاية .

١٢٦ — (وبل الغمام ، هلى شفاء الأوام وحاشيته) نسخة بقلم للمصنف سنة ١٢١٣ ومن وقفه على مكتبة صنعاء (٣٠٠ صفحة) رقم (٣٠٣ حديث) للتوكاية .

١٢٧ — (وبل الغمام في تفسير « وجاهل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ») .

١٢٨ — (الوشى للرقوم في تحريم حلية الذهب على العموم ، وفي رواية أخرى : (في تحريم التحلى بالذهب للرجال على العموم) ^(١) .

١٢٩ — (هداية الفاضل إلى تخوم الأراعى) .

١٣٠ — (هذا الكتاب) . كما قال عنه فى البدر الطالع ، (فى مجلد) ^(٢) .

١٣١ — (هفوات الأئمة الأربعة) ، وهذا الكتاب أرويه عن القاضى محمد حسين الزهيرى اليمنى ، ويقول : إن الشوكانى يهدف فى هذا الكتاب إلى تخفيف حدة التقليد ، حيث بين أن هؤلاء الأئمة خطأهم إلى جانب صوابهم .

(١) أنظر مقدمة فتح القدير ص و .

(٢) ج ٢ ص ٢١٩ .

(ب) كتبه المطبوعة مع ألبان تاريخ بعض الطبوعات :

١ — (إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر) ، طبع في حيدر آباد سنة ١٣٢٨ هـ .

٢ — إرشاد الشقات إلى تفان الشرائع على التوحيد ، والمعاد والنوبات ، دار النهضة العربية سنة ١٣٩٥ هـ .

٣ - (إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول) المطبعة المنيرية بمصر سنة ١٢٤٧ هـ ، مطبعة السعادة سنة ١٣٢٧ هـ .

٤ — أمان الشريعة مع مجموعة رسائل له .

٥ — البدر الطالع بحامن من بعد القرن السابع مطبعة السعادة سنة ١٣٤٨ هـ .

٦ — تحفة الذاكرين في شرح (عدة الحصن الحصين للإمام الجزري) ، طبعة مصطفى الحلبي سنة ١٣٥٠ هـ .

٧ — الانحرف في مذاهب السلف ، المطبعة المنيرية سنة ١٣٤٣ هـ ، المنار سنة ١٣٥١ هـ ، ومطبعة محمد مصطفى سنة ١٣٩٠ هـ .

٨ — (تنبيه الأعلام على تفسير المشتبهات بين الحلال والحرام) ، طبع في مصر تحت اسم (كشف الشبهات عن المشتبهات) مطبعة المعاهد سنة ١٣٤٠ هـ .

٩ — (الدراري المضبوطة) في شرح الدرر البهية للشوكاني أيضاً ، مطبعة مصر الحرة سنة ١٣٢٨ هـ .

١٠ — (الدرر البهية) متن الدراري المضبوطة . طبعت مع الشرح للفتنم .

١١ — (الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد) ، إدارة الطباعة المنيرية

سنة ١٣٥١ هـ ، طبعة النار سنة ١٢٤٠ هـ .

١٢ — (الدواء العاجل في دفع المـدو الصائل) ، المطبعة المنيرية
سنة ١٣٤٣ هـ .

١٣ — (رفع الريب فيما يجوز ، ولا يجوز من الغيب) المطبعة المنيرية
سنة ١٣٤٣ هـ .

١٤ — شرح الصدور في تحريم رفع القبور . المطبعة المنيرية سنة ١٣٤٣ هـ
ثم طبع مع الرسالتين السابقتين له ، في مجلد واحد ، في مطبعة السنة الحميدة
سنة ١٣٤٧ هـ .

١٥ — (العقد الثمين في إثبات وصاية أمير المؤمنين) المطبعة المنيرية
سنة ١٣٤٨ هـ .

١٦ — (فتح القدير) الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير . مطبعة
مصطفى الحلبي سنة ١٣٤٩ هـ وهو تفسير الإمام الشوكاني .

١٨ — (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة) طبع في الهند
سنة ١٢٠٣ هـ ثم في مصر بتحقيق وافي ، في مطبعة السنة الحميدة سنة ١٣٨٠
سنة ١٩٦٠ م .

١٨ — (القول المفيد في حكم التقليد) ، أو في أدلة الاجتهاد والتقليد
طبعة مطبعة المهاد سنة ١٣٤٠ هـ ، ومصطفى الحلبي سنة ١٣٤٧ هـ .

١٩ — (نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار) ، الحلبي سنة ١٣٤٧ هـ ،
العثمانية سنة ١٢٥٧ هـ .

٢٠ — نزل من اتقى بكشف أحوال المنتقى ، وهو شرح مختصر للقرآن
أختصره من شرحه السكبير (نيل الأوطار) ، طبع بحجرات الهند سنة ١١٩٧ هـ .

٦ — حياته الخاصة :

هذا وقد كان وراء تفرغ الإمام الشوكاني ، لهذا التأليف وكثرة الإنتاج والتدريس ، حياته في كنف والده ، وكفايته له كل أسباب الحياة ووسائل العيش ، وقد ظل على هذا التفرغ إطلاهاً ، وتأليفاً ، وتدريماً ، منعزلاً عن طلاب الدنيا ، ورجال الحكم والسياسة ، وكما قال عن نفسه : كان منعجباً عن بني الدنيا ، لم يقف بباب أمير ، ولا قاضي ، ولا صهيب أحدًا من أهل الدنيا ولا خضع لمطلب من مطالبها ، راغباً في مجالسة أهل العلم والأدب وملاقاتهم ، والاستفادة منهم ، وإلا فاتهم^(١) ، إلى أن اختفى لفقهاء ، وهو في السادسة والثلاثين من عمره (سنة ١٢٠٩ هـ) ، فتولى القضاء العام في مدينة صنعاء ، وكان ذلك في عهد الإمام المنصور (علي بن الميناس ١١٨٩ — ١٢٢٤ هـ) وظل في القضاء مدة حكمه ، وحكم ابنه (الإمام المتوكل علي الله أحمد) (١٢٢٤ — ١٢٣١ هـ) (إلى أن توفي سنة ١٢٣١ هـ فبايع الإمام الشوكاني ابنه (المهدي هبة الله ١٢٣١ — ١٢٥١ هـ) ، ثم أخذ البيعة من جميع أمراء صنعاء ، وحكامها وجميع أفراد أسرته ، وجميع الرؤساء والأعيان ومما يذكر أيضاً ، أنه هو الذي أخذ البيعة لأبيه من قبله^(٢) ، وفي عهد هذا الحاكم الأخير جمع الإمام الشوكاني بين القضاء والوزارة كلية ، فصار متولياً لشؤون اليمن الداخلية ، والخارجية^(٣) ، وقد طغى هذا على تفرغه لاسم كل التفرغ ، ولكنه ظل على اشتغاله به إلى جانب أعبائه في القضاء والسياسة ، والإدارة سائراً في الناس

(١) البدر الطالع ج ٢ ص ٢٢٤ .

(٢) أنظر البدر الطالع ج ٩ ص ٧٧ — ٧٩ ، ٧٦ — ٧٧ ، ٣٧٧ — ٤٦٤ ، ٤٦٧ .

(٣) أنظر البدر الطالع ج ٢ ص ٤ — ٢٤ ، نيل الوطر السيد محمد زبارة

أحسن سيرة^(١)، متمماً بشخصية قوية ، لدى رجال الحكم جميعهم ، قبل
اشتغاله معهم وأثناء اشتغاله مستعيناً بهم ، على تنفيذ أوامر الشرع حق على
أقرب المقربين إليهم^(٢) ، إلى أن توفي بهمناء سنة ١٢٥٠ هـ^(٣) .

* * *

(١) نفس المصدر ص ٣٩٨ .
(٢) البدر الطالع ج ١ ص ٤٦٥ .
(٣) نيل الوطر ص ٣٠٢ ، والموافق سنة ١٨٣٤ م .

الفقرة الثانية

ولاية الله والطريق إليها

دواية على كتاب قطر الولي على حديث الولي

منهج هذه الدراسة

يدور كتاب (قطر الولي على حديث الولي على ثلاثة أقسام بارزة ، هي :

١ - بيان من هو الولي .

٢ - الطريق إلى ولاية الله .

٣ - أثر سلوك هذا الطريق في حياة الولي ، وفي منزلته عند الله .

وبذلك يتقابل مع أجزاء الحديث نفسه لأنه من الممكن تقسيمه أيضاً إلى ثلاثة أفكار عامة ، هي :

١ - « من عادي لي وليا فقد آذنته بالحرب » وهي تقابل القسم الأول من الكتاب .

٢ - « وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه » وهي تقابل القسم الثاني .

٣ - « فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها » . الخ الحديث « وتقابل القسم الثالث .

وهذه الأقسام الثلاثة من الكتاب ، يمكن أن نقسمها إلى أفكار رئيسية هي :

١ - مفهوم الولي في اللغة وفي القرآن الكريم ، والسنة الصحيحة .

٢ - أفضل الأولياء .

٣ - عدم عصمة الأولياء .

٤ - السمات بالنسبة للأولياء وجوازها ، ثم بيان انوارق الأخرى التي تقع تحت أمير الأولياء ، عن النفاق ، والكفار وغيرهم .

٥ - تحديد شخصيات الأولياء أو أصنافهم .

٦ — الطريق إلى ولاية الله .

٧ — أثر ساوك هذا الطريق في حياة الولي .

وقد سمرت في هذه الدراسة ، على هذا المنهج تقريباً ، فرضت هذه الأفكار ، بالنسبة للإمام الشوكاني ، ثم بالنسبة للصوفية ، وغلاة الشيعة ، فبجاءت مكونة من خمسة فصول .

الفصل الأول : (من هو الولي) ، وتناولات بيان هذا الولي في السنة ، وعند جمهور علماء المسلمين ، ثم عند غلاة الشيعة والصوفية ، ثم ناقشت هذا المفهوم .
والفصل الثاني : (شخصيات الأولياء) . وفيه بينت أصناف الأولياء وشخصياتهم عند الإمام الشوكاني ، وناقشت هذا الاتجاه عنده مبيناً إلى أي مدى استقام له المبدأ مع التطبيق .

والفصل الثالث : جعلته لبيان الطريق إلى الولاية عند الإمام الشوكاني ، ثم عند الصوفية ، ثم الموازنة بين الطريقتين .

والفصل الرابع : جعلته لبيان منزلة الإنسان عند الله ، حينما يصل إلى درجة حب الله ، واشتمل هذا الفصل على قسمين :

الأول : منزلة الإنسان الدينية حينما يقترب إلى الله .

والثاني : في السمكيات التي يمكن أن تضاف إلى ذلك الشخص ، ونظرة الشوكاني لها ، ونظرة للصوفية ، والفلاسفة من الإشرافيين .

ثم الفصل الأخير : وهو أفضل الأولياء ، وقد اشتمل على قسمين أيضاً :

١ — بيان رأى الإمام الشوكاني ، في من هو الأفضل .

٢ — ثم رأى الصوفية ، مع مناقشة آرائهم .
وأخيراً ، خاتمة لهذه الدراسة .

الفصل الأول

من هو الرلى ؟

« (١) مفهوم كلمة « رلى » في اللغة : عند جمهور المسلمين :

شاعت هذه الكلمة (كلمة رلى) في اللغة آل ، شاعت بمناها العام . ثم جاء القرآن الكريم فاستعملها بذلك لمعنى العام أى الجاع بين نابتى انابر والشر ، أى كما يقول ابن قدامة : بجانب أولياء الرحمن وبجانب أولياء الشيطان وشاعت أيضا تلك الكلمة فى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى جانب أولياء الله ضد الأغاب والأهم كما فى الحديث الذى معنا ، وفهها الصحابة رضى الله عنهم ، ومن بعدهم من سار على سبيلهم واستعملوها فى جانب الظير ، على أنها الوصف الذى يجب أن يكون الإنسان عليه فى الدعوة التى حددوها لها القرآن الكريم فى جانب أولياء الله ، وهم المؤمنون عرما .

ولكن الذين تشيعوا أو تصوفوا ، فخصصوا هذا للمعنى الذى أدخلوا فيه عناصر خيالة أو مبتدعة ، لاصلة لها بالإنسان لئلا فى القرآن الكريم كما يفيد كلمة « رلى » ، فوصفوا بها أشخاصا معينين ، إما من آل البيت رضى الله عنهم ، وإما من شيعة آل البيت ، وإما من المتصوفة ، وأصبحت كلمة « رلى » - فى الإطلاق الشعبي العام أو ما فوق الشعبي ودون التعديد السلمى - تطلق على رجل المتصوف أو الشريف المنتسب إلى آل البيت الذى يدعى ذلك ليتكسب من وراء هذا الادعاء . مع أنه لا يحق لأحد أن يطلق هذه الكلمة على نفسه ، ولا على أى شخص آخر ، سوى من نعت عليه القرآن الكريم وهم الصحابة رضى الله عنهم . مع أنها وصف لمن نال محبة الله ، أو هى غاية السكل يسمى

إليها ويجب أن يتحقق بها ، ولاندرى من الذى تحقق بها فعلا ومن الذى لم يتحقق إلا يوم تأتى كل نفس تتبادل من نفسها وتوفى كل نفس ماعمالها . إذن سنحلل معنى هذه الكلمة لنرى أنها ترجع فى هذه الناحية على كلمة صوفى ، ولنعرف لماذا أطلقها الصوفية على كبار متصوفهم دون الاكتفاء بكلمة صوفى . فى القاموس المحيط (الوَلَّى) : « القرب والدُّر والمُعار بعد المَطر » . و (الولى) : الاسم منه والمحِب والصديق والصغير . و (الولاية) : الإمارة والسلطان ، والولى : المستيق والمُتَق ، والصاحب والقريب ، والولى والرب ، والناصر والمحِب .

ويشير (الشوكانى) إلى هذا المعنى فى (قهار الولى) بقوله : « قال فى الصحاح ، والولى ضد العسى انتهى . والولاية ضد العداوة وأصل الولاية المحبة والتقرب كما ذكره أهل اللغة ، وأصل العداوة البغض والبعد » . ويذكر فى تفسيره أن « الولى فى اللغة : القريب . والمراد بأولياء الله ، خالص المؤمنين كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته ، وقد فسر سبحانه هؤلاء الأولياء بقوله : « الذين آمنوا وكاوا ينفقون » أى يؤمنون بما يجب الإيمان به وينفقون ما يجب عليهم اتقاؤه من معاصى الله سبحانه ^(١) فمكان هذا الإيمان وهذه النفقة هما سبب القرب من الله .

ويذكر ابن تيمية هذا المعنى النفوى الذى قدمه الشوكانى لملك الكلمة فى كتابه (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) ثم يثنى بقوله : « وقد قيل : إن الولى سبى ولىاً من مولاته للطاعات أى متابعتها لها « ويقابل بين الولى والمدو على أساس من القرب والبعد ^(٢) »

(١) فتح القدير ج ٢ ص ٤٣٦ .

(٢) الفرقان ص ٥ ينظر أيضاً مجموعة الرسائل والمسائل ج ١ ص ٤٠ ، ٤١ .

وهذا المعنى الذى يدور بين الحب والقرب والنصرة هو الذى أراده القرآن الكريم من كلمة (ولى) ومشتقاتها فى كل موضع أتى بها فيه سواء فى جانب أولياء الله ، أو فى جانب أولياء أعداء الله . وقد أحصيت تلك المواضع فيما كنت مسمين موضعاً : أربعة وخمسون منها فى جانب أولياء الله ، وستة وثلاثون فى جانب أولياء الشيطان وأعداء الله^(١) . وكأما قد أتت فيها تلك الكلمة بالمعنى اللغوى المتقدم . فمن ذلك قوله تعالى : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون)^(٢) . وقد فسر (الكتور الشيبى) هنا الأولياء بالأعبياء والمقربين إلى الله^(٣) . كما تقدم لنا تفسير الشوكانى لها بذلك وكامياً فى تفسير المفسرين لها بهذا المعنى أيضاً . وقوله تعالى : (هناك الولاية لله الحق)^(٤) بالفتح ، فقد قال فيها الإمام (أبو بكر السجستاني)^(٥) (والولاية بالفتح : النصرة والربوبية ومنه تلك الآية المتقدمة . يعنى يؤمنون يتولون الله ويؤمنون به ، ويتبرهون عما كانوا يعبدون)^(٦) . وفى الإيمان بالله والتبرؤ من عبادة غيره . بعد الكفر ما فيه من معانى القرب من الله . ويذكر الشوكانى فى معناها : (والمعنى هنالك ، أى فى ذلك المقام النصرة لله وحده

-
- (١) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة (ولى) وقارن أيضاً الصلاة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ١٥ .
 (٢) سورة يونس آية ١٠٣ .
 (٣) الصلاة بين .. نفس المصدر والصفحة .
 (٤) سورة الكهف آية : ٤٤ .
 (٥) المتوفى سنة ١٣٣٠ هـ .
 (٦) نزهة القلوب فى تفسير غريب القرآن هامش المصحف طبعة المكتبة السعيدية .

لا يقدر عليها غيره^(١) . وقوله : (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا)^(٢) ويمكن أن تدبر الآيات في سياقها فسنجد تلك الكلمة فيها لم تخرج عن معناها اللغوي وإن أحيطت بما يفسرها في ذلك المقام من الشرهيات أو بما يتفق مع جوهرها العام الذي جاءت فيه .

ومن ثم فليس لنا كما يقول (الأستاذ الدكتور محمود فاسم) أن نخرج هذا المصطلح عن المعنى الذي حددته القرآن بلسان عربي مبين .

ولننظر موقف المفسرين والعلماء المسلمين من أدل السنة وغيرهم من تلك الكلمة ونظرتهم إلى مدلولها^(٣) . يقول ابن جرير المصنف في تفسير تلك الكلمة (المراد بولي الله : العالم بالله تعالى المولع قلبه على طاعته المخلص في عبادته) ويعلق ابن القيم الشوكاني على ذلك بأن هذا التفسير (هو المناسب لمعنى الولي المضاف إلى الرب سبحانه)^(٤) .

ويفسر ابن جرير الطبري الأولياء في قوله تعالى : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) بأنهم أنصار الله والأولياء جمع ولي وهو النصير وقد بينا ذلك بشواهد^(٥) . ثم ينقل الطبري ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغفلهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة مكانهم)

(١) فتح القدير ج ٣ ص ٢٧٨ .

(٢) سورة النساء آية : ١١٩ .

(٣) حالة إطلاقها أو إضافتها إلى الله سبحانه وتعالى فقط .

(٤) فطر الولي في تفسير كلمة : (ولي) .

(٥) تفسير الطبري ج ٥ ص ١١٨ وتنظر الفهارس اللغوية لهذا الجزء

ومابله في تفسير مادة ولي .

من الله ، قالوا : يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم ؟ فإننا نحبهم ، لذلك ، قال : هم قوم تحابوا في الله [بروح الله] على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعل نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس وقرأ هذه الآية : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ^(١) . ثم يعلق السبكي على هذا : « والصواب من القول في ذلك أن يقال : (الولي) أعني ولي الله : هو من كان بالصفة التي رخصه الله بها وهو الذي آمن راقياً قال الله : (الذين آمنوا وكانوا يتقون) ^(٢) . »

ويعرفنا الفخر الرازي بالولي فيقول : « أما أول من هو ؟ فيدل عليه القرآن والطبر والأثر والمقول » .

أما القرآن فهو قوله تعالى في هذه الآية : « ألا إن أولياء الله الخ » « الذين آمنوا وكانوا يتقون » فالإيمان هنا إشارة إلى كمال القوة النظرية ، والقوى إشارة إلى كمال النوة العملية ، ويستدل عليه من الأخبار برواية عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيهم « هم قوم تحابوا في الله » الخ الحديث المتقدم . ويروى من الآثار عن أبي بكر الأصم : « أولياء الله : هم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان » وتولوا القيام بحق عبودية الله تعالى والدعوة إليه » .

وأما المقول فأسماه الاشتقاق لأن الولي ههنا التقريب ، والترب من الله تعالى ليس قرباً مكانياً ، بل المراد به الاستغراق في معرفة الله والإيمان بقدرته والثناء عليه وطاعته وهذا هو غاية التقرب من الله . « فهذا الشخص يكون

(١) نفس المصدر ص ١٢١ .

(٢) نفس المصدر ص ١٢٢ ، ١٢٣ وينظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٢٢ .

ولما لله تعالى ، وإذا كان كذلك كان الله تعالى ولياً له أيضاً كما قال الله تعالى : « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور » . ويجب أن يكون الأمر كذلك لأن القرب لا يحصل إلا من الجانبين . وقد المتكلمون : ولي الله من يكون آتياً بالاهتقاد الصحيح المبني على الدليل ، ويكون آتياً بالأعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة ^(١) .

ويرى العلامة أبو السعود أن المراد بالقرب الذي يدل عليه كلمة الولي هنا ، هو القرب الروحاني كما يدل على ذلك كل من الإيمان والتقوى اللذين يرتبطان بهذه الكلمة . ثم يستطرد فيذكر ما ذكره الفخر الرازي من أنهم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان ، ويذكر ما ذكره كل من العاصري وابن كثير من الروايات والأخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم في وصفهم ^(٢) . ويتفق الإمام النسفي في كل ذلك مع هؤلاء المفسرين ^(٣) .

وفي ضوء هذه المعاني فإن الإمام الشوكاني يرى أنه لا بد لمن يريد أن يكون من الأولياء أن يكون متمسكاً بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم مقتدياً به في أقواله وأفعاله ، وأزناً لكل عمل يأتي به بميزان الكتاب والسنة ، ويستدل لذلك ببعض رضى الله عنه فإنه مع كونه من كبار الأولياء ومع كون الرسول صلى الله عليه وسلم شهيداً له بأنه من المحبين ، فلم يكن يتمدد على ذلك بل كان دليله الكتاب والسنة في كل ما يعمل وما يدع ، « فكان يشارد الصحابة رضى الله عنهم ويشاورونه ، ويراجعهم ويراجعونهم ويحتج

(١) مفاتيح الغيب ج ٥ ص ٩٩ .

(٢) هامس ص ٣ من مفاتيح الغيب للرازي ج ٥ .

(٣) تفسير النسفي ج ٢ ص ٢٦ .

عليهم ويحتجون عليه بالكتاب والسنة ويرجعون جميعاً إليهما^(١) .
« ومن خالف هذا ممن يطلق عليه اسم الولي فليس من أولياء الله عز وجل »^(٢) .

إذن فالمراد من كلمة ولي في القرآن الكريم في مجال المدح وفي حال لمستها إلى الله سبحانه وتعالى هو المحبة أو القرب أو الحماية والنصرة من الجانبين ، جانب المخلوق وجانب الخالق سبحانه ، وهي المعاني اللفظية لتلك الكلمة . وتلك المعاني الثلاثة التي تدور فيها هذه الكلمة حينما يسمى بها الشخص ، معان عامة شاملة لكل ما من شأنه أن يقرب إلى الله حسب المفهوم الشرعي السابق للقرآن الكريم والمبادئ الشريفة ، وحسب روح الإسلام العامة التي جاءت فجعلت الناس مرامية ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالقوى ، إذ التقوى محلها القلب . وأن الإسلام يجمع بين الدين والدنيا ، فاستخدم كلمة الولاية بمعنى مخالف يخالف غرضاً شخصياً أو قضية خاصة لا صلة لها حيلة بالدين وإن أدهى ذلك أصحاب هذا الرأي .

ويجب أن نلاحظ أن هذه الآيات التي تحدثت عن الولاية والأولياء ، إنما تعنى أول ما تعنى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين نصروه وهزروه ووقروه وآووه ، وباعدوا عنه كما قال القرآن الكريم فيهم . (فالذين آمنوا به وهزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ، أولئك هم المفلحون)^(٣) . فهي تشير إلى أعمالهم لا إلى أنسابهم ، فإذا كانوا أولياء لله فذلك لأنهم نصروا دينه .

(١) قطر الولي في (الواجب على الولي فيما يصدر من أعمال) .

(٢) تنس المصدر .

(٣) سورة الأعراف آية : ١٥٠ .

وفي ذلك يقول (الدكتور أبو العلا عفيفي) : « ومن أوائل هذه الصفات : (صفات الولي) وأقدسها أن الولي شخص يؤيده الله وينصره . وقد ظهر هذا المعنى في الإسلام قبل ظهور التصوف وأولياء الصوفية . أي ظهر منذ ابتدأت الدعوة إلى الإسلام ، وكان معنى الولاية نصرته الله لا نصرته لرسول الله ، فالذين جاهدوا في الله كانوا أولياءه ، وكذلك الذين ضلواهم قريش وآذتهم من أجل إسلامهم ، كل هؤلاء كانوا أولياء الله حسب النص ص الصحفية الواردة فيهم ، وفيهم بينما نزلت الآية : (الأن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وورد الحديث : « من أذى لي وليا فقد عاداني » . »

وهكذا كان اهتمامنا ، وظلت النظرة إليها بهذا المعنى إلى أن دخلت أوساط الشيعة ثم في دائرة الصوفية فأطلقوها على أئمتهم ومشايخهم ، صرنا فيها اعتبارات أخرى غير هذه الاعتبارات الإلهامية ، وأصبح لها مفهوم آخر إلى جانب المفهوم القرآني الخاص .

وهي هذا فإذا قال (نيكولسون) : « يعطى المسلمون اسم الول على الرجل الذي وصل إلى مقام الفناء عن ذاته وإرادته وبقى بالإرادة الإلهية » (٣) فليس المراد بهم المسلمون الذين ساروا على النهج المحمدي ، وإنما هم الذين قال الجرجاني على لسانهم في كتاب التعريفات : « إن الولاية هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه » (٤) وهم الصوفية الذين أخذوا هذه الكلمة

-
- (١) التصوف الثورة الروحية في الإسلام ص ٢٩٦ .
 - (٢) قارن (الدكتور أبو العلا) في المصدر المتقدم في نفس الصفحة .
 - (٣) في التصوف الإسلامي وتاريخه ص ١٥٧ .
 - (٤) الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ٢٦ .

من غلاة الشيمة وأطلتها على الممتازين منهم حسب قواعدهم ومبادئهم ، تلك المبادئ التي قل فيها ابن تيمية ، إنها من جنس الطامات فإنه من المعلوم باتفاق الناس أن حال البقاء أكل من حال الفناء ، وهذه حال الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين ، ومعلوم أن الرسل يدعون العباد إلى الله تعالى ويعلمونهم ويجهلونهم ويأكلون الطعام ويعيشون في الأحوال فلو كانت تلك الحال أكل لسكان من لم يرسل أكل من الرسل وهذا خلاف دين المسلمين واليهود والنصارى ولكنه يوافق غالبية الصابئة من المتألفين^(١) .

فهذا الفناء الذي يشير إليه (نيكرسون) ليس من الإسلام في شيء وإنما يمكن أن نرده إلى فلسفة أفلاطون^(٢) كعامل أكبر من العوامل التي تأثر الصوفية بها - ذلك الذي يقول : « اعتزل العالم الخارجي ولتوجه بكليتنا

(١) بغية المرتاد في الرد على القرامطة والباطنية ص ٣٣ .

(٢) فيلسوف مصري متصوف . حذق الفلسفة اليونانية ودان بالديانة المسيحية بعد أن سطت عليها يد الغنوص بالناويل والتحوير والتبديل ، وخطها بالسكر والأساطير ، والعقائد الوثنية ، وقد عاش في أول القرن الثالث الميلادي وتلقى علومه الفلسفية في الإسكندرية ، وروما ، وبعض مدر التمرق .

والغوصية : شعبة دينية فلسفية متعددة الصور . مبدؤها أن العرفان الحق ، هو الكشف عن طريق الحس التجريبي الحاصل عن اتحاد العارف بالمعرف ، لا العلم بواسطة المعاني المجردة والاستدلال . فهي نوع من التصوف يزعم أنه مثل الأعلى للمعرفة ، ويعتقد أنه ليست هناك حواجز أو فروق بين الأديان بعضها وبعض ، سواء كانت يهودية أو مسيحية ، أو وثنية . ومن هنا كان خطرها على الأديان وتأثيرها السيء عليها . وهي مأخوذة من اللفظ اليوناني « غوسيس » يعني « معرفة » وقد نشأت في القرن الأول الميلادي بتأثير اختلاط الثقافة اليونانية بشقافة الشرق ودياناته في ذلك الحين .

يتموه الداخل ، وانجمل كل شيء حتى كوننا نحن الذين نتأمل « (١) .
وبناء عليه فليس ذلك الشخص الذي يتصف بمثل هذه الحالة أو يدين بها
من الولاية القرآنية في شيء .

والولي هو : المسلم ، والأوليادهم : المسلمون كلهم ، لأن الله اتخذهم أوليائه في
مقابلة أهدائه الكافرين به الذين ذكرهم أول سورة الممتحنة عند المؤمنين
منهم في قوله : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا هدوى وهدوكم أولياء ...) .

(ب) مفهوم الولاية عند خلافة الصوفية ، وصلة ذلك ، بمفهوم الإمامة عند
خلافة الشيعة :

رأينا كيفية دلالة كلمة (ولي) وأوليائه في القرآن الكريم ، وأنه يعني بها
عصابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين والوه ونصروه ، وتعرضوا
للاضطهاد والتنذيب من أجل نصرة دين الله ، وأنه لا مانع بعد ذلك من أن
تطلق تلك الكلمة على من ينطبق عليه نفس ذلك المعنى المتقدم ، أو على من
تشبه حاله حالهم على العدم .

لكن يظهر أن الشيعة بهرهم تلك الكلمة ، وما تنعوى عليه من معنى
في فعل السحر في نفوس الناس ، فأطلقوها أحياناً على أئمتهم ، وعلى كبار

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية من ٧٨٩ — ٦٩٠ ، وينظر أيضاً كتاب
(التلويحات) للسهروردي الخليلي ضمن مجموعة في الحكمة الإلهية ص ١١٣ ،
١١٠ ، ٦٣ ، ٤٠ . فهناك يصرح السهروردي بأن نظرية الفناء هذه مأخوذة
من أفلاطون . وهذا وإن لم يكن دقيقاً كل الدقة ، إلا أنه يدل على أن
هؤلاء المتفلسفين من الصوفية إنما أخذوا هذا المذهب وغيره من المذاهب الفلسفية
الآخري عن مصادر أجنبية عن الدين الإسلامي .

الدهاة فيهم ، ولو كانوا على ضد ما تحمل تلك الكلمة من معنى حسب الإطلاق اللفوي ، وحسب إطلاق القرآن الكريم لها في حال المسح . ثم أضفوا على ذلك الإمام صفات باطنية لا يمكن توفرها في غيره حسب زعمهم ، لتحقيق بعض الغايات السياسية والاجتماعية ، فأصبحت محصورة في طائفة خاصة بعد أن كانت صفة محتملة لأي إنسان يقوم بنصرة دين الله بن عباده المسلمين . ولم يلبث إطلاقها بهذا المعنى غير الشرعي أن نشأ في الأوساط الصوفية أيضاً ، وهو إن لم يأخذ الصفة السياسية كاملة إلا أنه قد أخذ منها لاهوتية ، هي خليط من أديان سابقة سماوية وغير سماوية وثقافات أجنبية فيها المبنى الإلهادي ظاهر .

١ - الوصاية :

وقد بدأ تحريف تلك الكلمة (كلمة ولي) في أوساط الشيعة ، حين تزيدوا في معناها ، وحين بدأوا يطبقونها على أول ولي في دوائرهم أو إمام ، وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضى الله عنه) ، فالفضل بن العباس ابن أبي طالب يصف عليه (رضى الله عنه) لمعنى سياسي بأنه ولي عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الوقت الذي يهيئه فيه بأنه (ولي الله) وذلك في قوله :

وكان ولي العهد بعد محمد علي وفي كل الموطن صاحبه
علي ولي الله أظهر دينه وأنت مع الأشقياء فيمن تحاربه (١)

(١) يرد على الوليد بن عقبة بن أبي معيط في اتهامه لبني هاشم بتدبير قتل عثمان (رضى الله عنه) ينظر الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ١٥ ويلاحظ أننا نعتبر علياً (رضى الله عنه) من كبار الأولياء من وجهة النظر القرآنية فقط على أنه صحابي جليل . أنظر « دراسات في الفلسفة الإسلامية » للأستاذ الدكتور محمود قاسم ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

يشير بذلك إلى فكرة الوصاية التي تدهيها الشيعة لـ أبي طالب وبنيه^(١) ، والتي يعتمدون عليها في حصرهم للإمامة فيهم ، لأنهم في نظرهم من طينة غير طينة سائر البشر ، « طينة مكنونة تحت البرش ، أسكن الله فيها النور ، فكانوا بشراً نورانيين ، أو هم بشر إلهيون ، لأن النور الذي هو الله حل في هبد المطلب . ثم صار في أبي طالب ثم صار في محمد (صلى الله عليه وسلم) ثم صار في علي بن أبي طالب ، فهم آلهة كلهم »^(٢) . فهي فكرة غنوصية راموا من ورائها بيان قداسة أهل البيت حفاظاً على بناء السلطة السياسية فيهم ، وكان لها أثرها فيما بعد في دائرة المناقشة في ظهور مذاهب الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، على ألسنة أوليائهم . وهي إحدى روايات نظريات الفرس البديية في تأليفهم للمؤلف « وقولهم بالنور الذي ينقل من ملك إلى آخر »^(٣) .

وعلى هذا الأساس وأينما يثبتون الولاية لـ أبي طالب (رضى الله عنه) ثم ينقلونها إلى الأئمة من بعده .

٤ — العلم الدني :

وهناك صفة ثانية أضيفت إلى مفهوم لولاية عند الشيعة والغنوصية ، وهي صفة العلم الدني الذي أخذه علي بن أبي طالب عن الرسول كما قالوا ، ثم ورثه إمامهم ، ويرجعون هذا أيضاً إلى فكرة الوصاية التي قالوا بها ، وإلى المؤاخاة

(١) ينظر : الصلة بين التصوف والتشيع ج ١ ص ٤٥٠ ، ٧٨ ، ٩٧ ، ١٠٦ ، ٦٠٦ ، ج ٢ ص ٢٣ .

(٢) المصدر المتقدم ج ٢ ص ١٠ ، ثم ص ٩٢ . من كتاب فرق الشيعة ص ٤٣ .

(٣) الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ١٠ . قارن القاضي عبد الجبار في المغنى ج ٢ ص ١٢ ، ١٣ .

لقد عقدتها الرسول (ﷺ) بينه وبين علي رضي الله عنه وإلى الحديث الذي وضعوه وهو : « أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب »^(١) . وبهذا فقد نسب إليه المنصوفة علم الباطن وخصوه « بأنه تلقى أسرار التأويل عن النبي صلى الله عليه وسلم » ، فجعل المنصوفة في البلاد الإسلامية يكادون يجمعون على أنهم يقتبسون طريقتهم من الإمام علي كرم الله وجهه ... بل يصرحون أنهم أخذوا عنه الحكمة كما يقول ابن أبي الحديد : « ولهذا نجد للباحث الدقيقة في التوحيد والمعدل ، مبنوثة عنه في فرش كلامه وشطابه ، ولا نجد في كلام أحد من الصحابة والتابعين كلمة واحدة من ذلك ، وإذن فليس بمجيب أن نجد بعض العناصر الشيعية في التصوف »^(٢) . وفي هذا ما يليق لنا ضوءاً على ذلك التزاوج الذي نراه بين التشيع والتصوف ، والذي يتمثل في تصوير أولياء الصوفية بصورة رلى الله على بن أبي طالب ، وإسناده ما يقال في أئمة الشيعة إلى أولياء الصوفية^(٣) . ومن ذلك وصف « التسترى »^(٤) . « الأولياء بأنهم » لا يزالون ينقلون من حال إلى حال ومن علم إلى علم ، فهم أبدأ في الزيد من العلم فيما بينهم وبين ربهم^(٥) . « وصف العلم اللدني هذه »

(١) المصدر السابق ص ٢٣ . وقد أورد الشوكاني هذا الحديث وحديثاً آخر بمعناه في الموضوعات من كتابه (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة) ص ٣٤٨
(٢) دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ١٢٨ ، ١٢٩ .
(٣) ينظر الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ٢٢ ، ٢٣ ، وحقائق التفسير لأبي عبد الرحمن السلمي ورقة ٦٣ .

(٤) أبو محمد سهل بن عبد الله التسترى ، توفي سنة ٢٨٣ هـ :

(٥) تفسير القرآن العظيم ص ٤٦ .

(٦) — فطر الولي

واختصاص على رضى الله عنه بالأنويل هو والأئمة من بعده^(١) كما اختص محمد صلى الله عليه وسلم بالنزول ، عسبا يدهون ، جلتهم يسندون إلى الأئمة أو الأولياء صفة العصمة وربما جعلهم يزيدون فيها على الرسول ، ويحتجون لذلك بأن الرسول معه الوحي بله فلا يقع في خطأ ، أما الإمام فليس معه الوحي فهو معرض للخطأ في إيصال العلم الأدنى أو الأنويل الباطنى إذا لم يكن مصصوما^(٢) .

وقد بدأت هذه الفكرة من هشام بن الحكم أحد تلاميذ الإمام جعفر الصادق وأتباعه بعد وفاة الصادق ، ولزمت الشيعة ولم تنفصل عنه^(٣) بل

(١) دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ١٢٨ ، الصلة بين التصوف والشيعة ج ١ ص ١٣٥ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ٧٦٦ . ويروى الشهرستاني عن أصحاب أبي هاشم ابن محمد ابن الحنفية : « أن لكل ظاهر باطناً ، ولكل شخص روحاً ، ولكل تنزيل تأويلاً ولكل مثال في العالم حقيقة . والمنتشر في الآفاق من الحكم والأسرار مجتمع في الشخص الإنسانى : وهو العلم الذى استأثر به على عليه السلام ثم ابنه محمد بن الحنفية وهو أفضى ذلك السر إلى ابنه أبي هاشم ، وكل من اجتمع فيه هذا العلم فهو الإمام حقاً » : الصلة بين التصوف والشيعة ج ١ ص ١٢٤ نقلاً عن الملل والأححل ج ١ ص ٢٤٣ . وربما كانوا هم الذين يعينهم للقاضى عبد الجبار بقوله « وربما قالوا لا بد أن يزيد (الإمام فى العلم على الرسول فى بعض حالاته) » المغنى ج ٢ ص ١٤ .

(٢) الصلة بين التصوف والشيعة ج ١ ص ١٤٦ . ج ٢ ص ٦٢ . ٦٤ . ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية ص ٢٢٦ . المغنى للقاضى عبد الجبار ج ٢ (الخاص بالإمامة) ص ١٤

(٣) منهاج السنة النبوية ص ٢٢٦ ، والصلة بين التصوف والشيعة ج ١ ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ . ج ٢ ص ٦٢ . وهشام هذا أحد الشيعة المتكلمين من الكوفيين توفي سنة ١٩٩

(٤) الصلة بين التصوف والشيعة ج ١ ص ١٤٨ .

تأكدت، وتبجح بإعلانها معتنقوها بعد ذلك وخاصة في دوائر الشيعة الإمامية،
ثم الإمامية الإثني عشرية^(١) التي ماتزال موجودة إلى اليوم .

٣ — المصحة :

وبما أن الصوفية يدينون بمعية الشيعة في أن للقرآن ظاهراً وهو التنزيل
وهو ما جاء به محمد بن عبد الله ﷺ وباطناً وهو التأويل^(٢) وهو ما تستعمل
بديانته أئمة الشيعة وأولياء الصوفية حسب نظرية العلم الوراثي أو اللدني المقدسة،
فقد وصفوا أولياءهم أيضاً بالمصحة، فكانهم أشركوهم مع أولياء الشيعة
أو أعتهم في ذلك أو قابلا بينهم وبين الأنبياء، فالأنبياء يملكون رسالة التصوف
أيضاً، والاثنان وجهان لحقيقة واحدة^(٣)، وكما سيمتد لنا من مقارنة
الصوفية أولياءهم بالأنبياء وأن الولاية ما هي إلا نبوة باطنة وهي لاتزال
« في الدنيا والآخرة لأن الوحي الإلهي والإنزال الرباني لا ينقطع إذ به حفظ
العالم ». فكيف يكون الصوفي نبي ولاية ورسولا باطناً ولا يكون
معصوماً^(٤) ؟

(١) المغني للقاضي عبد الجبار ج ٢٠ (الكلام في النبوات) ص ٢٤٨، ٢٥٦،
ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية ص ٢٢٦، ٢٢٨، ورأس الحسين (رضي الله عنه)
لابن تيمية ص ٥ .

(٢) ينظر على سبيل المثال : تفسير علي بن إبراهيم ص ٨٧، الصلة بين التصوف
والتشيع ج ٢ ص ٢٣، ٥٥، ٦١، ٩٧، ٩٩، ج ١ ص ٧٦، ١٢٤، ١٣٥ .
ودراسات في الفلسفة الإسلامية ص ١٢٨، تفسير القرآن العظيم للتستري ص ٣
والرسالة القشيرية ص ٤٣ .

(٣) الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ٦٣ .

(٤) نفس المصدر ص ٦٥ .

وتستوى هذه العصمة في كلام من أظهر منهم أنه سنى وفي كلام من أعلن
منهم أنه شيعي أو باطني على حد سواء فالقشيري يرى : « أن من أجل
الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات والعصمة من المعاصي
والخالفات »^(١) والشاذلي (أحمد) « يرى في غير لبس ولا إبهام أن من خواص
التمتع به إمداد الله له بالرحمة والعصمة والخلافة والنبوة »^(٢) . ويرى ابن عربي
« أن من شرط الإمام الباطن أن يكون معصوماً وليس الظاهر إن كان غيره
يكون له مقام العصمة »^(٣) . « وأن تلقيات الموحدين تكون بحسب تجريده
وصحة قصده ودهشته في طريقة »^(٤) .

ويجب أن ننبه إلى أن الصوفية في كثير من الأحوال قد يهترون هذه
العصمة بالحفظ مثل ما قال السكلاباذي : « ولطائف الله في عصمة أنبيائه وحفظ
أوليائه ، من الفتنة أكثر من أن تقع تحت الإحصاء والعد »^(٥) . فنجد هنا
مقابلة بين عصمة الأنبياء وحفظ الأولياء وهذه المقابلة قد أوردها القشيري
أيضاً بذلك الأملوب الذي يعطى أنهما بمعنى واحد ، أو على الأقل أن العصمة
قد تسلم فيها بالنسبة للأولياء^(٦) : « فإن قيل فهل يكون الولي معصوماً ؟

(١) الرسالة القشيرية ص ١٦٠ .

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ٦٥ .

(٣) الفتوحات المكية ج ٣ ص ١٨٣ .

(٤) رسائل ابن عربي ، كتاب التراجم ص ٤ عن الصلة بين التصوف والتشيع

ج ٢ ص ٦٥ .

(٥) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٩٩ عن الصلة بين التصوف والتشيع

ج ٢ ص ٦٢ .

(٦) قال صاحب (تحفة الأصفياء) : « العصمة في حق غير الأنبياء جائزة .

وسؤال الجائز جائز . هامش ص ١٢ .

تجمل : أما وجوباً كما يقال في الأنبياء فلا ، وأما أن يكون محفوظاً حتى لا يصير على الذنوب إن حصلت هذات أو آفات أو زلات فلا يمنع ذلك في وصفهم^(١) ، ونلاحظ أنه تعلق في إثبات الحفظ أو تلك العصمة حتى أثبتهما للأولياء ، بنفس إيراد السؤال في أن الولي يكون معصوماً بطريقة إجابته بقوله « أما وجوباً كما في الأنبياء فلا الخ » يفهم منه أن الحفظ هنا مراد به العصمة أو ما يقرب منها ، وخاصة أنه أورد هذا السؤال بعد تعريفه للولي ، وأنه « من نوال طاهته من غير تخلل معصية » أو « هو الذي يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على الأمانة والنوال فلا يخاف له الخطئ الذي هو قدرة العصيان ، وإنما يديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة »^(٢) ثم بعد ذلك جعل من كرامات الولي دوام التوفيق للطاعات ، والعصمة من المصائب والخالفات كما تقدم . فقد أطلقوا الحفظ في جانب الأولياء ، ولكن أرادوا به العصمة التي تكون للأنبياء^(٣) ، فإننا إذا حللنا معنى « الحفظ » وجدناه بمعنى « المنع » ، و« العصمة » هي « المنع » ، كما أننا إذا نظرنا إلى مجمل أحوالهم وهبائاتهم وجدناهم يتصدون بالحفظ العصمة بعينها^(٤) ، كما قال ابن تيمية : « والغالية في المشايخ قد يقولون

(١) الرسالة ص ١٦٥ .

(٢) نفس المصدر ص ١١٧ ، ١٦٥ .

(٣) قارن . التصوف الثورة الروحية في الإسلام للدكتور أبو العلا عفيفي

ص ٣٠٠ ، ٣٠١ ، والصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ٦٦ .

(٤) فعناها في اللغة هو نفس المعنى في الإصلاح عند سائر الطوائف من المتكلمين والصوفية وأهل السنة من السلفيين ، فوجد صاحب (تحفة الأصفياء في بيان معنى القول بعصمة الأنبياء) يفسر العصمة في الاصطلاح بأنها : « حفظ الله تبارك وتعالى للمكلف من الذنب مع استحالة وقوعه » هامش ص ٧ على كتاب « تحاف أهل الغاية الربانية » وينظر إلى هامش ص ١٣ .

ومن المفهوم دينا وعقلا أن وقوع الذنب ليس مستحيلا مع الولي كما يشير إلى ذلك أستاذنا الدكتور محمود قاسم في ملاحظاته على ذلك .

إن الولي محفوظ والنبي معصوم ، وكثير منهم إن لم يقل ذلك بلسانه فحاله حال من يرى أن الشيخ أو الولي لا يخطئ ولا يفتني^(١) ولكنهم تظاهروا بكلمة الخطأ بدل العصمة ليوضحوا الناص أن تصوفهم وصول بالإسلام وأنه يسير على «دى الكتاب والسنة» فيكثر أتباعهم من جانب «يحفظوا على المتصوفة حياتهم من جانب آخر» وفي ذلك توطيد مركزهم^(٢) ، وهون على بلوغ ما يهيمون إليه من خلع الناس من الإسلام ، وإدخالهم في ذلك «الخطيئة العجيب من الحكمة الذي يجمع بين خرافات الفرس ووثنية الإغريق وعتائد اليهود الذين حرفوا دينهم من قبل»^(٣) .

٤ — الفناء :

ومن المعاني التي تلزم العصمة أو تساويها عند هؤلاء «الفناء» في الله ، لأن الشخص إذا فنى في ذاته (أي ذات الله سبحانه) وغاب عن صفاته ، لم يتصور أن يخطئ ، وإذا أخسأ في الطاعة فإن له في الباطن ما يعمل هذا الخطأ أو يفسره بأنه هو الصواب «ون هنا قالوا ، إن رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين»^(٤) . فليس تعريف الولي حينئذ «صادراً عن عقل واعي» وإنما هي النفس الكلية الموحدة تتصرف وتصدر عن المثل الأعلى^(٥) ، وهذا ما عمل به في التشيع الإسماعيلي شرب اسم عيل الحمر «وقسوة الحاكم بأمر الله

(١) منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٤٤ .

(٢) قارن الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٣) دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ١٢٩ ، ١٢٧ ، ١٣٥ .

(٤) في التصوف الإسلامي وتاريخه لنيكولسون ص ٢١ .

(٥) الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ٦٨ .

وأوامر البعيدة عن المنطق المادى» (١).

ويظهر أن صفة «الفناء» هذه غلبت على أولياء الصوفية أكثر منها في أئمة الشيعة، نظراً لأن الصوف وجهته دينية في الأكثر، أما الشيع فالفالب عليه الاتجاه السيامى . ولذلك نجد الكلام في هذه الناحية قد كثر عند الصوفية وطالت ذبونه ، ولا عجب «الفناء» عندهم ، هو «نهاية الطريق وعبء الوصول إلى الله ، ولباب الولاية ومقامها» (٢) . ولا أغوا إذا قلت إنه أبرز أبواب التصوف أو أن التصوف كله ينتهى إليه ؛ وأنه يكاد يجمع المذاهب الفلسفية التى يحتوى عليها التصوف ، والى تنفس الولاية : بظواهرها المختلفة ، فأبو بكر الواسطى (٣) يهل فى وصفه للفناء ، إلى مذهب الاتحاد أو الحمول ، فقد سئل عن «الولى» كيف يفنيه الله فقال : «فى بدايته بمبادته وفى كونه بستره ولطافته ... ثم يفنيه طعم قيامه به فى أوقانه» (٤) ثم يفسر هذا القيام بأن الله يكشف للولى فيه بأنه السابع منه إذا سمع والمبصر منه إذا أبصر ، والباطش منه إذا بطش ، وهكذا قال تعالى مخاطباً النبى (ﷺ) «ومارميت إذ رميت ولمكن الله رمى» فهو وإن فسر هذا القيام بالمبد بجذبت الولى موضع الدراسة ، وبذلك الآية القرآنية إلا أنه لا يحدد فيها إلى المعنى الذى الفرائى ، ولمكن إلى المعنى الملقى ، وكأنه يؤكد هذه الفكرة ، فكرة الفناء - التى صار فيها الولى فى مقام الاتحاد أو الحمول - بمنزلة النصين

(١) نفس المصدر .

(٢) التصوف ، الثورة الروحية فى الإسلام ص ٣٠٠ .

(٣) أبو بكر محمد بن موسى الواسطى توفى ٣٢٠ هـ .

(٤) نفس المصدر والصفحة ، أو ينظر الرسالة الفشرية ص ١١٨ ، وقارن

ابن عربى فى الفصوص ج ١ ص ١٨٥ .

الكريمين^(١) ، فقد أصبح المبدأ في مقام المحو ، وصار الحق هو الذى يتصرف له .

والإنسان في مقام وحدة الوجود لا يختلف عنه - تقريباً - في مقام الحلول أو الاتحاد ، فإن عربى ، يرى أن المعارف الذى صار في مقام كنهت معمه وبصره الخ ، إذا تصرف بهمنه ، فليس تصرفه إلا عن جبر واضطرار ، وذلك أن الفناء في هوية الأحدية ، قد سلبه الاختيار وحرية التصرف ، فخرج عن تدبيره إلى تدبير غيره ، وعلى هذا الوجه يؤول قوله على لسان الرسول ﷺ : « وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم »^(٢) فهنا نسبة تامة لأفعال المبدأ إلى الله ، وإخلاق هم فيها مجرد أسباب صورية اقتضتها أو اقتضت الاعتراف بها النشأة الدنيوية ، وهذا هو معنى البقاء المقابل للفناء ، وهما وجهان لحقيقة واحدة هي الوحدة الوجودية ، وهذا قريب من كسب الأماهرة ، ومن رأى (ملبرانش) في الأفعال الإنسانية وغيرها ، ومن النظرية الفلسفية التى تعرف في العصر الحديث باسم نظرية الظروف أو المناسبات^(٣) .

كذلك يفرض عليه مذهب وحدة الوجود ، أن الأشقياء - إن كان في مذهبه أشقياء - إنما يتصرفون بتصرف الله ، فبما أنهم آلهة ، أو أنهم صور المعينات الذات الإلهية ، فتصرفهم ، ليس بأشخاصهم ، وإنما هو بتصرف الله المطلق ، ليس لهم فيه إرادة ، أو أنهم أسباب مادية ظاهرية ، اختيرت - في مرأى العين - لتقوم بأفعال معينة أراد الله إنفاذها وإن كانوا في الواقع آلهة

(١) قارن : قطر الولى في (تحقيق آراء الاتحادية والصوفية) .

(٢) فصوص الحكم ج ١ ص ١٢٩ ، ج ٢ (تعليقات) الدكتور أبو العلا

مخيفي ص ٧٩ ، ٨٠ ، ١٥٦ .

(٣) ج ٢ (تعليقات الفصوص) ص ٨٠ .

وهذا المعنى هو الذى أرادته السحرة فى قولهم لفرهون « فاقض ماأنت قاض »
 هلى أساس أنهم اهتمفوا به كإله أعلى منهم « وإن كان الكل أربابا بنسبة ما »
 فهو الأعلى بما أعطيه فى الظاهر من التحكم فىهم ، فليس الأمر فى هذه الآية من
 باب الاستماتة بفرهون ووعيده ، وإنما هو هند السحرة كما يقول ابن عربى ،
 من باب الأتتراف — على طريقة الكشف — بألوهية فرهون ، وأنه يظهر
 من مظاهر الذات الإلهية^(١) ، وهذا هو مدار إسناد التصرف للإنسان هند
 ابن عربى^(٢) .

ويروج أبو عبد الرحمن السلى لهذا الاتجاه الأخير فينقل عن الواسلى
 أيضا ، فى صدد تفسير قوله تعالى : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم
 يحزنون » ، « أن حظوظ الأولياء مع تباينها ، من أربعة أسماء ، قيام كل فريق
 منهم باسم منها : هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، فمن فنى عنها بعد ملابتها
 فهو الكامل التام »^(٣) .

وهذا مظهر آخر من مظاهر الفناء يمرضه علينا أبو عبد الرحمن السلى

(١) فصوص الحكم ج١ ص ٢١٠ ، ٢١١ ، ج٢ (تعليقات الدكتور أبو العلا
 عفيفى) ص ٣١٤ .

(٢) قد أرشدنى إلى أصل هذه الفكرة ومراجعتها أستاذى الدكتور محمود
 قاسم أثناء مراجعة هذه الرسالة .

(٣) ويشرح موقف كل فريق من هؤلاء فيقول : « فمن كان حظه من اسمه ،
 الظاهر لاحظ عجائب قدرته ، ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما جرى فى
 السرائر من أنواره إلى أن يقول : وكل كوشف على قدر طاقته إلا من تولاه
 الحق بيرة وقام عنه منه بنفسه ، فزى الاتحاد أو الحلول مائلا فى هذه العبارة الأخيرة ،
 ينظر حقائق التفسير ورقة ٦٣ والرسالة القشيرية ص ١١٨ ، قارن فصوص الحكم
 لابن عربى ج١ ص ٤٩ — ٥٦ ، و ص ٦٨ ، ٦٩ ، ج٢ ص ٤٠٥ من التعليقات ،

أيضا ، وهو في الواقع صورة من صور وحدة الوجود ، أو رؤية الحق في الخلق أو انطلق في الحق : فمن علامات الولي أن يكون سلبياً في الحياة لا يتبدر منه بادرة كرد فعل لما يحس به - إذا كان يحس - أو يلاقيه في الحياة ومن الساس لأنه في هذه الحالة « يرى انطلق لله تعالى فيعاشرهم على رؤية مامنه إليهم »^(١).

ومن ظاهري الفناء أيضاً الكشف والمشاهدة ، كما يقول أبو علي الجوزجاني : « الولي هو الفاني في حاله ، الباقي في مشاهدة الحق سبحانه ، تولى الله سياسته ، فتوالت عليه أنوار التوالي »^(٢) . وكما يقول ابن عربي في تعريف الأولياء ، بأنهم « المستغرقون في عين المحوية الأحمدية بفناء الإنسية » وأنهم « الذين آمنوا الإيمان اليقيني ، وكانوا يتقنون حجب صفات النفس وموانع الكشف » وذلك لأنهم متسلطون بالمبادئ العالية الروحانية كالغفل وما يليه »^(٣) . فوحدة الوجود عنده هي المقام الأسنى لحال الفناء ، والفناء عنده له نصيب من اسمه ، فهو في أحد مظاهره « إهلاك النفس » ويظهر أنه يقصد إهلاك حيوانيتها ، وبشريتها ، ووضعها في مصنف الجمادات ، فسنده أن أقرب الموجودات إلى الله الجمادات ، ثم النباتات ، ثم الحيوانات ، ثم الإنسان ، لما فيه من العقل والفكر ، فإنهما عائقان عن الوصول . ويمكن للإنسان بناء على ذلك أن يصل إلى مرتبة القرب بإهلاك نفسه ، أو بإهلاك هذه الأشياء فيها ، والنزول بها إلى مرتبة الجمادات ، فإنه بعد ذلك يصعد إلى الملأ الأعلى ، ويلحق بالعقول المجردة ، وهذا

(١) المصدر المتقدم والورقة .

(٢) الرسالة القشيرية ص ١١٨ قارن في النصوص الإسلامية وتاريخه ص ٨ ، والرسالة القشيرية ص ١٤٢ قول أبي يعقوب السوسى في الفناء ، ص ٣٧ آخر فصل (الفناء والبقاء) .

(٣) تفسير ابن عربي ج ١ ص ١٤٤ .

هو طريق إبراهيم عليه السلام ، فإنه لم يذبح كبشاً في الحقيقة ، وإنما ذبح بشرية نفسه وحيوانيتها ، وكان التكذيب هو الصورة التي تراءت له فيها نفسه في صورة ولده كى يمتها ، أو يذبحها تقريباً إلى الله وفناء فيه^(١) . وأجل هذا هو مقام الموت ، الذي سماه مقام الدار الآخرة ، وهو مقام الحياة الحقيقية أو النشأة الآخرة ، كما يسميها ، يشير بهذا إلى قوله تعالى : « وإن الدار الآخرة » على الحيوان لو كانوا يعلمون » على غير ما تشير إليه الآية . وفي هذا المقام يدرك الإنسان أن كل ما في الوجود منى ، أى منصف بذات الله وصفاته وقدر سمرت منصف الله من السمع والبصر والعلم والحياة والقدرة الخ في الموجودات كلها ، أى أنها هي الله ، وإن ظهر فيها بصور وتعيينات مختلفة^(٢) ، أو هي وجوه وجوه الحقيقة واحدة ، هي الذات العلية ، فكل ما في الوجود منى ، لأنه صورة من صور الله^(٣) . وهذه الأشياء لانراها على تلك الحقيقة الباطنية ، أو الوجودية ، لما فينا من العقول والحواس .

أما إذا ماتت هذه الحواس والعقول ، فإنه من الممكن أن نرى السكون بما فيه على حقيقة الوجودية ، وإلى هذه الحالة نرى أن ما كنا نراه حال الحواس والعقول من خلالها أنها هي روز وألام وخیالات ، يجب أن تؤزل كما تؤزل أحلام النائمين ، ويستبدل على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم « الناس نيام ، فإذا ماتوا انتبهوا » ، ولولا ذلك لى غير حقيقته ، فهذا هو موت الحواس ،

(١) فصوص الحسك ص ٨٤ ، ٨٥ ، التعليقات ص ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) التعليقات ص ٣١١ ، الفصوص ص ١٥٤ (قد أرشدنى إلى هذه الفكرة . وراجعها أستاذى الدكتور محمود قاسم أثناء إشراف سيادته على هذه الرسالة) .

(٣) نفس المصدرين المتقدمين ص ١٥٣ .

وحياة الروح ، أو « موت الجهل » ، وحياة المعرفة اليقينية الحقة « (١) ،
والسهروردي يسمى هذا بالموت الأصغر (٢) ، أو الفناء في الفلسفة (٣) ، وقد
جعل من علامات الاتحاد ، أى الاتحاد بالنفس ، لأن الاتحاد بالجسم غير ممكن
ههنا (٤) وربما كان هذا هو مقام الخرس ، الذى يشير إليه (ابن عربى)
فى النشأة الثانية لإدريس عليه السلام ، وفيه ينزل الإنسان « عن حكم عقله
إلى شهوته ، ويكون حيواناً مطلقاً ، حتى يكشف ما تكسفه كل دابة ما هذا
الإنسان (٥) » ، وهنا يخرس الإنسان فيشاهد ما يشاهده من عالم الحقيقة ،
أو وحدة الوجود ، ولكنه لا يستطيع النطق أو الإبانة عما يرى ، كما حدث
لابن عربى نفسه ، حين أقيم فى هذا المقام فى إحدى الحالات ، وينصح
السهروردي بالعمل على الوصول إلى هذا المقام « فإن كنت بنطقك صائراً
من الصالحين ، فيوشك أن تبصر بالهضمت ملسكا من المتربين » (٦) .

هذا وقد سبق كثير من الصوفية أيضاً ، ابن عربى إلى الكلام فى هذا
المقام ، مقام الخرس ، أو مقام الطيرة والدهش ، وجعلوه ، ظهراً للمعرفة ،
أو للمشاهدة كما جملة ابن عربى ، فهنا أبو القاسم القشيرى ، يرى أن سبب
السكوت قد يكون حيرة البديهة ، « فإنه إذا ورد كشف من وصف البغته

(١) التعليقات ص ٢٢٠ ، الفصوص ص ١٥٩ .

(٢) مجموعة فى الحكمة الإلهية ص ٣٥ .

(٣) نفس المصدر ص ١١٤ .

(٤) نفس المصدر ص ٧٣ .

(٥) يشير الشوكانى إلى أن هذا من صفات المجازيب والبله والمجانين ، ولكنه
لا يدل على قرب من الله ، لأن مثل هذه الأصناف ، ارتفعت عنها أهلية التكليف .
قطر الولى ، فى (خوارق غير الأولياء) .

(٦) مجموعة فى الحكمة الإلهية ص ١٢١ .

خرست العبارات عند ذلك ، فلا بيان ولا نطق »^(١) . ويقول الواسطي : « من
 حرف الله تعالى ، انقطع ، بل خرس واققع »^(٢) . ويقول أبو سليمان الداراني :
 « إن المعرفة أقرب إلى الصمت منها إلى الكلام »^(٣) .

والفناء بمعنى الموت المتقدم ، قد تسكروا فيه أيضا ، فالجنيد البغدادي
 يقول :

« التصوف هو أن يميتك الحق هناك ، ويحييك به »^(٤) .

والإنسان يكون على هذه الحال من الفناء حينما يكون في مقام الجمع « أي
 الحال التي لا يميز فيها بين العبد والرب » ويسميه ابن عربي (القرآن) ويقابله
 الفرقان ، وهو أن يشعر المبد في حال الاتحاد ، بالفرق بينه وبين الذات الإلهية ،
 وأن الذات الإلهية في هذه الحالة ، وقاية له ، وحماية لصورته الإنسانية وقد
 يكون هذا الفرقان قبل الدخول في الفناء الصوفي التام وهو حال القرآن ، وقد
 يكون بعده ، فيسمى « فرقانا » بعد قرآن ، وهي حال البقاء ، وفيه يعلم « أن
 الحق ، وانطلق (اللاهوت والناسوت) ولو أن بينهما اتحاداً ذاتياً - كما دلت
 عليه حال الفناء - إلا أن الحق متميز من الخلق ، امتياز الصورة من الجوهر .
 الذي هي صورة له » ويسمى أيضاً بقاء بعد فناء^(٥) .

(١) الرسالة القشيرية ص ٥٨ ، وينظر أيضاً ص ٥٩ .

(٢) نفس المصدر ص ١٤١ .

(٣) في التصوف الإسلامي وتاريخه ص ٦ نقلا عن تذكرة الأولياء .

(٤) الرسالة القشيرية ص ١٢٦ السطر الأخير في التصوف الإسلامي وتاريخه

ص ٣٢ .

(٥) فصوص الحكم ص ٨٩ ، ٩٠ ، التعليقات لأبي العلاء ص ٨٢ ، ٨٣ .

وهنا لا نعارض مع البقاء والفناء ، بل كلاهما وجهان لحقيقة واحدة هي الوحدة الذاتية مع الله ، فلا يسهل الشخص بالبقاء بالله ، إلا بالنسبة عن صور الرسوم ومظاهر الدنيا ، وفي هذه الحالة يكون باقيا مع الله ، أو في الله ويكون الله هو الفاعل في الحقيقة ، أو هو عين البعد وسمعه ويده الخ ، كما قال الواسطي ، فليست صفة الفناء سلبية (في الحقيقة) ، وإنما هي إيجابية في الوجود بالله ^(١) ومن هنا قول ذي النون المصري : « عرفت ربي بربي ، ولو لا ربي لما عرفت ربي » ^(٢) . ويكاد يكون هذا المعنى الذي يراه ابن عربي في البقاء ، موجوداً على صورة غير فائقة هذا النطق عند الصوفية المتقدمين ^(٣) .

والذكر كذلك يرادف الفناء عند ابن عربي . فهو غياب الذاكر عن هذه كوره ، وهو الحال التي يتحقق فيها الصوفي بوحدة الذاتية مع الله ، فذكر الله معناه عندهم الحضور مع الله ، والفناء فيه ، وإذا وصل الصوفي إلى هذا المقام انكشف له الحق « وأنمحي كل أثر بين الواحد والكثير ، أي بين الحق والخلق والذاكر والمذكور ، وتحققت وحدة الإثنين » ^(٤) ، وذلك عندما يكون الإنسان في مرتبة الجمعية ، وحضوره بكل حواسه ، وقواه البدنية والروحية مع الله ^(٥) .

وابن عربي لا يفهم الذكر بغير هذا المعنى ، « والجلس مشهود المذاكر ،

(١) التعليقات ص ٢١٤ ، الفصوص ١٥٥ .

(٢) الرسالة القشيرية ص ١٤٢ ، في التصوف الاسلامي وتاريخه ص ٧ .

(٣) ينظر الرسالة القشيرية (فصل الفناء والبقاء) ، علم القلوب لمحمد بن

عطية المسكي (مخطوط) ص ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٠ .

(٤) التعليقات على الفصوص ص ٢٣٢ .

(٥) نفس المصدر والصفحة ، والفصوص ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

ومنى لم يشاهد الذاكر الحق الذى هو جليسه فليس بذاكر ، فإن ذكر الله صار فى جميع اليه لامن ذكره بلسانه خاصة ^(١) . والذاكر بهذا المعنى نكاد نجده عند السهرودى ^(٢) ، والفزالى ^(٣) ، كما نجد له أصولاً هند بقية المتصوفة السابئين ممن لم يغلب عليهم التفلسف ، فذى النون المصرى ، يرى أن الذكر : « هو غيبة الذاكر عن الذكر » ، والبصلى يقول : « أليس الله تعالى يقول أنا جليس من ذكرنى » ^(٤) . بل لقد صور الذاكر الفانى بصورة من خرج على الطبيعة البشرية حتى أصبح يصرع الجن إذا اقتربوا منه ^(٥) . ووجدناهم أيضاً يرون أن الفناء فى الذكر يجعل صاحبه فى وحدة مع الله ، يقول الطراز ، وهو ممن أخذ عنهم ابن عربى كثيراً : « إذا أراد الله تعالى أن يوالى هبداً من هبيته ، فتح عليه باب ذكره ، فإذا استلذ الذكر ، فتح عليه باب القرب ، ثم رفعه إلى مجالس الأنس به ، ثم أجلسه على كرسى التوحيد ، ثم رفعه منه المحجب ، وكشف له عن الجلال والعظمة ، وحينئذ يصير العبد زمناً فانياً . فوقع فى حظه سبحانه ، وبرى من دعاوى نفسه ^(٦) . والوصول إلى درجة الفناء ليس أمراً سهلاً عند ابن عربى ، بل هو بطريق الرياضة والمجاهدة ، وقوة الجمعية بحيث يستطيع الإنسان أن يتخلص من حواسه ومن فكره ، ومن

(١) نفس المصدر ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢) مجموعة فى الحكمة الإلهية ص ١١٤ .

(٣) إحياء علوم الدين ص ١٩ ، كيمياء السعادة ص ٨٨ الملحق بمجموعة المنقذ من الضلال .

(٤) الرسالة القشيرية ص ١٠٢ ، فى التصوف الإسلامى ص ٧ .

(٥) القشيرية ص ١٠٣ ومن ذلك ما يرويه القشيري : « قيل إذا تمكن الذكر من القلب ، فإن دنا منه الشيطان صرع كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان ، فاجتمع إليه الشياطين ، فيقولون ما هذا ؟ فيقال : قد مسه الانس » .

(٦) الرسالة القشيرية ص ١١٨ ، ١١٩ .

مظاهر هذا الوجود الدنيوى ولذلك ، فقد جمل (الظالم) اسماً من أسماء الفانى ، أو من أسماء المعارف ، الذى ظلم نفسه بالجأمة حتى أفناها عن هذا الوجود المادى وأبقاها بالحق ، ويستدل لذلك بقوله تعالى : (ثم أورثنا الكتاب الذى اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) وجمل الظالم أرقى الثلاثة ، على ضد ما تقول إليه الآية (١) ، وجعل ضلال الظالمين فى آية (ولا تزد الظالمين إلا تبارا) هو حيرة المعارفين فى الله الذين غرقوا فى بحار العلم به وفى تعدده بالوجود والنسب (٢) .

فالفناء عند ابن عربى على تمدد مظاهره ، بأسمائه المختلفة هو الحالة أو المقام الذى تسكتل للمعارف فيه القدرة على رؤية الوجود واحداً ، والواحد كثيراً ، والكثير واحداً : ونسكاد نجد هذا المعنى عند الصوفية السابقين ، وإن كان دون هذا النطق الصارخ بوحدة الوجود بكثير .

والطريق إلى ذلك الفناء أو تلك الولاية التى لا تتمحق إلا به ، أن لا يتملق الإنسان لا بالدنيا ولا بالآخرة كما يقول (إبراهيم بن أدهم) « أُنسب أن تكون لله ولياً ؟ لا ترغب فى شئ من الدنيا والآخرة ، وفرغ نفسك لله تعالى ، وأقبل بوجهك عليه ليقبل عليك ويؤايلك » (٣) . ونلاحظ أنهم ينظرون إلى معنى الفناء على أنه معنى الولاية ، وأنهما معا من النولى والتوالى ، لله ومن الله (٤) .

(١) الفصوص ص ٧٢ ، ٧٣ التعليقات ص ٤٠ .

(٢) نفس المصدرين المتقدمين . ونلاحظ أن الصوفية المتقدمين ، يرون أن أرقى درجات المعرفة ، هو الوصول إلى درجة التحير والدهش . انظر على سبيل المثال فصل (المعرفة) فى الرسالة القشيرية .

(٣) الرسالة القشيرية ١١٨ .

(٤) نفس المصدر ص ١١٨ ، ص ٣٦ ، ٣٧ ، التمع للسراج ص ٦١ ، ٦٢ .

هذه هي أبرز صفات الولاية هذه خلافة الشيعة وعند الصوفية وهناك صفات أخرى قد وصف بها أولياء الشيعة وأولياء الصوفية وهي : الشفاعة ، النقية ، السكرامات والنفوس والتأويل^(١) ، فلا تطيل بالمدح منها ، لأن منها ما لا يتصل بشكوك الشخصية مثل الشفاعة والنقية ، ومنها ما يوجب إلى الألياء جمهور أهل السنة والعلانية وإن كانوا لم يجمعوا على ذلك الولاية ، وهي السكرامات ، ومنها ما يتصل بصفة العلم الذي هو الولاية ، وهي النفوس والتأويل .

وهكذا تحولت الولاية عند هؤلاء ، من المعنى القرآني الذي هو النصرة والحماية والقرب الذي يتوجه بها العبد إلى الله ولدينه فيمنحه الله نصرة وحماية وقرباً في مقابلها ، إلى معان خاصة في طوائف خاصة لها شروط وعلامات غير تلك العلامات القرآنية ، وبعد أن كانت حقاً مشاعاً للجميع للمسلمين أصبحت مقصورة على نفر متميز إليهم بطريق الوراثة في النسب أو الروح من النبي ﷺ ثم من هلى وبنيه رضى الله عنه ، فسكان الولاية بهذا المعنى امتداداً للنسب ومقصورة على أئمة الشيعة وأولياء الصوفية^(٢) .

نرى هذا من الشيعة ثم من الصوفية رغم ادعائهم الإلتساب إلى السنة وإلى الجماعة فيما يقولون ، وربما يعرفون المعنى القرآني لكلمة ولي وأنه من الممكن « بهذا المعنى العام أن يدخل الأنبياء في الأولياء ، كما يدخل فيهم للصوفية — كما يدعون — لأن صفة القرب من الله حفظ مشترك بين هؤلاء جميعاً ، إلا أن جمهور الصوفية يطلقون اسم (الولي) على : الصوفي الذي حصل في مقام

(١) ينظر الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ٧٠ ، ٦٦ .

(٢) التصوف ، الثورة الروحية في الإسلام ص ٩١ ، ١٩٢ ، ينظر أيضاً

المعنى (الكلام في الإمامة) ج ٢٠ ص ١٢ .

(٢ — قطر أول)

التقرب عن الله بفضل قداسته وورعه وفنائه في محبة ربه ، ويعتبرون الولاية والنبوة مرتبتين مختلفتين مستقلةتين إلى حد أن يمكن المفاضلة بينهما »

« فإذا قالوا : إن الصوفية خاصة المسلمين ، والأولياء خاصة الصوفية ، فمضى هذا أن الأولياء (من الصوفية) خاصة المسلمين ، وأن الولاية أهلى مرتبة روحانية يصل إليها المسلم ^(١) وليست النبوة

وإذا كانت الولاية عند الصوفية هي أهلى مرتبة يصل إليها المسلم ، فإن الأمر كذلك عند الشيعة بالنسبة للولاية أو الإمامة ومن كلامهم في ذلك ما يرويه (الكلينى) بإسناد يصل به إلى الإمام جعفر الصادق : « إن الله تبارك وتعالى ، اتخذ إبراهيم عليه السلام عبداً ، قبل أن يتخذ نبياً ، وإن الله اتخذ نبياً قبل أن يتخذ رسولا ، وإن الله اتخذ رسولا قبل أن يتخذ خليلاً ، وإن الله اتخذ خليلاً قبل أن يجعله إماماً ، فلما جمع له الأشياء قال : لى جاهلك الناس إماماً ، قال فمن هنالك فى عين إبراهيم قال : دون ذريتي ؟ قال : لا ينال هدى الظالمين » ^(٢) .

الولاية عند ابن عربى :

وقد أفصح عن هذا الاتجاه المشترك بين غلاة الشيعة والصوفية شخصية مزدوجة ، أو مركبة من التصوف والتشيع والفسفة هي شخصية ابن عربى . فالولاية عنده ثلاث مراتب : مرتبة الأنبياء ، ومرتبة الأولياء ولاية خاصة ، ثم مرتبة الولاية العامة .

وهو يعتبر مرتبة الأنبياء والرسول فى الولاية مرتبة خاصة ^(٣) ، ولكنه

(١) التصوف ، الثورة الروحية فى الإسلام ص ١٩٣ .

(٢) السكافى (كتاب الطهارة) ورقة ٣٧ أ .

(٣) فصوص الحكم ص ٣١١ ، ١٦٠ .

في الواقع ، لا يقصد من هذه الملاحظة ، تفضيلاً للأنبياء على الأولياء ، وإنما يقصد بها ، إضفاء صفة مؤقتة ، على من يعطفهم الله من الأولياء . إن كان يرى في النبوة ولاية . يباغون بمقتضاها شريعة الظاهرة المتصلة بأمور الدنيا إلى المآل ، وبعد أداء هذه المهمة ، يلمعون بنية الأولياء ، وينزل عنهم اسم النبوة والرسالة^(١) . فليس النبي أهل من أولى ، إلا في نظر أهل الظاهر أو أهل الشريعة ، أما من اقترنت عنده (من المصوفاة الباطنية) حالة أخرى تقتضيها مرتبة النبوة ، وهي الأولية فيعلم أن الأولية هي دلو رتبة باقية وهي المرتبة الباقية على الأنبياء والرسل في الدار الآخرة التي ليست بمحل لشرع^(٢) .

ومقتضى اصطناء الله للأنبياء والرسل (عند ابن عربي) ، أو اختصاصهم بالرسالة ، أن لا يكون لهم فيها شيء من الإكتساب ، الذي يتمثل في الذوق ، والقوة الروحية والقادرة على الكشف أو المشاهدة^(٣) . التي يتمتع بها الأولياء ، وبها اكتسبوا ولايتهم أو نبوتهم العامة التي لا تشريع فيها^(٤) ، والأنبياء بناء على ذلك تأنيهم الشريعة بطريق الإخبار الذي يتميز عن إدراكه بالذوق^(٥) .

ونلاحظ أن ابن عربي يجعل للعالم الإلهي ثلاث طرق ، يخص الأنبياء منها بأضعف طريق في نظره ، هذه الطرق الثلاث هي الذوق والكشف وهو طريق

(١) عنقاء مغرب ص ٧٠ ، التعليقات على الفصوص ص ١٧٤ .

(٢) الفصوص ص ١٢٦ ، ١١٧٦ .

(٣) الفصوص ص ١٦٠ ، والتعليقات ص ٢٢٤ .

(٤) التعليقات على الفصوص ص ٢٢٤ ، الفصوص ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٥) نفس المصدر ص ١٣٣ .

العلم السكامل ثم البحث والنظر ، وبلى الأول في الدرجة ، ثم الإخبار الذي خص به الأنبياء والذي يقول فيه : « والإخبار أيضاً يقهر عن إدراك ما لا ينال إلا بالذوق » (١) .

هذا إذا اعترف بالوحي الخارجي ، وأما هو في واقع نفسه ، وواقع مذهبه فلا يرى الوحي شيئاً خارجاً عن الإنسان ، ولكنه خيال يجسد من باطن النفس للنفس (٢) .

والمرتبة الثانية : وهي رتبة الولاية الخاصة ، أو النبوة السامة التي لا تشريع فيها وإنما مناطها العلم والمشاهدة ، لأن أصحابها لم يهودوا على هذه النشأة الأولى وإنما صاروا بفنائهم ، في النشأة الآخرة ، قد حشروا في دنياهم ، ونشروا في قبورهم فهم بشر إلهيون ، وهم الأرض معاديون ، فهم يرون سالا نرى (٣) ، وهم الذين يدركون فرقاً ، أن السكثرة هي الوحدة (٤) ، فهم قد اختلفوا بطريق العلم السكامل ، وهو الذوق والكشف (٥) ويسمى ابن عربي ورثة ، لأنهم أخذوا علمهم عن الله مباشرة من حيث كونه ورث العلم عن الأنبياء ، بعد انقطاع نبوتهم ، وورثه إياهم (٦) ، فهذا هو الفرق بين علم النشريع الذي وصلنا من النبي ﷺ ، وبين علم الأولياء الذي جاد به الله عليهم تجلياً ومشاهدة (٧) ، وهم هذه ابن عربي أفضل من الأنبياء نظراً لما هم عليه من ذوق

(١) نفس المصدر والصفحة ، والفتوحات ص ٣٣٥

(٢) الفصوص ص ١١٦ ، ١١٦ ، التعليقات ص ٩٤ ، ٩٥ ، الفتوحات المسكية

ج ٢ ص ٤٢٩ ، قارن (الآحلام) للدكتور الطويل ص ٨٨ .

(٣) الفصوص ص ١٨٦ ، (٤) التعليقات ص ١٧٠ .

(٥) الفصوص ص ١٣٣ ، (٦) الفتوحات المسكية ج ٢ ص ٣٣٥

(٧) الفصوص ص ١٣٣ ، عن مقام مغرب ص ٦١ ، ٦٢ .

أدر كوا به علم الوجود ووقفوا به على سر القدر^(١) ، وما في الادي من ولاية ،
فإنما يرجع إلى قدر نصيبه من هذا العلم ، « ولذا فقامه من حيث هو عالم ،
أنتم وأكمل من حيث هو رسول أو ذو تشريع وشرع^(٢) » ، والادون في هذا
العلم ، أرساحب المدد فيه ، هو خاتم الأولياء الذي يستمد به دوره ، بفضل نور
الحقيقة المحمدية التي يرضى إليها الصوفية باسم « القطب » ، والتي تقابل المنزل
الأول هند (أفلوطين) و (السكامة) هند المسيحيين^(٣) .

و يبلغ تفضيل ابن عربي للأولياء على الأنبياء ذروته ، حيث يصرح بأن
كل نبي « من لدن آدم إلى آخر نبي ما منهم أحد يأخذ إلا من مشكاة خاتم
الأنبياء » ، « أن خاتم الرسل » من حيث ولايته نصيبه مع خاتم الولاية ، نسبة
الأنبياء والرسل معه ، فإنه الولي الرسول النبي ، وخاتم الأولياء ، الولي الوارث
الأخذ من الأصل ، المشاهد للمراتب^(٤) ، « فضل خاتم الأولياء ، إنما هو
باعتقاف مقام الميان » « وليس الختم بالزمان »^(٥) ، ونظرا لأن النبوة لم تنقطع
في نظر ابن عربي ، بموت محمد ﷺ ، وأن هؤلاء الأولياء قد صارت لهم
النبوة والرسالة العامة من بعده^(٦) ، فقد جعل لهم التشريع بالاجتهاد في ابتكار
أحكام جديدة بإلغاء حكم أو إثبات حكم لم يكن ، بناء على ما يراه هذا الإمام
أو المجتهد من جهة للكشف ، من ثبوت خبر عن الرسول ، لم يكن قد ثبت

(١) الفصوص ، ص ١٣٢

(٢) الفصوص ص ١٣٥ .

(٣) التعليقات على الفصوص ص ٢٤ ، ٢٥ ، الفصوص ص ٦٢ .

(٤) الفصوص ص ١٤ . (٥) عنقاء مغرب ص ٧١ .

(٦) الفصوص ص ١٣٤ ، الفتوحات ص ٣٣٥ .

له ، أو عدم اتصال خبر قد أسند إليه ^(١) ، ولهذا فهم أئمة خلفاء ، وهم في الظاهر متبعون لشرع الرسول ﷺ ، ولكنهم في الباطن يأخذون عن الله من مشكاة خاتم الأولياء « فله خلفاء في خلقه يأخذون من عند الرسول والرسول ، ما أخذته الرسل هلمهم السلام ، ويعرفون فضل المتقدم هناك ، لأن الرسول قابل الزيادة ، وهذا الخليفة ليس بقابل للزيادة » ^(٢) وابن عربى في هذا ينهل من منهلين ، المنهل الأول ، قرآن الله وسنة الرسول ﷺ ، والمنهل الثانى هو فلسفة (أفلوطين) وما شابهها من الفلسفات الغنوصية الأخرى ، فغير أنه توحس للمصدر الثانى على الأول ، وأخذ يؤول هذا الأخير ويطوّه ، ليتحدى مع مبادئ الغنوصية وكثف أفلوطين فظهر منه هذا الزيف ، وإن حاول أن يستتره بإيهام توكيده لسلطة الشريعة في الظاهر ، إنها إنما جاءت لهذا فقط . ولكن هذا غير ما تقتضيه الشريعة ، وغير ما يقتضيه مقام الأنبياء ، « فن الملام أن العقل ، والدين ، يقتضيان أن جانب النبوة والرسالة ، أحق بكل تحقيق ، وعلم ومعرفة ، وإحاطة بأسرار الأور وبواطنها » ^(٣) .

والمرتبة الثالثة : أو الشكل الثالث من أشكال الولاية هو الولاية العامة ،

(١) الفصوص ص ١٦٤ ، ١٦٣ ، ١٣٥ . ومن هنا ظهرت عندهم في التشيع صفة التأويل والتفسير الباطنى . وهذا مرجع ابتداعهم في الدين ، تلك البدع المعروفة عندهم في التشيع ، فابن عربى هنا شيعى غال بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى .

(٢) فصوص الحكم ص ١٦٣ ، قارن التعليقات على الفصوص ص ٢٢١ ، ٢٢٥ و نلاحظ أنه في استعمال كلمة إمام ، يريد بها الولى في هذا المقام ، متأثر بأفكار الشيعة في الإمام المعصوم . التعليقات على الفصوص ص ٢٢٤ .

(٣) نقض المنطق لابن تيمية ص ٧١

وهو ذلك النوع الذي اقتضته نزته السلفية ، وانتهى أنصح عنها في قوله :

هتد الخلاق في الإله هتاداً وأنا هتقدت جميع ما هتدود^(١)

وقد جعلها سارية في عبادة المشركين لما بهبه ونه ، وإلزام بذلك مؤنوز ،
واقضاء لأمرهم فإن الله ينظر إليهم وينصرهم بهذا الإيمان ، على الموجد الذي
فرط في حق الله ؛ فالأول مؤمن ، ولكنه في عبادته قدّر الله خطأ النسبة ،
والثاني صار غير مؤمن ؛ فانطبقت الآية « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » ،
على الأول دون الثاني ، « فأى شخص صدق في احترام الألوهية واستحضرها ،
وإن أخطأ في نسبتها ، ولكن هي مشهودة ، كان النصر الإلهي معه »^(٢) .
وهو يجعل هذه الولاية من التولى ، وأنها مرض لوجوده ، وتطبيق لأحد أسمائه
تعالى (التولى) فتد تولى الخلق بالوجود في أهيانهم ، ويحفظ الوجود عليهم
« وتولاهم بما رزقهم فيه قوام هيشهم ، ومصالحهم عموماً . . . » « فإن كل
جزء من السلم مسبح لله تعالى من كافر وغير كافر »^(٣) ومن ظاهر هذه
الولاية ، عاطف الوالدين على أولادهم والمكس ، وعاطف الحيوانات المعجم
كذلك ، وقيام كل أحد بخدمة الآخرين ، وهو يظن أنه يخدم نفسه كالناجر
الذي يجرب الأقطار بيما وشراء يظن أنه يخدم نفسه ولكنه في الوقت ذاته ،
قد نفع الكثيرين غيره « بما جعل الله في قلبه من ذلك بولايته »^(٤) . فلماذا
قلنا إن ولاية الله عامة المتعلق ، لهذا جعل الوجود كله ناطقاً بتسبيحه ، فلم
يتول الله إلا المؤمنين ، وما ثم إلا مؤمن . والناس كلهم بهذا أولياء ، ولتولى
بعضهم بعضاً ، كما قال « المؤمنون بعضهم أولياء بعض » « والذين كفروا

(١) التعليقات على الفصوص ص ٩٣ .

(٢) الفتوحات المسكية ج ٢ ص ٣١٦ ، ٣٢٧ .

(٣) نفس المصدر ص ٣٢٧ . (٤) نفس المصدر والصفحة .

بعضهم أولياءٌ بعضٌ . « فجعل الولاية بينهم تدرج » ، « فهذه هي ولاية الحق ، وأسرارها ، وهي الولاية العامة »^(١) .

(٢) مناقشة هذا المفهوم عند الشيعة والصوفية :

هذه هان في الولاية أصبح ما نصفها به أنها ليست من الإسلام في شيء وإعماهي « خليط من المذاهب الفلسفية التلغيفية »^(٢) أقامت على تلك السكامة على يد الشيعة ، واستعملوا صوفية المسلمين « في المعنى الذي استعملها فيه صوفية غيرهم من أبناء الديانات الأخرى »^(٣) . وهي محاولة دينية سياسية قصد بها عدم الإسلام من الداخل كدين ، وضربه من الخارج كدولة ، وإعادة الحياة الفارسية القديمة بما تشمل هياكله من غنوص وديانات وثنية مختلفة^(٤) وقد وضع هذا في دهوة (إخوان الصفاء) وتخطيطهم لإعادة تلك الحياة ،

(١) الفتوحات المكية ج ٢ ص ٣١٧ ، ٣٢٨ .

(٢) دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ١٢٩ .

(٣) التصوف الثورة الروحية في الإسلام ص ٢٩٤ ويقول الدكتور أبو الملا في ذلك : إن تلك الاعتقادات سابقة على التصوف في البلاد الفارسية ، وفكرة الولاية بهذا المعنى أو ما يعادله كانت موجودة في البلاد التي فتحها المسلمون ، وكانت منتشرة انتشار الإسلام نفسه ، فلما ظهرت حركة التصوف في البلاد الإسلامية ، لم تخلق فكرة الولاية خلقاً ، وإنما شكلت أفسكار كانت جزءاً من التراث الروحي لهذه البلاد بأن أبرزت فيها الجانب الصوفي من الحياة الدينية ، وينظر إلى جانب ذلك : (المدخل إلى التصوف الإسلامي) ص ١٠ ، ١٧ ، ١٨ ، ٧٠ ، ١٣٦ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٣٠ . وهالك يعترف مؤلف هذا الكتاب على نفسه دون أن يشعر بأن التصوف وارد أجنبي رغم ادعائه بأنه في بدءاً ثبت إسلامي .

(٤) دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ١٣٥ ، ١٢٩ .

فقد برز فيها الجانب السياسي بجوار الجانب الديني النلفيقي^(١) ، ودهوات الشيعة على السموم هي في الواقع تخطيط سياسي ، إن تقنعت بقماع الدين ، كما أن دهوات المتصوفة كلها من هذا النجيل ، وقد رأينا الحلاج والسهروردي الطلبي ، قد ذهبوا ضحية هذا التطلع السياسي الباطني ، وهذا هو السبب في أن شخصيات أولياء المتصوفة قد نحتت على فرار شخصيات أولياء الشيعة أو أممهم^(٢) . وليس المتصوف بناء على هذا إلا ضرب من التشيع الباطني^(٣) .

(١) أما عن الجانب السياسي فيظهر في مثل قولهم في مخاطبة المتشيعين : « وما يجمعنا وإياك أيها الأخ البار الرحيم حجة نبينا عليه السلام وأهل بيته الطاهرين وولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خير الوصيين صلوات الله عليهم أجمعين » ص ٢٤٢ ج ٤ ونلاحظ أن الشيعة على العموم يقصدون بآل البيت أولاد علي من فاطمة فقط مع أن المقصود بها في القرآن أولاد وقبل كل شيء نساء النبي ﷺ كما نلاحظ نصهم على الوصاية في هذه المباراة والدعاء للأوصياء بالصلاة مع أنهم دعوا للرسول ﷺ بالسلام فقط . وفي موضع آخر يقول لأحد الإخوان : « اعلم أيها الأخ أن لنا إخواناً من كرام الناس متفرقين في البلاد فمنهم طائفة من أولاد الملوك والأمراء والوزراء والعمال والكتّاب والأشراف ، وقد اخترناك أيها الأخ الرحيم لمعاونتهم لتسكون مساعداً لهم ، فاذكر لهم ما ألقيناه إليك من حكمتنا وأسرار علمنا لتنبيههم من نوم الغفلة ورقدة الجهالة فإن الله تعالى يؤيدك بنصره كما وعد أوليائه فتعال عز من قائل « ولينصرن الله من ينصره » وقال تعالى « فإن حزب الله هم الغالبون » . الرسائل ج ٢ : ص ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ج ٣ ص ١٧٧ . أما الجانب النلفيقي ، فالمعروف عن مبادئهم ومذاهبهم أنها علوية ، وباطنية ، وفيثاغورية ، وأفلاطونية ومجوسية الخ ماهاالك من ديانات وثنية مقلعة في بعض الأحيان بقماع إسلامي وهذا ظاهر في نمايا رسائلهم كلها . ينظر مثلاً ج ٢ ص ٨٥ ، ٨٦ ، ١٠١ ص ٢٤٨ — ٢٥١ ، ٢١٩ ، إخوان الصفاء للدكتور جبور عبد النور ص ٢٩ — ٣٤ .

(٢) الصلة بين المتصوف والتشيع ج ٢ ص ٦٩ .

(٣) نفس المصدر ص ٥٦ — ٦٠ .

وأمام هذه المعاني وذلك الاختصاص المدهى من جانب الشيعة والمنهوية ،
لا يسمنا إلا أن نضمهم أمام المفهوم القرآنى لكلمة (ولى) وأمام روح
الإسلام العامة إن كانوا مدينين ، فضلاً عن أن على بن أبى طالب (رضى الله
عنه) الذى انتسب إليه كلا الفريقين قد تبرأ منهم هو وأولاده ومما قالوه
فيهم . فقد روى البخارى (رضى الله عنه) عن أبى بصير (رضى الله عنه) :
قال : قلت لعلى (رضى الله عنه) هل عندكم شيء من الوحى إلا ما فى كتاب
الله ؟ قال : وأذى فلق الحبة ، وبرأ الأنسمة ، ما أعلمه إلا فهم يطع الله رجلاً
فى القرآن ، وما فى هذه الصحيفة ، قلت : وما فى الصحيفة ؟ قال : العقل ،
وفسكك الأسير ، وأن لا يقتل مسلم بكافر^(١) . وتبرأ الأنسمة من أولاده ، من
الغلاة ومما قالوه فيهم . فقد قال الإمام جعفر الصادق هؤلاء الفسلة :
« لا تقاعدوهم ، ولا تواكلوهم ، ولا تشاربوهم ، ولا تصافحوهم ، ولا تتماكصوهم
ولا توارثوهم »^(٢) ولعله يرمى بذلك — مخلصاً — إلى أنهم خرجوا من
الدين ، فإن « من يحمل صفة الإمام صفة النبي يصح له أن يرجب فى الإمام
ما يجب للنبي ، كما أن من جعل صفة الإمام صفة الإله يصح أن يرجب فيه
ما يجب لله تعالى »^(٣) . ويرى القاضى عبد الجبار أنهم بهذا الغلو قد « شاركوا
النصارى فى لفظ الاتحاد وفى همتهم وطريقتهم » ولا يجب ؛ « فالأصل فيهم
الإلحاد لسكنهم يستترون بهذه المذاهب » التى يقولونها فى الآية^(٤) .

-
- (١) صحيح البخارى ج ٤ ص ٨٤ باب فضل الجهاد ، نقض المنطق ص ٦٥ ، ٦٦ .
(٢) الصلة بين التصوف والتشيع ج ١ ص ١٩٤ عن (معرفة أخبار الرجال
ص ١٩١) قارن قطر الولى فى (مبدأ الباطنية وكيف قاموا) ونقض المنطق
لابن تيمية ص ٦٥ ، ٦٦ .
(٣) المغنى للقاضى عبد الجبار ج ٢ ص ١٢ .
(٤) نفس المصدر ص ١٣ .

١ - رد فكرة الوصاية :

وفكرة الوصاية التي اهتمدوا عليها في إثبات الإمامة بالنص (لدى) (رضى الله عنه) ولأولاده من بعده ثم الرأية بناء على تلك الإمامة المرفوضة من أساسها^(١). ويدل القاضى عبد الجبار على نفي هذا النص ، بطريقة الغلاة أنفسهم في ادعاء هذا النص ؛ فهم يقولون : إنه ثبت عند طوائفهم خاصة دون بقية المسلمين ، فيقول لهم : إنه لو كان ذلك كذلك لكان من الممكن أن يقال في العباس هم الرسول (صلى الله عليه وسلم) مثلاً : ما قيل في على ابن عمه ، ويختص بمرفقة قوم دون قوم ، ثم كان من الممكن أيضاً أن ينقطع هذا النقل عن المسلمين جميعهم «لأنه إن جاز انقطاع النقل فيما يتم تكليفه من بعض دون بعض جاز انقطاعه عن جميع المكلفين ، لذلك أن

(١) ينظر منهاج السنة النبوية ج ١ ص ١٣٤ - ١٠١ ، و (العقد الثمين في إنبات وصاية أمير المؤمنين) : (على بن أبي طالب) فستجد أن كل ما أمكن أن نصل إليه مع الامام الشوكاني في بحث هذه الفكرة إنما هو إنبات وصاية عامة في أمور عامة ليس للخلافة فيها تصريح ولا تلميح . وينظر الجزء الرابع كله من منهاج السنة النبوية فهو بمثابة إنبات إمامة أبي بكر ، ورد على من يقدم عليها على أبي بكر في أى شيء . وكذلك شطر من الجزء الثالث يدور حول هذا الموضوع ، وأن أمير المؤمنين علياً ليس له فضل على أبي بكر وعمر . ومن ذلك رده لاستدلال الرافضة أو الإمامية كما يدعوا بقوله عَلَيْهِ السَّلَام لعلى رضي الله عنه : «أنت منى وأنا منك» أو «أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟» حين خلفه على المدينة في إحدى الغزوات ، بأن مثل هذا الحديث الثانى بمثابة تطييب خاطر وكأنه يقول له : إنه وإن كان قد تركه في المدينة ولم يخرج معه للغزو فليس هذا امتحاناً ، وإنما هو تسكريم ، وأن الحديث الأول لم يقله عَلَيْهِ السَّلَام لمولى فقط ، وإنما قاله في مناسبات عديدة لمكثير غيره من الصحابة وبعض القبائل ، فليس من خصائصه رضي الله عنه ، بل قد شاركه فيه غيره ممن هو دون الخلفاء الثلاثة ، وإذا كان كذلك لم يسكن دالاً على الأفضلية ولا على الإمامة ص ٧ ، ٨ .

ما أوجب لإزاحة الشبهة في كبرهم يوجب لإزاحة الشبهة في بعضهم» (١).

«ثم إن ما جرت عليه أحوال الصحابة يمنع من ادعاء هذا النص في الأصل» ومن الضروري أن يكون معلوما لجميعهم ، ولو كان الأصل كذلك رأينا تطورات الإمامة على غير الذي حدث ، لأنه يجب «أن يكونوا مضطرين إلى معرفة إمامة أمير المؤمنين كاضطرارهم إلى أن صلاة الظهر واجبة وصوم رمضان واجب الخ» ولو كان كذلك لم يعقل أن يسير ظروف الإمامة على ما سارت عليه ، ولما صح ما قد ثبت عنهم من مواقف الإمامة والمنازعة . إلى غير ذلك . ولا يمكن بعد ذلك إلا نسبة بغيهم إلى الارتداد والنفاق» (٢)

وهذا عين الحال .

٢ - رد فكرة العصمة :

أما من ناحية العصمة ، فقد رأينا أنها صفة غلو ، وإخراج لاولي والإمام عن وضعه الطبيعي الذي سنده له الدين ، فليست العصمة لازمة لغير الأنبياء ، لا من جهة كونهم أولياء ، ولا من جهة كونهم أئمة .

أما من حيث أنهم أولياء ، فقد تقدم لنا أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مع كونه مشهوراً له بأنه من المحدثين بالنص النبوي (٣) ، كان يشاور الصحابة

(١) المفتي ج ٣٠ ص ١١٩ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) وهو قول الرسول ﷺ : « إن في هذه الأمة محدثين وإن منهم عمر » وقد جاء هذا الحديث في الصحيحين والمحدث كما يقول الشوكاني . « الصارق الغان المصطب الفراسة » وقد جاء في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فراسة المؤمن فإنها يرى بنور الله » ينظر قطر الولي في (الواجب على الولي فيما يصدر من أعمال) ، و (العسمة والتقرب إلى الله في هذا الحديث) .

(رضي الله عنهم) ويشاورونه ، ويراجعهم ويراجعونه ، وعرفنا أنه رجع إلى رأي إحدى النساء حين اعترضت عليه في تمديد مهور النساء . وفي هجر الرسول صلى الله عليه وسلم كانت تقع له وقائع يردعها عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هو ومدينته أبو بكر (رضي الله عنه) ^(١) ، يقول الإمام الشوكاني : « وأعلم أن أولياء الله خير الأنبياء ليسوا بمصومين ، بل يجوز عليهم ما يجوز على سائر عباد الله المؤمنين » ^(٢) . ويرى أن انتفاء هذه العصمة في حقهم لا يؤثر في ولايتهم ، وإذا وقع منهم ما يخالف الصواب ، فلا يخرجهم ذلك عن كونهم أولياء الله ، وإن كان قليلاً ما يقع منهم ذلك ^(٣) .

بل إن هذه المخالفات قد تكون سبباً في رفع الدرجات وكثرة الحسنات إذا أعقبتها التوبة حتى ولو كانت تلك المخالفات كفراً ، فإن داود عليه السلام كانت حاله عند الله بعد التوبة خيراً منها قبل ارتكاب الذنب ^(٤) . والله سبحانه وتعالى قد وصف أولياءه في القرآن الكريم بأنهم « الذين آمنوا

(١) ينظر مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ص ٤٣ .

(٢) قطر الولي في (الأولياء غير الأنبياء : ليسوا بمصومين) ، ويقول في مكان آخر : « ... وأن من حاول منهم (من غير الأنبياء) أن لا يقع منه ذنب ألبتة فقد حاول ما لا يكون ، لأن العصمة لا تكون إلا للأنبياء ، فلو راموا أنهم لا يذنبون أصلاً ، راموا ما ليس لهم » . شر الجواهر على حديث أبي ذر . (مصور بدار الكتب المصرية) ص ٣٠ . وذلك في حصر تفسيره أقوله تعالى في هذا الحديث القدسي : « يا عبادي : إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفروني أغفر لكم » .

(٣) قطر الولي في (الأولياء غير الأنبياء : ليسوا بمصومين) .

(٤) منهاج السنة النبوية ج ١ ص ١٣٠ وقد قال تعالى في ذلك : « فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب » سورة (س) آية ٢٥ . وهناك في آية أخرى : « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » فإن العبد يصل بعد التوبة

وكانوا يتقون»^(١) بعد أن وعدهم في صدر الآية بأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . وهذه التقوى لم ينهها عنهم في آية أخرى لأنهم عملوا بمحض السيئات ، بل وصف عملهم بأن فيه سوءاً وأصواً ، ومع ذلك جمع لهم التقوى مع هذا العمل ، وذلك في قوله تعالى « والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون » لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء الحسنين ، ليس كفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون »^(٢) . ونلاحظ أنه وصفهم بالتقوى بطريق النقص (هم المتقون) ، كما أنه جعل لهم ما يشاءون أي وصفهم بأنهم محسنون ، كما أنه سيجزيهم أجرهم على أحسن ما عملوا ، في مقابل ثوبتهم هن أسوأ ما عملوا الخ^(٣) .

وبهذه النظرة إلى الأروايع على أنهم بشر ، نظر الله سبحانه وتعالى إلى أنبيائه أيضاً على أنهم بشر ، فلم يعصمهم إلا من كبائر الذنوب ومن الخطأ في تافق أو أداء ما يبالغونه عنه من الشريعة إلى العبادة ، أما بالنسبة للضعفاء التي لا تتصل بالأخلاق ، وفي بقية عيانهم العملية اليومية التي هي من اجتهاد منهم ، فهم معرضون للأخطاء ، ولكن لا يقرون على هذه الأخطاء فيتنبهون من قريب بعد أن يذنبهم الله ، أو بعد ما يتبين لهم أنهم فعلوا خلاف الأولى^(٤) .

إلى مقام الحب الذي يشير إليه الحديث : « وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الخ . » ، قارن (نثر الجوهر على حديث أبي ذر) للشوكاني ص ٣٠ - ٥٠ .

(١) في الآية التي تقول : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون » .

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ج ١ ص ٤٣ ، ٤٤ .

(٣) منهاج السنة ج ١ ص ١٣٠ .

(٤) في صحيح البخاري : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لله أفرح

وهذه فضيلة منحةهم الله إياها وليست تقيصة فلو كان النبي لا يخطئ ولا ينوب إلى الله تعالى فيقال محبة الله وفرحه بتوبته ، وترتفع درجته بذلك ، ويكون بعد التوبة التي يحبها الله منه خيراً مما كان قبلها ، لسكان في هذا غرض من مناصب الأنبياء وسلبهم هذه الدرجة ومنع إحسان الله إليهم وتفضله عليهم بالرحمة والمغفرة ^(١) .

وإذا كان هذا في جانب الأنبياء فلا وجه أن نعتك بها في جانب الأولياء ، كما أنه لا وجه لمن نعتك بها الأولياء اعتماداً على ما جاء في الحديث : « فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصر الذي يبصر به . . الخ » فإن العصمة بهذا المعنى خص الله سبحانه بها رسله وملائكته وهو مقام النبوة لا مقام الولاية ، وإنما المراد بهذا الجزء من الحديث أن من وصل إلى مقام محبة الله بأداء الفرائض والإكثار من النوافل ، كان موفقاً في مدغم أحواله ، لأن ما صار معصوماً من الخطأ أو أنه صار في درجة الإخذ من الله مباشرة ^(٢) .

بتوبة عبده من رجل نزل منزلاً وبه مهلكة ومعه راحلته عليها طماعه وشرا به فوضع رأسه فنام نومة ، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته حتى استد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله ، قال : أرجع إلى مكاني فرجع فنام نومة ، ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده « باب التوبة » كتاب الدعوات . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول عن نفسه : « والله إني لأستغفر الله وأتوب في اليوم أكثر من سبعين مرة » . باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة . كتاب الدعوات ، فهذا الاستغفار من النبي صلى الله عليه وسلم مشعر بأنه صلى الله عليه وسلم معرض للخطأ ولو في الصغائر التي لا تنصل بالأخلاقيات أما ما يتصل بالأخلاقيات والمعاملات الشخصية فالرسول منزّهون عن الصغائر التي من هذا النوع

(١) منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٢٢٦ .

(٢) قطر الولي في (العصمة والفرق التي في هذا الحديث ، وينظر أيضاً نفس

المصدر في (المراد من أن الله سمع العبد وبصره) .

وأما انتفاء العصمة بالدسيسة للأئمة فيقول الإمام الشوكاني في ذلك : « عصمة
 علي وحجبة قوله ذهب إلى القول بهما جماعة من أهل البيت ، وذهب جماعة
 منهم وسائر المسلمين أجمعين ، إلى أن المصنوع إنما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 والجمعة إنما هي جماعة عن الله ورضاه » (١) . وقد أورد بعض الأحاديث التي
 امتدل بها المالئون بعصمة (علي) (رضي الله عنه) مثل حديث : « علي مع
 القرآن والقرآن مع علي ولن يفترقا حتى يردا على الطوفان » وبين أن الجمهور
 أجاب عنها بأجوبة مختلفة ، منها القبح في أسانيدها ، ومنها أنها لا تدل على
 عصمة (علي) (رضي الله عنه) ولا على حجبة قوله ، وإلا لنثبت العصمة وحجبة
 القول لجماعة من الصحابة ، ورد فيهم ما يدل على نحو ما دللت عليه هذه الأحاديث
 كما ورد في حق ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : « رضى لأمتي ما رضى لها
 ابن أم عبد » . وما ورد في أبي بصير : « عاصم بن الجراح » أنه أدين هذه الأمة » (٢) .
 ثم رد قول القائلين « بعصمة (علي رضي الله عنه) » ، وبين أنه إذا كانت قد
 وردت فيهم أحاديث بأنهم من أهل الجنة ، فإنه لا تلازم بين دخول الجنة والعصمة ،
 وإلا أثبتنا العصمة للعشرة المبشرين ، وكل أفراد الصحابة الذين وردت فيهم
 أحاديث تدل على أنهم من أهل الجنة ، كأصحاب بدر وأهل بيعة الرضوان ،
 وغيرهم من الأفراد (٣) .

ثم يبين ابن تيمية أن هذه دهمى من الرفضية ومن تقرب إليهم من المصنفين
 الغلاة ، لها ما وراءها من إخراج الناس من دين الإسلام إلى الدين الذي

(١) عقود الزبرجد في جيل سائل علامة ضمد . مخطوط بمكتبة صنعاء
 وثبت يدي نسخة منه ص ٥١ ضمن أجوبة مفيدة لشيخ الإسلام القاضي محمد
 ابن علي الشوكاني .

(٢) نفس المصدر ص ٥٢ .

(٣) نفس المصدر ص ٥٣ .

تعرضه أهواؤهم مضيفونه إلى الأئمة ، وقد اختص بها من بين الشيعة الرافضة الإمامية ثم الاثنى عشرية ومن هم شر منهم ، وهم الإسماعيلية الذين يقولون بعصمة بنى عبيد المنتسبين زوراً وبهتاناً إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وهم آمن هم في الإلحاد والنفاق ^(١) . ثم إن هذه دعوى من غير دلائل فإيس لهم حجة إلا ما يدهونه من أنه يجب على الله أن يجعل للناس إماماً معصوماً ، ليكون لطفاً ومصلحة في التكليف ، وهذا ظن من وجوه ، أدناها أن هذا الإمام مقتود لا موجود ، فإنه لم يوجد إمام معصوم حصل به لطف ولا مصلحة ، ولو لم يكن في الدليل على انتفاء ذلك إلا المنتظر الذي قد علم به صريح العقل أنه لم يمتنع به أحد لكان هذا دليلاً على بطلان قولهم ، فكيف مع كثرة الدلائل على ذلك ^(٢) .

هذا إلى أن هذا الإمام المنتظر أو المهدي أسطورة أو حديث خرافة ، فإن أهل العلم بالسواب أهل البيت يقولون : إن الحسن بن علي العسكري لم يكن له نسل ولا عقب . « ولا ريب أن العقلاء كلهم يمدون مثل هذا القول من أصفه السفه » فإن هؤلاء الجهال يدهون أن هذا المنتظر « المسمى باسم محمد ابن الحسن » كان عمره عند موت أبيه ، إما ستين ، أو ثلاثاً أو خمسا على اختلاف بينهم وهذا يجب دينا وعقلا أن يكون تحت وصاية غيره ، فكيف يكون إماماً ومعصوماً من الخطأ ؟ ^(٣) .

فإذا تبين لنا أن أبا الأئمة وإمام الأولياء وهو (علي) رضى الله عنه هو

(١) منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ١٣٤ .

(٣) رأس الحسين من ص ٥ — ٧ .

وولده الحسن والحسين ، لم تثبت لهم العصمة ، أو لم يضافها إليهم نص قرآني أو حديث نبوي ، فبأن لا تثبت لبقية الأئمة بعدهم أولى

ثم إن هذا اللطف الذي يمتنعون به ، قد جاء وسبق في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف ، ولم يصبح الناس في حاجة إلا إلى حاكم ، أو خليفة ، يفتنارونه من بينهم على صفة ينمض معها بالأمر ويكون في وضع المستشير دائماً^(١) .

ويتقدم القاضي عبد الجبار لإبطال هذه العصمة من طريق استدلالهم هايتها بالمعجزة أو الظارق وكونه من شروط الإمام ودليل عصمته من الخطأ ، فيبين أنهم يوجبون ظهور المعجزة لأجل العصمة ، ثم يوجبون العصمة لأجل المعجزة ، وهذا تناقض ويوجب ألا يعرف واحد منهما^(٢) . وبعد هذا فالفائدة في ظهور المعجزة على الإمام وإثبات عصمته من الخطأ ، « قيام الخجة به على من يلزمه الانتقاد له . فقد كان يجب أن يكون الخوارج وسائر من خالف علياً أمير المؤمنين (من أتباعه) يعرفون ظهور المعجزة هايتها ، ولو كان قد ظهر لهم ذلك ما خرجوا عليها « ولما كان الأولى فيما يورده من الججاج عليهم ذكر ذلك ليبين عصمته وزوال الخطأ من تدبيره ورأيه » . ولما لم يذكر معجزة ولا دليلاً خارقاً على رأيه^(٣) . ولا عجب ففسكرة العصمة هذه لم يكن يعرفها ، ولم تكن قد عرفت من قبل لا بالنسبة للأنبياء ولا بالنسبة للأئمة ولا للأرأياء ، فلم تنطرق إليها الأسفار الدينية المسيحية ولا اليهودية ، ولا القرآن نفسه ولا حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم)^(٤) ، وإنما كان

(١) ينظر المغنى ج ٢ (الكلام في الإمامة) ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٢) المصدر المتقدم ص ٢٤٩ .

(٣) المصدر المتقدم ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(٤) الصلة بين التصوف والتشيع ج ١ ص ١٤٩ ، ٢ ص ٦٢ .

يكرر دائماً : « إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى » وأنه دائم الاستغفار والنوبة إلى الله الخ : وإما هي فكرة شيعية أصيلة تم أخذت طريقها إلى محيط المتهوفة . وإذا كان المسلمون من أهل السنة وغيرهم قد تكلموا فيها بعد ذلك بالنسبة للأنبياء ، ونفوها عن غيرهم ، فإنما ذلك مجازاة أو رد فعل لهذا الاتجاه الاتحادى السائد ، وإعطاء كل ذى حق حقه .

وحينئذ فلم يجد لإبصارهم كلمة « ولى » تلك الدمانى التى تقدمت وحصرهم لها فى دائرة محدودة أساسى تعتمد عليه ، وأنه ليس لأولياء الله حقيقة شىء يتميزون به عن الناس لا فى نسب ولا فى مظهر ، ولا فى طريقة تند عن طريق السكتاب والسنة ، فلا يتميزون بلباس دون لباس كما قيل : « كم من صديق فى قباء ، وكم من زنديق فى هباء » . بل يوجدون فى جميع أصناف أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور ، فيوجدون فى أهل القرآن والعلم ، وفى أهل الجهاد والسيف ، وفى التجار والصناع والزراع الخ^(١) فهم بإيمانهم وبأعمالهم موجودون فى أى مكان وفى أية طائفة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

٣ - ماذا وراء الاتفاق بين هاتين الطائفتين ؟

بقى علينا أن نمين سبب ذلك الاتفاق بين الغلاة من الشيعة وأصحاب المتهوفى الفلسفى . ذلك أن هدف هاتين الدعوتين -- (الشيعة الغالية والصوفية) -- واحد وهو تقييض دعام الإسلام تأثراً بالغنوصية الفارسية ، وإحالة إلى خليط عجيب من الفلسفة الوثنية والدين ، وذلك تحقيقاً لأمال الفرس الناقين وغيرهم من أصحاب المبادئ الشعوبية^(٢) ، وجهلوا ببحر

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص ٢٣ ، ٣٤ .

(٢) قطر الولى فى (مبدأ الباطنية وكيف قاموا) . ويقارن بذلك رسائل

ياخوان الصفا ج ٤ ص ٢٤ ، ١٢٤ ، ٢١٥ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ج ٣ ص ١٢٧ .

حركتهم هذه عليا وبنية « وأظهروا محبتهم ووالا لهم كذبا وانفراء ، ثم كذبوا على أكابرهم الجامعين بين العلم والدين المشهورين : الصالح والرشد »^(١) . ووصلوا بهم وبأنفسهم إلى ما رأينا من مرتبة النبوة ثم مرتبة الإلهية « وارتفعوا للتصوفة بأنفسهم بالمجاهدة وأحيانا بالعلم السري إلى نفس للتمام »^(٢) ، ومن هنا ترى أن للفلو الشيعي والتصوف الفلسفي هدفا مشتركا : « هو أن يكون للإنسان موضع قدم في الإلهية ، وتعرف شئون الدين والدنيا بقدر غيبية » . ليصلوا من وراء ذلك إلى غايتهم السيامية والاجتماعية والنفاذ العامة حولهم وإيمان أكبر جزء بهم . وفي هذا كما قدمت ، هدم النبوات والرسالات من طريق خفي^(٣) ، فضلا عن الملبوط بمستوى كلمة (ولي) عما أراد لها القرآن الكريم ، مما دعا إلى استخفاف الناس بها ، وصارت من أهون المراتب أمامهم وأسهلها في الوصول إليها في نظرهم وفي نظر العامة بأرخص ثمن وأتفهه جلب . فقع خاص حقير أو جليل .

وأخيراً لعل سمو هذه الحكمة (كلمة ولي) بما تحمل من نهاية الحب والقرب والنصرة في العرف السني وإطلاق الله سبحانه وتعالى لها على الصحابة في موقفهم من رسول الله ، وشيوع هذا الإطلاق في القرآن الكريم وحديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع ثناء الله سبحانه وتعالى على الصحابة بما لا ثناء بعده^(٤) ، هو الذي دفع الغلاة من الشيعة إلى إطلاقها على أئمتهم بهذه

(١) قطر الولي في (العنوان المتقدم) .

(٢) Corrin . Henbui : Histoire de la philosophie islamique (Gallimard . 1964 .

(٣) الصلة بين التصوف والتشيع ج ١ ص ١٣٣ .

(٤) وذلك مثل قوله تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها »

العلماني المتقدمة ؛ ليرفعهم في نظر أتباعهم إلى تلك الدرجة والدنيا ، وذلك
بأمر قاهر فهموه من حديث الرسول ﷺ : « من كنت مولاه فعلي
مولاه »^(١) . وإلى جانب ذلك ، فهم يرون في (الولاية) ، سلطة عامة على
الناس أجمعين يتولون بها شئونهم في الدين ، ثم جاء المتصوفة من بعدهم ،
فوجدوا أيضاً تلك الكلمة أقرى في دلالتها في إطلاقها على المبتازين منهم ،
خاصة وأنهم مختلفون في أصل كلمة صوفي وفي معناها أيضاً ، وكثير منهم قد
خرج باشتقاقها عن أصله مخالفاً بذلك الفاعلة في الاشتقاق^(٢) . وبذلك
سارت كلمة « ولي » علماً على الإمام في التصوف مثلاً صارت علماً على الإمام
في التشيع ، واقتصر دهرها على هذا هذين الطائفتين .

= الأنهار سورة التوبة آية ١٠ . ينظر أيضاً سورة الحشر آية: ٩٤٨ . وسورة
الطلاق آية ٤ .

- (١) تاريخ الفلسفة الإسلامية (لكوربان) مقدمة الإمام (موسى الصدر) .
- (٢) دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ١٢٧ . قارن : الفرقان بين أولياء
الرحمن وأولياء الشيطان ص ٢٤ ، ورسالة الصوفية والفقراء ص ٣ ، واللمع للسراج
ص ٤٠ ، ٤١ ، والمدخل إلى التصوف الإسلامي ص ٦٩ .

الفصل الثاني

شخصيات الأولياء وأصنافهم

بعد أن عرفنا مفهوم الولي في القرآن الكريم ، وبعد أن تكلمنا على هذا التعريف التعسفي للولاية لدى الشيعة والمتطرفة ، فمن واجبنا أن نورد نماذج للأولياء ممن ينطبق عليهم وصف القرآن الكريم والحديث الشريف ، لكي يتسنى لنا أن نميز شخصية الولي حقيقة من شخصية الولي الدهي ، ونكون بهذا قد أجبنا — عملياً — عن سؤالنا : (من هو الولي) .

وشخصية الولي في الإسلام كما يرى الإمام الشوكاني : هي شخصية إيجابية عليه ، تدور مع الحياة حيث تكون ، وترسم خطى الدين في كل ما أصاب أو نهى أو رغب أو خوف . بل إن صاحبها لينسأى فوق الالتزام بالأمورات والمنهيات إلى الالتزام بالمندوبات والحبوبات^(١) لا يجب إلا لله ولا يعض إلا الله^(٢) فهي شخصية عامة غير مختصرة على فئة معينة من الناس ، لا تنضوي

-
- (١) ويعرفه فيقول : « ومن أعظم ما يتبين به من هو من أولياء الله سبحانه ، أن يكون محاب الدعوة ، راضياً عن الله عز وجل في كل حال ، قائماً بفرائض الله سبحانه تاركاً لمناهيه ، زاهداً فيما يتسكالب عليه الناس من طلب العلو في الدنيا والحرص على رياستها غير معجب بما من الله عليه من خصال الولاية حسن الأخلاق . كريم الصحبة إذا زاده الله رفعة زاد في نفسه تواضعاً وخضوعاً ، عظيم الحلم كثير الاحتمال . وبالجملة أعظم استماله بما رغب الله فيه وندب عباده إليه .
 قطر الولي في (شخصية الولي) ، (وتواضع الولي وحقيقته) .
 (٢) قطر الولي في (المعاداة من الولي كما يمكن أن تتصور) .

نحت لواء الصوفية ، ولا تحت لواء الشيعة ، وإنما تحدها هذه الصفات المتقدمة في أى طائفة أو في أى طبقة .

ويذهب ابن تيمية إلى هذا المبدأ ، غير التحديدي لشخص الولي ، فيراه عاماً في أى طائفة أو جنس ، تحدهه مثل الصفات المتقدمة ، بل قد يكون مجهولاً لا ينظن إليه إلا من هو مثله ، ومن يزن الناس بأعمالهم ، لا بأشكالهم وألسابهم ، كما يقول الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » وكما تقول الملائكة المأثورة : « كم من صديق في قباه ، وكم من زنديق في مباء » . وأولياء الله هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما تقول الآية القرآنية (١) .

ونلاحظ أن القرآن والسنة ينظران في الأولياء إلى ممان ساية ، وأما ما تكون عملية اجتماعية إيجابية بالنسبة إلى الآخرين ، وهي التي كانت لهم طريقاً إلى الله تعالى ولا يتهم له . فقد أخبر القرآن الكريم بأن أولياء الله هم الذين آمنوا وكانوا يتقون . وبين للمؤمنين في قوله : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب . ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ، ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحفظ البنس » أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » (٢) . وبينت السنة أن الطريق إلى

(١) ينظر سورة يونس آية : ٦٢ ، ٦٣ ، « رسالة الصوفية والبقراء »
مر ٢٦ ، ٢٥ وينظر أيضاً ص ١١٥ و ١١٦ من هذه الدراسة .
(٢) سورة البقرة آية : ١٧٧ .

الولاية ، هو أداء الفرائض والتقرب بالنوافل^(١) ، والفرائض تشمل كل الفرائض والواجبات المطلوبة من الإنسان ، والنوافل تشمل كل الأعمال الصالحة التي رغب فيها الشارع فمن أجل هذه المعاني العملية التي في تلك الأعمال ، أطلت كلمة « ولي » على الصحابة رضي الله عنهم ، ووضعت هلمما على كل من سار في هذا الاتجاه . وهو كل مسلم ، لأن المسلم أصبح بإسلامه وليا لله ومحبا له عكس الكافر الذي لم يؤمن فإنه أصبح عدوا لله .

وإذن فليس في الإسلام تحديد للولاية بالنسبة إلى شخص أو نسب أو طائفة منهم إنما ما نص عليه بطريق القرآن : كما في جانب الصحابة رضي الله عنهم ، أو بالنسبة كما في العشرة المبشرين بالجنة^(٢) . ومن انطبقت عليه هذه الصفات التي تقدمت ، بعد هؤلاء العشرة فهو « ولي » لله بينه وبين الله ، ولا يجوز له أن يعطى لها على نفسه ، ومن الأكمل لمن حوله ألا يشهروه بهذا اللقب ، لأن هذا امر بين الله والإنسان^(٣) .

وعم عموم معنى الولاية فلا سبيل إلى حصر أصناف الأولياء ، وإن كان من الممكن الإشارة إلى بعض الأصناف كأدلة عمالية لذلك المعنى . فأول هذه الأصناف : الملائكة . ثم الرسل ، ثم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام :

(١) كما يقول الحديث الذي معناه « وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه . » ينظر عقيدة أهل السنة والفرقة الناجية لابن تيمية ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) مجموعة الرسائل ج ١ ص ٤٣ : وهم أبو بكر ، عمر ، عثمان ، علي ، طلحة ، الزبير بن العوام ، عبد الرحمن بن عوف ، أبو عبيدة عامر بن الجراح ، سعد بن أبي وقاص ، سعيد بن زيد .

(٣) ينظر قطار الولي في (أفضل الأولياء) .

ثم يشير الإمام الشوكاني إلى أصناف أخرى ، وهم : صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويبين أنهم الصنف الذي تتمثل فيه صفات الأولياء أتم تمثيل بعد الأنبياء ، وذلك لأن لهم النصيب الوافر من طاعة الله سبحانه ، ومن التقرب إليه بما يحببه ويرضاه ، ومن العمل بكتابات الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد جمعوا بين الجهاد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتم والعمل بما جاء به والوقوف معه في السراء والضراء . ولهذا فهم خير العالم بأمره لا يفضلهم أحد إلا بالأنبياء والمرسلين ، فإذا لم يكونوا رأس الأولياء وصفوة الأتقياء ، فليس لله أولياء ولا أتقياء ، فتوله صلى الله عليه وسلم « من عادى ولياً » يصدق عليهم صدقاً أولياً^(١) . ومن يأتي بعدهم ممن يقال له : إنه من الأولياء فيايس يصدق عليه هذا الاسم إلا إذا كان متبعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله ، ومحصلاً من الأعمال ما حصله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) ، في حياته وبعد موته^(٣) .

وبهذا يتبين لنا أن لفظ الصحابة ، ليس له من انطه المعنى اللفظي فقط ،

(١) قطر الولي في (المكاشفات الصحيحة وأولياء المؤمنين) ، و (القدر ونفي احتجاج العصاة به) .

(٢) نفس المصدر في (المكاشفات الصحيحة . الخ) .

(٣) وذلك مثل ما هو معروف من جهودهم في نشر الإسلام في أرجاء العالم ، وفي ذلك يقول الإمام الشوكاني : « قد أقاموا أعمدة الإسلام بسببهم ، وشادوا قصور الدين برماحهم ، واستباحوا الممالك السكسرية والقيصرية ، وأطفأوا الملة النصرانية والمجوسية ... وأوصلوا دين الإسلام إلى أطراف المعمورة من شرق الأرض وغربها ... ودان بدين الله سبحانه الأسود والأحمر والوثني والملي » . قطر الولي في (الصحابة ومركزهم من الولاية) .

وإنما يراد به كل ما أضافه لهم القرآن الكريم والحديث الشريف من جهود وما أثر خالده في سبيل نصرته دين الله سبحانه وتعالى^(١) . فله من ظروفه مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي نشر رسالته السماوية ما يحقق فيه كل معاني الولاية . وحينئذ فليست الولاية هنا للصنف من باب أنه صنف ، وإنما من جهة العمل .

وولاية الصحابة بهذا المعنى أصل قد أجمع عليه جميع العلماء من المسلمين كما تقدم^(٢) إلا من شذ منهم كالرافضة ، وأتباعهم من غلاة الشيعة واليهودية ومن نحاسهم^(٣) ، ولذلك ثنى الإمام الشوكاني بعد ذكر المزايا للصحابة رضي الله عنهم بمهاجمة أعدائهم من الرافضة ومن نحاسهم ، وبين الأسباب التي حملتهم على ذم الصحابة رضي الله عنهم ، أو همس تقديرهم حتى قدرهم ، وهي أن هؤلاء ، لم يوافقوا حقيقة أمرهم إلا بقايا من الجوس ومن طوائف الشرك والإلحاد ، فلما ظهرت عليهم الشريعة الإسلامية وقهرتهم الدرة الإيمانية ولم يجدوا سبيلا إلى مقاومتها بالسيف ولا بالجدال ، سترها ما هم فيه من الإلحاد والزندقة بحيلة تقبلها الأذهان فانتسبوا إلى أهل البيت المطهرين^(٤) .

(١) من ذلك قوله تعالى في المهاجرين والأنصار : « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله ، والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا . لهم مغفرة ورزق كريم . والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم ، فأولئك منكم » سورة الأنفال ، آيتي : ٧٥ ، ٧٦ . إلى جانب ما تقدم في تحقيق معنى كلمة (ولى) ينظر أيضا قطر الولي : في (موقف أهل البيت من الصحابة) .

(٢) ينظر أيضاً : نقض المنطق ص ١٢٩ .

(٣) ينظر درامات في الفلسفة الإسلامية ص ١٢٩ ، ونقض المنطق ص ١٢٧ وما قبلها وما بعدها .

(٤) قطر الولي : (في مبدأ الباطنية وكيف قاموا) .

ثم لما وجدوا أن الكتاب والسنة يصطدمان مع مبادئهم ، وقفوا منهما واقفين
المعاد ومن حامليهما أيضاً ، فقد حوا في السنة المطهرة ، « بعد قدحهم في
الصحابة رضي الله عنهم وجمالوا المتعصبين بها من أعداء أهل البيت فأبطلوا
السنة المطهرة ، وتمسكوا في مقابلتها بأكاذيب مفتراة » (١) ، وهذا هو باب
الفتنة ، وطريق القضاء على الإسلام ، فإنهم إذا نجحوا في التشكيك في حجة
هذا الدين والماشرين له من الصحابة رضي الله عنهم ، فقد نجحوا في التشكيك
فيه وقهويضه في نفوس أهله .

ولا يفوتنا في هذا العدد أن ننوه بجهود ابن تيمية في الدفاع عن الصحابة
رضي الله عنهم وإثبات ولايتهم وأنهم خير القرون ، ودحض الاتهامات الباطلة
التي يلصقها بهم هؤلاء الرافضة ، من الإمامية والإسماعيلية والقرامطة
وغيرهم ، ومعظم كتبه (المديدة) تدور حول هذا الموضوع (٢) .

ويذكر (الشوكاني) أيضاً من الأولياء : العلماء العالمين : واعتبرهم
مندرجين تحت كلمة (الولي) في قول الله سبحانه : « من عادى لي ولياً ، فقد
أذنته بالحرب » أو « فقد بارزني بالمحاربة » (٣) .

والعلماء العالمون هذه — كما يقتضيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم :
« العلماء ورثة الأنبياء » وكما يقتضيه تكميم الله سبحانه وتعالى لسانه في قوله
شهاداتهم بهادته في قوله : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا

(١) نفس المصدر .

(٢) نذكر منها : منهاج السنة النبوية في نقد كلام الشيعة القدرية ، الفرقان
بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، بغية المرتاد في الرد على القرامطة والباطنية .
شرح العقيدة الأصفهانية . مجموعة الرسائل والمسائل ، نقض المنطق .
(٣) ينظر قطر الولي : في (نصيب العلماء العالمين من الولاية) .

« تعلم » ، هم الذين إذا فتح الله عليهم بالمعارف العلمية عملوا بها ، ونشروها بين الناس ، وأرشدوا عباده إلى ما شرعه لأئمة ، ونهبوا الظالم إلى ظلمه ، والعاصي إلى عصيانه ، وعرفوا الأمة بحقوقها وواجباتها ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وأمسكوا منه ، وكانوا عند قوله صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبأسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه » فضلاً عن أن يروجوا له ، فهم بذلك أسماء الله حقاً على شريعته وفي الدرجة الأولى من ولاية الله سبحانه (١) .

وهم عند الإمام الشوكاني أولياء أيضاً ، لأنهم يوضحون للناس ما وقع من أهل الزبح من تفسير كتاب الله « بأعريتهم وعلى ما هم فيه من الجبلة » الذين عرفوا كلام الله ورسوله عن مرأضه ، وخالفوا بذلك تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفسير أصحابه ، والناصبين لهم ، وما تنقصه اللغة العربية تلقى نزل بها القرآن الكريم « ورده إلى ما قد دعوا إليه من الباطل المبين » في الأئمة والولاية والنبوة « الذي يعود في أصله إلى الإلحاد وربند الأديان » (٢) .

وهم أيضاً أولياء لاتباعهم السكتاب والسنة والعمل بمقتضاها ، فهم بذلك مجتهدون متبعون لما أنزل الله في كتابه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهم حاملون بقوله تعالى : « انبئوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ، قليلاً ما تفكرون » (٣) .

(١) قطر الولى : فى (العنوان المتقدم) .

(٢) نفس المصدر والعنوان — (حاية العلماء العاملين للأئمة من التقليد) .

(٣) سورة الأعراف آية : ٣ ، ينظر قطر الولى : فى (الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله فى مسائل الدين هو الطريقة العلمية) .

ويقابلهم في ذلك لئلا يمسكون ببعض الرأي النابذون لكتاب الله وسنة رسوله ، وكذلك المقلدون ، « فإن المستدل بمجرد بعض الرأي لا يعلم بما أحله الله وحرمه » (١) ، لأنه اعتمد على رأيه وترك الكتاب والسنة ، وكذلك العالم المقلد ، يقر على نفسه أنه لا يعقل حجج الله ولا يفهم براهينه ولا يدري بما شرعه الله لعباده في كتابه وعلى لسان رسوله ، بل هو تابع لرأي من قلده مقر على نفسه ، بأنه لا يدري هل الرأي الذي قلده فيه من الحق أو من الباطل (٢) .

ويورد كدليل على ذم هذين الصنفين من العلماء قوله تعالى : (قل أرايتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ، قل الله أذن لكم أم على الله تفترون) (٣) .

(١) قطر الولي : في حماية العلماء العاملين للأمة من التقليد .
(٢) لأنه من المعروف أن التقليد هو أخذ قول الغير دون دليل أو برهان ، أو أخذ رأيه دون روايته . قطر الولي في (الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله في مسائل الدين هو الطريقة العالمية) ، و (حقيقة المقلد والتقليد وحكمهما) .
(٣) سورة يونس آية : ٥٩ . ينظر : (حماية العلماء العاملين للأمة من التقليد) في قطر الولي ، و (حقيقة المقلد والتقليد وحكمهما) ويذكر الإمام الشوكاني أن علماء المذاهب وفي مقدمتهم أصحاب المذاهب الأربعة ، بلغ من تمسكهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعهم للكتاب ، أن قدوا الحديث الضعيف على الرجوع إلى الرأي . كما أجمعوا أيضا على النهي عن تقليدهم والعمل مثل عملهم . وينظر في بيان فساد التقليد ووجوب الاجتهاد واتباع الكتاب والسنة لا الرأي سواء أكان رأى الشخص نفسه أم رأى غيره : من (حماية العلماء العاملين للأمة من التقليد) إلى (سد باب الاجتهاد) نسخ الشريعة . وفي موقف الشوكاني من مقلدى عصره وجهاده لهم (جهاد المقلدين) من قطر الولي . ثم رسالة للمؤلف خاصة بالاجتهاد والتقليد . بعنوان : (القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد) . طبع مصطفى البابي الحلبي . القاهرة . سنة ١٣٤٧ هـ .

فبقدر ولاية العلماء المجتهدين لله وقربهم منه بقدر بعد المتوسكين ببعض
الرأى والمقلدين من الله . وقد تقرب منزلة هذين الصنفين من العلماء ، من
منزلة فلاسفة الباطنية وعلماء المتصوفة الغلاة في بعدهم عن الكتاب والسنة ،
وبالنأى بعدهم عن الله سبحانه وتعالى . فأحاسيس الولاية الحقة ، هو السير على
منهج القرآن والسنة والتجرد من الآراء الدخيلة الخربة للإسلام .

هذه هي شخصية الولي ، وهؤلاء هم الناذج الأولياء والأصنافهم ، وكانى
بالإمام الشوكانى هو وأسناده ابن تيمية ، وقد قسمنا من هذا التثيل بهذا
النموذج الأخير من علماء أهل السنة العالمين^(١) ، الرد على الفلاسفة وغلاة
الشيعة والمتصوفة الذين رفعوا أنفسهم إلى مرتبة أعلى من مرتبة النبوة عندما
دخلوا الولاية على أنفسهم ، ورأوا أن الولاية أسمى من النبوة ، وبنوا هذه
الافضلوية على ما أضافوه لأنفسهم -- زوراً وبهتاناً -- من العلم الإلهي أو
الباطني الذي توضعوا به عن الكتاب والسنة . وسماه علم الأسرار والحقائق ،
واذهبوا أخذته من أهل البيت^(٢) ، وأدعوا كذلك أن الرسول صلى الله عليه
وسلم لم يكن يعرف ذلك ، أو كان يعرفه ولكن لم يبينه لأحبابه لأنه لا تطيقه
عتولهم^(٣) .

وعم ذلك فإننا سنجد عند الشوكانى بعض رواسب التصوف أو مظاهره ،
نقد رأينا يهيم بعض الهيام معهم في أودية الحب الإلهي الذي خرج به المشرفة

(١) ينظر فيما يتعلق بابن تيمية ، نقض المنطق ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٧١ ، ٧٣ ،
نم من ص ١ — ٩٥ .

(٢) نفس المصدر ص ١٣٢ — ١٣٣ ، ص ٦٣ — ٧١ .

(٣) نفس المصدر ص ١٣٢ — ١٣٣ .

هن التسمت القرآنى إلى المظهر البشرى^(١) . وكذلك فإنه روى لبعضهم كرامات : منها أنه يورد لعبد الواحد بن زيد^(٢) إحدى كراماته فيقول : « وأصاب عبد الواحد ابن زيد الفالج فسأل ربه أن يطلق أعضاده وقت الوضوء ، فكان وقت الوضوء تطلق له أعضاؤه ، ثم تعود بعده »^(٣) .

كذلك يورد كرامة للجنيد يرفقه بها إلى درجة الأولياء المذكورين في الحديث موضع الدراسة ، فقد أتى بها كدشال على أن العبد إذا تقرب إلى الله سبحانه على الطريقة التي رسمها الحديث ، يمار الله سبحانه الذي يسمح به وبصره الذي يبصر به وصارت له القدرة على الأخبار بالأمريات^(٤) .

(١) ومن قوله في ذلك :

وكيفما ترى ليلى بعين ترى بها هواها وما طهرتها بالمدامع
وتلتذ منها بالحديث وقد جرى حديث سواها في خورث المسماع
أجلك يا ليل عن المين إنما أراك بقاب خاشع لك خاضع

يوجه هذا التنازع للذات العلية ، أو يقيس الشمور نحو حب الله بالشمور نحو حب الخلق ، وفي الوقت نفسه يرد بذلك على المنكرين لا يحب الإلهي أو درجة الحب الإلهي التي يصل إليها الإنسان ، وأن هؤلاء المنكرين إنما ينكرون شيئاً هم في شغل عن الوصول إليه ، ولذلك لم يعملوا من أجل ذلك الوصول . ينظر قطر الولي : في (مقام المحبة وإجابة الدواعي) .

(٢) من أوائل صوفية البصرة وصاحب الحسن للبصري . توفي سنة ١٧٧ هـ .

(٣) قطر الولي : في (متى يكون الحارق كرامة) .

(٤) وهى أن السرى السقطلى شيخ الجنيد أمره أن يخرج يتكلم على الناس ، فكانه نادى مناد في الناس بأن الجنيد سيتكلم فجاءوا إليه أفواجا ، ولم يطاع على ما دار بينه وبين شيخه أحد فخرج وفي أثناء حديثه ، برز إليه رجل نصراني كان متخفياً وسأله عن معنى حديث : « اتقوا فراسة المؤمن » فاطرق قليلا ، ثم قال له : أسلم فقد آت لك أن تسلم ، فقام وجثا بين يديه وأسلم . فطار الولي : (الولي ومعرفة الغيبات) . وإذا نظرنا إلى القصة فسنجد أن طابع النفيق فيها

وقد وقع الإمام ابن تيمية أيضاً فيما وقع فيه الإمام الشوكاني من تأثر بالصوفية في بعض المواضع ، فأقر جماعة منهم على ما قالوا وعلى ما سلكوا واعتبرهم أيضاً من الأولياء ، كما اعتبرهم الإمام الشوكاني (١) ، فنجده يستشهد ببعضهم في أكثر من موضع على سلامة الطريق ، وعلى خاصية المكاشفة كمنافج ممتازة للأولياء ، وربما جماعهم مجتهدين فيما اختلوا لأنفسهم من طريق مثل الفقهاء تماماً بتمام . فيقول هن زهاد البصرة بأنهم صديقون ، كما أن أئمة الفقه في السكوفة صديقون أيضاً ، بل هم من أكمل صديقي زمانهم (٢) وفي

شديد الظهور ، فهي دعاية لجهود الصوفية المزعومة في نشر الاسلام ، كما أنها دعاية لمبدأ إخبار الولي بالنبيات . رجل نصراني يسأل عن معنى حديث « اتقوا فراسة المؤمن » فيستشف الجنيد أنه يريد أن يختبره عن طريق هذا السؤال ، وأنه قد أوشك أن يدخل في الاسلام ، فيعلن أنه قادر على استشفاف الغيب ، بتلك العبارة « أسلم فقد آن لك أن تسلم » . فالصلة بين موضوع الحديث وبين إجابته ظاهرة فيها الأعداد والتلفيق ، وأن الحديث قد اختير موضوعاً للسؤال ليؤكد الإجابة أو تؤكد الأجابة لأنهما من جنس واحد ، فالاجابة بتلك الطريقة المتقدمة هي هي تفسير عملي لمعنى الحديث .

(١) يظهر أنهما متأثران بالفكرة السائدة ، بأن التصوف حتى القرن الثالث كان سنياً ، ولم يتقدم أو لم تدخله المذاهب الإلحادية إلا في نهاية القرن الثالث . وأوائل الرابع ، ولما سكن الواقع أن التصوف كله من يوم نشأ والزهد من قبله لاصلة لهما بالسنة ولا بالفرق في شيء . ينظر (دراسات في الفلسفة الإسلامية) : المبحث الخاص بالتصوف من ص ١٣٦ - ١٤٧ ، وكتاب (الصلة بين التصوف والتشيع) ج ١ ، ص ٢٦ ، وفي رأي أن ظهور هذين الكتابين في هذا العصر غير المفطرة القديمة إلى التصوف الاسلامي في قرونه الثلاثة الأولى وأنه سني .

(٢) وإليك عبارته : « والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده ، وفيهم المفتصد الذي هو من أهل اليمين » يشير بذلك إلى درجة أهل اليمين التي تشير إليها آيات الواقعة من آية ٢٧ : « وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود . وطلع منضود »

موضع آخر من رسالة الصوفية والفقراء يقرن أبا سليمان الداراني بالإمام أحمد بن حنبل فيقول : « وقد تكلم به (لفظ الصوفية) غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل وأبي سليمان الداراني وغيرهما »^(١).
 « يقول في الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، في معرض البرهنة على بطلان آراء ابن عربي : « فإن ابن عربي وأمثاله ، وإن ادعوا أنهم من الصوفية فيهم من صوفية للملاحقة للفلسفة ، ليدعوا من صوفية أهل العلم فضلاً عن أن يكونوا من مشايخ أهل الكتاب والسنة ، كالنضيل بن عياض ، وإبراهيم بن آدم ، وأبي سليمان الداراني ، ومروان السكري ، والجنيد بن محمد ، وسهل بن عبد الله التستري ، وأمثالهم ، وضوا الله عليهم أجمعين »^(٢).
 وفي شرح العنيدة الاصفهانية يصف بعض هؤلاء وآخرين منهم بأنهم « من خيار المسلمين وساداتهم عند المسلمين »^(٣).
 وفي مواضع أخرى يذكر أبا يزيد البهائي ، والشبلي كأئمة الأولياء الصالحين .

مناقشة ابن تيمية والشوكاني :

والطريف في هذا الموقف أنه يمكن الرد على ابن تيمية من كلامه هو ومن كتاباته ، ذلك أنه زعيم السلفية في عصره وشأنه في ذلك كشأن الإمام الشوكاني ، فهو زعيم السلفية في عصره هو الآخر ، وكل منهما يرى أن طريق

إلى آية ٢٠ . وقد جاءت هذه الدرجة بعد درجتى السابقتين . ينظر آية ١٠ - ٢٦ من نفس السورة ، ورسالة (الصوفية والفقراء) ص ١٩ ، ٢٠ .

(١) المصدر السابق ص ٢ .

(٢) ص ٤٥ ، ينظر أيضاً ص ٥٢ .

(٣) ص ١١١ - ١١٣ .

(٩ - قطر الولي)

الله واضح ، وأن أى زيف أو انحراف عنه يخرج صاحبه عن جادته إلى مذاهب مبتدعة ، وأهواء متبعة ، وأن خبر من سار على طريق الله أو طريق القرآن هم الصحابة رضی الله عنهم الذين خلا عصرهم من البدع ، ومن المتطرف في الزهد ، والتمذهب بمذهب التصوف ، وأنه من الممكن بعدهم أن نرى خروجاً عن جادة الإسلام ، وتفضيلاً للبدع والإلحاد . . الخ

كذلك قد فطن كل منهما إلى جناية الأساليب الجدلية ، والمنطق العقيم ، والميتافيزيقا على المسلمين في بعض مسائل الدين .

فالأصل في أمر هذين الإمامين أنهما لا يفقدان حقيقة أمر المتصوفة ، ولكن يظهر أنهما خدعا بتمويه الصوفية بادعائهم الانتساب إلى السنة والجماعة فظننا أن هذا حق منهم حتى بانحسار الأمر أن استشهدا بقول بعضهم على سنة التصوف ، وسنية أولياء الصوفية ، بل لقد كان هذا الاستشهاد في معرض القول بضرورة تمسك الولي بالكتاب والسنة ، وأن الكتاب والسنة هما للمقياس الوحيد لولاية الشخص^(١) .

ومن استشهد الإمام الشوكاني قوله : « وما أحسن ما قاله (أبو سليمان الداراني) : « إنها التمع في قلبي الذكته من نكت النور فما أقبلها إلا بشاهدين هرايين : الكتاب والسنة »^(٢) . وقد أخذ الصوفية ، ومن يؤرخون لهم —

(١) ينظر قطر الولي في (الواجب على الولي فيما يصدر من أعمال) وفي (نصيب العلماء العاملين من الولاية) .

(٢) نفس المصدر : في (الواجب على الولي فيما يصدر من أعمال) . ومن ذلك أيضاً ما نقله عن الجنيد : « علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة » . وعن أبي عمرو بن نجيد : « كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل » . كما نقل عن غيرهم « ينظر نفس المصدر ، وقارن : الفرقان لابن تيمية ص ٧٢ ، ٧٤ .

منهم - هذا التوجيه تقيية من مثل هذين الإيماني الجليدين ، من ميوله سلفية ، أو معاشية لمبادئ الصوفية وهذا هو السراج صاحب اللمع ، يزجي إلينا بعضاً من ذلك التوجيه ، يقول في معرض بيان أصناف المتسكبين بالكتاب والسنة : « ... وهندي أن أولى العلم القائم بالقطر ، هم المتعهدون بكتاب الله تعالى ، المحتملون في متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ... هم ثلاثة أصناف : أصحاب الحديث ، والفقهاء ، والصوفية »^(١) فقد قرن الصوفية بالفقهاء وأصحاب الحديث لكي يتضح في إدعائه أنهم على سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، على طريق القرآن الكريم . وهذه نعمة طالما بردها السراج في كتابه المذكور ، وقد رددها التفسير أيضاً في صدر رسالته في الصفحة الأولى منها ، وأطلق بها بابل مشايخه في أحاديثهم المفرقة في أبواب رسالته ، وكذلك فعل السهروردي في هوارف المعارف من أوله إلى آخره^(٢) ، يظهر أنه هدى الكتاب والسنة ، ولكنه في باطنه وواقعه نبت أجنبي ، وروح غير إسلامي .

ويظهر أن التشدق بالتمسك بالكتاب والسنة كان نعمة عامة وشائعة في تلك العصور ، وطريقة متبعة للوصول إلى مأرب معين أو في سبيل المحافظة على

(١) اللمع ص ٢٣ ، هذا في الوقت الذي يفسره المحبة في الحديث الذي معنا بالفناء معتصداً في ذلك بأقوال أقرانه من الصوفية . يقول في هذا الصدد : قال أبو يعقوب السوسى : لا تصح المحبة حتى يخرج من رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب : بفناء علم المحبة من حيث كان له المحبوب في الغيب ، وسئل الجنيد عن المحبة فقال : دخول صفات المحبوب على البذل من صفات المحب ، فهذا معنى قوله : « حتى أحبه فإذا أحببته كنت عينه التي يبصر بها ، وسمعه الذي يسمع به ، ويده التي يبطش بها » ص ٨٨ ، هذا مع ملاحظة أن الإمام الشوكاني نفي تفسير هذا الطلب ، وما ترتب عليه « بالفناء » ينظر قطر الولي : في (تحقيق آراء الاتحادية والصوفية) .

(٢) قارن : الصلة بين التصوف والنشيع ج ٢ ص ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ .

فلك المأرب ، فقد سمعناها تنسب إلى الخلفاء من بنى أمية وبنى العباس وعلى
لسان الشيعة ، وأخيراً عند المتصوفة ، والهدف عند الثلاثة واحد .

وبأخذ تلك النغمة شعاراً غرض أرو هؤلاء الصوفية على كثير من الناس
ومهدوا لهم ، وصاروا من أهداهم الوفرة ومن يريد بهم كما غرض أمر الشيعة
الغلاة من قبل ، وأصبحنا نجد رجلاً مثل الإمام الشوكاني أو ابن تيمية وقد
انصرف جهده الأكبر إلى الجهاد في ميادين الجود والتأليف والبدع التي فشت
بين عامة الشعب وفقهاءهم ، والمبغطة والمغالطة التي تنامت المتكلمين ومن
نحوهم ، فلم يلتفت لدى الصوفية إلا إلى الشطط الظاهر ، والخلاف الصريح
من بعضهم ، مثل مظهر من الخلاج ، أو ابن عربي وابن سبعين ، والسهروردي
المفتول . فظن بن رفع ذلك الشعار المتقدم من المتصوفة ، أنه على دين الله
كما يدعى .

وقد وقع (نيكولسون) فيما وقع فيه ابن تيمية والشوكاني حتى ذهب إلى
أن المتصوف الإسلامي ، كان حتى نهاية القرن الثالث تقريباً واقعاً لتعاليم
الكتاب والسنة^(١) .

وقبل أن أورد ، رداً ان تيمية على نفسه أحب أن أشير سلفاً إلى أن ما قد
من أن هؤلاء الصوفية مجتهدون قول غير مقبول ، إذ أن الاجتهاد لا يكون
إلا في استخراج الأحكام ، أو التماس العمل الأسكام والأعمال في غير صرائح
العبادات . أما العبادات والعقائد الدينية ، فلم يستبحر الجالا للاجتهاد ، وليس لنا
من إضافة إليها فوق ما نص عليه الدين منها^(٢) .

(١) في التصوف الإسلامي وتأريخه ص ٤٧-٧٧ ، الصلة بين التصوف والتشيع
ج ٢ ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٢) إرشاد الفحول في أصول الفقه للشوكاني ص ٢٣٤-٢٣٦ ، قطر الولي :
في (حماية العلماء العاملين للأمة من التقليد) .

هؤلاء في بداهتهم التي خرجوا عليها ، متأثرون بعناصر دخيلة هل
تأثيرهم ، وهو ما يقول به ابن تيمية ولا ينكره . فهو يرى أن في لبس الصوفية
تقليد مسيحي (وهذا فيما أحب إلينا ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم لم يلبس
الزمن وغيره) كذلك يعتبرون هل حساسية الخوف الزائدة عند البعض بين الذين
كانوا يصعدون عند سماع القرآن ، ويقول : « ولم يكن في الصحابة من مثله ،
غدا ظهر ذلك أنكره طائفة من الصحابة والتابعين » لأن الأول ، التي كانت
في الصحابة هي المذكورة في القرآن ، وهي التزهد في الدنيا وحب القلوب ^(١) « ودموع
العين » ، وأشهر أرباب ذلك : (الله نزل أحسن الحديث كتابا يشاهد فيها ثاني ،
فأشهر منه جلوت الذين يمشون وبهم ثم تلبس جلودهم ولوبهم إلى ذكر الله) .
فإنه في مظاهر التأثير التي مدتها القرآن الكريم ، وهي من تأثير طبيعي ناتج
من الشعور النفسي حقيقة ، وما بعد ذلك فهو تزييد متدل لا صلة له بالكتاب ،
ولذلك قال عنه أحد التابعين : « ما بيننا وبين هؤلاء الذين يصعدون عند سماع
القرآن إلا أن يقرأ على أحدهم وهو على حائط ، فإن خرف فهو صادق » ^(٢) .

ويقف نفس هذا الموقف من حال الذكر التي يدهونها ويمسحون بها لذلك مجال
النبي صلى الله عليه وسلم « فإله أمرى به إلى المسح بالقدم ، وخرج به إلى السماء ،
وأراه الله ما أراه ، وأصبح كبائت لم يغير عليه حاله » ^(٣) .

ويمكن أن تدبّر مدى خروج هؤلاء التصوفية — وخاصة ألياذم — هل
الكتاب والسنة من أقرهم التي يثبتونها لمزيدهم كوصف وإرشاد إلى طريق

(١) ينظر سورة الأنفال آية : ٢ .

(٢) سورة الإسراء آية : ١٠٩ .

(٣) ينظر رسالة : « الصوفية والنقراء لابن تيمية » ص ٤ — ٦ .

(٤) نفس المصدر ص ٩ — ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .

الله كما يرون ، فهذا إبراهيم بن أدهم يعلم أن قد تعلم المعرفة من أحمد الرهبان ، وبروى قصته في ذلك أنه دخل هلى ذلك الراهب صومعته وسأله عن طهارة ، فقال له في كل ليلة (حصّة) فقال له : « فما الذى يهيج من قلبك حتى تسكنه بك هذه (الحصّة) ؟ » قال ترى الذين بهذا لك (يظهر أنه يريد الاثكة) قلت : نعم . قال : إنهم يأتوننى فى كل سنة يوماً واحداً ، فيزينون صومعتى ، ويهللون فون حولها يعظموننى بذلك ، وكلما تماقلت نفسى عن العبادة ذكرتها تلك الساعه ، فأنا أحتمل جهد سنة لعز ساعة . . . فوقى فى قلبي المعرفة ^(١) ، فقد ذكرت فى قلبه المعرفة لكنه لم يجهدا ما يريد به تلك المعرفة ، وهى ليست فى الواقع إلا ما نلسمه من سياق القصة ، وهى التجرد السكال للعبادة والعزلة ، والإقلال من الطعام على ما يفعل ذلك الراهب ، لى يحوز ذلك الرضا الذى وصل إليه هذا الراهب . فهذا منه دهوة إلى سلوك هذا الطريق واجتناب طريق القرآن .

وأبو يزيد البسطامى قد أعلن إسقاط النكاليف الشرعية عن طريق ندائه بذهب وحدة الوجود ، وتبين هذا منه فى نقله عن (القطب) لما فيه فى طريقه إلى الحج وأمره أن يعود قائلاً له : « إن الله هو ما تراه فى عين قلبك ، لأنه اختارنى بيتاً له ، فإذا رأيتنى فقد رأيته ، وطفقت حول الكعبة ، وإذا هبتنى فقد هبته وصيحت له . فلا تضن أنى شىء غيره » ورجع أبو يزيد من طريقه ولم يهيج ^(٢) . وبهذا يمكن أن نلاحظ بطوائف الباطنية الذين أسقطوا النكاليف ، وأباحوا المحرمات ^(٣) ، أو الممنوع به .

(١) تلبس إبليس ص ١٤٨ .

(٢) نيكولسون : فى النصوص الإلامى وتاريخه ص ١٥٧ نقلاً عن المنشوى

لجلال الدين الرومى (طبعة بولاق ص ٥٩ ج ١)

(٣) أظن نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

وقد قال نيكولسون في شأنه : « إنه هو الذي أدخل في التصوف الإسلام
فكرة وحدة الوجود ، « التي كانت ذائبة ذبوعاً عظيماً في أنحاء فارس حتى
زمن الساسانيين »^(١) .

فأين هؤلاء من الكتاب والسنة ؟ وأين مركزهم من الولاية ؟ إن الأئمة
بهم أن يكونوا من أولياء الشيطان ، على حد تصانيف ابن تيمية رحمه ، فضلاً
عن أن يتجسروا ويحصروا الولاية في دوائرهم وأصنافهم هم ، أو في دوائر
الشيعة وأئمتهم . وسيكون الفصل التالي بمثابة تذييل على ذلك ، إن شاء الله .

(١) في التصوف الإسلامي وتاريخه ص ٢٣، ٢٤، وقرن السهر رردى : « في
مجموعه في الحكمة الإلهية » ص ٧٤، ٥٠٣، ٥٠٤ .

الفصل الثالث

الطريق إلى ولاية الله

ولاية الله أر حبه لبي الإنسان كما الغاية التي حزننا إليها القوآت السكرية والحديث الشريف ، والتي يسعى إليها كل مسلم بحسب الله رسول^(١) ، ولعلنا قد لاحظنا فيما تقدم أن الخب من معاني الولاية ، فإذا قلنا في هذا التفسير : الطريق إلى ولاية أو إلى حب الله للإنسان ، كان ذلك يعني واحد وكان ذلك ملتصقا مع الحديث موضع الدراسة ، الذي يدل نهاية الطريق الذي رسمه لملوك الأولياء ، وهو حب الله تعالى^(٢) .

وفي هذا تحديد من الشرع السكريم للغاية التي يجب أن يسعى إليها كل مسلم ، وهي « حب الله لبيد أو ولايته له » ، وهي إلى جانب هذا التحديد غاية سامية وهي أن يحب الله المرء .

وهذا التحديد ، وهذا المبدأ ، لا نجد هذه التصوفا ، فبالذاتية للأمر الأول ، لا نذكر نجد هذه التصوفا أدنا على غاية واحدة يعرفون إليها^(٣) ،

(١) ينظر (بحث في وجوب محبة الله) للإمام الذوكاني . مخطوط رقم ٥٩ بحايع بمسكبة الجامع المقدس ، بمغمار .

(٢) وذلك حيث يقول : « وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه » ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه » الشيخ .

(٣) ينظر المنقذ من الضلال ص ١٢٣ وهناك يذكر الغزالي عدة غايات للوصول لدى المتصوفة ، كل فريق يشجع إلى غاية مخالفة أو يصل إليها ، والغزالي نفسه في ومحوه « حير بين غايتين مختلفتين لا يدرى ماهو منهما ، فحين يذكر الفناء بالسكينة في الله سبحانه وتعالى يذكر أيضا مشاهدة الذات العلية أو معرفة الله بالشهود واليمان ،

فهمهم من يجعل الغاية من سلوك طريقهم ، هي معرفة الله ، أو معرفة ذاته العليا
إما بالبرهان ، وذلك للملادين ، وأما بالشهود والعيان وهذا للواعين^(١) .
ومنهم من يجعلها معرفة النفوس والقلوب والأزواج ، ويذهبون أنهم في النهاية
يصلون بذلك إلى معرفة الله ، مستعينين على الحكمة اليونانية الدقيقة على
الإسلام^(٢) . من شرف نفسه فقد عرف ربه^(٣) .

وأحياناً يجعلونها الفناء ، كما تقدم في تزيينهم لولي^(٤) ، وأياناً يجعلونها
الطاول أو الاتحاد ، أو وحدة الوجود كما هو معروف عند أصحاب هذه
المداهب ، وإن كان الأساس فيها جميعاً هو الفناء^(٥) .

وتقف على محورين إلى غاية يشبهونها بذلك الناية التي حددتها القرآن والسنة ،
وتعلق بها الحديث الذي معنا ، وهي عيب الله للعبث ، فيجعلون غايةهم ومظهر
وذايتهم الوصول إلى درجة عيب الربي الصوفي^(٦) ، وهو ما اشتهر في
أوساطهم بالحلب الإلهي . فمنها يظهر اختلافهم في الغاية التي يصل إليها
السلوك الصوفي .

وأما بالنسبة للأمر الثاني . وهو فهم معنى أى غاية من تلك الغايات فإننا
نرى أن في مذاهب الطاول والاتحاد ووحدة الوجود خروجاً على الدين ، وربما

(١) للدخول إلى التصوف الإسلامى ص ٥٧ ، ويظهر أيضاً ص ٧٢ من تلك
الدراسة فهناك غاية إبراهيم بن آدم للمعرفة أيضاً .

(٢) تاريخ الفلسفة في الإسلام (ليدبور) ص ٢٧ ، ويظهر أيضاً نفس المصدر
للتقدم والصفحة ، ورسالة القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه ،
ضمن مجموعة رسائل للسيوطي ، الصلة بين التصوف والتشيع ج ١ ص ٦٥ ويظهر أن
عطاء الله السكندري وتصوفه ص ١٣٥ - ٢٥٠ .

(٣) راجع هذه الدراسة ص ٧٧ - ٨٩ ابن عطاء الله وتصوفه ص ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢ .

(٤) في التصوف الإسلامى ص ١٩٥ - ١٢٩ ، الإنسان عند الغزالي

ص ١٧٩ ، ١٨٠ .

إنكاراً لوجود الله كما في مذهب وحدة الوجود، وقد تقدم لنا الغناء وقوله ابن تيمية فيه . وأما المعرفة والحب الإلهي بالمعنى الصوفي ، فالمفروض كما في القرآن الكريم ، أن هذين بدء الطريق لا نهايته ، فإن للمعرفة خطوة أولى في الإيمان ، فلا إيمان بالله إلا بعد معرفته ، وهي أولى فطري كما يحدثنا القرآن بذلك في عشرات الآيات : « واثن سألهم ، من خالق السموات والأرض ليقولن خلقتن العزيز العظيم » (١) ، وسلم أن مثل هذه الآية إنما تنحدث عن الكفار من قريش ومن العرب الذين يشركون بالله أولاً بأولون دعوة الإيمان به على يد محمد (صلى الله عليه وسلم) . فالمعرفة هذه انتهى مجريها الصوفية — ومن هنا نحوم من أنباغ الأفلاطونية المحدثة — في سبيل التثوير هليها — كغاية — هي خطوة أولى قبل الإيمان ، فلا إيمان إلا بمعرفة ، والإيمان خطوة أولى في سبيل الولاية ، فكل إلى مؤمن ، وليس كل مؤمن ولي ، ومن هنا يتبين لنا أن كثيراً من الصوفية ، قبل سلوكهم طريقهم لما كون فهم بيدهونه وهم غير مؤمنين بالله سبحانه ، وكذلك ينتهون منه وهم غير مؤمنين إلا بينهم وبين أنفسهم التي خيات لهم أنهم آمنوا ، إيمان مشاهدة لذات العلية ، أو بالاستدلال على وجودها .

إن ذلك الحب الإلهي الذي يتحدثون عنه ، إنما هو حب المخلوق للخالق في ذلك الجو النكفي ، والذي ينزع عن روح غير إسلامية ، أما الحب الذي يؤكده ولاية الشخص فهو حب الخالق للمخلوق والذي لا يصل إليه الوجه إلا باهتداء الإخلاص في أداء العبادات والأعمال ، ولذلك جملة الله رمز الولاية ونهاية الطريق في الحديث موضع الدراسة ، وجعل مظهره تكريم

(١) سورة الزخرف آية : ٩ .

(٢) ينظر سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٤٦ في إسلام أبي سفيان .

العبد أيما تسكريم وجعل (الحب الإلهي لدى الصوفية) بدم الطريق ووضع الاختبار في الآية السكرية: «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله»^(١) هذا إذا اعتبرناه محباً لله، وإلا فهو في الواقع، ظاهر جذب غير إسلامي، فقد شملت الآية السكرية بدم الطريق إلى الله ثم الطريق نفسه ثم نهايته، وهي حب الله للإنسان^(٢)، ولستكنهم لم يروا في الحب الإلهي إلا حب الخلق للخالق وهذا الحد وقضوا، رغم أن الآية والحديث يعطيان بحسب الله لعباده، ولستكنهم ينكرون أن الله يحب، كما ينكرون في الواقع أنه يحب^(٣).

وإذا كانوا قد هضموا نظريتهم في هذا الحب بما جاء في الحديث «حق أحببه فإذا أحببته كنت سمعه الخ» فإنهم فسروا الحديث على غير وجهه، وجعلوه حجة لهم على مقدمهم في الفناء^(٤)، وبدل أن يكون الله سمع العبد

(١) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٢) فاول الطريق حب العبد لله، والطريق نفسه هو اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، ونهايته أو فائته ونتيجته حب الله للإنسان.

(٣) الرسالة القشيرية ص ١٤٣-١٤٥، واللمع للسراج ص ٨٦. والأصل في إنكارهم أن الله يحب عباده كما يحبونه، أنهم تأثروا بالمنكلمين من القدرية في جعلهم المحبة والارادة والرضا شيئاً واحداً، وأن ذلك الشيء لا يتعلق إلا بمعدوم، فلا يثبتون لله سبحانه إلا إرادته أن يخلق فقط، وهي لا تتعلق إلا بمعدوم فاما أن يحب موجوداً من خلقه فهذا باطل عندهم. البهوات لابن تيمية ص ٦٦، والتذكرة العراقية لابن تيمية أيضاً ص ٥١ - ٥٥.

(٤) وذلك كما قال أبو القاسم القشيري: «والمحبة توجب انتفاء المباينة فإن المحب أبدأ مع محبوبه، وبذلك ورد الحب» ص ١٤٨ رسالة القشيرية: وكما ينقل السراج عن الجنيد في رأيه عن الحب الإلهي «دخول صفات المحبوب على البذل من صفات المحب، فهذا على معنى قوله: حتى أحبه فإن أحببته كنت الخ» ص ٨٨ =

ربهم ، بعد تقربه إليه بالفرائض والنوازل كظهور حب الله للإنسان ، سبيل
الله سمع العبد وبصره كظهور حب الإنسان لله ، وانتمائه فيه إلى درجة السام
ن الله واكتفائه بذلك من العمل على الوصول إلى درجة حب الله له ^(١) .
ويلاحظ أن هذا التسكريم لا يكون للإنسان إلا إذا برهن على حبه لله ، بالسبل
اتباع سبيل المؤمنين ، فقد حرصوا أنفسهم من ذلك التسكريم الذي كرم
الله به الإنسان ، ووقفوا دون الطريق للوصول إلى هذا التسكريم ، ومن هنا
كان السدود في الوصول إلى درجة حب الله للإنسان ، الذي لا بد أنيه الحب
الصوفي للتخيل من جانب الإنسان لله ، كما نلاحظ بذلك الآية السكرية حبة
على هذا الدعاء أو التخييل « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » .
فالمصروفية في حالة (المصوفة) وحالة (الحب الإلهي) قد انتهوا حيث يجب
العبد ، ومن هنا كان يندم عن طرق الله ، وإذا كان هذا شأن المصوفة ،
في حين أن المحبين ، المتبولين — بدنياً — فهم في باقي الغايات للتعبية
للمتعبين ، أكثر بعداً عن طريق الله .

وبقدر اختلاف غايات هؤلاء المصوفية من غاية الإسلام ، اختلاف طريقهم
أيضاً عن طريق الله ، وأصبحت طرقهم ، لا تنم عن الإسلام في شيء ، وإنما
نتم عن المبادئ الأجنبية والنظريات الدخيلة التي توجهها ، ولذلك فقد رأينا
الإمام الشوكاني يرسم الطريق إلى الله على غير ما يرسوم ، وحسب ما جاء
في هذا الحديث باختصار ، حسب ما ورد به الشرع التوجيه بالتفصيل ،

.....
هنا الحب من جانب العبد . يصل إلى النساء فيحسن بآته لا شيء ، وأن
الله هو ، ومن هنا جاء مذهبهم في المال والانحد . فهذا حب أهلوطيني أولي من
أجله الحديث حتى يتبوا له أملاً إسلامياً ، ولكن شتان بين هذا وذاك ، فهذا
حب الله للإنسان وذاك حب إنسانى ، لم يزد على ذلك .

(١) ينظر أيضاً الرسالة القشيرية ص ١٣٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ .

لأنه يفهم الحديث على غير ما يفهمون ، ويرى أن حب الله للإنسان هو أسنى غاية يصل إليها العبد الطامع ، وأسنى مظهر لرضا الله عن الإنسان .

(١) الطريق إلى ولاية الله كما يراه الإمام الشوكاني :

يرى الإمام الشوكاني أن الطريق إلى الولاية ، يتلخص في ثلاث شعب ، الشعبة الأولى : هي الإيمان « بالله كما نسب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم » والشعبة الثانية : هي أداء الفرائض واجتناب النواهي . والثالثة : فعل الصوافل ، والاستكثار منها .

الإيمان بالله :

ويقول عنه الشوكاني : إنه « الباب الأعظم للدخول إلى سوح الولاية » وأنه هو الذي يحدد درجة الولي من الولاية ، ويحفظه من العمل والنواب ، لأن الأمر كما يقول إنه : « من لزم الإيمان القوي العمل السوي » .

وفي إشارته إلى أن الإيمان يجب أن يكون على الكيفية التي نسب إليها رسول الله ﷺ ، أن يكون إيماناً بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والقدر خير وشبهه^(١) . ويرى أن أصعب هذه التلصاإل الإيمان بالقدر ، لأنه إذا حصل الإنسان على الوجه المقدر ، هانت عليه جميع الأمور^(٢) . وأن إيمان الشخص يتأثر بين القوة والضعف بدرجة إيمانه ، بالقضاء والقدر^(٣) .

(١) يشير بذلك إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خير وشبهه » .

(٢) قطر الولي في : (شخصية الولي) .

(٣) قطر الولي في : (الإيمان بالقدر وخاصة المؤمنين) ، (فوائد الإيمان .

بالقدر) ، (الإيمان بالقضاء ، والاستعاذة من سوءه) .

ويضيف الإمام الشوكاني إلى شعبة الإيمان درجة الإحسان ، وذلك حيث
 جمع الرسول ﷺ الحديث بين الإيمان والإسلام والإحسان^(١) ، لأن
 من بلغ هذه الدرجة كان له الذروة العليا من الإيمان ، فمن يعبد الله كأنه
 يراه ، فإن لم يكن يراه ، فإنه يراه ، كان في الرتبة الأولى من التصديق بوجود
 الله ، وكان له غاية الإخلاص والانصراف إلى الله بالكلية ، وكأنه هو الذي
 أحبه الله فصار سمعه وبصره ويده فلا يفل إلا خيراً ، ولهذا كان من أولياء
 الله عز وجل الراغبين في الولاية ، والذين آذن الله سبحانه من عبادهم
 بالحرب^(٢) .

ومن أعظم محصلات مقام الإحسان : كما يقول الإمام الشوكاني : الخشوع
 والخوف والخشية من الله عز وجل ، كما قال الله سبحانه : (ولين خاف مقام
 ربه جنتان^(٣)) . وكما جاء في الحديث « سبعة يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل
 إلا ظله » وفيهم : « ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف
 الله تعالى » .

كذلك من محصلات هذا المقام ، الزهد في الدنيا^(٤) ، في ضوء التشريعات
 الإسلامية ، والرفق ، والأناة والحلم ، وحسن الخلق وطلاقة الوجه ،
 وإفشاء السلام .

(١) ينظر صحيح مسلم ص ٣٠ كتاب الإيمان .

(٢) قطر الولي في (الإيمان والاحسان ولن يجتمعان) ، (الدعاء أعظم
 مظاهر الولاية) .

(٣) سورة الرحمن آية : ٤٦ .

(٤) وقد قيده ابن تيمية باسم : الزهد المشروع ، وعرفه : بأنه ترك ما لا
 ينفع في الدار الآخرة . مجموعة الرسائل والمسائل ج ١ ص ٢٢٠ .

كذلك من محصلات هذا المقام ، المدأوة ، إلى العمل الصالح ، ويستعمل على كل ذلك بالأحاديث الثمينة والآيات القرآنية التي وردت فيها ^(١) .

(ب) أداء الفرائض :

وهي كما جاء في الحديث : — « ما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه » — أحب القربات إلى الله ، لأن في أدائها اشتغالاً للأمر ، وهو مظهر الطاعة ، وإظهار لنيل العبودية وعضلة الربوبية ، ولا ينافي أنها أعظم القربات إلى الله إن الله يحب للمتقرب بالنائلة ، بل من تقرب بها بعد أداء الفروض ، كان ذلك دليلاً على روح الإخلاص في الاشتغال لأداء الفروض ، فالنوافل وأدائها بعد الفرائض ، كالدليل على إحسان أداء الفرائض ، وحسن قبولها من الله سبحانه ^(٢) .

ومن هنا ، فليس أداء الفروض مسقطاً للمعوية فقط ، دون ترتيب ثواب عليه كما يتبادر إلى بعض الأذهان ، وإنما إذا أدى الفرض بروح الإخلاص ، كان له من الثواب إلى جانب النجاة من العقاب ، ما يتكافأ مع نية الأداء وروحه ^(٣) :

وقد ذهب الإمام الشوكاني إلى أن هذه الفرائض ، منها ما هي ظاهرة ومنها ما هي باطنة وهي محاربة للاعتقادات الباطلة ، وأن أداء الباطنة ، والامتنال لأمر الله فيها لا نقل ضرورته من أداء الظاهرة ، بل إن أثر الباطنة في حياة الإنسان يكاد يكون أبعد أثراً من الظاهرة ، كما قال أحد وثني الهند

(١) ينظر قطر الولي في (مقام الاحسان ولما يكون؟) ، (مقام الولي وإجابة الدعاء) .

(٢) نفس المصدر في (محبة الله بين أداء الفروض والتفعل) .

(٣) نفس المصدر في (ليست الادامة شرطاً في القرب) .

بعد إسلامه : « جاديت نفسي في كسر الوثن الذي أعبدته ليلة ففعلتها وكسرتها ؛ وأنا في جهاد لها نحو عشرين سنة في كسر الأصنام الباطنة فلم أقدر هاتيا ؛ ولا نفع جهادي لها أبداً »^(١) . فإن الرجل قد يؤمن بالله ؛ وملائكته وكتبه ورسله ، والقدر خيره وشره وهو مشتمل على شيء من هذه المعاصي الباطنة^(٢) مثل الحسد والمعجب ؛ والكبر . والرياء الخ .

١ - الفرائض الظاهرة :

والفرائض الظاهرة ليست فقط هي الخمس التي اشتمل عليها عليها حديث بني الإسلام^(٣) على خمس ، واشتهرت بأنها هي أركان الإسلام بل هي كثيرة جداً يصعب حصرها ، وتسمى الإحاطة بها . « ناهيك أن رأس الفرائض الظاهرة » الجهاد « وليس من جملة الخمس التي اشتمل عليها حديث الإسلام » وهي « معرفة لكل ذي علم وفهم » . ولذلك أثر الإمام الشوكاني عنهم ذكرها ، تفادياً للإحاطة^(٤) .

ولم ينته أن يلحق بذلك الفرائض الظاهرة ، ترك المعاصي ، فيجعل ترك المعاصي من أعظم فرائض الله ؛ ويندكر أنه لا خلاف في أن الله افترض على المعباد ترك كل معصية كائنة ما كانت ، « فكان ترك المعاصي من هذه الخيرية ، داخل تحت عموم قوله : « وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه »^(٥) .

(١) قطار الولي في طهارة الباطن ، وأثرها في مركز الإنسان من الولاية .

(٢) نفس المصدر .

(٣) ينظر صحيح البخاري ص ٩ .

(٤) نفس المصدر في : (الطريق إلى طهارة الباطن) .

(٥) نفس المصدر في (من أدلة الفرائض وترك المعاصي) .

٢ — الفرائض الباطنة :

١ — إخلاص النية في أداء الأعمال ، وقد جعلها الشوكاني عمدة الأعمال التي تقرب عليها صحتها أو فسادها ، والمرجع في ذلك هو حديث : « إنما الأهمال بالنيات ، وإنما اكمل امرئ ما نوى » وغيره من آيات القرآنية ، والأحاديث النبوية التي تنمض على الإخلاص ، وتنتهي عن الرياء ^(١) .

٢ — البعد عن سوء الظن غير المشروع ، وعن الحسد ، والتباغض ، والتدابير ، وبالإجمال كل ما جاء في الحديث . « إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث » ^(٢) إلى آخر ما نهى عنه من المعاصي الباطنة .

٣ — البعد عن السكبر والعجب « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات وهو يرى من السكبر دخل الجنة » . « لا يدخل الجنة من في قلبه منتقال ذرة من كبر » ^(٣) .

٤ — الصدق والبعد عن النفاق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان له وجهان في الدنيا ، كان له يوم القيامة لسانان من نار » ^(٤) .

٥ — الأمانة والبعد عن الخيانة ، فقد وردت الأحاديث بأنها من خصال النفاق ^(٥) .

(١) نفس المصدر في : (الطريق إلى طهارة الباطن) .

(٢) وإكالة : « ولا تجسسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا »

ولا تدابروا كما أمركم ، المسلم أخو المسلم : لا يظلمه ، ولا يحره » قطر الولي

في : (الطريق إلى طهارة الباطن) .

(٣) قطر الولي في : (نفس العنوان المتقدم) .

(٤) نفس المصدر .

(٥) نفس المصدر .

٦ — المحبة ، والبغض ، والكراهة : فيحب الخير ولا يحب إلا الله
ويبغض الشر ولا يبغض إلا الله ^(١) .

٧ — الطيرة ، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنها شرك ^(٢) .

٨ — الذنوبة ، وهي أشهر من أن يستدل عليها ^(٣) .

٩ — الغشية والخوف من الله عز وجل ^(٤) .

١٠ — حسن الظن بالله ، وعدم الارتكان إلى طول الأمل ^(٥) .

١١ — الصبر « وقد ورد مدحه » وكون الله مع الصابرين وما لهم من
الأجر العظيم في الكتاب والسنة ^(٦) .

ويقتسم هذه المجموعة من الفرائض الباطنة بقوله : « وبالجملة طائفتان
الفرائض الباطنة ، والمحرمات الباطنة التي تركها من الفرائض يطول جداً ،
فلنقتصر على هذا المقدار ^(٧) .

(ح) التقرب بالنوافل :

والنوافل طاعة ، شاملة لجميع أجناس الطاعات من صلاة وصيام وزكاة
وحج . الخ كل ما ندب الله سبحانه إليه من غير إيجاب أو فرض ^(٨) .

وباستعراضنا للنوافل التي يذكرها الشوكاني يتبين لنا أن ظاهر الشرع

(١) نفس المصدر . (٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر والصفحة . (٥) نفس المصدر .

(٦) نفس المصدر والصفحة . (٧) نفس المصدر .

(٨) نفس المصدر في : (التقرب بالنوافل) .

الإسلامي على حد تعبير الصوفية — كنفيل وحده بأن ينتج الولي الذي يباهي
بأنه سمع الله سبحانه ملائكته ، فضلا عن أن يسلك الإنسان في رتبة الملائكية كما هو
مطمعونهم من رياضاتهم وطرقهم ومجاهداتهم التي يسمونها علم الباطن .

١ — من نوافل الصلاة :

يذكر منها رواتب الفرائض الخمس كما هي مبروفة في مواضعها ، ويستشهد
على فضيلة كل راتبة والترغيب فيها بما شاء له الاستشهاد من الأحاديث
الشريفة ، ثم كذلك يذكر صلاة الليل مع الوتر ، ثم صلاة الضحى ، ثم تيمية
المسجد ، ثم الصلاة عقب الوضوء ، ويشير إلى أن الباب مفتوح أمام من يريد
التقرب بنوافل الصلاة في جميع الأوقات ماعدا أوقات السكراة (١) .

٢ — من نوافل الصيام :

يذكر أن من تلك النوافل المؤكدة ، صيام شهر (الحرم) ، ويوم
عاشوراء ، وست من شوال ، كما ثبت في الحديث : « من صام رمضان وأتبعه
ستاً من شوال ، فسكناً ما صام الدهر » وكذلك صوم شهر ذي الحجة ،
وأفضلها يوم عرفة ، وكذلك صوم شعبان . وهذه هي المؤكدة من الصيام .
وبقية الأيام محل قبول من الله سبحانه بصيامها ، ماعدا الأيام المنهى عن
صيامها كأيام الأعياد ، وكما قال : يكفي في مشروعية مطلق التنقل بالصيام
حديث : « الصوم لي وأنا أجزى به » (٢) .

ثم يذكر بعد ذلك من النوافل التي قال الحديث عنها : « وما يزال عبدي

(١) قطر الولي في : (من نوافل الصلاة) .

(٢) نفس المصدر في : (من نوافل الصيام) .

يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، والى أثرت من الرسول صلى الله عليه وسلم وحض هليها ، نوافل الحج ، ونوافل الصدقة ، ونوافل الأذكار ، ثم يبين أن أفضل الذكر^(١) ، ما كان في دعاء الرب عز وجل لقوله تعالى : (ادعوني أستجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيخلفون جهنم داخرين)^(٢) ويبين أن هناك أذكراً مخصوصة بأوقات معينة وحالات خاصة ويذكر فوائد تلك الأذكار ، ويبيّن أن أفضلها هو كلمة التوحيد^(٣) ويضيف إلى تلك النوافل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضيلتها^(٤) ، ثم التسبيح وفوائده ، ثم الأدعية التي أثرت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم الأدعية عند الوضوء والصلاة ، وعند الأذان والإقامة ودخول المسجد إلى آخر ما هنالك من أدعية في الصلاة والصيام والحج والجهاد والسفر وغيرها^(٥) .

هذا هو الطريق إلى الولاية أو هذه هي معالمه كما خطه لنا القرآن والسنة ، وهو الذي يلنّج الشخص المحبوب لله سبحانه ، ونرى أنه رياضة أو مدرسة قد أعدّها الإسلام تخرج فيها الإنسان ، وقد صقل خلقه وصمّت نفسه ، وأصبح شخصاً صالحاً لنفسه ولوطنه ولدينه . ولننظر طريق الصوفية بقدر ما تسمح لنا هذه المقدمة .

(١) قارن هذا بما يراه ابن باديس في الذكر ، وأن أفضلها هو تلاوة القرآن الكريم . الأستاذ الدكتور محمود قاسم في كتابه « الإمام عبد الحميد بن باديس » ص ١٢٢ .

(٢) سورة غافر آية : ٦٠ .

(٣) المصدر المتقدم في : (أذكّر التوحيد) .

(٤) نفس المصدر في : (الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضائلها) .

(٥) نفس المصدر في : (التسبيح وفوائده — الأدعية داخل الصلاة) .

(الرب) الطريق إلى الله كما براه الصوفية :

لعلنا لا نحمد كثيراً من الصواب إذا قلنا إن الطريق إلى الله كما أشار إليه الإمام الشوكاني ، من شأنه أن ينتج الشخص المحبوب لله المفيد للمجتمع في الوقت ذاته ، وأن طريق الصوفية من شأنه أن ينتج الشخص المعيد لله ، وعن المجتمع في كثير من الحالات ، وذلك لما اشتمل عليه كلا الفريقين ، من أمور تفرق في غايتها ، كما اختلفت تلك الأمور نفسها في كلا الطريقين — في طبيعتها ، كما يجدر بنا أن نلحظ إلى أن هذا الطريق الإسلامي الذي أشار إليه الإمام الشوكاني ، ليس من المعتمد المرو به من أوله إلى آخره لكي يكون للإنسان ولياً ، وإنما يكفي أن يؤدي ما يستطيع منه ، — ولو قل — روح الإخلاص ، ليصل إلى درجة الولاية أو حب الله ، فمن الممكن أن يحبه الله ، وهو في أول هذا الطريق أو بعد أداء بعضه ، ثم لا ينعنه ذلك الحب عن الاستمرار في تلك الطاعات والإكثار منها ، وهذا علامة ولايته ودليل استمرارها^(١) . نظريتي الإسلام ليس طريقاً آلياً ، وقتاً بوقت ولا محدوداً بكم ، كطريق الصوفية ، وإنما يمكن للإنسان أن يكون حبيباً لله ، إذا آمن وأخلص النية بعد قليل من العمل ، وبعد قليل من الوقت . أما الصوفية فطريقهم آلي شكلي ، خال في الأغلب الأعم من روح الإخلاص ، يؤمن بالكم لا بالكيف ، فمنهم من لا يبرأ من أن يمر المرید بكذا وكذا وكذا حتى يصل ، وعندهم طريق له أول وله وسط وله آخر^(٢) ، أما طريق الإسلام ،

(١) قطر الولي : في (ليست المداومة شرطاً في القرب) ، (مقام المحبة وإجابة الدعاء) ، (ضلال المدعين لرفع التكليف) .

(٢) ينظر المتقدم من الضلال للفرز إلى ص ١٣١ . والإشارات لابن سينا قسمي

٣٤٠ ٤ ص ٨٠ النقط التاسع .

فمنستطيع أن نقول إن له أولاً وليس له آخر ، ففى وجدت ربح الإخلاص .
فى العمل فقد وجد حب الله وولاية الشخص لله سبحانه . ومن هنا كانت
طريق الإسلام خالياً من روح العنمة والترويض والتكاف ، وكان طريق
الكثيرين من الصوفية فيه صنعة ورياضة وتكاف .

وطريق هؤلاء المتصوفة يجمع إلى جانب كثير مما قدمه (الشوكاني)
أساليبهم التي اختصوها بها وابتدعوها ، طبقاً لما تأثروا به من ثقافات أجنبية
من الدين الإسلامي ، وقد صرنا قول إبراهيم بن أدهم ، إنه تعلم المعرفة من
راهب يقال له سيمان^(١) .

وابن سينا يرى أن الصوفي يمكن أن يمر بثلاثة أسماء حسب تحفة بثلاث
صفات ، كل صفة تقابل اسماً : (فلزاهد) : هو « المعرض عن متاع الدنيا
وطيباتها » . (والمعبود) هو « المواظب على فعل العبادات من القيام ، الصيام
ونحوهما » . (والمعارف) هو « المنصرف بفكره إلى قدس الجبروت مستهياً
لشروق نور الحق في سره » . « وقد يتركب بعض هذه مع بعض^(٢) » .
وأرقى هذه الثلاثة هو المعارف ، وهو الذي يتسامى في عبادته وزهده لأنه سما
بنفسه وبفكره إلى مشاهدة نور الحق والانصراف إليه عن كل شيء فغيره ،
« فلزهد عند غير المعارف معاملة ما ، كأنه يشتري بمتاع الدنيا بمتاع الآخرة ،
وهذه المعارف تنزه ما عما يشغل سره عن الحق ، وتتكبر على كل شيء غير
الحق » . « والعبادة عند غير المعارف معاملة ما ، كأنه يعمل في الدنيا لأجرة .
بأخذها في الآخرة هي الأجر والثواب » .

(١) ينظر ص ١٤٠ من تلبيس إبليس .

(٢) الإشارات والتبسيطات قسمي ٣ ، ٤ ، ص ٨٠٠ النمط التاسع .

« وعند العارف رياضة ما ، لهما ، وقوى نفسه المتوهمه والالتخيلة ليجرها
بالتوهمه حتى جناب الغرور ، إلى جناب الحق ، فتصير مسألة للسراياطين
حينما يستجلى الحق لا تنازعه » .

« فيخلص السر إلى الشروق الساطع ، ويصير ذلك ملمسة مستقرة ، كما
شاء السر ، اطلع إلى نور الحق غير مزاحم من الهم بل مع تشبييع منهاك ،
فيكون منخرطاً بكلية في سلك أسرار القدس » (١) .

وقد أشار إلى نحو من هذا في رسالة له صغيرة ، وهي السمة (برسالة
الزيارة) (٢) .

وفي أغلب الظن أنهم لم يتمسكوا بأداء العبادات من صلاة وصيام ،

(١) نفس المرجع ص ٨٠٢ ، ٨٠١ . ونلاحظ أن في عدم النظر إلى جزاء على
العبادة تأكيد لفكرة « أنهم لا يسلكون طريقهم ، إلا للوصول إلى الإيمان أو
معرفة الله سبحانه » وأن هذا هو مطهر شكهم ، فالعبادات عندهم ، ليست لطلب
الثواب ، وإنما هي للوصول إلى مرحلة التأكد من وجود الله ، ثم بعد ذلك
يسكفهم هذا التأكد ، وهذه المشاهدة ، ولكن هذا غير ما جاء به الدين ، فإن
الله ما طلب هملاً ، إلا بعد الإيمان ووعده عليه بالثواب ، وأمن به من العقاب ،
وفي الواقع ، أن الخوف ، والرجاء ، هما مطهر الإيمان بوجود الله ، فإذا لم يتجه
العمل إلى الرغبة في الجنة ، أو النجاة من النار لم يدل على انتراف بوجود الله ،
وكان هملاً متجهاً إلى غير الله ، فإما إلى قصد منفعة خاصة ، وإما إلى الاستمالة
به على سلوك طريق التصرف ، كما هو قصد مطهرهم . يروي ابن تيمية : « قال
بعضهم : من عبد الله بالحب وحده ، فهو زنديق ، ومن عبد الله بالخوف وحده ، فهو
خارجي ، ومن عبده بالرجاء وحده ، فهو مرجي ، ومن عبده بالحب ، والخوف ،
والرجاء ، فهو مؤمن موحد » . التحفة العراقية في الأعمال القلبية ص ٦١٦٠ .

(٢) مخطوطة بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة رقم (٢٦٩٤ و) .

إلا للربيعين فقط ، لأنهم لا يزالون دون الوصول^(١) ، وربما كانت تلك
العبادات البدنية ، هي النصف الأول من اجتياز الطريق ، وبعده ينتقل
المريد إلى مقامات أخرى ، مثل التوبة والصبر والشكر والخوف والرجاء الخ .
على ما يوصى به تقسيم كتاب الإحياء للإمام الغزالي^(٢) ، فقد جعل النصف
الأول للعبادات أو للفرائض والنوافل التي أشار إليها الإمام الشوكاني ،
والنصف الثاني لبيان طريق الصوفية في إتمام السكال الروحي للنفس الإنسانية .

وفي هذه المرحلة الثانية التي يمر السالك فيها بالمقامات ، ربما يكتفي بذلك
للمريضة التي يسمونها روحية ، وربما يقتصر على الفرائض إلى جانب ذلك
ويترك النوافل كما أوصى بذلك الإمام الغزالي^(٣) .

ونضع في اعتبارنا ، ونحن ننتقل مع هؤلاء تبيين معالم طريقهم أنهم
شاكون متحسسون للإيمان باحثون عن الله ، فطريقهم ليس مؤسسا على
الإيمان ، وإنما هو يبتدئ من الشك ، ويحاول أن ينتهي بالإيمان .

تبيين هذا في غابتهم المثلى من التصوف ، وهي مشاهدة الحق سبحانه
والإتصال به ، والإطلاع على أسرارهم فكأنهم لا يقتنعون بالإيمان ، إلا إذا
كان هن مشاهدة ورؤية ، تعج بهذا أقوالهم في مقامات التصوف وأحواله ،
وقد صرنا من هذه الأقوال ما يمكن أن نرى فيه ذلك ، من مثل قول إبراهيم

(١) ينظر السهر وردى الحاي في مجموعة في الحكمة الإلهية ص ١١٤ ، ونلس
هذا أيضاً في قول أبي سليمان الداراني : أن الله يفتح للعارف ، وهو على فراشه ،
ملا يفتح لغيره وهو قائم يصلي . أنظر أيضاً قطر الولي في العناوين السابقة .

(٢) إحياء علوم الدين ج ٢ ص ١٩ ، ٢٠ كيمياء السعادة ص — ٩٠ .

(٣) قارن : في التصوف الإسلامي وتاريخه ص ٦٠ — ٦٢ .

ابن آدم وابن سينا وغيرهم^(١) كما أنه سيستقبلنا من هذا ما يمكن أن نؤكد به هذه الفكرة .

ويكفي أن ننظر في أصول طريقتهم من الزهد والعزلة والذكر أو العبادة أو الرياضة ، فنجد الغاية منها هي الوصول إلى الإيمان القائم على المشاهدة والكشف ، لا الخوف من الله ، ولا الرغبة في جنته ، وقد مر بنا قول ابن هريزي في تعريف الأولياء ، بأنهم الذين آمنوا بالإيمان اليقيني ، وكانوا يتقون بسبب صفات النفس وموانع الكشف^(٢) .

أما العبادات والطاعات في الدين الإسلامي ، فهي الفروع بعد الأصل الذي هو الشهادتان ، وقد طلبت هذه العبادات من العبد ، لمنافع دنيوية وأخرية ، وليست لرؤية الله في الدنيا ، كما هو هدف الصوفية ، كما أنها لا اعتبار لها ، إلا بعد الإيمان القائم على التصديق ، والاعتقاد ، لا المشاهدة .

وهذا هو الفارق الأكبر بين طريق الصوفية وطريق الشرع الكريم ، فقد رأينا كما رسمه الشوكاني ببتهديء بالإيمان ، ومن هنا كان تمسك أهل السنة بالنكاليف الشرعية ويهتدي الكتاب والسنة ، وتذبذب الصوفية بين تلك النكاليف ، وبين الابتداعات التي ابتدعوها ، وسواء أ جعلوا نهاية طريقهم ، الفناء أم المعرفة ، أم حبهم لله أم المشاهدة أم الحلول أم الاتحاد ،

(١) ويمكن أن نضيف إلى هذا قول أبي حفص : « منذ عرفت الله تعالى ، ما دخل قلبي حق ولا باطل » س ١٤٩ القشيرية ، وقول الواصل : « من عرف الله تعالى ، انقطع ، بل خرس وانقمع » نفس المصدر . وينظر في ذلك أيضاً ، فصل : المعرفة ، الولاية ، التوحيد في القشيرية .

(٢) ص ٨١ من هذه الدراسة .

فإن كل تلك النهايات تتداخل بعضها في بعض أو تلتقي في نقطة واحدة ،
وهي الوصول إلى حضرة الربوبية ، أو مشاهدة الذات ^(١) ، ثم الإيمان بعد
هذا الوصول ، وعلى تلك الحالات .

وهذا هو التسترى يحدد الإيمان ، بأنه « معاينة الغيب ومكاشفة اليتيم ،
ومشاهدة الرب » ^(٢) .

ولننظر في بعض دروب ذلك الطريق ، ومما لعله أنقى يسلكونها للوصول
إلى هذا الإيمان ، أو ذلك العرفان ، ولن نعرض لها إلا بقدر ما ندين نظرهم
في سلوكها .

الزهد :

وهو المظهر العام للتصوف أو لرياضة المتصوفة ، فأبو يزيد البسطامي يقول
إنه وجد المعرفة بالله « بمطيق جائع وبدن عار » ^(٣) . وسهل بن عبد الله
التسترى كان ينهى عن الأكل الذي يقصد به تقوية البدن ، ويرى أن العجز
عن أداء العبادات لضعف البدن الناشئ عن قلة الأكل أفضل من القدرة على
أدائها مع امتلاء البطن ، وأن صلاة الجائع الذي قد أضعفه الجوع قاعداً ، أفضل

(١) ينظر هذه الدراسة ص ١٣٨ ، والمداخل إلى التصوف الإسلامي ص
٥٣ ، ٦٦ والمقصد من الضلال ص ١٣١ - ١٣٢ ، والإشارات والتنبيهات لابن
سينا قسم ٦٢ : ص ٧٦٢ - ٧٦٥ .

(٢) التصوف طريقاً وتجربة ومذهباً للدكتور محمد كمال جعفر ص ٢٠٧ .
(٣) الرسالة القشيرية ص ١٤ ، نذكر أيضاً بصدد ذلك قول إبراهيم بن أدهم
أن الراهب الذي تعلم منه المعرفة ، لم يكن يتناول في اليوم ، لاصحة .

من صلاته قائماً^(١) . ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن القوى خير . وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » .

ويعلق ابن الجوزي على ذلك ، بأن الإنسان إذا تقوى على القيام في الصلاة بالطعام ، كأن تناول هذا الطعام عبادة لأنه يعين على العبادة ، « وإذا تجوع إلى أن يصل قاهداً ، فتد تسبب إلى ترك الفرائض فلم يجز له » ثم يتساءل : « أي قربة في هذا الجوع المعطل أدوات العبادة ؟ »^(٢)

ويعلق على كتاب الحكيم الترمذي الذي سماه (رياضة النفوس) بأنه في هذا الكتاب الذي يأخذ المرید بالشدة والمبالغة في إطالة الصوم ، يقضى على أفراح النفس ، ويمنعها لذتها فتمتلئ غماً^(٣) . وفي ذلك كتبها وتهوئها هن

(١) الإحياء للغزالي ج ٣ ص ٤٧ . في التصوف الإسلامي وتاريخه ص ٥١ .
 قارن تلبيس إبليس ص ٢٠٠ .

(٢) المصدر المتقدم ص ٢٠٢ .

(٣) نفس المصدر ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ينظر أيضاً (مجموعة في الحكمة الإلهية) للسهروردي ص ١١٤ فهناك يقول « والصوم وأحسنه ما يؤخر فيه الإفطار إلى السحر لتقع العبادة في الليل على الجوع » فهذا فضلاً عن إرهاق النفس بتأخير الإفطار إلى السحر مخالفة للحديث الشريف صريح في هذا « ما تزال أمي بحجر ما عجلوا الفطار وأخروا السحور » والحديث يرمى من تعجيل الفطر ، إلى إظهار امتثال أوامر الرب ، - حيث يمتنع عن الآكل حيث الأمر بالامتناع ، - حيث يبادر إليه حين يرزئ له فيه ، ففي هذا تقدير لله ولأمره حق قدره ، كذلك قصد بتأخير السحور معنى صحياً حيوياً ، ففي تأخيره إعطاء فرصة لهضم طعام الإفطار ، ثم إراحة المعدة بعد ذلك ، حيث أنها قد عملت بعد طول راحة وفراغ ، وعدم إرهاق الجسم بتطويل فترة الصيام عليه ، وخاصة إذا كان يقضى نهاره في العمل ، وبذلك نرى أن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم هو عين الحكمة ، وكلام الصوفية من أمثال السهروردي ، أبعد ما يكون عن الحكمة والعقل .

الأنفوس بواجبها الدنيوى والأخروى وفى هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معناه : « نفسك وأهلك فارق بها حتى تباغ المنزل » .

ويروى ابن الجوزى بهذه المناسبة قوله صلى الله عليه وسلم : « من أصابه جهد فى رمضان فلم يطرقات دخل النار » ويقول بأن كل رجال هذا الحديث ثقات ، ويورده من طريق آخر أيضاً ^(١) تأكيداً لصحته ، وحديثاً آخر بإسناده : « إن الله عز وجل يحب أن يرى آثار نعمته على عبده فى ما كله ومشربه » ^(٢) .

وهذه الرياضة الزهدية ، تتناول ضمن ما تتناول امتناعهم من أكل اللحوم والخلوى والفواكه ، والماء البارد ، والاكتفاء بخبز الشعير والملح ، ومن قول بعضهم فى ذلك : « أكل درهم من اللحم يقسى القلب أربعين صباحاً » ^(٣) .

فهذا الاستناع من أكل اللحم إنما هو مذهب البراهمة الذين لا يرون ذبح الحيوان ، وليس من الإسلام فى شيء . وأن الله عز وجل أحلم بمصالح الأبدان ، فأباح اللحم لتقويتها « فأكل اللحم يقوى القوة وتركه يضعفها ويسبب الخلق ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم ، يأكل اللحم ويحب الدراع من الشاة » ^(٤) ، « ويأكل الدجاج ويحب الخلوى ويستحب الماء البارد » ^(٥) ، « وكان الحسن البصرى يشتري كل يوم لحماً ، وهى هذا كان السلف » ^(٦) .

(١) نفس المصدر ص ٢٠٥ .

(٢) نفس المصدر ص ٢١٢ = ٢١٣ .

(٣) نفس المصدر ص ٢٠٣ .

(٤) نفس المصدر ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٥) نفس المصدر ص ٢٤٦ .

(٦) نفس المصدر ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

هنا إلى أن منع النفس شهواتها على الإطلاق ضار بالبدن فإن البدن يحتاج في قوامه إلى مختلف أنواع الأغذية : « وقد ركب في الطبع الميل إلى ما تميل إليه النفس وتحتاجه ، فإذا مالت النفس إلى ما يصلحها فنمت فقد قوبلت حكمة الباري سبحانه وتعالى بردها ، فكان هذا مخالفا للشرع والعقل »^(١) .

هنا أن ذلك النوع من الطرمان والرياضة ، إنما يفرض أكثر ما يفرض على الشبان المرادين والمبتدئين في الطريق ، « ومن أضر الأشياء على الشبان الجوع ، فإن المشايخ يههرون عليه والكهول أيضا » ولكن الشبان لا يههرون على الجوع ، والسبب في ذلك « أن حرارة الشاب شديدة لذلك لا يوجد مضه ، ويكثر تحمل بدنه فيحتاج إلى كثرة الطعام ، كما يحتاج السراج الجديد إلى كثرة الزيت . فإذا صابر الشاب الجوع وتنبه في أول النشوء قمع نشوء نفسه ، فكان كمن يعرق أصول الشيطان » إضافة إلى ذلك أن المعدة ، حينما لا تجد غذاء فإنها تنبج إلى « أخذ الفضول الجثيمة في البدن فتغذيه بالآخلاق فيفسد الذهن والجسم »^(٢) .

وواضح أن هذا أسلوب لا يقره عقل ولا شرع ، بل إن الزهد بهذا المعنى لم يرد في الدين الإسلامي أصلا ، وما ورد في القرآن من لفظ الزهد ، فليس إلا لفظة واحدة ، وجاءت بمعنى عدم الرغبة من جانب القافلة السيارة في إبقاء يوسف عليه السلام على ملكيتهم في قوله تعالى : (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين)^(٣) ، لا بذلك المدلول الاصطلاحي لهذا

(١) نفس المصدر والصفحة . قارن ص ٩٤٧ من المصدر المتقدم .

(٢) تلبس إبليس ص ٢٠٧ .

(٣) سورة يوسف آية : ٢٠ .

الزهد الصوفي^(١) ، وما جاء من الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية مما يشعر بأنه يوحى بهذا المعنى الاصطلاحي للصوفي ، من مثل قوله تعالى : (اعملوا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو ، وزينة وتفاخر بينكم ، وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ، ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ، ومففرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا إلا سماع الغرور)^(٢) . أو قوله تعالى : (زين للناس حب الشهوات ، من النساء والبنين والقناطير المتنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والطارث ، ذلك سماع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن الحساب)^(٣) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس » فليس المراد منه ذم الدنيا لذاتها ، وإنما إذا تكالب عليها نفاس وضبعوا حدود الله ، وجاروا على الدين في سبيلها ، وسعوا لها من غير حراما بدليل قوله تعالى : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » ؟ والحديث المتقدم : « إن الله يحب أن يرى آثار نعمته على عبده »^(٤) فليس في الإسلام زهد بهذا المعنى التصوفي ، وإنما الزهد المشروع إذا قلنا إن هناك زهد ، هو ترك ما لا ينفع في الدار الآخرة ، « وأما كل ما يستعين به العبد على طاعة الله فليس تركه من الزهد المشروع ، بل ترك الفضول التي تشغل عن طاعة الله ورسوله هو المشروع »^(٥) .

(١) قارن : الصلة بين التصوف والشيخ ج ٧ ص ٧٥٦ .

(٢) سورة الحديد آية : ٧٠ .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٤ .

(٤) ينظر تفسير الإمام الشوكاني ج ٥ ص ١٧٠ ، ١٧١ . تلبس إبليس

ص ١٤٥ .

(٥) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ج ١ ص ٢٢٠ ، تلبس إبليس ص

١٤٣ والتمتعة العراقية في الأعمال القلبية ص ١٤ .

على أن هتيدتهم في أن الزهد طريق وصول إلى معرفة الله ، أو إلى مشاهدته ليست أصيلة ولا ثابتة ، فإنهم ما لبثوا أن انقلبوا إلى حب الدنيا ولو من غير حلها بعد أن كانوا زاهدين فيها ، ولأرا بطونهم من أصناف الأطعمة إلى حد الإسراف والتخمة ، وأصبحوا بعد القرن الثالث الهجري أهل دنيا ، وإن ادعوا أنهم أرباب دين ، وأهل شراة وتخمة ، وإن ادعوا أنهم أهل قناعة ورياضة^(١) . وهذا أكبر دليل على أنهم لا يوقنون بأن الزهد والجوع ، طريق إلى المعرفة أو الحب الإلهي ، وإنما هي أمور تأثروا فيها بغيرهم ، من أنباء الديانات السابقة^(٢) ، ولقد هم خاطئين ، ثم لم يلتزموا بهذا التأييد في كثير من الأحيان . وما أشبههم في هذا بمالك الكلبيين من فلاسفة اليونان في العصر القديم ممن أنوا بعد سقراط ، فقد ادعوا في أول أمرهم أنهم يسرون على هدى سقراط ، « ويؤمنون بأرائه الأخلاقية » وأن الثروة ليست هي التي تحتاج السعادة ، وإنما الفضيلة والقناعة هما اللتان تنتجان ذلك ، ونصبوا أنفسهم أساتذة للناس ولسكنهم ما لبثوا أن اندفعوا في شهواتهم ، وهتكوا حجاب الحياء « واستحلوا التناول من مال الناس بغير إذن »^(٣) .

الترهب وترك الزواج :

والفكرة العامة عندهم « أن التجرد عن الأزواج والأولاد ، أعون على الوقت للفقير ، وأجمع لهم ، وألذ لميشه والتزوج ، انحطاط من العزيمة

(١) تلميس إبليس ص ٢١٤ ، رسالة (الدواء العاقل في دفع العدو الصائل) للإمام الشوكاني هامش ص ٦٢ ضمن رسالة (شرح الصدور بتحرير رفع القبور) للشوكاني أيضاً .

(٢) في التصوف الإسلامي وتاريخه ص ٤٧ ، ٧٣٧ .

(٣) جمال الدين الأفغاني . للدكتور محمود قاسم . ص ١٢٠ — ١٢٣ .

إلى الرخص^(١)، ورجوع من التزوج إلى النكاح، وتقييد بالأولاد والأزواج، ودوران حول نطاق الاعوجاج، والنفات إلى الدنيا بعد الزهادة^(٢) هكذا يلخص أبو حفص عمر السهروردي رأى الصوفية في الزواج وأنه عائق عن الوصول، ثم يروي لأبي سليمان الداراني رأيه في ذلك ومنه قوله: «ما رأيت أحداً من أصحابنا تزوج فثبت هلى مرتبته»^(٣).

ويروي السهراني لرياح بن عمرو القيسي قوله: «لا يبلغ الرجل إلى منازل الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة، وأولاده كأنهم أيتام، ويأوى إلى منازل الكلاب»^(٤).

ومرجعنا في إبطال هذا الاتجاه قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل لم يبعثني بالرهبانية»^(٥) وقوله صلى الله عليه وسلم رداً هلى من أرادوا التشديد هل أنفسهم في العبادة وحياء الرهبنة «... أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لستكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن

(١) ونرى هنا أنهم جعلوا الزواج رخصة مع أنه فى واقعه عزيمة وفرض واجب، وعلى فرض أنه رخصة فالمستحب إتيانه أيضاً دون أن يكون فى ذلك المحطاط، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب أن تؤتى رخصة كذا تؤتى عزائمه».

(٢) عوارف المعارف للسهروردي ص ٨٠، ٨١ من هامش إحياء علوم الدين ج ١.

(٣) نفس المصدر ص ٨١.

(٤) فى التصوف الإسلامى وتاريخه ص ٥٦ عن طبقات الشعراى ج ١ ص ٤٠ ٥٧ من المصدر الأول، حلية الأولياء ج ٦ ص ١٩٤ طبعة الخانجى الطبعة الأولى وفيها يروى (رياح) هذه العبارة عن مالك بن دينار.

(٥) ابن الجوزى فى تابيس إبليس ص ٢١٣.

رغب عن سنتي فليس مني (١) .

وهناك أمراض عدة تصيب ناركك الزواج ، منها : (المالمخوليا) ، (فقدان الشهية) (٢) ، (سوء الهضم) (٣) الخ .

هذا إلى أن مؤلفه ينحرفون إلى حجة الصبيان ، والتملق بالرد منهم (٤) .

السام والفناء :

قد جعل الصوفية . الاستماع إلى الفناء . والأشعار للمحنة ، والأصوات الموقعة (٥) طريقاً إلى حب الله أو إلى معرفته ، وذلك لما في الفناء والأمان

(١) صفوة صحيح البخاري ج ٢ ص ٢ — ٥ . ويعلق على ذلك شارح هذا الحديث « فيفطر لينفوي على الصوم ، وينام ليتقوى على القيام ، ويتزوج لإعفاف النفس وتكثير النسل » هاشم ص ٢٠ .

(٢) وينقل ابن الجوزي عن (أبي بكر محمد بن زكريا الرازي) الطبيب المشهور (٨٥٠ — ٩٣٣) أنه يعرف قوماً . لما منعوا أنفسهم من الجماع أصرب من التفلسف بردت أبدانهم وعسرت حركاتهم ، ووقعت عليهم الكتابة بلا سبب وعرست لهم أعراض المالمخوليا ، وقلت شهواتهم وهضمهم ، قال : ورأيت رجلاً ترك الجماع ، ففقد شهوة الطعام ، وصار إن آكل القليل لم يستمره وتقايأه ، فلما عاد إلى عاداته من الجماع سكنت عنه الأعراض سريعاً « تلبس إبليس ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ . وهذا ما يؤيده أيضاً الطب الحديث .

(٣) تلبس إبليس ص ٢٨٥ .

(٤) نفس المصدر ص ٢٨٦ ، ليلى والمجنون في الأدبين العربي والفارسي ص ١٦٢ ، ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٥) اللع لأبي نصر السراج ص ٣٤٧ ، الرسالة القشيرية ص ١٥١ ، وعوارف المعارف ص ١٠٥ — ١٠٩ .

[illegible]

وقد قسموا هذا السماع بالاسماء للتعريف من ثلاثة اقسام ورواية المرويين
منهمون فكانت المروا الشريفة والماء الصديقين بالماء والزيادة
أسوأ لهم والماء قليل الماء في الماء فيهم المرويون والماء
على الله فيما يروى على قديم من السماع من الحركة والسكون (١٠)

وما يدل على أن السيرة له اعتبار في ملوك الصوفية ، أننا نجد معظم المؤلفين في التصوف ، المراجع الأساسية فيه ، تهتم به فتمتلك كتاباً خاصاً بضمم بقية أبرار المؤلف وكتبه مثل ما فعل المصراع^(٥) والنشيري^(٦) والمهروري^(٧) والمقدادي^(٨)

(۱) الاسم من ۲۶

(٧) نفس المصدر ص ١٧٢ ٦. قارن الرسالة القشيرية ص ١٥٥. قارن :
السهروردي الحلي مجموعة في الطبعة الإلهية ص ١١٦.

(٣) اللعص ص ٦٦٦ و الرسالة القسرية ص ٦٥٤ .

(٤) اللعم من حسن ١١٦٨ — ١١٦٩

(٥) الرسالة القصيرية طبعة صبيح سنة ١٩٥٧ من ص ٥١ - ١٥٨ .

(٦) عوارف المعارف على هامش الإحياء ص ١٠٥ .

وتدبروا إلى الذنوب في سرعية الوصول إلى الله عن طريق هذا السماع
 وأما هذه العبادة من العبادة التي تتبع في الطريق إلى ولاية الله - فاستدلوا
 على سرعته ، بل قال تعالى : « الذين يصومون يقولون أحسنه
 أولئك الذين صدقهم الله » « فإذا هم بالعبادة والتأديب لم يكن من
 شاكاة عن السوفية ، بل كانوا كما قال فيهم القرآن : « لكم بهم » (إذا المؤمنون
 الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تولى عنهم قاموا) (١٢٠) ،
 (الله نزل أسس الحديث كتابا ، فاشبهوا ، مثالي تقسم منه جلود الذين
 ينشرونهم - ثم تلبس ما يدهم ، فليكن إلى ذكر الله) (١٢١) ، فليكن على
 شاكاة هذا السماع الصوفية ، إنما كان به من السكينة ، حسن الاستماع ،
 ما يضمن على مجلس الاستماع عسبة ووقارا ، ولم يكن استماعهم ، باب العبادة ،
 لغير القرآن وحديث الرسول ﷺ .

أما هؤلاء المتصوفة ، فكان من النادر عندهم في باب العبادة استماعهم
 للقرآن ، وكان أندرو منه أن يثأروا اسماءه ، قال الطواص ، وقد سئل « ما بال
 الإنسان ينصرف هذه سماع غير القرآن ، ولا يجد ذلك في سماع القرآن ، فقال ،
 لأن سماع القرآن صفة لا يمكن أن يترك ، أن يترك فيه لثمة غلبته ، وسماع
 القرآن ترويح فيتحرك فيه » (١٢٢) ، والحقيقة أن سماع القرآن ، لم يكن يصاحبه
 دنف ولا شياكة ، ونعمه كان يصاحبه الدنف والشياكة وغيرها من أدوات

(١) سورة الزمر آية : ١٨ .

(٢) التحفة العراقية في الأعمال القلبية لابن تيمية ص ٨٥ .

(٣) سورة الزمر آية ٢٣ ، ويشتر رسالة الصوفية والنقرا لعل ابن تيمية ص ٦ .

(٤) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ص ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ .

(٥) رسالة القشيرية ص ١٥٥ . والترويح هو إثارة النفس من جميع

نواحي الإحساس فيها ، وجعلها في موقف الحيرة والدهش .

الطرب ، فتأثرهم وتحرّكهم في الحقيقة ، إما هو للمعن : النعمة للوسيلة الحقيقية ،
التي كان يضارها الموقع ، حسب مدى نفوس المستمعين وحسب ما يريد من
نوع الإثارة .

ومن هذا التلبس ، أنهم استدلوا ، باستماع الرسول ﷺ لشعر كعب
ابن زهير وحسان وغيرهم في الأحوال السادية ، لا في حال العبادة ، واستماعه
لبعض الغناء البريء من بعض الجوارى ، على إباحة الغناء ومسامحه وإشاد
القصائد وتوقيفها ، وسط التصفيق والحركات الشاذة ، كطريق من طرق
العبادة والذكر^(١) . وانتقل أبو القاسم القشيري من سماع الرسول ﷺ
لقصيدة كعب بن زهير وغيرها ، بنظر أحيان إلى إباحتها « بالأطوار
الطبيعية »^(٢) ، كباب من أبواب التعبد والذكر . وهذا من المغالطة بمكان ، فإن
استماع الرسول لهذه الأشياع كما قلنا ، كان في غير التعبد ، فكيف يستدلون
بهذا على إباحته في العبادة ، أو جعله طريقاً من طرق الذكر والوصول ؟

فلمست هذه طريق الرسول ﷺ ولا طريق الصحابة رضي الله عنهم في
الحياة والذكر ، وإما كانوا إذا اجتمعوا وأرادوا السماع والذكر قرأوا واحداً
منهم القرآن والباقي ينصتون^(٣) ، ولم يحدث في الصحابة ولا التابعين ، أنهم
اجتمعوا لسماع القصائد الربانية ، لا بكف ، ولا قضيب أو دف ، أو شبابة
ولا بدونها ، لا في الحجاز ولا في الشام ولا في اليمن ولا في العراق ولا مصر ،
ولا خراسان ولا المغرب ، وما ينقل خلاف ذلك فهو كذب وافتراء ، باتفاق

(١) الرسالة القشيرية ص ١٥١ ، ١٥٢ ، اللع ص ٣٣٨ — ٣٤٧ .

(٢) المصدر المتقدم ص ١٥١ .

(٣) التحفة العراقية لابن تيمية ص ٥٨ ، ٥٩ ، مجموع الرسائل والمسائل

أهل الآفاق من أهل العلم وأهل الإيمان^(١).

وما يدعونه من أن الفناء بالقومائد الربانية ومماها على طريقهم ينتج حب الله وذكره فهو دهاء بالحل، فكل ما يقتضيه «تسريك حب الله الذي يحرك من كل قلب ما فيه من الحب بتميت يصاح» الحب «تأري» فلان والإخوان، والأوطان، والمردان والنسوان، كما يسلمح لـ «الرحمن»^(٢).

وإن كنت لا أوافق ابن تيمية على هذه التسمية الأخيرة، فهو في الحقيقة يركب حب الله، إلا حب الرحمن، إلا إننا نضاهوا الرحمن --- حسب ضلالهم --- في جودات الجميلة، من المرد والنساء كما هو حالهم^(٣).

وهذه الرهبانية التي ابتغوها كطريق مفضل في الوصول إلى الله قد ألفوها، باشتراح السماع والفناء، فإنه إلى جانب أنه يلحق القلب من التفكير في عظمة الله سبحانه والقيام بعبادته، فإنه يهتف به إلى اللذات والشهوات الحسية، ومعظمها النكاح «وليس تمام لذته إلا في المتجددات، ولا سبيل إلى كثرة المتجددات من الحل» لذلك يقع في الزنا «فبين الفناء والزنا تناسب من جهة أن الفناء لذة الروح، والزنا أكبر لذات للنفس، ولهذا جاء في الحديث: «الفناء رقية الزنا»^(٤).

ويقرن ابن تيمية الفناء بالحر، وأن من تأثر به، يفعل فعل من تأثر بشرب الخمر «فالمعازفة خمر النفوس تفعل بها أعظم مما تفعل حيا المكرووس، فإذا

(١) مجموع الرسائل والمسائل - ١ ص ٣٨، ٣٩.

(٢) النسخة العراقية ص ٥٦.

(٣) إلى والمجنون في الدين العربي والفارسي ص ١٦٧ عن مصارع العشاق

للمسراج طبعة القسطنطينية سنة ١٣٠١.

(٤) تلميس! تلميس ص ٢١٥.

سكروا بالأصوات، حل فيهم الشرك، ومالوا إلى الفواحش والظلم، فيشركون، ويتلفون، ويذنبون، وهذه الثلاثة موصوفة كثيراً في أصل سماع المعارف^(١)، ثم يذكر قصصاً وحوادث، لهم، ومنها ما رآه بنفسه^(٢).

فإذا كان هذا أثر هذا النوع من السماع في النفس، فكيف يكون طريقته إلى ولاية الله وحبه؟ وهذا نتيجة كل تزيد، ابتداءً من العبادات، وإضفاء اسم القرب على مثل هذه الأسماء، وهو ليست له الواقع إلا قرب للشبهان لا لرحمن، ولهذا فإن هذا السماع المحدث ليس من القرب، بل شيء من الاتقرب، والعبادات إنما تؤخذ من الرسول، صلى الله عليه وسلم، فكما أن لا حرام إلا ما حرمه الله، لا دين إلا ما شره الله^(٣).

الخلوة والعزلة :

والخلوة والعزلة عن المجاهدات العملية التي شأنها أن تهبط السالك إلى حوال الوجد والقناء والمعرفة^(٤)، لأنها في رأيهم تبهل اتصال المذمومة

(١) مجموع الرسائل والمسائل ص ١٠١، ١٠٢ ج ٥٥.

(٢) ينظر نفس المصدر ص ١٠٢، ١٠٣. ويرى ابن تيمية أيضاً أن سماع الصوفية هذا، هو سماع أهل الجاهلية وصلاتهم، التي قال فيها القرآن الكريم « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية، فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ». وأن نتيجته ليست إلا وجداً في الهوى مذموم، وأما لطم وشق ثياب وصباح كصباح المحزون المحروم، إلى غير ذلك من الآثار الشيطانية التي تعتري أهل الاجتماع على شراب إذا سكروا به « مجموعة الرسائل والمسائل.

ج ١ ص ٣٨، ٥٧.

(٣) التحفة العراقية في الأعمال القلبية ص ٥٦، ٥٧.

(٤) ابن عطاء السكندري وتصفوه ص ١٣٨، ١٣٩.

رمز القلم: "الماء والحرارة والبرق" - العلم والحرارة والبرق.

فاجتهد قلوبكم : لا يسهل أرائكم يسأل الله سبحانه ، ويسأل محبته وقربه فليعلم منزل
الناس : (٦) فبذلك من أن يشهدوا قول الله تعالى : ولذكروا نعمتكم آية يدهون
إلى الخبز ، وأصعبون بالمعروف وينهون عن المنكر : (٧) ، وقول الرسول
ﷺ « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فليأسه ، فإن
لم يستطع فليقلبه ، وهذا أشبه بالإيمان » ، تركوا الناس لأثرهم ونحوها
بأنفسهم بل وصلوا بحالة السانحة منفسه . بعض الخلفاء إلى أن تركوا نفوسهم

- (١) نفس المصدر ، الصفحة ٦ ، الرسالة القشيرية ص ٥٥ .
- (٢) نفس المصدر ، الصفحة ٦ .
- (٣) اللمع ٦ للسراج ص ٢٧١ ، ٢٧٧ .
- (٤) ينظر السراج في اللمع ٦ ، الرسالة القشيرية .
- (٥) الرسالة القشيرية ص ٥٩ .
- (٦) المصدر المتقدم ص ٥١ .
- (٧) سورة آل عمران آية : ١٠٤ .

على ما هي عليه من شر ، رخلوا بها بعيداً عن الناس ، حتى لا يصيب الناس من شرهم شيء ، وقد أبرز هذا أبو القاسم القشيري كتمليل للخلوة في قوله : « ومن حق المنعبد إذا أثر العزلة ، أن يعتقد باهتزاله عن الخلق سلافة الناس من شره ، ولا يقتضيه سائرته من شر الخلق »^(١) وكان الواجب أن يروى الوحي من منهم ، على معاملة الناس بالحق ، بدلاً من أن ينأى عنهم . ثم إننا نلمس في هذه العبارة تواضعاً كاذباً ، أو كذباً بوجهه ، « فإن الأول من التسميت نتيجة استهزاء نفسه : « الثاني شهوة منبذة على الخلق ، ومن استهزئ نفسه فهو متواضع ، ومن رأى لنفسه ضربة على أحد فهو متكبر »^(٢) . والواقع أن كلا الاتجاهين سواء في معارضة الاتجاه القرآني^(٣) .

وعمد هذه الخطوات قد ركبوا بين الشطط فخرجوا بها على الدين ، وبدلاً من أن توصلهم إلى الله أوصلتهم إلى الشيطان .

يعلق الإمام الشوكاني على قول أبي القاسم القشيري : « ولا يتم قرب العبد من الحق إلا ببعد عن الخلق »^(٤) بقوله : « فهذا إنما يكون فيمن لا نفع فيه للعباد » . أما من كان يفيدهم بعلم ، أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو جهاد في سبيل الله وقيام بما أوجب الله على مثله القيام به ، فهذا يكون قربه من الخلق أقرب إلى الحق »^(٥) .

(١) الرسالة القشيرية ص ٥٠ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) ينظر قطر الولي في (العزلة والولاية) .

(٤) الرسالة القشيرية ص ٤٣ .

(٥) قطر الولي في العنوان المتقدم .

فأزاهد هلى هذا كما قال ابن الجوزى « لا يتعدى نفسه هتبه بابه ، والعالم نفسه متعد ، ولم قد رده إلى الصواب من متعبد »^(١) .

بل الغالب أنه لا نفع هناك مطلقاً في تلك الخلوات ، فمنهم من فيه قسود إليها دون علم ودين ، فقد يخرج الشخص منهم إلى الخيال ، فيبعد عن الجمة والجماعة والعلم ، وقد يكون له عائدة فتضييع أروال الدين فيقطعونها ، وقد يكون عليه مظالم لم يخرج منها فيصيدها على أصحابها ، وهو مع ذلك لا يعرف أن كان الصلاة^(٢) . ويروي ابن الجوزى أن النبي ﷺ نهى أن يبيت الرجل وحده ، وأن يهوى المساقب قال : « سرحنا إلى جبل تهجد ، فجاؤنا سفيلان الشورى فردنا »^(٣) .

وهكذا يقصدون ألا ما كن التي ليس فيها أذان ، ولا مسجد يصلى فيه ، بل لا يتجهون إلا إلى المساجد المهجورة والمقابر وخاصة ، إذا كانت لأناس من أصحابهم . وذلك كما كان يفعل ابن هربى في خلواته حسبا حدثنا بذلك عن نفسه^(٤) . ومن اهتزل منهم في الأربطة قد فاتهم السعى إلى المساجد

(١) تلبيس . تلبيس ص ١٥٦ .

(٢) نفس المصدر ص ١٤٥ و ٢٧٨ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) فقد قال في الفتوحات السكية : « ولقد كنت انقطعت في القبور مدة ، منفرداً بنفسى فبلغنى أن شيخنا يرسف بن يحلف (خلف) السكوى قال : إن فلانا — وسماني — ترك مجالسة الأحياء ، وراح يجالس الموتى ، فبعثت إليه ، وقلت : لو جئى لرأيت من أجالس . فصل الضحى ، وأقبل إلى وحده مامعه أحد ، فطلب على ، فوجدنى بين القبور قاعداً مطرقاً ، وأنا أتكلم على من حضرى من الأرواح ، فجالس إلى جانبى بأدب قليلاً قليلاً . فنظرت إليه فرأيت قد تغير لونه =

« وتوكلوا فراش الراحه وتركوا السكسب » (١).

ويلاحظ في ابن الجوزي رابن تيمية يندمان عليهم ذلهم إذا نهض السراج
يسكنهم بلسان العنوة لهذا الاتهام وبما من شأنه « ومن ذلهم ما يرويه من
بعضهم : قال أبو المصنف دجالاً كبيراً ، تكلم فيهم من المساجد قائلاً :
« زاد في الدنيا مسجدة ، فقلت : أين ؟ قال لي : أنا من مثل مكان
فقلت : من كان من كل مكان ؟ فاجابني : قال لا يستريح من شيء ،
ولا يستريح منه شيء ، قال : فقلت : إله الشئ ، فنظر إليهم ، وقال : ليس
هذا من ذلهم الاضطراب ، وإنما فأنى هذا ؟ قال : فاستراح لي ، ويطمئنيهم

وضائق نفسه ، كان لا يقدر أن يرفع رأسه من القفل الذي نزل عليه ، وأنا أنظر
إليه وأبسم ، فلا يقدر أن ينسجم لما هو فيه من السكران ، لما فرغت من الكلام
وعصر الورد ، خفف عن الشيخ ، واستراح ، ورد وجهه إلي ، فقبل بين عني ،
فقلت له : « يا أستاذي ! من يجالس الموتى أنا أبرأ ؟ » قال : « لا والله :
بل أنا أجالس الموتى ، والله لو طال على الحان فطمت » فسكان يقول : من أراد
أن يستزل عن الناس ، فليعتزل مثل فلان » الفتوحات المسكية ج ٣ ص ٥٩٦ ، ٥٩٨ ،
أنظر (ابن عربي) حياته ومذهبه ، لأسير بلايوس ترجمة الدكتور عبد الرحمن
بدوي . ص ١٧٦ ، ١٨٦

فترى من هذا أن الخطوة على هذا الوجه ، كانت أسلوباً متمماً ، ومتجلاً عندهم
في مراحل الطريق الصوفي ، بل وتسكاد أن تسكور أرقى الأساليب عندهم في
التعمق في أسرار الطريق ، وحالات الوجد والفناء ، كما يشير إلى ذلك تعليق
شيخ ابن عربي على هذا النوع من الخطوة .

(كان لأستاذي الدكتور محمود قاسم الفضل في إرشاده لي باستكمال فكرة
اختلاء الصوفية في المقابر ، بما كان يفعله ابن عربي في رياضته الصوفية باعتزاله
في المقابر) .

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٥ ص ٩٣ ، تلميس إبليس ص ٢٧٨ .

وهام ، وهو يقول : صدق الله ، إن كان من دواب الإصطبل تأين
منه ٤٩ (١) .

الطيرة وتعلم الآتي :

ومن لوازم البر : إلى الله عند السوفيا ، من ظاهره ، رؤية الله به ، أنه
أو سلافة ، نزل العلم القدر على نازلة الأنوار ، الراسخين ، وهو
المباشرة ، للعلم ، السوفيا . ويرسم لنا أبو طاهر في الطريق ، إلى سطر
ذلك النوع من الطيرة ، هو ما يتعدى تلك من لجوء الله إلى العباد في دواب
والطريق إلى ذلك يكون أولاً بانطباع هذا في الدنيا ، إلى كماله ، فتلعب الهممة
بين الأهرام ، والوادي ، وبين العلم ، ثم يدخل بنفسه في زاوية مع الاقتصاد على
النرائض ، والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهممة ، ولا يشرق فيكون
بقراءة قرآن ، ولا بالتأمل في تفسير ، ولا بخصب حديث . . . فلا يزال به
جلوسه في الخلوة قائلاً بلسانه : الله الله على الدوام مع حضور القلب ، حتى
ينتهي إلى حالة يترك فيها تحريك اللسان ، ويرى كأن السكابة جارية على
لسانه . ، ويبقى معنى السكابة مجرداً في قلبه ، باضراً فيه . . . وهذا ذلك
إذا صدقت إرادته وصفت همته ، تلمع لواع الحق في قلبه ، وذلك من
طريق آلاء بالي المعلوم فيه وهو الباب المغاير بالأحلام ، وبالعالم الذي لا يأتي

(١) اللع من ٣٧٢ - ٢٧٨ .

(٢) عوارف المعار للسهروردي ص ١٧٧ - ١٧٩ ، المنقذ من الضلال للغزالي
ص ١٣٠ ، مجموعة الرسائل والمسائل ج ٥ ص ٨٥ .

(٣) الإحياء ج ٣ ص ١٩ ، ٢٠ ، كيمياء السمادة ص ٨٨ ، وقارن : المنقذ
من الضلال ص ١٣٠ - ١٣٢ .

عن طريق اليقظة والحواس وهو علم الأنبياء عليهم السلام^(١).

وبعضهم يرى أن هذه الظلوة تكون أربعين يوماً ، تقطع في الصيام مع التقليل من الطعام ، أثناءه ، والاقتصار على ما يقيم الأود ، مستعين في ذلك على الحديث الذي ينسبونه الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أخاض لله أربعين صباحاً ، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه »^(٢) ، « على أن موسى عليه السلام ، لم يتلق الألواح إلا بعد صيام الأربعين ليلة صياماً متواصلاً ، لم يدخل بعده فيها طعام ، فدل هذا على أن خلو المعدة من الطعام أسهل كبير من الجلب ، حتى احتاج موسى إلى ذلك مستعداً لمكانة الله سبحانه والعلوم اللدنية في قلوب المنقطعين إلى الله تعالى ضرب من المكانة »^(٣) . ويستدلون على ذلك أيضاً وعلى تظيم أسرار هذه الظلوة ، بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأت نوحى إلا بعد ما في غار حراء .

وطريقة أبي حامد هذه طريقة غير مشروعة ، فإنها فضلاً عما فيها من بجانبة القرآن والحديث ، فإنها تقتصر على أداء الفرض ، والنافلة من المعروف أنها من ذلك بل كمال طاعة العبد لله كما أن الذكر بالاسم المفرد مظهراً ، أو مضمراً^(٤) بدعة في الشرع وخلفاً في القول واللفظ ، فإن الاسم المجرد ، ليس

(١) نفس المصدر ص ٨٦ — ٩١ .

(٢) عوارف المعارف ج ٢ ص ١٧٧ ، الرسالة اللدنية للنزالي ص ١٢٢ .

(٣) عوارف المعارف ج ٢ ص ١٧٨ — ١٧٩ ، قارن مجموعة الرسائل والمسائل ج ٥ ص ٨٥ .

(٤) كما يقولون ذكر الخاصة : الله الله ، وذكر خاصة الخاصة : هو هو ، المصدر المتقدم ص ٨٦ .

هو كلاماً لا إيماناً ولا كُفراً^(١) . فليس من جنس الكلام المقبول ، ولذلك قال بعض من يأمر به من المتأخرين : « إله ليس قصداً ذكر الله تعالى ، ولكن جمع القلب على شيء معين حتى تستعد النفس لما يرد عليها »^(٢) ، ولذلك لا يرد عليها إلا أحوال الشياطين ، والاضطراب والاضطراب النفسى .

والصوفية في هذا ، يشبهون السحرة أو السحمان ، أو ضحايا الزار ، حين يتركز انتباههم على كلمات معينة ، أو إيقاع مخصوص ، فيخرجون عن طورهم ، وبغيبون عن الظاهر وينسحبون في الخيال ، وفي ذلك العالم الذى خرجوا إليه من الوصومة والاضطراب^(٣) وأبو سنان وإن اختار لفظ الجلالة في ذلك ، نابعاً

(١) نفس المصدر ص ٨٦ ، والذى ورد في كلمات الذكر ماثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » وفي حديث آخر « أفضل الذكر لا إله إلا الله » وقال : « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » ص ٨٦ . وبرد على من يروجون للذكر بالاسم المفرد اعتماداً على قوله صلى الله عليه وسلم « سبق المفردون » بأن المراد بالمفردين هو ما وصفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم رداً على سؤال بعضهم : « ومن المفردون يا رسول الله ؟ » قال : « الذين كانوا الله كثيراً والذاكرات » كما ورد في صحيح مسلم . أنظر : (التحفة العراقية في الأهل والقبلية) ص ٦٢ .

(٢) المصدر المتقدم ص ٨٦ ، ٨٧ . بل يروى ابن تيمية عن بعضهم أنه قال له « ليس مقصودنا إلا جمع النفس بأى شيء كان ، حتى يقول : لا فرق بين قولك : يا حى ، وقولك (يا حيحش) وهذا مما قاله لى شخص منهم وأنكرت ذلك عليه » ص ٨٧ .

(٣) وقد فسر ابن سينا هذا الكشف الصوفى بأنه اضطراب في الخيال وفي الحر ، وهو يظهر أيضاً عند المرضى والمرويين ، وله أيضاً طرق صناعية

هو اطاراد مع قبل غايته برشرف مقصده ، و إنما الأخص واستد في هذه الحالة ،
والطريق طريق الجنب ، وإفناء النوى ، (طر من أم من و النوى)
(الأخص) بقدر أن كذلك كثيراً من ذلك ، التفسير الذي يترجم به السامع
في بعض المقامات ، لكي ينسب اضطراباً للصبي ، وبأسبابه التي لها صلة
بالدور ، فليسكي يصل إلى حالة الإنشغال ، فلا بد أن يظل طيلة أيامه في بيئة
تسمى « » وتربط فيها بينه وبين العالم ، ويسمى طر في فيه ، وأل في
جبهته ، ويسمى « » دون أن يأكل أو يشرب ، ويحاط به ويحاط به ، ويسمى طر في فيه ،
بذلك « » فتأتي في يخرج من هذا العالم ، الذي يروى الجاهل ، ويسمى طر في فيه ،
فإنه في غاية النجاسة ، وبذلك ، وصياً من الله ، يسلم فيه ، والديني
والتي تسمى أمهات بين جهاد ، وبتكدي ،

وذلك ما يؤثر عن قوم من الأتراك ، أنهم إذا هرعوا إلى كاهن في مقدمة
معرفة ، فزع هو إلى شد حثيث جداً ، فلا يزال يلهث فيه ، حتى يكاد ينشئ عليه
ثم يطلق بما يحيل إليه ، فإن جميع ذلك ما يشغل الحس ، فيسرب من النجس ، وما
يحرك الخيال ، نحر بها حيرا ، كأنه لا يبار لا طبع ، وربما أعان على ذلك
الإيهاب في الكلام المختلط ، والإيهاب ليسيس الجنب ، وكل ما في نحيب وتدهيش
فإذا اشتد توكّل الوهم ذلك الطام ، لم يلبث أن يفرض ذلك الاتصال ، فتارة
يكون لمعان الغيب صرباً من ظن قوى ، وتارة يكون شيئاً بخطاب ، نفي ، أو
هتاف من غائب ، وتارة يكون مع ترائي شيء البسر مكافئة ، حتى تشاهد صورة
النيب مشاعلة ، الإشارات والتنبهات قسم ٣ ، ص ٢٨٧ - ٢٨٩ ، ينظر أيضاً
نفس المصدر ص ١٧٢ - ١٨١ ، مدارج الفاس المذوب للفزالي ص ١٥١ - ١٥٩ ،
السهم ، دي في مجموعة في المحكمة الإلمية ص ١٠ - ١٠٠ ، ولأستاذي الدكتور
محمود قاسم الفضل ، يرشادي إلى هذا التفسير .

- (١) مبادئ علم الاجتماع الديني (ترجمة د. محمود قاسم) ص ٢٠ .
- (٢) ومن ذلك ما يرويه ابن الجوزي عنهم : « كان أبو عبيد التستري إذا

ويرى ابن تيمية أن هذه الظهورية تنفي إلى السكون ، لأن أنها ترسل إلى الله^(١) . ويتساءل ابن الجوزي : بأن هذا الذي قد دله أبو حامد أنه في خلوته هو أن غيب ، من أين له أن لا يرى الله ؟ وأن الله يشاهده جلال الربوبية ، فلو أن يكون ساطعاً من نور الله ، وهو الظاهر ، فماذا ؟ وهذا الظاهر من يستدل بالانكسار ، فإنه يذهب إليه أبا الغزالي^(٢) . فهذه الآفة مرغوبة في العلم ، لأن الله تعالى قد استطاع ، بحيثما إلى تسميتها به (الإله فيزياء) ، من وراءها قناع الدور الدائرية في سفل أمام بصر الإنسان ، فإنه تدفع المستحق إلى الكلام والتصيام تأثراً به ، والله تعالى توفى تيمية اضطراب : أنتسك بهل بركة . نشطة نشاطاً غير حادى^(٣) وقوله فسر بها علماء الله من الطب ، والهندسة

كان أول يرم من شهر رمضان يدخل البيت ، ويقول لامرأته : طيني باب البيت ، وأتى إلى كل ليلة من السكوة رغيفاً ، فإذا كان يوم العيد فوحدت ثلاثين رغيفاً في الزاوية ، ولا أكل ولا شرب ، ص ٢٧٩ ، تيمية إبليس .

(١) وإذا كان يرى أبا حامد من أنه كان يظن فيها ذلك ، ولكنه لا يبرئه من البديع ، والبديع : يد الكفر . مجموعة الأسئلة والمسائل ص ١٧ .

(٢) تيمية إبليس ص ١٥٨ ، ١٦٨ ، ٢٢٩ . ثم يجزم بذلك فيقول : « وهذا الظاهر من يستعمل التقليل في الطعم ، فإنه يغلب عليه المايل خولياً ، وقد يسلم الإنسان في مثل هذه الحالة من الوسوس ، إلا أنه إذا تشفى بشربه وغشيت عينيه تخايل هذه الأشياء ، لأن في الدماغ ثلاث قوى ، قوة يكون بها التخييل ، وقوة يسكون بها الفكرة ، وقوة يكون بها الذكر . فإذا أطرقت الإنسان وغمض عينيه جاء الفكر والذهنيل ، فيرى خيالات فيظنها ما ذكر من حضرة جلال الربوبية إلى غير ذلك . »

بدراسة مثل هذه الظواهر ، مثل هذه الحالات في التصوف المسيحي^(١) أيضا .
وَأَمَّا مَسْكُومٌ بِخَلُوتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَارِ حِرَاءَ قَبْلَ الرِّسَالَةِ^(٢) ،
فَإِنْ مَا فَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الرِّسَالَةِ ، لَسْنَا مَأْمُورِينَ بِاتِّبَاعِهِ ،
إِلَّا إِذَا كَانَ قَدْ شَرَعَهُ بَعْدَ الرِّسَالَةِ ، وَلَسْكُنْهُ مِنْ سَبْعِينَ جَاهَتِهِ الرِّسَالَةُ لَمْ يَهْتَدِ
إِلَيْهِ هُوَ وَلَا خَلْفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ ، وَقَدْ أَقَامَ فِي مَكَّةَ بَعْدَ الرِّسَالَةِ وَقَبْلَ الْهَجْرَةِ
بِضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، دَخَلَهَا فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ وَطَامَ الْفَتْحِ ، وَأَقَامَ بِهَا قَرِيبًا مِنْ
هَشْرِينَ لَيْلَةً ، وَأَتَاهَا فِي سَجَّةِ الْوَدَاعِ وَأَقَامَ بِهَا أَرْبَعَ لَيَالٍ ، وَدَعَى ذَلِكَ لَمْ يَتَّخِذْ
إِلَى غَارِ حِرَاءَ وَلَمْ يَهْتَدِ إِلَيْهِ .

فَبِذَلِكَ كَانَتْ طَرِيقَةُ لَمْ جَمِيعًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، لَيْسَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَطْعٌ وَقَدْ سَمِعْنَا
لَمْ جَدَهُ عِبْدُ الْمُطَلَبِ^(٣)

ومثل ذلك يقال فيما يسمونه بالأربعينية التي يدعون أن موسى وهيسى
عليهما السلام ، خطبها بعدها^(٤) ، بأن هذا خاص بأفرادهم كأنياء ورسول ،
ثم إنه شرع لهم وليس شرها لمحمد ﷺ ، كما شرع لموسى عليه السلام السبت
« والمسلمون لا يسبتون » ، وكما حرم في شرعه أشياء لم تحرم في شرع محمد

(١) Les Problèmes de la vie mystique Par Roger
Bautide : P: 80 - 81, 125 - 128.

وينظر تحليل ذلك أيضاً عند فلاسفة الإسلام . انظر هامش ما مضى من
هذه الدراسة .

(٢) الغزالي في المنقذ من الضلال ص ١٣٢ ، والدكتور عبد الحليم محمود في
مقدمة المنقذ ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٥ ص ٨٥ .

(٤) نفس المصدر والصفحة ، في التصوف الاسلامي وتاريخه ص ٥٩ .

صلى الله عليه وسلم^(١) ، فليس هذا في الواقع إلا إيجابها غنوصيا تلغيقيا^(٢) ،
فما يدهونه من العلم الدني أو رؤية الله أو الأنبياء أو الملائكة في هذه
الخلوات محض افتراء وضلال ، صرحه إلى خيالاتهم التي فسدت بما يهبطونه ،
في العزلة والخلوة^(٣) .

ويكفيينا في رد هذه العزلة والخلوة ، ما يحكيه أبو أمامة قال : خرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم للجهاد ، فمر رجل بفار فيه شيء من ماء ، فحدث
نفسه بأن يقيم في ذلك الفار ، ويصيب ما حوله من البقل ، وينخل من الدنيا

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٥ ص ٨٥ . وما يستدلون به على خلواتهم
من أن أهل الصفة كانوا كذلك ، فإن هذا محض افتراء ، أو جهل بحالهم وواقع
أمرهم ، فإنهم كانوا مهاجرين ، أو طارقين على المدينة بعد أن آذى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين الأنصار والمهاجرين ، فكان من لم يتيسر له مكان يأوى
إليه ، يأوى إلى تلك الصفة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم مؤقتا ، إلى أن
يتيسر له مكان يأوى إليه ، فكانوا غير مجتمعين في وقت واحد ، كما كانوا تارة
يكثرئون ، وتارة يقلون . فتارة يكونون عشرة أو أقل ، وتارة يصل عددهم
إلى السبعين ، وكان فقرائهم يكتسبون عند إمكان الاكتساب ، وية يملون عندما
لا يمكنهم ذلك بسبب اشتغالهم مع الرسول في الجهاد ، ما يوصله إليهم أمرياء
المسلمين من خير ، قال ابن الجوزي : « وهؤلاء القوم ، إنما قعدوا في المسجد
ضرورة ، وإنما أكلوا من الصدقة ضرورة ، فلما فتح الله على المسلمين استغنوا
عن تلك الحال وخرجوا » تلبس إبليس لابن الجوزي ص ١٦٢ طبعة محمد منير
الدمشقي سنة ١٣٤٧ هـ ، سنة ١٩٢٨ م ، ومجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية
طبعة المنار ص ٣٧ - ٣٠ .

(٢) أنظر رسائل إخوان الصفا ج ٤ ص ٨٠ .

(٣) ينظر ابن تيمية المصدر المتقدم ص ٩٣ ، ٩٤ ، وتعليق السيد رشيد رضا
على ذلك في هامش ص ٩٣ ، ٩٤ .

وذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له صلى الله عليه وسلم : « إنى لم أبعث باليهودية ولا النصرانية ، ولكنى بعثت بالحنيفية السمحة » ، والذي نفس محمد بيده لقوة أو روعة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ، ولقوام أحدكم في الصنف خير من حياته سبعين سنة » (١) .

هذه معالم من طريق المتصوفة إلى الله ، وأينما فيها كل ما يحافى الإسلام ، ويهبطهم مع الغاية التي رضىها الله سبحانه وتعالى ، مقصداً لبياده من هباتهم ومن خلقهم ، وهي أن يكونوا في الدرجة التي يحبهم الله فيها ، أو في موضع استحقاقهم لطبه سبحانه . وكل ما حقهوه في هذا السبيل ، أنهم حارلوا الوصول إلى الإيمان به ، أو صرته ثم حبه ، ولم يتقدم هذا الحب المزهوم في طريقه خطوة نحو اجتلاب حب الله ، وإنما دار حول نفسه ، وصار في حلقة مفرغة ، ولم يهد هلى صاحبه منه إلا تذيب النفس والهوس والبهمة عما يقرب إلى الله أو الإيمان به ، حتى قال بعضهم « المحبة تشويش يقع في القلوب » (٢) .

فأين هذا من الغاية التي ذكرها الله سبحانه كنتيجة طبيعية لذلك في قوله : « ألا بدكر الله تعالى القلوب » (٣) ١٢

وابن تيمية مع ميله كثيراً إلى طريق كثير من الصوفية ، من لم يجهروا بالحلول ولا بالاتحاد . . ، شأنه في ذلك شأن المعتدلين ، أو بمن يحسنون الظن بالصوفية — ، يقول خلاصة رأيه في تلك الطرق وفي ما ابتدئته عن ليس في القرآن ولا سنة الرسول أنها « هند التحقيق طرق هضلة ، إنما توصل إلى

(١) تلبس إبليس لابن الجوزى ص ٢٨٠ .

(٢) الرسالة القشيرية ص ١٤٥ . وبنظر ما بعدها .

(٣) سورة الرعد : آية ٢٨ .

رضا الشيطان وسخط الرحمن ، كالمبادات التي ابتدعها ضلال أهل الكتاب والمشركين ، وخالفوا بها دين المسلمين ، فهو لاه (الصوفية) في الأحوال البديعية وأولئك « أهل الكتاب » وفي الأقوال البديعية « (١) » .

(ج) موازنة بين طريقة الإمام الشوكاني ، وطريقة الصوفية :

وبالموازنة بين طريق الإسلام مما أشار إليه الإمام الشوكاني ، وبين ما تقدم لنا من معالم طريقة هؤلاء القوم ، يتبين لنا كيف كان من هاجهم أئمة المال أن الجوزي على حق فيما هاجهم فيه ، وإلى أي مدى كانوا محلاً للمعجب واللام من مثل ابن عقيل في تلك العبارة التي « جهها إليهم : « ما أوجب أموركم في الدين ، إما أهواء متبعة ، أو رهبانة مبتدعة بين تحرير أذيل المرح في الهيبا واللب ، وبين إهمال الحقوق وإطراح العيال ، والحق بزوايا المساجد ، فهلا عبدوا على عقل وشرع ؟ » (٢) » .

(١) النبوات ص ٦٥ .

(٢) تلبس إبليس ص ١٤٧ ، وقد منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غلب عبد الله بن عمرو بن العاص من مثل هذا حين قال له : « ألم أحدث أنك قلت لأصوم من النهار ولأقوم من الليل . ولأقرأ القرآن في ثلاث ؟ قال : بلى . قال : « فلا تفعل فإنك إذا فعلت ذلك هجمت له العين (أي غارت ودخلت في موضعها) ، ونفثت له النفس (أي ضعفت وكنت) . ثم أمره بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، فقال : إني أطيق أكثر من ذلك : فانهته به إلى صوم يوم وفطر يوم ، فقال : إني أطيق أكثر من ذلك . فقال صلى الله عليه وسلم : « لا أفضل من ذلك » . وقال : « أفضل الصيام ، صيام داود عليه السلام ، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، ولا يفر إذا لاقى . وأفضل القيام ، قيام داود ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، وأمره أن يقرأ القرآن في سبع » مجموعة الرسائل من المسائل لابن تيمية ج ٥ ص ٨٣ عن الصحيحين : البخاري ومسلم .

فطريقة هؤلاء لا تقوم لأصل لها في الإسلام ، وإنما يمكن أن نلتصق بأصولها في أى مذهب أو دين غير دين الإسلام ، وهو ما يقرره (نيكولسون) . بعد عرضه لمدح من طريق الصوفية ومذاهبهم المختلفة ، وذلك حيث يقول : « وليس هندي من شك في أن المذهب الغنوصي بعد ما أصابه من التغيير والتحويل على أيدي مفكرى المسيحية واليهودية ، وبعد امتزاجه بالنظريات اليونانية ، كان من المصادر الهامة التى أخذ عنها رجال التصوف الإسلامى » . وإن بين التصوف والغنوصية مواضيع اتفاق كثيرة هامة » ويقول أيضاً إذا نظرنا إلى الظروف التاريخية الى أحاطت بنشأة التصوف ، لزم علينا أن نعتبره وليد اتحاد الفلسفة الأفلاطونية الحديثة ، والديانة المسيحية ، والمذهب الغنوصي متأثرة بأفكار فارسية أو هندية ^(١) .

ويشير الدكتور محمد مصطفى حلمي ، إلى مظاهر التشابه بين التعاليم والمذاهب الصوفية في الإسلام ، فيوفقا على أن الزهد في التصوف الإسلامى يشبه الزهد والرهبة اللانوية ، كما يشبه الزهد والقناعة ، والنهي عن ذبح الحيوان في الديانة الزردكية « وأن مثل هذه العقائد قد شاع فيما شاع بين المسلمين من تراث الفرس القديم ، ووجدت من تلقاها بالقبول من الشيعة » ومن الصوفية وتأثرها بها ^(٢) .

وقد سبق لى أن أشرت إلى أن الفناء ^(٣) الذى يجعلونه الغاية من سلوكهم هذا الطريق ، وكذلك للمعرفة ^(٤) ، إنما هما تأثر بالغنوصية ، واليونانية والمسيحية .

(١) في التصوف الإسلامى وتاريخه ص ٨١ .

(٢) الحياة الروحية في الإسلام ص ٤٢ .

(٣) ينظر ص ٦٩ من هذه الدراسة .

(٤) ينظر ص ١٢٤ — ١٢٦ من هذه الدراسة ، في التصوف الإسلامى

وتاريخه ص ١٧ ، ١٨ ، ٧٤ .

وربما كشف لنا السهروردي للمفتول عن حقيقة أولئك المنصوفة ، وعن تأثيرهم بالفنوص عندما روى لما أنه رأى أستاذه أرمطو في النوم ، فسأله رأيه عن مجموعة من المنصوفة ؛ بل أقطاب المنصوف ، الذين يستشهد بهم ، بآرائهم كل من كتب في المنصوف أو تكلم فيه ، من مثل أبي يزيد البسطامي ، وسهل النستري ، وذو النون المصري ، والطهين بن منصور الطلاج ، فقال فيهم : « أولئك هم الذلافة والمكاهمة ، وما وقفوا عند العلم الرسمى ، بل جاوزوا إلى العلم الشهردى ، وما اعتقلوا بعلائق الميول ، فاهم الزلفى وحسن مآب ، فنهضوا بما شربكننا ، ونعلقوا بما نطقنا » وفى موضع آخر يتكلم السهروردي نفسه : وأما أنوار السلوك في هذه الأزمنة القريبة ، فخيرة الأفيشاغوربين وقعت إلى أخى أخميم (ذى النون المصري) ، ومنه نزلت إلى سيار نستر وشيعته ، ثم يضيف إلى ذلك بيان من كان لهم نصيب فى الأخذ من التراث الفارمى : « وأما خيرة السهرورانيين فى السلوك : فهم فائزة إلى سيار بسطام (أبى يزيد) ، ومن بعده إلى فتى بمضاء (الطهين بن منصور الطلاج) ومن بعدهم إلى سيار آمل وخراقان (أبو الحسن الخرقانى)^(١) .

على أن الأصل فى تسمية هذا المذهب بالمنصوف ، وأصحابه بصوفية^(٢) ، يوفقنا على أن المنصوف فى أصله إنما هو استيراد أجنبي ، ليس الإسلام فيه شيء ، لا فى نشأته ولا فى طريقته المتزيدة ، ولا فى غايته أو غاياته المتعددة التى أثبتنا ، إنها تقف حيث يبدأ طريق الإسلام توجهها إلى غايته الواضحة المحددة ، وهى حب الله للإنسان ، وإن كان قد تزيى تصوفهم هذا بزى الإسلام فى بعض الأحوال .

(١) مجموعة فى الحسكة الإلمية ص ٥٠٣ ، ٥٠٤ .

(٢) ينظر : دراسات فى الفلسفة الإسلامية ص ١٢٧ ، فى التصوف الإسلامى

، وتاريخه ص ٦٧ ، ٦٨ ، المدخل إلى التصوف الإسلامى ص ٦٩ — ٧٦ .

الفصل الرابع

الإنسان بين مظاهر حب الله له

(١) المنزلة الدينية للإنسان المتقرب إلى الله :

يصور لنا الحديث القدسي الإنسان بعد سلوكه ذلك الطريق إلى الله ، وبعد قبول الله لتلك الأعمال ، بأن الله قد أحبه ، وأنه صار سمع العبد الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به . . الخ . ونريد أن نعرف فهم الإمام الشوكاني لهذه الجزء من الحديث وفهم الصوفية ، وأتباع الأفلاطونية المحدثة من الفلاسفة الإسلاميين .

١ — المسكنة الدينية للإنسان المتقرب إلى الله عند الشوكاني :

أما الإمام الشوكاني فإنه يرى أن ، معنى ذلك هو توفيق العبد في أعماله بحيث تصبح جارية صالحة موافقة للصواب ، وأن هذا المعنى هو ما يدل عليه منطوق القرآن والسنة^(١) . وأنه لا دلالة فيه مطلقاً على مفاهيم الصوفية الفلسفية^(٢) .

٢ — ولكن الصوفية قد رأوا فيه سنداً لمذاهبهم في الانقضاء ثم الحلول .

(١) قطر الولي في (المقياس في قبول المكاشفات) ، (المراد من أن الله صار سمع العبد وبصره) .

(٢) نفس المصدر .

والإشهاد ، ووحدة الوجود^(١) ، وكثيراً ما تناولوا به في وجهاتهم المختلفة^(٢) .
فالجنيد يتكلم عن توحيد الخواص ، ويبين أنه مقام من وصل إلى الفناء
عن نفسه « وهن دهوة الخول والقوة بذهاب جسمه وحركته بقيام الحق
فيما أراد منه . . . وهذا غاية تحقيق حقيقة توحيد الموحدين الواحد ، أن يذهب
كأول لم يكن ويتلاشى ، وتنمحي أوصافه ، ويبقى بأوصاف الحق كما لم يزل حتى
معنى قوله : « صرت محمه وبصره ، ويدن ورجله ، وقلبه يسمع به
ويبصر به . الخ »^(٣) .

وذو النون المصري يتكلم عن المسرفة ، ويرى أنها لا تسكن إلا بالوصول
إلى درجة الفناء ويستمد هذا الفناء من قول الرسول ﷺ : « فإذا أحسبته
كنت محمه الذي يسمع به . الخ » ، ويصير المصنف بهذا — في مظهر
الفناء الأكمل — متحرراً كبحركة الله ، ناطقاً بما يجريه على لسانه ، ناظراً بنور
الله في بصره^(٤) . وقد خرج الصوفية من هذا الفناء إلى الخلول والإشهاد
ووحدة الوجود . فهذا أبو يزيد البسطامي الذي لا نكون مخالفين فيه ، إذا
قلنا : إنه بن الذين بشروا بهذه المذاهب الثلاثة جملة^(٥) ، يقول في الفناء :

(١) نفس المصدر . وإذا استثنينا رجلاً مثل الحكيم الترمذي وجدناه يرى
في هذا الجزء من الحديث أكمل مظهر لأعلى درجة لولى الله الذي أدى
الفرائض وحفظ الحدود وتوحد بالذواقل فتحت له بذلك ولأية الله ص ٣٣١

ص ٢٣٢ ختم الأولياء .

(٢) ينظر ص ٢٠ — ٢٧ من هذه المقدمة .

(٣) علم القلوب لمحمد بن عطية المسكى ص ٦٩ ، ٧٠ ، وينظر الفناء عند
ابن عربي في صدر هذه الدراسة .

(٤) في التصوف الإسلامي وتاريخه ص ١١٥ .

(٥) ينظر من ص ٧٣ ، ٧٤ من هذه الدراسة ، وفي التصوف الإسلامي
وتاريخه ص ٢٣ ، ٢٤ .

« شهودي ومنأي ، أن أقول مرة : لا إله إلا الله بغيره أبي يزيد وحضور أبي يزيد من أبي يزيد مع لا إله إلا الله . . . كما جرى له في القدر مع الله حين أقر « بيلي » فسكان إقراره للرب بالربوبية ، والنفس بالمبودية ، ثم غلب عن الإقرار ، وبقي بالتوحيد ، مجرداً للواحد الفرد »^(١) .

وأبو يزيد يشير بذلك — (إقرار القدر بالربوبية بقوله « بيلي ») — إلى قوله تعالى : (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم هل أنفسهم ، أليس بربكم ؟ قلوا : بلى ، شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا من هذا غافلين)^(٢) .

والمصوفية يقولون إن الناس ، قد وحدوا الله حتى التوحيد ، وهم في عالم اللئناء قبل خريجهم إلى هذا الوجود ، فلا توحيد لهم بعد الخروج إلى ذلك الوجود ، إلا بالاضمحلال والقضاء منه .

ولكن هذا الذي فهموه في الآية ، ليس هو المراد منها ، وإنما المراد أنهم وحدوا الله بفطرتهم بعد ولادتهم ، لما دهم بخلقهم هل أنه خالقهم فقامت هذه الدلالة مقام الإشهاد ، كما يقول الحديث الصحيح : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه أو يمجسانه . . الخ » ، وكما تقول الآية الكريمة : « فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم »^(٣) .

ثم يستدل من هذا القضاء إلى الاتحاد ، فيقول مخاطباً ربه : « . . . قريبى

(١) علم القلوب لمحمد بن عطية المسكى ص ٦٦ .

(٢) سورة الأعراف . آية : ١٧٢ .

(٣) سورة الروم آية : ٣٠ ، وينظر تفسير الإمام الشوكاني في هاتين الآيتين وقارن تفسير الحلاج الآية الأولى في : (الحسن بن منصور الحلاج ص ٧٨ ، ٧٩) .

بوحدايتك ، وأبدنى ربانيتك ، وارفعنى إلى أحديك ، حق إذا رآنى خلقت
عقلوا رأيناك ، فيكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا هناك » (١) .

والحلاج زعيم الفائلين بالحلول ، يتخذ الفناء أساساً لهذا للذهب (٢)
فلا يصل إنسان إلى مرتبة حلول الله فيه ، إلا بعد أن يقضى عن نفسه فناء
كاملاً ويحجب عنها بالله (٣) ، ويتمثل في ذلك الفناء بحديث الأولياء ،
ثالثه قوتون عنده بالله هم الذين « أفناهم الله عن أوصافهم الثمانية عن طبائعهم
ولم يردم إلى علومهم المستخرجة بحكم حقولهم . . . بل كان هو لسانهم
الذى به ينطقون ، وبصرهم الذى به يبصرون وأسماعهم التى بها يسمعون ،
وأيديهم التى بها يبطشون » (٤) .

وبرى الإمام الشوكانى ، أن الحديث بنصه ، يرفض هذه المعانى (٥) ، وأن
المسلم المتبصر فى الإسلام ، لا يفهم منه إلا ذلك المعنى الذى قدسه .

وإذا رجعنا إلى صدر هذه الدراسة ، وجدنا أن فكرة الفناء هذه لا يقرها
الدين الإسلامى ، وليس لها فى نص من نصوصه منه تيمم هليه فهو يتجافى
معها كاية بروحه وألفاظه (٤) .

والخطر فى هذا الفناء الذى أوغل الصوفية فى وصفه ، هو أنه يسلم ، إلى

(١) تلبيس إبليس ٣٣٣ .

(٢) ينظر : الحسين بن منصور الحلاج ص ٧١ — ٧٢ .

(٣) نفس المصدر ص ٨٣ ٨٤ .

(٤) نفس المصدر ص ٨٩ .

(٥) قطر الولى فى العنوان السالف .

(٦) ص ٦٩ من هذه الدراسة .

القول بالحلل أو الاتحاد، أو وحدة الوجود^(١)، فقد رأيناهم قالوا بالحلل والاتحاد، من حيث يظنون أنهم يتكلمون في الفناء^(٢)، وقد أشار الغزالي إلى هذا حين وصف حالة الفناء التي يصل فيها الشخص إلى مرتبة الكشف أو الشهود، وإن كان قد قال بخطأ هؤلاء الذين قالوا بالحلل أو الاتحاد^(٣) بل لقد جرت به عقيدته في الفناء، وأنه أسمى مقام يصل إليه الصوفي، في هباته أو توحيده إلى القول بوحدة الوجود من حيث لا يشعر^(٤).

وليس من شك في أن العقيدة الإسلامية ترفض هذه المذهب برمتها لأنها تتنافى مع التوحيد والصوفية المعتدلون أو من هم حسنو النية، يرفضون

(١) أنظر المقدمة، في التصوف الإسلامي وتاريخه ص ١١٩

(٢) الرد: الأقوم لابن تيمية ص ٤٧ .

(٣) المقتد من الضلال، ص ١٣١ و ١٣٢ .

(٤) جواهر القرآن ص ١٥ و ١٦، إحياء علوم الدين كتاب التوحيد والتوكل ص ٢٤٩٥ — ٢٤٩٨ ومن كلامه في التوحيد في هذا المصدر الأخير عن المرتبة الرابعة في التوحيد: « أن لا يرى (الموحد) في الوجود إلا واحداً، وهي مشاهدة الصديقين، وتسمية الصوفية « الفناء في التوحيد » لأنه من حيث لا يرى إلا واحداً، فلا يرى نفسه أيضاً، وإذا لم ير نفسه لسكونه مستغرقاً بالتوحيد كان فانياً عن نفسه في توحيده بمعنى أنه فنى عن رؤية نفسه والخلق». قارن جواهر القرآن .

وابن تيمية يرى في مثل هذا الكلام تشابهاً مع كلام القائلين بوحدة الوجود: بغية المرتاد للرد على القرامطة والباطنية . ص ٢٣ ضمن ج ٥ من مجموعة فتاوى ابن تيمية . والغزالي وإن وصل في قوله إلى هذا الحد، إلا أنه كما قدمنا يرفض الحلل والاتحاد، ويرفض فكرة الفناء الذي تذوب فيه النفس البشرية في ذات الله، فعنده أن الله سبحانه وتعالى غير ما يخلق . ولكن تأثره بالصوفية في نظرية الفناء، جعله يقع من حيث لا يشعر فيها وقع فيه من اعتنق هذه النظرية من أصحاب التصوف الفلسفي .

فكرة الحلول والاتحاد ، ويرون أن العقل وأندين يحيلانها^(١) . وأما مذهب وحدة الوجود فلازمه ، إنكار الإله لأنه إذا لم يكن في الوجود إلا الله من إنسان أو حيوان ، أو نبات أو جماد ، وأن الله تعالى في هذه الموجودات ، أو هي مظاهر ومجالات لذاته^(٢) ، فإن معنى ذلك أنه ليس وراء الطبيعة شيء غيرها ، وليس فيها ما يدل على أنه لواحد كما ذل الشاهر الربى القديم^(٣) ، وأنها قديمة ، وبذلك فليس لها حدوث ، وليس لنا أن نتصور الله في غير ذلك^(٤) .

وكما استبدل أصحاب مذهب الحلول ، والاتحاد بهذا الحديث الشريف ، فقد استبدل أصحاب وحدة الوجود به على مذهبهم أيضا . فهذا ابن عربي ، يرى في قوله تعالى : « واتخذ الله إبراهيم خليلا » . بأن الحق قد تخال الله به . فصار الحق هو الباطن والابن هو الظاهر ، وصار متخالا فيه هيئة السمع والبصر ، واليد والرجل الخ كما تخال الحق إبراهيم الخليل . أو تخال إبراهيم الحق ، كالمات يتخال للصوفة فتدربو به وتوسع فإن الحق هو الظاهر ، فالخلق مستور فيه ، فيكون الخلق جميع أسماء الحق محمده وبهره وجميع أسبه ، وإدراكه ، وإن كان الخلق هو الظاهر ، فالخلق مستور باطن فيه ، فالخلق

(١) دراسات في الفلسفة الإسلامية . بحث (العقل والتقليد عند الغزالي ص ٦٣ — ٦٧) .

(٢) ينظر فصوص الحسك لابن عربي ، فسنجد هذا المعنى مائلا في كل فصل من فصوصه .

(٣) وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد .

(٤) قارن نقص المنطق لابن تيمية ص ٥٠ ، ومجموعة الرسائل والمسائل .

ج ٤ ص ٣٣ — ٨٢ ، ص ١٧ ، ١٨٦ وفصوص الحسك ص ٢١٠ .

جميع الخلق وبصره ويده ورجله ، وجميع قواه كما ورد في الخبر ^(١) ، وهذا هو إدراك المعارفين عنده بعد اجتيازهم مراحل الطريق ^(٢) ، فهم يدركون أن الوجود كله واحدا ، الخلق هم الحق ، والحق هو الخلق ، المعارفون أيضا لا يرون الله شيئا سواهم ولا غير ما يحيط بهم من هوال المخلوقات ، وهم تعينات ظهر فيها الحق ، فهو هيئتهم ، وسههم ويدهم . الخ

ولكن الإمام الشوكاني يرى أن طبيعة الحديث لا تشمل هذا الاستدلال وتدفعه ، وثبت وجود الله ، وجوداً معيناً منفرداً فيه عن الخلق ، لا ذلك الوجود المطلق الذي يدهيه ابن عربي وامثاله ، وأن هذا واضح في الحديث من أوله إلى آخره ، فإب قوله : « من هادي لى ولياً » ثبت وجود « ماد ، ومعادى ، ويقضى وجود موال ، وموالى . وهكذا إلى آخر الحديث فإننا نلاحظ الأتينية واضحة فيه ، حتى بعد وصول المبدأ إلى درجة حب الله ، وهى الحالة التى يدهي ابن عربي ومن نحوه أنها مظهر فناء لا تينية والبقاء بالواحدية ، والى بها يدركون أن الوجود واحداً ، وأن الحق هو الخلق ^(٣) . الخ ، فلاحظ الأتينية فى ذلك الجزء الأخير من الحديث :

(١) الفصوص ص ٨١ ، وينظر صفحات : ١٨٩ ، ١٣١ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، قطر الولى : فى العنوان السالف بمجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ص ٦١ ، ٦٢ .
(٢) فصوص الحكم ص ١١٣ ، ١٨٦ ، ولفص النوحى ، ولفص العزيرى ، والموسوى .

(٣) قارن ، الفتوحات المسكية ج ٤ ص ٥١٤ ، إحياء علوم الدين ص ٢٤٩٥ ، ٢٤٩٨ ، جواهر القرآن ص ٧٥ ، ١٦ ، الرد الأقوم على ما فى كتاب فصوص الحكم ص ٤٧ ، الأحلام للدكتور الطويل ص ٨٨ ، فاسمة الأخلاق فى الإسلام ، ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

« وما ترددت من شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن ، بكرة الموت وأكره إساءته » .

وبهذا التصريح بالاثنيةية ، يكون الحديث قد رد على كل تلك المذاهب ابتداء من الفناء إلى وحدة الوجود^(١) .

ويرى الإمام الشوكاني ، أن الأولى لهم ، أن يعترفوا بأنهم متأثرون في القول بوحدة الوجود ، بذهب التنويه من الجوس والنفوسيين في أصل العالم وأنه إلهان ، إله النور وإله الظلمة ، وأنهما مندجان مع بعضهما ، وهنهما معا صدرت الموجودات^(٢) ، بدلا من أن يتكفرا ذلك في آيات القرآن الكريم أو أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

والإمام الشوكاني بهذا ، يأتي لنا ضوئاً على أصل ذلك المذهب ، فالرجوع فيه غير إسلامي ، وقد تأثر إلى — جانب التأثر بالمصدر الغنوصي — بنظرية الفيض عند أفلاطون^(٣) ، وعند أتباع الأفلوطينية من الباطنية الإسماعيلية وإخوان الصفا ، وفلاسفة الإسلام^(٤) .

فنظرية الفيض سواء أ كانت عند أفلاطون ، أو عند الفارابي ، رائد فلاسفة الأفلاطونية المحدثة من الملاحين ومن الباطنية تقوم على أن الكون

(١) قطر الولي : العنوان السالف ، الرد الأقوم ص ٤٨ .

(٢) قطر الولي : العنوان السالف .

(٣) تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٩١ — ٢٩٥ .

(٤) آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٢٤ — ٢٦ ، راحة العقل للكرماني . ص ٦٠ ، ١٣٠ — ١٣٩ (من أين استقى ابن عربي فلسفته التصوفية ص ١٥ — ٢٧) بحث نشر في مجلة كلية الآداب مايو سنة ١٩٣٣ للدكتور « أبو العلاء هفني » مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٢٦ .

صدر عن الله ، سواء أكان بطريق التسلسل الطويل كما هتد الفارابي نفسه أو للتسلسل المختصر كما هو هتد أفلوطين^(١) وهذه النظرية تؤول في واقعها إلى القول بوحدة الوجود ، سواء قصد بذلك أصنامها ، أو قالوا ذلك بمبارة غير مباشرة^(٢) ، فنزلة العقل السكلي من الله هتد أفلوطين ، هي منزلة شمع الشمس من الشمس ، أو الحرارة من النار ، أو البرودة من الناج ، والشمع هو الشمس أي هوجزوها ، وكذلك الحرارة والبرودة ، فهي هي النار ، أو الناج^(٣) ، أو هي مظاهر ومجال لملك الأشياء ، كما يقول ابن عربي ، إن الخلق هو الخلق ، واخلق هم الخلق ، أو هم مظاهر ومجال ظهر فيها الحق الواحد عظمير الكثرة والتعدد ، فهو واحد بالذات ، كثير بالإضافات^(٤) ، كما قالهم :

وما للبحر إلا الموج لأشئ وغيره وإل فرفقه كثرة المتعدد
وقوله :

البحر لا شك هتدي في توحده وإن تعدد بالمواج والزبد
فلا يفرقك ما شاهدت من صور ظاواحد الرب ساري العين في العدد^(٥)

(١) لأنها عند الفارابي يصل الفيض إلى إحدى عشرة درجة ، أو أحد عشر عقلا ، أما عند أفلوطين فإن الفيض يصل إلى درجتين فقط ، العقل السكلي ، والنفس السكلية .

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٩٦ ، مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ص ٢٦ .

(٣) تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٩١ ، ٢٩٢ .

(٤) فصوص الحكم ص ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٠٢ — ١٠٤ ، ٦٤ ، ٦٥ .

(٥) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٢٣ .

والخلق بهذا «حق مشهود في خلق متوهم»^(١) وخلق العالم بهذا ، ليس خلقه من العدم ، وإنما هو تعين للذات الإلهية أو قبيل لما في تلك العصور^(٢) .

ونستطيع أيضاً أن نرى في مذهب (وحدة الوجود) ، صورة أخرى لمذهب الأشاعرة ، في الجوهر والأعراض ، فإنهم يقولون إن العالم كله واحد بالجوهر ، كثير بالأعراض ، وهذا الرأي ، قد قال به «ديمقريطس» آخر الفلاسفة السلبيين من اليونان وهذه وإن كانت نظرية في العالم إلا أن ابن عربى رأيناه أخيراً ، وجعلنا في الله وفي العالم معاً^(٣)

كما أنهم تأثروا أيضاً في القول بوحدة الوجود ، بمذهب الجهمية ، وللمعتزلة في نفى الصفات والجهة عن الله سبحانه ، وأنه «ليس في جهة ، ولا في مكان ، ولا ذو في السماء» أو هو في كل مكان ، ليس هو في مكان ، ولا يختص بشيء ، يجمعون بين القولين المتناقضين^(٤) ، ومراحم بذلك كما يقول ابن تيمية : «إنه ما فوق العرش شيء أصلاً ، ولا فوق السموات إلا هدم محض» فكان هذا «مما أوقع الاتحادية في قلوبهم : «هو نفس الموجودات» لأنهم إذا لم يملوا أنه ليس هناك إلا هذا الوجود الخلق ، ولا فوق العالم شيء آخر ، «لزم أن يقولوا : (الله) هو هذا الوجود الخلق» ، وهذه بمعنىها هي حجة الاتحادية^(٥) .

(١) ص ٩٠٨ .

(٢) فصوص الحکم ص ٦٠ ، ٢١١ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ٤٣ من التصدير .

(٣) من أين استقى ابن عربى فلسفته التصوفية ص ٢٩ — ٤٠ ، مجلة كلية

الآداب مايو ١٩٣٣ .

(٤) ينظر فصوص الحکم لابن عربى ص ١١١ ، ١٧٧ ، مجموعة الرسائل

والمسائل ج ٤ ص ٢٦ .

(٥) تنض المنطق لابن تيمية ص ٥٠ ، فصوص الحکم ص ١١١ ، ومن =

(ب) إسناد الكرامات الأرياء :

١ - رأى الإمام الشوكاني :

من مظاهر حب الله للعبد هند الشوكاني ، أن يكرمه بإجابة دعائه^(١) ، أو بتوفيقه في إدراك شيء مجهول هن طريق إحساسه أو فراسته وهو ما يسميه بالكشف ، كما في الحديث الشريف : « انقوا دراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله » . وحديث « قد كان في الأمم قبلكم محمد ثور ، فإن يكن في أمي منهم أحد ، فعمر منهم »^(٢) ، أو « موته إياه ، على أصم أقوى من طاقته في العادة وتسهيله له ، أو تجنبه خيراً كان محققاً »^(٣) . الخ .

وهذه الكرامات ، هي في الواقع منحة من الله سبحانه ، وتسكريم لذلك العبد الذي أحسب الله واتبع رسوله فأحبه الله ، كما نطق بذلك الحديث « ولا يزال عبيدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه » ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به . الخ « فالعمل فيها لله أولاً وأخيراً »^(٤) .

= كلام ابن عربي في ذلك : « وما رأينا قط من عند الله في حقه تعالى في آية أنزلها ، أو إخبار عنه أو صلة إلينا فيما يرجع إليه ، إلا بالتحديد تنزيهاً كان أو غير تنزيه ، أو له الملاءمة لدى ما فوقه هواء ، وما تحته هواء ، فكان الحق فيه ، قبل أن يخلق الخلق ، ثم ذكر أنه استوى على العرش ، فهذا أيضاً تحديد . ثم ذكر أنه في السماء ، وأنه في الأرض ، وأنه معنا أينما كنا ، إلى أن أخبرنا أنه عيننا ونحن محدودون ، فما وصف نفسه إلا بالحد . النص ص ١١١ .

(١) قطر الولي في جواز الكرامات .

(٢) قطر الولي في (المقياس في قبول المسكشافات) .

(٣) نفس المصدر في (جواز الكرامات) (المراد من أن الله صار سمع العبد وبصره) .

(٤) قطر الولي في (جواز الكرامات) . وإلى هذا ذهب ابن تيمية أيضاً .

أنظر (النبوات) ص ٢٤٧ ، الفرقان ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

٢ - رأى الفلاسفة الإشرافيين والصوفية :

حقاً إن الفلاسفة الإشرافيين ، ومن نساء نفوسهم من الصوفية يستدلون بالحديث على وقوع السكرات ، غير أنهم ردوها إلى طبيعة النفس ، وقوة ذاتية فيها ، حصلت لها بعد صفائها بالرياضة والمجاهدة ، ووصلها إلى درجة العرفان ، وتحولها إلى جوهر أسمى من جوهرها ، هو جزم الملائكة ، وقربها من طبيعة الإله ، فأصبحت لها القدرة على التأثير في الكون والتصرف فيه ، كقدرتها على تأثيرها في جسمها وتصرفها فيه ^(١) .

فكانت الرياضة والمجاهدة ههنا ليست ، من باب التقرب إلى الله ، وإنما هي ، لتغيير جوهر النفس كما قالوا ، وجعلها في عدد نفوس الملائكة بحيث تستطيع الإتيان بتلك الخوارق ^(٢) . وهنا يظهر الفارق بينهم ، وبين طريقة

(١) راحة العقل للكرمانى ص ٤٩٧ ، والإشارات والنبهات لابن سينا ص ٨٢٨ - ٨٨٦ ، ص ٨٩٢ ، ٨٩٩ . قسم ٣ ، طبعة دار المعارف ، السهر وردى مجموعة في الحكمة الإلهية ، (كتاب التلويحات ص ٢٢ ، ٩٧ ، هياكل النور ص ٨٥ - ٨٧ . ومن تعليل السهر وردى لذلك » . . اعلم أن النفس غير منطبعة في البدن ، وقد خضعها البدن . . . وإذا كان كذلك فلا عجب أن يكون لبعض النفوس قوة إلهية ، تكون بقوتها كأنها نفس العالم ، يطيعها العنصر ، طاعة بدنها لها سيما وقد علمت أن جميع المنصريات ، وجميع الأجرام ، مطيعة المعجرات فإذا زادت النفس في التجرد والتشبه بالمبادئ إرادات قوة . . فيكون لها التأثير بكنيز من الغرائب ، وأيضاً ، قد يحركون أجساما يعجز عن تحريكها النوع » ص ١٢ التلويحات . ينظر أيضاً ص ٥٠٣ - ٥٩٥ من نفس المجموعة .

(٢) السهر وردى : مجموعة في الحكمة الإلهية ص ١٠٦ ، ١١٢ ، ١١٣ ، وابن سينا ، الإشارات والنبهات قسم ٣ ، ص ٢٥١ - ٧٦٧ ، ٨٢٨ - ٨٣٤ وآراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي ص ٦٦ ، ٦٧ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٨٤ - ٨٧ ، رسائل إخوان الصفا ج ٤ ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

القرآن التي يدين بها الإمام الشوكاني ، فإن هذه الأخيرة ، تغلب النظرة فيها إلى إظهار طاعة الله سبحانه ، والتعرب إليه ، وما فيها من نظرة إلى النفس ، لا يبدو أن يكون نظرة تأديبية ، وأثراً أخلاقياً ليس غير . وعلى قدر الفارق بين الطريقتين كان الفارق بين النتيجة ، والاختلاف بين الغايتين .

والنفس التي تغيرت ، أو تطورت هذا التطور ، هن طريق الرياضة والمجاهدة ، هناك نفس أخرى تشبهها ، هي نفس السحرة والسكان ، كما أن هناك نفس ثالثة قد تغيرت هذا التغير ، ولكن بطريق المرض أو الجنون ، وهم يعتبرون تلك النفوس الثلاثة ، في مستوى يكاد يكون واحداً ، في الإيمان بالسكرامات والتطوارق من كشف ، أو قدرة على التأثير في الغير ، وفي مظاهر الطبيعة (١) ، فسووا بذلك بين الولاية وبين السحر والكهانة ، والجنون ، وما إليه من الأمراض النفسية الأخرى ، بل وبين النبوة . وجعلوا المعجزات من باب السحر والكهانة والنجمانة ، تأها ترجع إلى سيطرة النفس على البدن ، وقد اهتمل والفكر قوته على سيطرته على الوعدان والخيال (٢)

وبهذا فلا مظهر لولي أو النبي يختلف هن مظاهر الساحر والسكان ، وصارت السكرامات من أفعال الشخص ، وكذلك المعجزات من أفعال النبي ، ولم يعد هناك تكميم من الله لولي ، ولا تأييد منه للنبي ، بل ضاهت الولاية والنبوة ، في شعوذة السحر والكهانة ، وحالات الجنون واختلاط الأهصاب .

(١) آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٧٧ ، التلويحات ص ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٣ .
ضمن مجموعة في الحكمة الإلهية للسهروردي ، الإشارات لابن سينا قسمي
ص ٤٣ ، ٤٤ ، ص ٧٨٧ — ٨٩٩ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٦ ، معارج القدس المنسوب
إلى الغزالي ص ١٦٥ ، ١٦٥ ، ١٥٧ — ١٤٩ .

(٢) نفس المصادر المتقدمة وصفحاتها ، هياكل النور للسهروردي ص ٨٢

وحيلند ؛ فلا صلة بينهم وبين ما يستدلون به من الحديث : « ولا يزال
عبدى يتقرب إلى بالنواقل حتى أحبه ، فإذا أحبه كنت سمعه ... إلخ » ،
وإنما يمكن أن نتلمس تلك الصلة في نظرية المعرفة الإشرافية ، التي يدنبون
بها في نظريتهم في الولاية والنبوة ؛ والتي تقوم على نظرية النفيض سواء كانت
تأرايفية أم أفلوطينية ^(١) ، فكلنا النظريتين ترى أن الإنسان جوهرًا إلهيًا
ومق ما عمل على الخلاص من هذا العالم فقد ظهر فيه هذا الجوهر ، وغلبت
إلهيته ، أو ملائكيته على بشريته وصارت نفسه من القوة بحيث تستطيع أن
تصرف تصرف الإلهيين أو الملائكة ^(٢) ، وهو ما دعا الصوفية الذين شابت
هليهم الفاسفة ، إلى إنداء الألوهية ، والقفز بالكليل أو الاتحاد ، أو وحدة
الوجود ، ثم ادعاء القدرة على إظهار الخوارق أو للكرامات ^(٣) .

(١) آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٨٢٦٢ ، تاريخ الفلسفة اليونانية . يوسف
كرم ص ٢٨٨ - ٢٩٥ ، ابن سينا الإشارات ص ٨٦٢ - ٨٧١ قسمي
٤٠٣ ، ٨٧٤ - ٨٨٦ من نفس المصدر ، ومعارج القدس المنسوب إلى
الغزالي ص ٢٣٤ ، ص ٥٦ - ٩٦٧ ، السهروردي ، مجموعة في الحكمة
الإلهية ص ٥١ - ٩٧ ، هياكل النور ص ٨٥ ، راحة العقل للكرمانى
ص ٤٠١ - ٤٠٥ .

(٢) نفس المصادر المتقدمة والصفحات ، راحة للعقل للكرمانى ص ١٧٤

(٣) السهروردي مجموعة في الحكمة الإلهية ص ٦٧ - ٩٩ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤
تلبس إبليس لابن الجوزى ص ٢٣١ - ٣٢٤ ، ٢٣٩ - ٢٣٨ ، ٣٧٧ - ٣٨٦
الصلة بين التصوف والتشيع ص ٤٦ - ٤٩ وقارن أيضاً ص ٣٣ ، ٥٨٦٤
فقد جعلوا تلك القوة النفسية مظهرًا لمعرفة اسم الله الأعظم الذي عن طريقه
يحولون الأجسام النوعية من صورة إلى أخرى ، وهو ما شاع في أوساطهم بمعرفة
الكيمياء ، وتعلمها فهي ليست كيمياء مادية ، وإنما هي كيمياء نفسية ، ويعلق
الدكتور الشبلي على ذلك بقوله : ولهذا وجدنا الكيمياء مقترنة دائماً بعلم الباطن
والأشراف على كثير من علم الفلسفة ويبدو أن الهدف من هذه الكيمياء تحقيق

ولأنهم يفسرون الكرامات بقوة النفس ، ويسبونها إلى ذلك الشخص .
فقد أشموا نظريتهم في المعرفة أعمال السحرة والكهان ، وفسروها بها . وبهذا
فقد سجلوا على أنفسهم ، أنهم لا يستقون آراءهم من هذا الحديث الذى معنا ،
وإنما من تلك النظرية التى تمت بسبب كبير إلى الفنوصية ، وفى واقعها
الإلحادى ^(١) كما أشار إلى ذلك الإمام الشوكانى .

أما الإمام الشوكانى ، فلأنه لا يؤمن بشيء من ذلك ، فقد رفض أن
تكون أعمال السحرة والكهان أو المجانين والمرضى ، من قبيل كرامات
الأولياء ؛ لأن كرامات الأولياء إنما أكرمهم الله بها ، لأنهم أحببوا وأولياؤه
وأما أولئك فمنهم من أبعد عن هذا التكريم ؛ لأنه هدو لله ^(٢) ، ومنهم من
لم ياب الله له ، لبلوغه من اختلال العقل وعدم أحقيته للتكليف أن لا يكون
قده وائماً ، ولا عدلاً ^(٣) ، وحينئذ فلا مجال لإسناد أعمالهم بهذا الحديث ، وإنما
يمكن أن يلتزم هذا الإسناد فى نظرية المعرفة عند الحكماء من أتباع
الأفلاطونية الحديثة ^(٤) .

القدرة الروحية على التصرف فى الأشياء على نحو يائل تغير الإكسير المعادن .
الحسية إلى شريفة ، وإكسير الكيمياء النفسية هو اسم الله الأنظم الذى يحقق
كل المعجزات مادية ومعنوية مما لا يصل إليه الإكسير المادى فى تأثيره ص ٣٣
ينظر أيضاً فى التصوف الإسلامى وتاريخه ص ١٨ ، ٢٢ ، ٢٦ فيما ينصل بوحدة
الوجود .

(١) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية تبع ج ٥ ص ٩٣ ، ٩٤ الفرقان .
له أيضاً ص ٨٨ — ٩٣ .

(٢) قطر الولى فى (خوارق غير الأولياء) .

(٣) قطر الولى فى نفس العنوان المتقدم .

(٤) نفس المصدر .

الفصل الخامس

أفضل الأولياء

(أ) رأى الإمام الشوكاني :

يرى الإمام الشوكاني أن أفضل أولياء الله من البشر هم الأنبياء ، وأفضل الأنبياء ، الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وأن أولياء الله غير الأنبياء لا يزالون في درجاتهم مع الأنبياء والرسل كدرجة التابع من المتبوع^(١) .

(ب) رأى الصوفية :

ولكن الصوفية والشيعة كما تقدم لنا يصنفون الأولياء بهجات^(٢) ، أباحت لمن رام الدخول في مفاضلة بين الأولياء والأنبياء ، من منطقتي الصوفية ، أن يفصل الأولياء على الأنبياء ، ويرى في الأولين تفرقا في البحث الفكري ، والعالم الذوقي مما ليس للآخرين^(٣) ، ولعل أبرز مظاهر هذا التفضيل ، ما يدعيه بعض الصوفية من حلول الله فيهم أو اتحادهم به ، مما ينضون القول بألوهيتهم ، وتصرفهم في الأكوان وفي الناس^(٤) .

(١) قطر الولي في (أفضل الأولياء) .

(٢) ينظر ما مضى من هذه الدراسة .

(٣) ينظر على سبيل المثال ، فصوص الحسك س ١٣٣ ، ١٨١ ، ١٨٢ .

١٥٦ ، التعليقات س ١٣٩ ، ١٢٧ ، ١٦٤ .

(٤) الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ٤٦ — ٤٩ ، الإشارات قسم

٣ ، لابن سينا ص ٨٩٢ — ٨٩٩ مجموعة في الحكمة الإلهية للمهر وردى

ص ٩٧ .

هنا في التصوف المتقدم^(١) ، وفي التصوف المتأخر رأينا الذين غلب عليهم انفساف ينحون هذا النحو ، وإن كان بصورة غير سافرة ، فقد حاولوا تقييدها ، بنظائرهم أنهم يشيدون بالنبوة وبتبنيونها في انفس^(٢) ، ولكنهم رغم هذا لم يفعلوا أكثر من إثبات تحاملهم على النبوة وتفصيل الولاية عليها ، أو مساواتها بها على الأقل ، فاسهروردي يقول ، قد جعل للنبوة طريقاً مماثل طريق الولاية وهو شدة الاتصال بالنبل افعال ، وإن كان يميز النبي عن الولي بأن يشترط فيه ، أن يكون مأموراً من السماء بإصلاح النوع^(٣) ، كما أنه يجعل النبوة دائمة غير متقطعة ، ويرى أنها لم تنته بمحمد صلى الله عليه وآله وكأنه يرى بذلك إلى أن الفلاسفة أو الأولياء المتأخرين ، ليسوا في الواقع إلا أنبياء فإن هديته ، أن الأرض لا تفلح من مغلقة التآله ، لأنها لا تستغنى عن إمام . وما دام قد جعل طريق الإثنين واحداً فمن بالمنطق عنده أن النوعين متساويان ، بل يبالغ به الأمر إلى أن يفضل الولي على النبي ، لأن الولي عنده أكمل من النبي ، ولأولياء ، أو الفلاسفة الحكماء ، وإن كانوا يتساوون مع الأنبياء في التآله ، إلا أن النبي يتفهم عن الفلاسفة المتأخرين في البعث والحكمة ، ومن هنا كان النصف الأخير أحق من الأول بالخلافة عن الله والتأقي عنه^(٤) ، وبهذا فقد أنكر نصاً من اصول الدين

(١) ينظر ما تقدم من هذه الدراسة .

(٢) ينظر في ذلك مثلاً ، هياكل الدور للسهروردي ، الميسل السابع وخاصة ص ٨٧ من الطبعة الأولى تحقيق الدكتور (أبو ريان) .

(٣) مجموعة في الحكمة الإلهية ص ٩٥ ، قارن : أصول الفلاسفة الإشراقية عند السهروردي ص ٣٠٦ .

(٤) أصول الفلسفة الإشراقية ص ٨٩ نقلاً عن مقدمة حكمة الإشراق للسهروردي .

وأصلاً من أصوله ، وهو اكتمال النبوة والرسالة بمحمد ﷺ فضلاً عن
إزرائيل مقام النبوة مما تسبب في مقتله على يد صلاح الدين الأيوبي^(١) ، الذي
قضى على الخلافة الإسماعيلية في مصر .

والسهروردي في هذا متأثر بالقرامطة والباطنية الذين يرون أن الإمام
أرقى الواصلين في عصره . وأكثرهم اعتماداً لتأني إمام الأئمة الأئمة ،
وهو مأثور من هذه المقول ، ومفوض منها لنولي الإمامة^(٢) . وأن الأرض
لا تستغنى عن الإمام ، لأن الفيض دائم وباقي مستمرة^(٣) . وهذه
الفيض فإن الإمام يفوق درجة النبي في كثير من الأحوال .

وهذا الاتجاه هو أبرز ما يميز فلسفة ابن عربي وتصوره ، فإن النبوة هذه
أيضاً لم تنقطع ولم تنته عند محمد ﷺ ، ويستند إلى ذلك مبدأهم الياسني
في التأويل الذي يحرفون به الكلام عن مواضعه ، فيرى في تسمية الله سبحانه
نفسه في كثير من آيات القرآن الكريم بالولي وعدم تسمية النبي ، دليلاً على
هدم انقطاع النبوة أو الرسالة ، فإن لفظ النبي أو الرسول فيه مظهر للعبودية
والقرب والتواضع من الله ، فلا ينهض ذلك الاسم أن يرتفع بمسبحه إلى درجة
مشاركته الله سبحانه في اسمه ، أما لفظ الولي فيه مشاركة العبد للرب في
الإسم ، وهذا يشق على المخلصين من الأولياء ، أن ينزهوا الباري تعالى في
اسمه تواضعاً منهم ، فلذا أبقى لهم النبوة والرسالة دون انقطاع إكراماً لهم ،
والرسول صلى الله عليه وسلم وإن كان قد نفاها بعده ، أو جاء هذا في القرآن

(١) أصول الفلسفة الإشراقية ص ٩١ ، هياكل النور ص ١٢ (السهروردي)
نصحي التكميلي ص ٢٧ — ٣٠ .

(٢) أصول الفلاسفة الإشراقية ص ٨٨ .

(٣) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ص ١٨٢ ، ١٨٣ ، ص ١٨٨

الكريم ، فإنها ما انقطع منها إلا الاسم ، وإلا « الوحي الخاص بالرسول
والنبي من نزول الملك على أذنه وقلبه » ، وأما هي من حيث هيتها وحكمها
فما استخت ، بل باقية في الأولياء والعلماء والمجاهدين ولهم الأنبياء^(١) .
باقية في الأولياء والعلماء بالنسبة لباطنهم الباطن ، وبالنسبة أيضاً لوراثته
التشريعية^(٢) . وهذا ينبغي منه على أن النبوة نوعان : نبوة تشريعية ، وهي

(١) فصوص الحكم ص ١٣٤ — ١٤٥ ، الفتوحات المسكية ج ٢ ص ٣٣٥ ،
ومن قوله في ذلك : « وللاولياء في هذه النبوة مشرب عظيم ولا سيما النبي
ﷺ قد قال فيمن حفظ القرآن « إن النبوة قد أدرحت بين جنبيه ، فإنها له غيب ،
والنبي شهادة » ، ولكن الإمام الشوكاني قد ذكر في الفوائد المجموعة في
الأحاديث الموضوعة « باب فضائل القرآن » حديث رقم (٢١) ونصه : « من
قرأ ثلث القرآن أعطى ثلث النبوة ، ومن قرأ ثلثه أعطى ثلث النبوة ، ومن قرأ
القرآن فكأنما أعطى النبوة كلها » فذكر في سنده من هو كذاب ، ومن
يروى الأباطيل ، مما يجعل على القول بسند حديث ابن عربي الذي يستدل به ،
وهذا لأن شرط الفضل ليس العلم ولا الحفظ وإنما الشرط العمل .

(٢) فصوص الحكم ص ١٣٥ ، ومن قوله في ذلك : « إلا أن الله لطف
بعباده ، فأبقى لهم النبوة العامة التي لا تشريع فيها . . . وأبقى لهم الوراثة في
التشريع فقال : « العلماء ورثة الأنبياء » وما تم ميراث في ذلك ، لا فيما اجتهدوا
فيه من الأحكام الشرعية . . . ويعني بالاجتهاد ، اجتهاد الأولياء والأئمة المتلقاء ،
على مقتضى الذوق والتكشف ، لا اجتهاد العلماء المعرفين ، المبني على السطر
والاستدلال ، والبحث في القرآن والسنة ، ينظر الفصوص ص ١٦٢ ، ١٦٤ ،
والتعليقات ص ٢١٥ ، والفتوحات ج ٢ ص ٦٦٦ . وهو بهذا ينسخ حكم
الشريعة المحمدية ، بحكم علم الباطن الذي أتى به الأولياء عن طريق الاجتهاد
المبني على الذوق ، خاصة وأنه سبحانه أنبياء ورسلاً ، بعد محمد ﷺ ولهم الزيادة
في إثبات حكم أو نسخه حسب ما يصح لهم من الأحاديث بناء على ذوقهم
وتكشفهم ، انظر الفصوص ص ١٦٤ ، ١٦٣ .

النبوة الخاصة التي أتى بها المرسلون من طريق جبريل ، أو العقل الفعال وهي التي ختمت فقط بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ونبوة هلم وهي النبوة العامة التي ينصف بها الأولياء والأئمة وهي التي لم تلته بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وهلمها ليس من جبريل ولا عن طريق العقل الفعال ، وإنما هلمها من الله مباشرة ، ومن نفس الممدن الذي يأخذ منه جبريل ليروح بالذي يأخذه إلى الرسول^(١) ، ويستبدل لذلك بقول أبي يزيد البسطامي في مقارنته بين الكتاب والسنة — — — — — وأنها وصلا إلىنا عن طريق الصحابة ثم التابعين ثم تابعيهم . . . الخ — — — — — هلمهم الذي أخذوه من الله مباشرة « أفندتم علمكم ميئاً من ميت ، وأخذنا هلمنا من الحي الذي لا يموت »^(٢) .

فإلى جانب المقابلة بين التأويل والتفصيل ، وتفضيل الأول على الثاني ، نجد خطأ من قدر الصحابة (رضي الله عنهم) وهو اتجاه رافض وباطني ملحوظ . ويفصح عن هذا الاتجاه هند ابن هريرة ، ما يراه في اشرايح السماوية ، وإنها إنما يحتاج إليها ، للتعرف بأحوال الدار الآخرة ، وأن أمور الدنيا يستوى فيها تشريع الله لا تشريع الأنبياء^(٣) ، بل لنند ذهب إلى أن الولي يصل في علمه إلى ما يتصور الرسول عنه فيما يتعلق بالله وأسمائه وصفاته ، وذلك لأن النبي صاحب شرح وتشرع فقط لا هلمة له بالهلميات ، « فإذا رأيت النبي يتكلم بكلام خارج عن التشريع فن حيث هو ولي وعارف ،

(١) فصوص الحكم ص ٦٢ ، ٦٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٦٢ ، ١٩٦٢ ، التعليقات على الفصوص ص ٢٢٢ . انظر أيضا ما مضى من هذه الدراسة .

(٢) الفتوحات المسكية ج ٢ ص ٣٣٥ .

(٣) الفتوحات المسكية ج ٢ ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

ولهذا مقامة من حيث هو عالم أتم وأكمل من حيث هو رسول^(١) ، فإذا كانت النبوة قد انقضت ، والرسالة قد ختمت فمن حيث هي نبوة تشرع ، وأما النبوة بالمعنى العام الذي يفهمه ابن عربى وقرنائه ، أى نبوة الأولياء التى يتلقون فيها من الله مباشرة ، فإنها لم تنقطع^(٢) . ولهذا قال ابن سبعين : لعمرك زدت حديث : « لآبى يعنى » : « نبيا هربيا »^(٣)

وبطل ابن عربى هذا التفوق الذى يلبسه إلى الأولياء ، بذلك الذوق الصوفى أو الوعى الداخلى ، وذلك النظر العقلى ، الذى يتمتع به الأولياء^(٤) دون الأنبياء ، والذى يقوم بمهمة التأويل . وقد استبره أسمى سرية من الوعى الخارجى الذى يصفه بالساذجة والقصور من إدراك مالا ينال إلا بالذوق والعقل^(٥) . فالأولياء ههنا يتلقون الوعى ، كما يتلقاه الأنبياء ، ولكن رضى

(١) فصوص الحكم ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٢) نفس المصدر والمصفحة ، والتعليقات ص ٢٢٥ ، الفتوحات ج ٢ ص ١٦٦ .

(٣) شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ص ٩٣ ، ٩٤ .

(٤) القصص ٦٤ ، التعليقات عليها ص ٢٢ .

(٥) ومن قوله فى ذلك : « فلما كانت الأنبياء لا تأخذ علومها إلا من الوعى الخارجى الإلهى ، فقلوبهم ساذجة من النظر العقلى ، لعلمهم بقصور العقل من حيث نظره الفسدى عن إدراك الأمور على ما هى عليه . والأخبار أيضاً يقصر عن إدراك ما لا ينال إلا بالذوق فلم يبق العلم السكامل إلا فى التجلى الإلهى ، وما يكشف الحق عن أعين البصائر والأبصار من الأغشية فتترك الأمور فديعها وحديثها على ما هى عليه فى حقائقها وأعيانها » فصوص الحكم ص ١٣٣ ، وفى تعبيره هنا بالوعى الخارجى إشارة إلى مذهبه فى الوعى ، وأنه قسمين : خارجى وهو الوعى الخاص بالأنبياء الذى ينزل بالسريرة الظاهرة مع جبريل عليه السلام ، ودخلى وهو ما تتركه نفس الولى — بطريق الذوق والتجلى — عن الله مباشرة ، وهو الوعى الخاص بالأولياء الذى به يتلقون الشريعة الباطنة عن

الأولياء يأتيهم بتجلى الحق لهم وشاهدته ، وفي مجيء الوحي بهذه الطريقة عندهم من الشيطان ، « فهو وحي خالص لا يشوبه ما يفسده »^(١) . بسبب أنه من الذات الهية مباشرة على عكس وحي الأنبياء في نظره الذي يأتيهم عن طريق جبريل ، وهو بذلك لا يعمد أن يكون مجرد إخبار لا ذوق ، ولا اجتهد للنبي فيه . كما أنه يرى أن مرجع النفل عند الأنبياء ، هو ما يوصيهم من العلم ، النباطي الذي قلبه الأولياء : « فرجع الرسول والنبي المشرع إلى الولاية والهدى ، ألا ترى الله تعالى قد أمره بمطالب الزيادة من العلم ، لا من غيره ، فقال له أكرم (وقل رب زدني علما) وذلك أن الشرح تكليف بأعمال مخصوصة محمل هذه الدار ، والولاية ليست كذلك »^(٢) .

ويصف ابن تيمية هذا الاتقاء الذي يجده أيضاً عند إخوان الصفاء ، وابن سينا وغيرهم فيقول : « فإن هؤلاء الملاحدة من المتفائمة ومن سلك سبيلهم من المخالفين لما جاء به الرسول في الأمور العلمية ، كالوحد والحد وغير ذلك يقولون : إن الرسول أحكم الأمور العملية المتعلقة بالأخلاق والسياسة المنزلية والمهنية ، وأتى بشريعة عملية هي أفضل شرائع العالم »^(٣) . « وأما الأمور العملية التي أخبر بها من صفات الرب وأسمائه وملائسته وكتبه ورسوله واليوم الآخر - فلما رأوها تخالف ما هم عليه ، صاروا في الرسول فريسة : فقلاتهم يقولون : إنهم لم يكن يعرف هذه المعارف وإنما كلف في الأمور العملية »

الله ، أو عن النفس مباشرة لأن مذهبه في وحدة الوجود لا يفرق بين ذات الله وذات الولي أو الإنسان فهذا الأخير عنده جزء الأول أو صورة من صورته .

(١) الفتوحات المكية ج ٢ ص ٦٠ ، ٦١ .

(٢) فصوص الحسك ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٣) نقض المنطق ص ٨٥ .

وأما الأمور العلمية ، فالفلاسفة أعلم بها منه ومن غيره من الأنبياء »^(١) .

« ويبين صلة هؤلاء بالشيعة الغلاة فيقول : وهؤلاء يقولون : إن علياً كان غليظاً ، وإنه كان أعلم بالعليات من الرسول ، وإن هارون كان فيلسوفاً ، وكان أعلم بالعليات من موسى »^(٢)

والفريق الثاني منهم يقولون : « إن الرسول كان يعلم علمهم ، فيعرف أن الرب ليس له صفة ثبوتية ، ولا يرى ولا يتكلم ، وإن الأبدان لا تقوم إلى آخر ما يقول به الباطنية في الباطن ، ولكن ما كان يظهر ذلك للمامة »^(٣)

ويعلم على هذا أستاذنا الدكتور محمود قاسم بقوله : « فلا حظ أن النتيجة واحدة رغم وصف الرسول بالجهل عند الفريق الأول ، ووصفه بالكذب عند الفريق الثاني ، وهي أن التأويل يفسخ التنزيل »^(٤) أويلو عليه هلى الأقل .

وهكذا نجد الولاية الصوفية التي تقوم على العلم الباطني الآن عن طريق الفيض الإلهي ، والتي رأى فيها الفارابي السعادة الكاملة^(٥) ، والتي قال فيها أحد الغلاة من أولياء الشيعة : « إن الله أرسل محمداً بالتنزيل ، وأرسله هو بالتأويل »^(٦) . فقه العلم على نفسها ، وتخلي الأنبياء والرسول عنه ، وهو اتجاه

(١) نفس المصدر ص ١٣١ ، قارن رسائل إخوان الصفا ج ٤ ص ١٧٥ ،

١٧٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ إلى ١٩٦ .

(٢) تقص المنطق ص ١٣١ .

(٣) نفس المصدر ص ١٣٢ .

(٤) من إضافاته أعضاء مراجعة الرسالة .

(٥) آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٦٦ .

(٦) قائل هذا هو أبو منصور المجلى . لهمة بين التصوف والتشيع ج ٢

ص ٥٧ ، ١٣٤ ، ١٣٦ .

فسلمنى كذلك التتيا في تصوف ابن عربى .

وعما يظهر غلو ابن عربى تشييعه ، تفسيره للنبا العظيم ، فى قوله تعالى -
(هم ينساءون هن النبأ العظيم) بعلى بن أبى طالب وظهوره فى الوجود^(١)
وهى فكرة الشيعة الغلاة الذين وصلوا به إلى درجة الألوهية ، وفكرة
الباطنية على العموم .

فكرة خاتم الأولياء عند ابن عربى ومناقشتها :

وترتبط فكرة ابن عربى فى العلم الباطن بفكرة خاتم الأولياء قياساً على
خاتم الأنبياء ، وفى رأى ابن عربى أن خاتم الأولياء ، يعمل على الأنبياء ،
وهى الرسول صلى الله عليه وسلم^(٢) لأنه يستقى من الله مباشرة ، أى « من
المدن الذى يأخذه منه الملك الذى يوحى به إلى الرسول »^(٣) فى حين يمد
خاتم الأولياء أيضاً مصدراً يستقى منه الأولياء والأنبياء ، الذين ينح لهم
علم الباطن^(٤) .

وذلك راجع عنده إلى « أن الرسالة والنبوة — أهى نبوة الانشراح
ورسالته — تنقطعان ، والولاية لا تنقطع أبداً » فهذا مظهر أفضائيته عنده ، جعل

(١) سورة النبأ آية : ١ ، تفسير ابن عربى ج ٢ ص ١٨٤ ، قارن الصلة بين
التصوف والتشيع ج ١ ص ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، السكافى ج ٢ ورقة ٣٧ مخطوط بدار
الكتب (رقم ٢١٢٢٦ ب) لصاحبه أبو جعفر محمد بن يعقوب السكافى .

(٢) يلاحظ أن ابن عربى يتكلم هنا عن ختم الولاية المحمدية ، لأنه يرى أن
الختم ختمان : ختم الولاية المطلقة ، وهو عيسى عليه السلام ، وختم الولاية المحمدية ،
وهو ما يتكلم عنه هما (انظر الفتوحات ج ٢ ص ٦٤) .

(٣) فصوص الحكم ص ٦٢ .

(٤) نفس المصدر والصفحة .

خاتم الأنبياء والأنبياء يأخذون من خاتم الأولياء^(١) ، عليهم الباطن الذي يتصل بالله ولكون ؛ — إن كان منهم شيء من هذا العلم . ويعمل ذلك بتعليم ، مبقى على المخالطة وتنقيص الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فيرى أن ختم الله سبحانه نبوة التشريع بمحمد صلى الله عليه وسلم « صير من كان نبيا عند بشته صلى الله عليه وسلم وليا بحسن الاستماع وحكم الاتباع ، والتحق بالامة ، كذلك جرى الحكم في هذا الولي الآتي بهذا الظلم العلى ، فليس اعلمت بالزمان ، وإنما هو باستيناء مقام العياز »^(٢) . فلهذا عرف أن مرتبة الرسل والأنبياء ، باقية في الدنيا والآخرة (ومن يطع الله والرسول ، فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين . . .) ثم إن هؤلاء الرسل ، كانوا المثل العملي التي أسس الله رسوله بالمثل بها « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » . « أولئك الذين هدى الله فبهم دائماً ، اقتد به . . . فسكيف يكون جزاؤهم على حسن طاعتهم وصبرهم على أذى قلوبهم في تبليغ رسالتهم ، أن يعفى عنهم من ديوان النبوة^(٣) ويلاحظون بالأولياء الماديين من الامة ؟ . ثم بعد ذلك يأخذون من مشكاة خاتم أولياء الصوفية ؟ .

ولقد ذهب في تكوين نظريته هذه ، وتأكيده اتجاهه الفلسفي المخالف لروح الإسلام ، إلى أن مثل خاتم الأولياء ببلبلتين ، إحداها فضة ، ويشير

(١) نفس المصدر ص ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ .

(٢) عنقاء مغرب ص ٧١ .

(٣) كما صرح بذلك في جانب العزير في جعله العبارة التي ينسبها إلى الله « لأخون امك من ديوان النبوة » وعدلاً وعيداً ، أى وينقله إلى ديوان الولاية ، هيأته الأمر والوحى على التجلى ، بعد أن كان يأتيه بالتلقين والإخبار فقط ينظر للفصوص (الفص العزيرى) ص ١٦٤ ، ١٣٦ .

بها إلى الظاهر الذي يتبع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ، والأخرى ذهباً ويشير بها إلى علم الباطن الذي يأخذه عن الله مباشرة . « ولما كان الذهب أفضل فالنأويل أفضل من التنزيل ، أي أنه ناسخ له في التحليل الأخير »^(١) .

ولعله من الواضح أن فكرة خاتم الأولياء هذه فكرة داخلية ، قصد بها للموازنة بين الشرع الظاهر والشرع الباطن ، وليست من الإسلام في شيء ، وبذلك هناك ما يرويه ابن عربي من أن الله قد أكرم محمداً صلى الله عليه وسلم فجعل من أمته رسلاً بعده (يقصد بهم الأنبياء) وأن خاتم الأولياء هذا ليس له هؤلاء الرسل من هو أرق منه^(٢) ، وهو إن لم يكن علويًا في النسب ، فهري هادي بن المشهد والولاية ، ومقامه فوق مقام الصديق لأنه « أخذ نوره من مشكاة النبوة بالوراثة الروحية » وهو « أكبر من مشكاة الصديقية »^(٣) .

والوراثة الروحية هذه هي الأخذ عن الله مباشرة ، لأن في رأيه أن كل نبي يموت ، يرفع الله شريعته عنده ، ويرثها عنه ، وقد جاد بهذه الشرائع على أولياء علم الباطن . « فهم أجمع الرسل على هذا السند العالي المحفوظ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »^(٤) .

(١) من تعليقات أستاذي الدكتور محمود قاسم أثناء مراجعته هذه الرسالة ، وأنظر من باب التقابل بين هذا التحليل ، وبين تصريح ابن عربي بوجهته هذه في موضع آخر . الفصوص ص ١٦١ — ١٦٤ .

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ١١ .

(٣) عنقاء مغرب ص ١٨ ، ١٩ نقلاً عن الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ١٧٥ ، ١٧٧ ، ينظر كذلك عنقاء مغرب ص ١٧ ، ٢٠ ، ٧٧ ، ٧٩ المطبعة الرحمانية سنة ١٣٥٣ .

(٤) الفتوحات ج ٢ ص ٣٣٥ .

ونلاحظ أن في تفضيل هذه الوراثة المدعاة ، على رتبة الصديقية مظهر من مظاهر (الرفض) والباطنية ، كما يقول الإمام الشوكاني^(١) .

وهذا الذي يقوله في علم الأولياء ، هو ما تذهب إليه الشيعة الغالبة في علم (علي) رضي الله عنه والأئمة من بعده^(٢) .

وفكرة خاتم الأولياء ، فكرة باطلة لم يرد بها شرع ، ولا يوافق عليها هقل ، وهي من اختراع الحكيم الهرمزي ، ثم صار يقول بها ويدعيها لنفسه ، كل من تسول له نفسه الطعن على الأنبياء ، أو إبطال الشريعة الإسلامية ، من اتباع الباطنية الغنوصية^(٣) .

ومفصّل الميسم في هذا أن يصلوا في نظر أتباعهم إلى رئاسة خاتم الأنبياء^(٤) ، فإن كون الرسل والأنبياء بما فيهم النبي الخاتم ، يأخذون منهم من ولاية من مشكاة خاتم الأولياء ، معناه أن خاتم الأولياء أفضلهم وأرق منهم في العلم والمعرفة ، وأن العلم الباطن هو المسند ، وناسخ للشرع الظاهر كما تقدم . وهذا الذي ابتدع ذلك قد تناقض هذا الابتداع وأبطله بنفسه ، فإنه لما ذكر هذا في كتاب (ختم الولاية) ادعى بأنه يكون في المتأخرين بناء على هذا من درجته عند الله أعظم من درجة أبي بكر وعمر ، ثم قال بعد ذلك بعدم أفضلية أحد على أبي بكر وعمر ، كرد لبعض الآراء التي تشترط في الولاية العزلة

(١) قطر الولي في : (مبدأ الباطنية) .

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ٥٧ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، وقارن صدر هذه الدراسة في (فصل مفهوم الولاية عند الشيعة والتصوف ص ٧٢ — ٧٤) .

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٨٤ ، ٨٥ ، مجموعة الرسائل والمسائل ج ١ ص ٥١ ، ج ٤ ص ٥٩ .

(٤) نفس المصدر ج ١ ص ٥١ .

عن الناس^(١) .

وآخر الأولياء في الحقيقة ، كما يدل عليه المعنى القوي لهذين اللفظين ، وكما يفهم من سكوت الدين عن هذا الاسم وعدم ورود شيء بشأنه ، هو آخر مؤمن تبقى تقوم عليه القيامة ، وليس هو بخير الأولياء ولا أفضلهم ، لعدم ورود نص في هذا ، بل أفضلهم أبو بكر ، ثم عمر اللذان ما طلعت الشمس ، وما غربت هلي أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل منهما بنص الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك^(٢) .

كما أن رتبة الصديق — وهي رتبة أبي بكر رضي الله عنه — هي أعلى رتبة بعد النبي ، وهي فوق رتبة الخدث ، « لأن الصديق يناق عن الرسول المصوم كل ما يقوله ويفعله ، والخدث يأخذ عن قلبه أشياء ، وقلبه ليس بمصوم ، فيحتاج أن يعرضه على إمام به النبي المصوم صلى الله عليه وسلم » وهو ما كان يفعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع الصحابة رضي الله عنهم ولا يقوله لهم أنا محدث ملهم مخاطب فيأبى لكم أن تقبلوا مني ، ولانعازوز » فكان يخرج لهم ، ويحتجون عليه بالسكتاب والسننة^(٣) .

(١) نفس المصدر ج ٤ ص ٥٩ .

(٢) المصدر المتقدم ج ١ ص ٥٢ ج ٤ ص ٦٠ ، ويروي ابن تيمية في ذلك عن الترمذي وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في أبي بكر وعمر : « هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين » قال الترمذي حديث حسن . وفي صحيح البخاري عن علي (رضي الله عنه) أنه قال له أبوه : يا أبت ، من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : « يا بني ، أبو بكر » قال ثم من ؟ قال : « عمر » . وروى بضع وثمانون نفساً عنه أنه قال : « خير هذه الأمة بعد نبيا أبو بكر ثم عمر » . نفس المصدر والصفحة .

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٢٠ .

فليس هناك خاتم الأولياء بهذا المعنى الباطني ، « فإن الولي لا يأخذ من الله إلا بواسطة الرسول إليه » وحتى إذا كان محدثاً قد ألقى إليه شيء من طريق الإلهام فإنه يجب عليه أن يزنه بميزان الكتاب والسنة ، وبها واسطة الرسول صلى الله عليه وسلم^(١) .

وعلى هذا فكل « من بلغه رسالة رسول لا يكون ولياً لله » إلا إذا اتبع ذلك الرسول الذي أرسل إليه . وكل من بلغه رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لا يكون ولياً لله إلا باتباع محمد صلى الله عليه وسلم^(٢) . « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله »^(٣) . « قل أطيعوا الله والرسول » فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين^(٤) .

وعلى هذا فليس هناك مجال للمفاضلة بين الأولياء والأنبياء ، فضلاً عن أن يقول أحد بفضل الأولياء على الأنبياء ، لأن هؤلاء نوع ، وهؤلاء نوع آخر ، والمفاضلة لا تكون إلا بين أبناء نوع واحد ، كالمفاضلة بين الأولياء بعضهم وبعض ، أو بين الأنبياء بعضهم وبعض ، وكل اتجاه يخالف ذلك فهو يحمل بين ثنياه روافد خبيثة ، قد أمدته بها عناصر إلهادية لا تؤمن بدين^(٥) .

(١) نفس المصدر ص ٧٠ ، ٧١ ، ٨٦ ، ٨٧ ، مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٦٤ .

(٢) الفرقان لابن تيمية ص ٨٦ .

(٣) سورة آل عمران آية : ٣١ .

(٤) نفس السورة آية : ٣٢ .

(٥) ينظر : قطر الولي في (نصيب العاملين من الولاية) وقارن : نشأة الفسك الفلسفي في الإسلام للدكتور النشار ص ٤٥ .

نهاية المطاف

وبهذا ، ننتهي إلى أن الولاية الصوفية ، والإمامة عند الغلاة من الشيعة ، لا تصلح كليهما أن تكون قدوة لنا ، ولا أن يكون طريقتيهما طريقاً يوصل إلى درجة الولاية لله سبحانه ، التي نتمناها بها في حديث الأولياء ، أو في غيره من آيات القرآن الكريم .

ولمّا الطريق إلى ذلك ، هو الطريق الذي رسمه القرآن الكريم ، وجاءت به السنة الصحيحة .

وقد تقدم الإمام الشوكاني ، فساهم ضمن من ساهموا من العلماء السلفيين ، وغيرهم من أئمة السنة الصحيحة الخالصة من كل شوب ، في كشف هذا الطريق وتبيينه ، لمن لم يستطع وحده تبيين معالمه ، وسط هذه الأدغال ، وتلك البدع ، التي حاول بها هؤلاء الصوفية ومن انحازهم من الفلاسفة ، أن يطمسوا تلك المعالم ، وأن يطفئوا نور الله بأفواههم ، وقدم لنا كتابه : (قطر الولي على حديث الولي) الذي هو موضع التمتع ، وهذه الدراسة .

الفقرة الثالثة

قطر الولي على حديث الولي

للإمام محمد بن علي الشوكاني

المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ

النسخ التي رجعت إليها في التحقيق

بعد البحث والجهد ، لم أجده إلا مخطوطتين اثنتين ، الكتاب :
(قطر الولى) .

الأولى — نسخة بخط المؤلف (محمد بن علي الشوكاني) وتوجد بمكتبة
الجامع الكبير بصنعاء في مجلد واحد مع (نثر الجواهر على حديث أبي ذر)
للمؤلف تحت (رقم ٨٦٦ ، حديث) وقد انتهى من كتابتها سنة ١٢٣٩ هـ
وهي بحجم متوسط ، وقد أحضرت هذه النسخة ، وأخذت لها صورة على
(ميكرو فيلم) عن طريق معهد المخطوطات بالجامعة العربية بالقاهرة ، فاستطاعت
معهذا خروج هذه الصورة ، فأخذت لتلك النسخة صورة أخرى (بالفوتوستات)
بدار الكتب المصرية . وهذه الصورة الأخيرة ، موجودة الآن بدار الكتب
المصرية تحت رقم (٣٣٤٧٤ ب) إلى جانب الصورة التي هي ، ولقي أخذتها
أخيراً من معهد المخطوطات بالجامعة العربية . وكانت هذه النسخة بحالة جيدة ،
حينما أحضرتها للتصوير ، ليست بها خروم ، ولا تآكل ، أو تلف ، أو تشويه
يؤثر على وضوح الكتابة ، أو يهدم اتصال الكلام .

وهذه صفحات هذه النسخة ١٣٦ صفحة ، ومكتوبة بخط الرقعة الخالي من
النقطة في أكثر الأحوال ، وكتابتها تنسم بطابع التسرع ، ففيها كثير من
الاشتباه إلى جانب الخطأ في كثير من الآيات القرآنية ، وتكرار بعض
الكلمات أو نقصها ، ونقص بعض الحروف ، وتصحيف البعض وعدم
التجويب ، مما يعطى أنها مسودة لم تبيض بعد كما أشار إلى ذلك ، كاتب النسخة
الثانية حين نقلها من هذه النسخة .

وفي بعض الأحيان ، يكتب الإمام الشوكاني ، التضاد (ظ) حسب
نطقهم ، وكذلك قد يهمل كلمتين ، من شأنهما أن يفصلا مثل : (ما) اسم
موصول به (كل) في قوله (كلما يناله)

والإمام الشوكاني فيها يسكاد ياتزم قصر الممدود وتسهيل الممدودة وهدم
كتابتها إذا جاءت في الوصل ، كما أن فيها بعض الأخطاء الإملائية ، والنحوية ،
رغم أن الإمام الشوكاني ، يعتبر حجة في النحو وفي آخر صفحة فيها (ص ١٣٦)
تعلق ثلاثاً من الفراء العلماء وقرىظهم وتوقيهم ، إلى جانب توقيع الإمام
الشوكاني

وقد اهرت هذه النسخة الأصل ورمزت إليها ، بحرف (أ)
الثانية : مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم (٥٦٤ حديث) بالمكتبة
النيمورية كتبت من النسخة (أ) بخط رقعة واضح ، منقوط إلا في القليل ،
بخط مجهول (سنة ١٢٤٠ هـ) ، وقد قرأها وأجازها بعد كتابته تلميذ
المؤلف (محمد بن أحمد الشاطبي) .

وهي في حجم متوسط ، صفحاتها (٢٢٤) وحالتها جيدة ، لولا أن بها
بعض الحروف ، التي كادت أن تضيع معالم بعض الحروف .

وكانها ، يلتزم تسهيل الممدودة ، مثل الشوكاني ، وقصر الممدود ، وأخطاء
(أ) تسكاد تكون كلها فيها ، وتزيد عليها (ب) ، في أن بها بعض حالات
سقوط الكلمة أو الكلمتين ، أو السطر بأكمله ، أو الآية القرآنية كلها ،
التي أثبتتها مسودة الشوكاني ، إلى جانب بعض التصحيف من النسخ ، وهي
تمتاز بإثبات بعض الكلمات التي يقتضيها المقام أو الأسلوب ، والتي سقطت
من المؤلف في (أ) وكذلك بعض الحروف ، أو إثبات بعض الحروف التي

تتمشي مع الأسلوب ، والتي يكون الشوكاني ، قد وضع في مقابلها ، حرفاً
لا يتمشى مع السياق ، أو لا يستقيم به الأسلوب .

كما أن روايتها بعض تعليقات من الفراء ، لتوضيح كلمة ، أو ذكر
مناسبة .

وقد نقل الناسخ هذه الملاحظة دون تبويب أيضاً ، على غرار الأصل .

وقد رمزت إليها بالحرف (ب) .

منهج تحقيق النص

١ — وضعت أرقام صفحات الأصل ، بالهاش الآين من التحقيق .

٢ — قد يسقط في الأصل ، كلمة أو حرف من كلمة ، أو يأتي (بين) في موضع (هلى) ، أو (فيه) بدل (فيها) ، أو يغلط خطأ إملائياً أو نصوياً ، فأضع الساقط أو ما أراه ، هو التصواب بين معقوفتين ، وأنبه عليه في الهاش .

٣ — الأخطاء ، أو الزيادات ، في كلمتا اللسختين ، أو النقص في (ب) نبهت عليها أيضاً .

٤ — ما جاء من خطأ من المؤلف في الآيات القرآنية أصلته دون أن أنبه عليه ، أما ما جاء منه من تغير بعض ألفاظ الأحاديث أو زيادتها ، أو نقصها ، فقد نبهت عليه عند العثور على هذه الأحاديث في مصادرها الأصلية .

٥ — لاحظت أن الناسخ ، في (ب) يذكر كلمة تعالى دأماً ، بعد لفظ الجلالة ، مخالفاً بذلك الأصل ، فكنت أنبه عليه في البدء ، فلما وجدته مبدأً مطرداً ، اكتفيت بإثبات لفظ الجلالة فقط كما جاءت في الأصل ، دون أن أنبه على المخالفة في (ب) .

٦ — ما وجد من اختلاف بين اللسختين ، وازنت بينه ، وأمضيت ما هو أقرب إلى التصواب ، فإن كان التصواب في (أ) ، أشرت إلى الاختلاف في (ب) ، وإن كان في (ب) أثبتته بين معقوفتين ، بدلا من الخطأ في (أ) ونبهت على ذلك .

٧ — حققت النصوص التي نقلها الشوكاني عن غيره ، في مصادرها التي نقلها عنها ، إلا ما تعذر الوصول إليه ، وهو قليل جداً .

٨ — يلاحظ أن الإمام الشوكاني قد خرج كل الأحاديث التي استعمل بها فسكناني بذلك ، وؤنة هذا العمل .

٩ — ترجمت للأهلام ، إلا ما تمنع الوصول إليه ، وهو قليل جداً وغالبه من رجال السند في الأحاديث ، وقد عرف بهم الشوكاني نفسه إما بالتصنيف أو التوثيق ، وما ترجمت له ثم تكرر ذكره ، لم أشر إلى مكان الترجمة ، اعتماداً على إمكان الوصول إليه — لمن لم يقف على ترجمته السابقة — من فهرس الأهلام المنبث في النهاية .

هذا ، وقد قمت بتبويب أجزاء الكتاب وهنوتها ، حسبما هو موجود في التحقيق .

صورة لصفحات النسخة التي كتبها

الإمام الشوكاني بخطه وهي المرموز إليها بحرف (ا)

[illegible]

قصر الولي
عليه السلام
الولي

صورة للصفحة الثانية من المخطوطة (أ)

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وآله الأكرمين ، ورضي الله عن
صحابته الأفاضلين وبعد :

فإنه لما كان حديث : (من هادى لى ولياً) قد اشتمل على فوائد كثيرة
المنفعة ، جليلة القدر لمن فهمها حق فهمها ، وتدبرها كما ينبغي ، أحببت أن أفرد
هذا الحديث الجليل ، بؤلف مستقل ، أثمر من فوائده ما تبلغ إليه الطاقة
ويصل إليه الفهم ، وما أحقه بأن^(١) يفرد بالتأليف ، فإنه قد اشتمل على كلمات
كلها دور ، الواحدة منها تحتها من الفوائد ما يستغنى على البعض منه . وكيف
لا يكون كذلك وقد حكاه عن الرب سبحانه من أوتي جوامع الكلم ، ومن
هو أفصح من نطق بالضاد ، وخير العالم بأسره ، وأجل خلق الله ، وسيد ولد
آدم صلى الله عليه^(٢) وآله^(٣) وسلم ؟ .

ولم يستوف شرح الحديث رحمهم الله ما يستحقه هذا الحديث من الشرح .

(١) في ب (أن يفرد) .

(٢) في ب (صلى الله تعالى) .

(٣) في ب : زيدت (وعلى آله) .

فإن ابن حجر (*) رحمه الله لم يشرحه في فتح الباري (***) إلا بنحو ثلاث ورق (١) مع أن شرحه أكل شرح البخاري (***)، وأكثرها تحقيقا، وأعمها نفعا. ولا حاجة لنا (٢) في الكلام على رجال إسناده، فقد أجمع أهل هذا الشأن أن أحاديث الصحيحين أو أحدهما كلها من المعلوم صدقه بالمقبول المجمع على ثبوته. وهذه الإجماعات تندفع كل شبهة، ويزول كل تشكيك.

وقد دفع أكبر الأئمة من تعرض للكلام على شيء مما فيهما، وردوه أباغ رد، وبينوا صحته أكل بيان. فالكلام على إسناده بعد هذا، لا يأتي بفائدة يعتد بها. فكل رواة قد جازوا القنطرة، وارتفع عنهم القيل والقال،

(١) وذلك من نصف ص ١٩٢ إلى نهاية ص ٢٩٨ ج ١١ من الطبعة الأولى الميرية سنة ١٣٠١ هـ.

(٢) في ب: سقطت كلمة (لنا).

الأعلام

(*) هو قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد الكنتاني العسقلاني الأصل المصري الشافعي، المعروف بابن حجر، لم يكن في عصره حافظ سواء وزادت مصنفاته على مائة وخمسين، وهو صاحب فتح الباري بشرح صحيح البخاري: (٧٧٣ — ٨٥٢ هـ).

(**) تقدم التعريف به. ينظر: معجم المطبوعات العربية والعربية (اسركيس) ص ٧٧ — ٨١.

(***) هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، صاحب (الجامع الصحيح) أجل كتب الإسلام وأفضاها بعد كتاب الله العزيز (القرآن) ولد ببخاري سنة ١٩٤ هـ، ومات في (خرتاك) إحدى قرى سمرقند سنة ٢٥٦ هـ.

وصاروا أكبر من أن يتكلم فيهم بكلام ، أو يتناولهم طعن طامع ، أو توهين موهن .

وتيمية (قطر الولي على حديث الولي) . قال في الصحاح : والولي المطر بعد الوسمي ، سمي ولياً لأنه يلي الوسمي . وهو من حديث أبي هريرة (٥) . ولفظه في البخاري هكذا : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله تبارك وتعالى قال : من عادى لي ولياً ، فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال (١) عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده الذي يمس به ، وبشاهدي به ، وإن سألني لأعطيته ، وإن استعاضني أعوضته ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت ، وأكره مساءته » (٣) . انتهى .

(١) في ب : (ما زال) .

(٢) في ب (يده التي ورجله التي) وقد أجاب الشوكاني عن ذلك التذكير في موضع التائيد حين شرحه لهذه العبارة .

(٣) بين ألفاظ الحديث هنا وفي فتح الباري في الصفحات المشار إليها فيما تقدم ، وفي طبعة (الشعب ص ١٣١ ج ٨) ، اختلاف يسير في الألفاظ ، وليس له تأثير في المعنى . وقد قال ابن تيمية عن هذا الحديث : إنه أصح حديث روى في الأولياء . الرد الأقوم على ما في كتاب فصوص الحكم ص ٤٧ ، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٢٣ .

وقد خرج السيوطي من عدة طرق فقال فيها : كل رجال أسانيد هذه الطرق =

الأعلام

(٥) هو الإمام الفقيه المجتهد عبد الله بن عامر الدرسي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثر الصحابة رواية للحديث ، توفي سنة ٥٧٢ هـ .

قوله : « إن الله [تبارك] »^(١) وتعالى » قال^(٢) : هذا من الأحاديث الإلهية القدسية^(٣) ، وهو يحتمل أن يكون مما تلقاه صلى الله عليه وآله وسلم ، عن ربه بلا واسطة ، ويحتمل أن يكون مما تلقاه صلى الله عليه وآله وسلم عن ربه^(٤) بواسطة الملك .

== قد حازوا القبول ، إلا (خالد بن مخلد) في رواية (الذهبى) في الميزان فإن الذهبى لم يقبله منه إلا لجيشه من طريق البخارى ، وإلا عبد الواحد في رواية أحمد بن حنبل ، فقد اختلف فيه ، وثقة البهمنى ، وضعفه البعض . وقد ذكر السيوطى زيادة في آخره « تبدأ من قوله : « وإن من عبادى المؤمنين لمن يسألنى الباب من العبادة ، فأكفه عنه أن لا يدخله عجب فى فيفسده ذلك » . (القول الجلى فى حديث الولى) ص ٢٥٩ ضمن مجموعة رسائل السيوطى رقم ٢٥ مجاميع مخطوط بدار المکتب المصرية . وقد خرجه أيضاً ، الأستاذان : الدكتور عبد الحليم محمود ، وطه عبد الباقى سرور . ضمن الأحاديث التى خرجها فى كتاب (اللع) للسراج ، فقال عنه : « هو حديث قدسى ، رواه البخارى عن أبى هريرة ، وأحمد عن عائشة ، والطبرانى فى الكبير ، عن أبى أمامة ، وابن السنى عن ميمون . وقد أخطأ من زعم أن البخارى انفرد بروايته » . اللع للسراج ص ٥٦٥ رقم (٣٠) . وبعد هذا ، فلا اعتداد بقول من قال : إن هذا الحديث من غرائب البخارى ، مثل السيد محمد رشيد رضا وغيره .

(١) (تبارك) سقطت فى نسخة (أ) ، ولا بأس من وجودها .

(٢) الفائل : ابن حجر .

(٣) الحديث القدسى : هو ما كان إلفظه من عند الرسول صلى الله عليه وسلم ومعناه من عند الله بالإلهام ، أو بالنام ، دون واسطة جبريل عليه السلام ، وأضاف الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرب عز وجل ورواه عنه ، وليس منظوراً فى نظمه إلى إعجاز . أما سائر أحاديثه صلى الله عليه وسلم غير القدسية ، فلم يضيفها إلى الله تعالى ولم يروها عنه . (قواعد التحديث لمجدهال الدين القاسمى ص ٦٦) .

(٤) (عن ربه) سقطت فى : (ب) .

— ٢٣٣ —

قل الكرماني (*) : « يحتمل أن يكون من الأحاديث القندية ، ويحتمل
أن يكون لبيان الواقع . والراجع الأول » .
وقد وقع في بعض طرق هذا الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم حدث
به عن جبريل عن الله عز وجل .

الأعلام

(*) محمد بن يوسف بن علي الكرماني ثم البغدادي ، له شرح على البخاري
يسمى بالسكواكب الدراري ، (٧١٧ - ٧٨٦ هـ) .

الفصل الأول

من هو الولي ؟

تعريف الولي :

قوله : من حادى لى ولياً قال فى الصحاح : والولى ضد العدو انتهى .
والولاية ضد العدو ، وأصل الولاية المحبة والتقرب كما ذكره أهل اللغة ،
وأصل المداوة البنض واليعد . قال ابن حجر فى فتح البارى : المراد بولى الله
العالم بالله تعالى [المناسب] ^(١) على طاعته الخالص فى عبادته « انتهى » ^(٢) .

وهذا التفسير للولى ، هو المناسب ل معنى الولي للضاف إلى الرب سبحانه .
ويدل على ذلك ما فى الآيات القرآنية . كقوله سبحانه ^(٣) : (ألا إن أولياد
الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشري
فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبدل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) ^(٤)
وكقوله عز وجل : (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات
إلى النور) ^(٥) .

وكقوله سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف
يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أذلة على الكافرين ، يجاهدون
فى سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله
واسع حلیم . إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون

(١) فى أ ، ب والأصل الذى نقل عنه الشوكانى ، وهو (فتح البارى) :
(المواضب) بالضاد .

(٢) ج ١٣ ص ٢٩٣ .

(٣) فى ب (تعالى بدل سبحانه) .

(٤) سورة يونس ، آية : ٦٢ - ٦٤ .

(٥) سورة البقرة ، آية : ٢٥٧ .

الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم
الغالبون^(١) . وغير ذلك من الآيات . فأوليا الله هم^(٢) خاص هباده القائمون
بطاهاته المخلصون له .

أفضل الأولياء :

وأفضل أولياء^(٣) الله هم الأنبياء ، وأفضل الأنبياء هم المرسلون ، وأفضل
المرسل هم أولو العزم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، ومحمد صلى الله عليهم
وسلم . وأفضل أولي الله نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو الذي أنزل
الله سبحانه^(٤) عليه : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)^(٥) .
فجعل سبحانه صدق محبة الله هز وجل متوقفة على اتباعه ، وجعل اتباعه
سبب حصول المحبة من الله سبحانه .

وقد أدهت اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه وأولياؤه^(٦) .
(قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل أنتم بشر من خلق ، يغفر لمن يشاء ، ويعذب
من يشاء ، والله ملك السموات والأرض ، وما بينهما وإليه المصير)^(٧) . بل

(١) سورة المائدة آية ٥٤ — ٥٦ .

(٢) وهم المسلمون الذين آمنوا بالله سبحانه وبأنبيائه ، وملائكته وكتبه
ورسله... الخ .

(٣) في (ب) (أولياء الله سبحانه) .

(٤) في (ب) بعد سبحانه : (وتعالى) .

(٥) سورة آل عمران ، آية : ٣١ .

(٦) في (ب) لا توجد (وأولياؤه) .

(٧) سورة المائدة آية : ١٨ .

أدعوا أنه لا يدخل الجنة إلا من كان منهم^(١) . (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيتهم، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن ، فله أجره عند ربه ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)^(٢) . بل قد ادهى ذلك مشركو العرب كما حكى الله سبحانه ذلك عنهم بقوله : (وإذ يصر بك الذين كفروا ليثبتوك ، أو يقتلوك ، أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) إلى قوله : (وما كانوا أولياءه ، إن أولياؤه إلا المتقون ، ولكن أكثرهم لا يعلمون)^(٣) . وهم في الحقيقة أولياء الشيطان ، كما قال تيز وجيل : (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان كان ضعيفاً)^(٤) وقال سبحانه : (فإذا قرأت القرآن ، فاستمعوا لله وأنصتوا لعلكم تفلحون)^(٥) . فاستمعوا لله ، فاستمعوا لسلطان الرحيم ، إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . إنما سلطانه على الذين يتولونه ، والذين هم به مشركون)^(٦) . وقال سبحانه : (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا ، إلا إبليس كان من الجن ، فسحقه من أمر ربه ، أفتستخذونه وذريته أولياء من دوني ، وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً)^(٧) .

(١) يظهر أنه أخذ هذه الفكرة عن ابن تيمية . انظر الفرقان بين أولياء الرحمن ، وأولياء الشيطان ص ٢٧ - ٢٩ . طبعة صبيح سنة ١٩٥٨ .

(٢) سورة البقرة آية : ١١١ ، ١١٢ .

(٣) سورة الأنفال آية : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ .

(٤) سورة النساء آية : ٧٦ .

(٥) في أ ، ب (وإذا قرأت) وهي خطأ .

(٦) سورة النحل آية : ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ .

(٧) سورة الكهف آية : ٥٠ .

[وقال سبحانه (١)] : (ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً) (٢) وقال سبحانه : (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم للطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) (٣) .

وقال سبحانه : (إنما ذكركم الشيطان يخوف... أوليائه ، فلا تخافوهم ، وخافون إن كنتم مؤمنين) (٤) . وقال : (إنما جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) (٥) وقال : (اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ، يحسبون أنهم مهتدون) (٦) وقال سبحانه : (إن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليهبوا لكم) (٧) . وقال الخليل عليه السلام (٨) : (يا أيُّدائي أخاف أن يملك هذا من الرحمن فتسكون الشيطان ولياً) (٩) . وثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم أن الصحيحين وغيرهما أنه قال : « إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء ، إنما ولى الله وصالح المؤمنين » . وهو كقول الله سبحانه : (وإن تطاعوا عليهم ، فلان الله

(١) لا توجد في (١) ولعلها سهو من المؤلف إذ بها تتميز الآيات بعضها من بعض خصوصاً وأنها من سور مختلفة ، وأن المؤلف سلك ذلك المسلك قبل هذه الآيات وبعدها .

(٢) سورة النساء : ١١٩ .

(٣) سورة البقرة : ٢٥٧ .

(٤) سورة آل عمران : ١٧٥ .

(٥) سورة الأعراف : ٢٧ .

(٦) سورة الأعراف : ٣٠ .

(٧) سورة الأنعام : ١٢١ .

(٨) في (ب) صقت من الناسخ (صلى الله عليه وآله وسلم) .

(٩) سورة مريم : ٤٥ .

هو مولاه وجبريل وصالح للومنين ، ولللائسكة بعد ذلك ظهير^(١) .

طبقات الأولياء :

قال الإمام تقي الدين ابن تيمية * رحمه الله : « (فصل) وأولياء الله على طبقتين : سابقون ، مقربون ، وأبرار أصحاب يمين مقصدون . ذكرهم الله سبحانه في هذه مواضع من كتابه ، في أول الواقعة ، وآخرها ، وفي سورة الإنسان ، والمطففين ، وفي سورة فاطر ، فإنه سبحانه ذكر في الواقعة ، القيامة الكبرى في أولها ، وذكر القيامة الصغرى^(٢) في آخرها . فقال في أولها : (إذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة ، إذا رغبت الأرض رجاء ، وبست الجبال بئاً ، فكانت هباء منبثاً ، وكنتم أزواجاً ثلاثة ، فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم . ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين^(٣)) فهذا تقسيم الناس إذا قامت القيامة للكبرى التي يجمع الله فيها الأولين والآخرين كما وصف في كتابه في غير موضع . ثم قال في آخر السورة

(١) سورة الطلاق : ٤ .

الأعلام

(*) هو أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الدمشقي . نشأ في بيئة علم وأدب ، ولد في ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ . درس في دمشق ونضج في دراسته ، حتى صار أحد الأئمة الأعلام ، وزادت مؤلفاته على الثلاثمائة ، وكان له فضل كبير في جهاد التشتر ، وإنزال الهزيمة بهم . توفي سنة ٧٢٨ هـ .

(٢) القيامة الكبرى : هي يوم القيامة عند انتهاء الدنيا . والصغرى : هي موت الإنسان في دار الدنيا .

(٣) سورة الواقعة : ١ - ١٤ ، من ٨٣ - ٩٦ .

« فلولاً » ، أى فهلاً ، (إذا باغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون . ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فلولاً إن كنتم غير مدبرين . ترجمونها إن كنتم صادقين . فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم . وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من جهنم وتصلية جهنم . إن هذا هو حق اليقين . فسبح باسم ربك العظيم) . وقال في سورة الإنسان : إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً . إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً ، إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً حيناً يشرب بها عباده الله يفجرونها تفجيراً . يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً . ويطعمون الطعام على حبة مسكينة ويتواكفرون . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً^(١) الآيات .

وكذلك في سورة المطففين : (كلا إن كتاب الفجار لفي سجين ، وما أدراك ما سجين . كتاب مرقوم . ويل يومئذ للمكذبين . الذين يكذبون بيوم الدين . وما يكذب به إلا كل معتد أثيم . إذ أتتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين . كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . كلا إنما هم من ربهم يومئذ لمحجوبون . ثم إنهم لعمالوا الجحيم . ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون ، كلا إن كتاب الأبرار لفي هللين . وما أدراك ما هليون . كتاب مرقوم يشهده المقربون . إن الأبرار لفي نعيم . على الأرائك ينظرون . تعرف في وجوههم نظرة النعيم . يسقون من رحيق مخنوم ختامه مسك . وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وهزاجه من تسنيم . حيناً يشرب بها المقربون)^(٢) .

(١) آية : ٤٣ - ٩ .

(٢) من آية ٧ - ٢٨ .

ثمن ابن عباس (*) وغيره من السلف : قالوا بمزج لأصحاب اليمين مزجا .
 يشرب بها المقربون صرفا . وهو كما قالوا ، فإنه قال يشرب بها المقربون
 ولم يقل منها . لأنه ضمن قوله يشرب معنى يروى ، فإن الشارب قد يروى
 وقد لا يروى . فإذا قيل يشرب ، منها لم يدل على الرى ، وإذا قال ^(١) يشرب
 بها كان المعنى يروون بها فلا يستأجرون معها إلى ما هو دونها . فلهذا شربوها
 صرفا . بخلاف أصحاب اليمين فإنها مزجت لهم مزجا . وهو كما قال في
 صورة الإنسان : (كان مزاجها كافورا . حينما يشرب بها عباده الله
 يفجرونها تفجيرا) .

فعباد الله هم المقربون المذكورون في تلك السورة .

وهذا لأن الجزاء من جنس العمل ، في الخير والشر ، كما قال صلى الله عليه
 وآله وسلم : « من نفس [هن ^(٢)] مؤمن كربة ، من كرب الدنيا نفس الله

(١) في ب (قيل) وهي علاوة على الخطأ في النسخ خطأ في الفهم أيضاً فإن
 المراد ، قال الله تعالى يشرب بها كما تقدم في الآية : (يشرب بها المقربون) . أما
 قيل التي قبلها ، فالمراد بها قول أي أحد غير الله ، لأن مثل هذا التعبير غير الدقيق
 (يشرب منها) لا يجوز أن يسند إلى الله ، ولا أن يسكون من أسلوب القرآن ،
 في مثل هذا المقام .

الأعلام

(*) ابن عم النبي ﷺ ولد في لشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم
 منه بسبع وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين ، وتوفي النبي ﷺ وهو ابن ثلاث
 عشرة سنة ، وكان يسمى البحر لغزارة علمه ، وكان عمر وعثمان (رضى الله عنه)
 يدعوانه فيشير عليهما مع أهل بدر ، وكان يفتى في عهدهما إلى أن مات سنة ٦٨ هـ
 (صفوة الصفوة لابن الجوزي ج ١ ص ٣١٤ - ٣١٩) .

(٢) في أ ب (على) ، واسكن الأصح عن ، كما ورد في نص الحديث ، وكما
 نقل ذلك ابن تيمية .

الله هذه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ، ستره الله في الدنيا والآخرة . والله في هون . المبد ما كان [المبد^(١)] في هون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس فيها^(٢) الهدى سهل الله له طريقا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه^(٣) بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وحشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكّرهم الله تعالى^(٤) فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله ، لم يسرع به نسبه . رواه مسلم في صحيحه^(٥) وقال : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » . قال الترمذي : حديث صحيح . وفي الصحيح^(٦) : « يقول الله تعالى : خلقت الرحم ، وشققت لها

-
- (١) سقطت من (أب) وهي موجودة في نص الحديث، وفي رواية ابن تيمية .
 (٢) في نص الحديث ، وفي رواية ابن تيمية (فيه) بالتذكير .
 (٣) هكذا وردت في (ب) وهي مطابقة لما جاء في نص الحديث ، وفي رواية ابن تيمية ، ولكن الذي جاء في (أ) (يتدارسون) فقط دون الضمير .
 (٤) لا توجد في (ب) كلمة (تعالى) ، كما أنها غير موجودة في نص الحديث ، ولا في رواية ابن تيمية .

(٥) الجزء الثامن : كتاب الذكر ص ٧٦ .

(٦) في الفرقان الذي نقل عنه الشوكاني : (وفي الحديث الآخر الصحيح الذي ، في السنن) ويروي المحقق أن في صحيح الترمذي لهذا الحديث نظر . أنظر الفرقان ، تحقيق : (محمود عبد الوهاب فايد) ص ٤٣ .

الأعلام

(هـ) هو الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كرشان القشيري ، النيسابوري صاحب الصحيح المشهور باسمه ، ثاني كتب الحديث ، بعد صحيح البخاري توفي سنة ٢٦١ هـ .

الاصحاب من ائمتي ، فمن وصلها ، وصلته ، ومن قطعها ، قطعته » . وقال : « من
وصل صفا وصله الله ، ومن قطعه قطعه الله » . ومنل هذا كثير ^(١) .

أصناف المؤمنين أو الأولياء :

« وقد ذكر الله ^(٢) أوليائه المقتهدين ، والسابقين ، في سورة طه بقوله :
(نم أورثنا الكتاب الذين اصغفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتهد ومنهم سابق باطيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير . جنات
عدن يدخولونها يحلون فيها من أساور من ذهب ، ولؤلؤا ولباسهم فيهاحريراً .
وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور . الذي أحلنا
دار المقامة من فضله لا يسئنا فيها نصب ، ولا يسئنا فيها لغوب » ^(٣) .

وهذه الأصناف ^(٤) الثلاثة هم أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصة ^(٥)
كما قال تعالى : (نم أورثنا الكتاب الذين اصغفينا من عبادنا) الآية . وأمة
محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هم الذين أورثوا الكتاب بعد الأمم المتقدمة .
وليس ذلك مختصاً بحفاظ القرآن بل كل من آمن بالقرآن فهو من هؤلاء .
وقسمهم إلى ظالم لنفسه ، ومقتهد ، وسابق باطيرات . بخلاف الآيات التي في
الواقعة والمطففين ، والانفطار والإنسان ^(٦) . فإنه دخل فيها جميع الأمم
المتقدمة كافرهم ، ومؤمنهم .

(١) انتهى كلام ابن تيمية في المصدر المتقدم من ص ٤١ - ٤٤ .

(٢) في (ب) يوجد (وقد ذكر الله تعالى أوليائه) بزيادة (تعالى) .

(٣) آية ٣٢ - ٣٥ .

(٤) في (ب) توجد « الأوصاف » بدل (الأصناف) .

(٥) أي كل من آمن فهو من الأولياء .

(٦) هذه الكلمة وهي اسم سورة (الإنسان) ليست موجودة في (الفرقان)

وهذا التقسيم لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم . فالظالم لنفسه أصحاب الذنوب المعصرون عليهم . والمقتصد المؤدى للفرائض المجتنب المحارم ، والسابق بالخيرات هو المؤدى للفرائض والنوافل المجتنب المحرمات والمكروهات كما في تلك الآيات ^(١) .

ثم ذكر ^(٢) الله سبحانه المفاضلة بين أوليائه المؤمنين ، فقال : (أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض والآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً) ^(٣) . بل بين سبحانه التفاضل بين أنبيائه فقال : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) ^(٤) . وقال تعالى : (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً) ^(٥) .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ، ولكن قل قدّر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » .

(١) انتهى أيضاً من الفرقان لابن تيمية ص ٤٧ - ٤٨ ، ببعض التصرف من جانب الإمام الشوكاني .

(٢) لا يوجد لفظ الجلالة في (ب) .

(٣) سورة الإسراء آية : ٢١ .

(٤) البقرة : ٢٥٣ .

(٥) الإسراء : ٥٥ .

وفي سنن^(١) أبي داود عن عوف * بن مالك أنه حدثهم أبي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قضى بين رجلين ، فقال المتقضى عليه لما أدبر : حسبي الله ونعم الوكيل ، فقال^(٢) النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله يلوم على المجرز ولكن عليك بالكيس فإذا غلبك^(٣) أمر فقل^(٤) حسبي الله ونعم الوكيل »

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة وعمر بن الخطاب^(*) بن العاص عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » . وروى من طرق خارج الصحيحين « أن للصيبي هشة أجور » .

وقال الله سبحانه : (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى^(٥)) وقال سبحانه : (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على

(١) ينظر ص ٢٦٤ .

(٢) في الأصل بعد فقال كلمة (إن) ولا داعي لها .

(٣) في ب (عليك) بالعين ، والياء ، وهو خطأ .

(٤) في (ب) سقطت تلك الكلمة : (فقل) .

الأعلام

(*) هو عوف بن مالك الأشجعي الجبب الأمين إلى رسول الله ﷺ وكان ممن شهد فتح مكة توفي سنة ٧٣ هـ . شذرات الذهب ج ١ ص ٧٩ .

(**) من كبار الصحابة رضى الله عنه فاتح مصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وكان له دور خطير في السياسة الإسلامية في الخلاف بين علي بن أبي طالب ومعاوية ابن أبي سفيان .

(١) الحديد (١٠) .

للقاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى . وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً . درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله هفوياً رحيماً ^(١) . وقال : (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستترون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين . الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وحنان لهم فيها نعيم مقيم خالد فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم) ^(٢) ، وقال : (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب ^(٣)) . وقال : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أرتوا السلم درجات والله بما تعملون خبير) ^(٤) .

الأولياء غير الأنبياء ليسوا بمعصومين :

واهم أن أولياء الله غير الأنبياء ليسوا بمعصومين ، بل يجوز هليهم ما يجوز على سائر هباد الله المؤمنين . لكنهم قد صاروا في رتبة رفيعة ومنزلة هلية . فقل أن يقع منهم ما يخالف الصواب وينافي الحق . فإذا وقع ذلك فلا يترجمهم عن كونهم أولياء لله ^(٥) . كما يجوز أن يخطيء المجتهد وهو مأجور على خطئه حسبما تقدم أنه إذا اجتهد فأصاب فله أجران ، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر .

(١) النساء : ٩٥ - ٩٦ .

(٢) براءة : من الآية ١٩ - ٢٢ .

(٣) الزمر : ٩ .

(٤) المجادلة : ١١ .

(٥) في (ب) (أولياء الله) .

وقد تجاوز الله سبحانه هذه الأمة عن الخطأ واللبس ، كما قال سبحانه :
(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) ^(١) . وقد ثبت في الصحيح « أن الله
سبحانه قال : بعد كل دهوة من هذه الدعوات : قد فعلت » وحديث « رفع
عن أمي الخطأ واللبس » قد كثرت طرقه حتى صار من قسم الحسن لغيره
كما هو معروف عند أهل هذا الفن .

المقياس في قبول الواقعات والمكاشفات .

ولا يجوز للولي أن يعتقد في كل ما يقع له من الواقعات والمكاشفات
أن ذلك كرامة من الله سبحانه ، فقد يكون من تلبس الشيطان ومكره .

بل الواجب عليه أن يعرض أقواله وأفعاله على الكتاب والسنة ، فإن
كانت موافقة لما فهمي حق وصدق وكرامة من الله سبحانه . وإن كانت
مخالفة لشيء من ذلك ، فليعلم أنه مخدوع مذكور به ، قد طعم منه الشيطان
غلبس عليه .

إمكان وقوع المكاشفات :

وليس لمنكر أن ينكر على أولياء الله ما يقع منهم من المكاشفات
للمصادقة الموافقة للواقع . فهذا باب قد فتحه رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ، كما ثبت في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « قد كان في الأمم
قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد منهم فعمر بنهم » . وفي لفظ في
الصحيح : « إن في هذه الأمة محدثين وإن منهم عمر » . والحديث الصادق
الطاهر المصيب الفراسدة . وحديث : « اتقوا فراصة المؤمن فإنه يرى بنور الله »

أخرجه الترمذى (*) وحسنه .

الواجب على الولي فيما يصدر من أعمال :

وقد كان عمر رضى الله عنه مع كونه مشهودا له بأنه من المحدثين بالنسبة للنبوى (١) يشاور الصحابة ويشاورونه ، ويراجعهم ويراجعون ، ويحتج عليهم بالكتاب والسنة ، وبوجهون جميعا إليهما ، ويردون ما اختلفوا فيه إلى ما أمر الله (٢) بالرد إليه من الرد إلى الله سبحانه وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فالرد إلى الله هو الرد إلى كتابه والرد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته هو الرد إلى ما صح من سنته .

فحق على الولي وإن بلغ في الولاية إلى أعلى مقام وأرفع مكان ، أن يكون مقتديا بالكتاب والسنة ، وازناً لأفعاله وأقواله بميزان هذه الشريعة المطهرة ، واقفا على الحد الذي رسم فيها ، خير زائغ عنها في شيء من أمورهم ، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الصحيح أنه قال : « كل أمر ليس على (٣) أمرنا فهو رد » . وإذا ورد عليه وارد يخالف للشريعة رده ، واهتد

(١) في (ب) لا توجد كلمة (النبوى) .

(٢) في (ب) توجد كلمة (تعالى) بعد لفظ الجلالة .

(٣) في (ب) (عليه أمرنا) .

الأعلام

(*) هو أبو عيسى بن محمد بن سورة بن الطحال السلمي البوفوى الترمذى نسبة إلى (ترمذ) بإقليم خراسان . (معجم المطبوعات العربية والمصرية ج ٤ ص ٦٣٢ ، ٦٣٣) أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث ، وصنف كتاب الجامع (جامع الترمذى) (أو الجامع الصحيح) ثالث الكتب الستة من أمهات الحديث ، ويقال له السنن أيضاً . وكان سبب شهرته . توفي سنة ٣٧٩ هـ .

أنه من الشيطان ، ويدافع^(١) ذلك بحسب استطاعته ، وبما تبلغ إليه قدرته .
قال الله سبحانه « فاتقوا الله ما استطعتم »^(٢) . وقال تعالى (يا أيها الذين
آمنوا اتقوا الله حق تقاته)^(٣) . وقال تعالى : (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها
لها ما كسبت وهليم ما ا كتسبت)^(٤) . وقال تعالى : (والذين آمنوا وعملوا
الصالحات لا نكلف نفساً إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون)^(٥) .
وقال سبحانه : (وأوفوا الكيل ولليزان بالقسط لا تكلف نفساً إلا وسعها)^(٦)
ومن خالف هذا من يطلق عليه اسم الولى فليس من أولياء الله عز وجل .

وما أحسن ما قاله (أبو سليمان^(*) الداراني) : (إنها لتنع في قلبي النكنة
من نكت القوم فلا^(٧) أقبلها إلا بشاهدين هداين الكتاب والسنة)^(٨) .

-
- (١) في (١) (ويدافع ذلك) بالباء . ولكن يدافع هي المقصودة وهو واضح .
(٢) التغابن : ١٦ .
(٣) آل عمران : ١٠٢ .
(٤) البقرة : ٢٨٦ .
(٥) الأعراف : ٤٢ .
(٦) الأنعام : ١٥٢ .

الأعلام

(*) أبو سليمان الداراني نسبة إلى داريا وهي قرية من غوطة دمشق وهو
عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الداراني الزاهد المشهور . روى الحديث عن الربيع
ابن صبيح وعن أهل العراق . (الباب في تهذيب الأنساب ج ١) وهذه العبارة
وردت في تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٦٢ .

(٧) في (ب) (فاقبلها) .

(٨) الفرقان ص ٣٢ وتلبيس إبليس ص ١٦٢ .

وقال (الجنيد) (*) رحمه الله : « علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ، فن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصح له أن يتكلم في علمنا » . وقال « أبو عثمان (١) النيسابوري » : « من أمر على نفسه الشريعة قولاً وفعلًا نطق بالحكمة ، ومن أمر على نفسه الهوى قولاً وفعلًا نطق بالبدعة » ، لأن الله تعالى يقول : « وإن تطهروه تهتدوا » (٢) . وقال (أبو عمرو بن (*) مجيد) « كل [وجد] لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل » (٣) .

خوارق غير الأولياء :

وإذا هرفت أنه لا بد للولي من أن يكون مقتدياً بأقواله وأفعاله بالكتاب والسنة ، وأن ذلك هو المعيار الذي يرف به الحق من الباطل ، فمن ظهر منه

(١) في (ب) (أبو موسى) وهو خطأ . وستأتي ترجمته في الفصل الثالث باسم الحيرى ينظر أيضاً حلية الأولياء ص ٢٢٩ ج ١٠ .
(٢) سورة النور : ٥٤ .

(٣) الفرقان ص ٣٢ وفي (١) (كل واجد) والألف ليست واضحة ووجد هي الصحيحة كما نرى من السياق .

الأعلام

(*) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الحزاز لأنه كان يعمل الحز صوفي من العلماء بالدين مولده ومنشأه ووفاته ببغداد . قال أحد معاصريه : (مارأت عيناي مثله : السكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه ، والشعراء لفصاحته ، والمتكلمون لمعانيه) وهو أول من تكلم في التوحيد ببغداد . وعده العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة توفي سنة ٢٩٧ هـ (الأعلام ج ٢ ص ١٣٧) .

(**) هو أبو عمرو بن نجيد من كبار الملامية ، وتلميذ أبي عثمان الحيرى شيخهم توفي سنة ٣٦١ هـ .

شيء مما يخالف هذا المعيار فهو رد عليه ، ولا يجوز لأحد أن يعتقد فيه أنه
ولى الله ، فإن أمثال هذه الأمور تكون من أفعال الشياطين ، كما نشاهد
في الذين لهم تابع من الجن . فإنه قد يظهر على يده ما يظن من لم يستهضر
هذا المعيار أنه كرامة . وهو في الحقيقة مخارق شيطانية وتلبسات إبليسية .

ولهذا تراه يظهر من أهل البدع^(١) ، بل من أهل الكفر ومن يترك
فرائض الله سبحانه ويتلوث بمناصيه . لأن الشيطان أميل إليهم للاشتراك
بينه وبينهم في مخالفة ما شرعه الله سبحانه لعباده .

وقد يظهر شيء مما يظن أنه كرامة من أهل الرياضة وترك الاستكثار من
الطعام والشراب على ترتيب معلوم ، وقانون معروف . حتى ينتهي حاله إلى^(٢)
أن لا يأكل إلا في أيام ذوات العدد ، ويتناول بعد مضي^(٣) أيام شديداً يسيراً .
فيكون له بسبب ذلك بعض صفاء من السكودورات البشرية ، فيدرك مالا
يدركه غيره ، وليس هذا من الكرامات في شيء . ولو كان من الكرامات
الربانية ، والنفصلات الرحانية ، لم يظهر على أيدي أعداء الله ، كما يقع كثيراً
من المرتاضين من كفره الهند الذين يسمونهم الآن (الجوكية) .

وقد يظهر شيء مما يظن أنه كرامة على لسان بعض المجانين . وسبب ذلك
كما ذكره الحكماء أنه قد ذهب عنه ما يصنعه الفكر من التفصيل والتدبير ،
الذين يستمران للعقلاء . فيكون لعقله إدراك لا يكون للعقلاء ، فيأتي في بعض
الأحيان بمكاشفات صحيحة ، وهو مع ذلك متلوث بالنجاسة مرتبك في
التأذورات قاعد في المزابيل ، وما يشابهها فيظن من لاحقيقة عنده أنه من

(١) في (ب) (من أهل الكفر) دون (ب) .

(٢) لا توجد (إلى) في ب .

(٣) لا توجد كلمة (مضي) في ب .

أولياء الله ، وذلك ظان باطل ، وتخيّل مخنّلي ، وهو في الحقيقة مجنون قد رفع الله عنه قلم التكليف ، ولم يكن ولياً لله ، ولا هدواً .

المكاشفات المسيحية وأولياء المؤمنين :

وقد تكون المكاشفة من رجل جعله الله سبجانه بن المحدثين حسبما سبق تحقيق ذلك وهذه طريقة أثبتها الشرع وصرح بها الدليل .
والغالب أن ذلك لا يكون إلا من خاص المؤمنين كما سبق في حديث « اتقوا فراسة المؤمن » .

وهذا التحديث هو شيء يوقه الله ^(١) في روع من كتب له ذلك ، فيلقيه إلى الناس فيكون مطابقاً للواقع ، وليس من الكهانة ، ولا من باب النجامة والرمل ولا من باب تلمّيق الشيطان كما كان يتبع امر بن الخطّاب رضي الله عنه .
وسياتي في هذا الحديث الذي نحن بهمدد شرحه أنه لا يزال العبد يتقرب إلى الله سبجانه بالنوافل حتى يحبه ، فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ويده التي يمسح بها ، ووجهه الذي يمشى بها ، وسفلة كلام إن شاء الله على معاني هذه الألفاظ النبوية .

وفي القرآن الكريم من ذلك الكثير الطيب كقوله سبجانه : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، والصديقين ، والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً » ^(٢) .

ولاصحابه ، رضي الله عنهم ، النصيب الوافر من طاعة الله سبجانه ومن

(١) توجد في (ب) كلمة (تعالى) بعد لفظ الجلالة .

(٢) النساء : ٦٩ .

لنقرب إليه بما يحبه ، ولهذا صاروا خير القرون كما ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من وجوه كثيرة ، وثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الصحيح من طرق كثيرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذنباً ما بلغ مدّ أحدكم ولا ضيقه » فانظر إلى هذه المزية العظيمة ، والخصيصة الكبيرة التي لم تبلغ من غيرهم إنفاق مثل أنجيل الكبير من الذهب نصف المدة الذي ينقذه الواحد منهم ، فرضى الله^(١) عنهم وأرضاهم .

فهم أفضل أولياء الله سبحانه وأكرمهم عليه ، وأعلام منزلة عنده ، وهم الذين عملوا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

فمن جاء بعدهم عن يقال له إنه من الأولياء ، لا يكون ولياً لله إلا إذا اتبع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واهتدى بهديه واقتدى به في أقواله وأفعاله .

شخصية الولي :

واعلم أن من أعظم ما يتبين به من هو من أولياء الله سبحانه أن يكون بحاجب الدهوة ، راضياً عن الله عز وجل في كل حال ، قائماً بفرائض الله سبحانه ، تاركاً لمناهيه ، زاهداً فيما يتسالكب [عليه^(٢)] [الغاس من طاب العلو في الدنيا ، والحرص على رياستها ، لا يكون لنفسه شغل بملاذ الدنيا ولا بالتسكائر منها ولا بتحصيل أسباب الغنى ، وكثرة اكتساب الأموال والهروضي إذا وصل إليه القليل صبر ، وإن وصل إليه الكثير شكر ، يستوى عنده المدح والذم ، والفقر والغنى ، والظهور والخلو ، غير معجب

(١) في (ب) توجد (تعالى) بعد لفظ الجلالة .

(٢) لا توجد في الأصل ولكن سلاسة الأسلوب تقتضيها .

بما من الله به عليه من خصال الولاية، إذا زاده الله رفعة، زاد في نفسه تواضعاً وخضوعاً. حسن الأخلاق كريم الصحبة عظيم الحلم كثير الاحتمال . وبالجمله فمظم اشتغاله بما رغب الله فيه، وندب بهاده إليه فن كملت له هذه الخصال، واتصف بهذه الصفات، واتسم بهذه السمات، فهو ولي الله الأكبر الذي ينبغي لكل مؤمن أن يقر له بذلك، ويتبرك بالنظر إليه، والقرب منه .

ومن كان فيه بعض هذه الخصال، واشتمل على شطر من هذه الصفات^(١) فله من الولاية بقدر ما رزقه الله سبحانه منها، ووهب له من محاسنها .
والباب الأعظم للدخول إلى سوح^(٢) الولاية هو الإيمان بالله كما ندب إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال لما سئل عن الإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، والقدر خيره وشره .

وأصعب هذه الخصال الإيمان بالقدر فإنه إذا حصل له ذلك^(٣) هلى الوجه المعتبر هانت عليه جميع الأمور^(٤)، وفرغ من شغل قلبه بما نزل عليه من المقادير خيرا وشرها .

ولأينافى ذلك تعوزه (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٥) من سوء القضاء . فقد ثبت فى الصحيح أن من الدهوات النبوية قوله صلى الله عليه وآله وسلم :

(١) فى (ب) (الحلال) بدل الصفات . .

(٢) ساحة .

(٣) فى (ب) لا توجد كلمة (ذلك) .

(٤) فى الأصل سهى المؤلف عن (الراى) .

(٥) لا توجد فى الأصل . وهى ضرورية أو نحوها ؛ لبيان المتعوز أو من

الذى تعوز .

« اللهم إني أعود بك من سوء القضاء ، ودرج الشقاء ، وجهد البلاء ، وشدة
الشداء ، وثبتت منه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في قنوت الوتر : « وَرَقِي
شَرَّ مَا أَضْيَيْتَ » .

وأرأينا الله سبحانه يمتازون في الولاية بقوة ما رزقهم الله سبحانه من
الإيمان ، فمن كان أقوى إيماناً كان في باب الولاية أعظم شأنًا ، وأكبر قدرًا
وأعظم شربًا إلى الله ، وكرامة لديه .

ومن لازم الإيمان بالقوى السبل ^(١) السوى ، والتسبب إلى الله بحجته عز
وجل ورحمة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم (قل إن كنتم تحبون الله ، فاتبعوني
يحبكم الله) ^(٢) وكما ازداد بهمة التزم إلى الله بفرائضه واجتناب نهائيه .
بفعل التوافق ، والاستكثار من ذكره عز وجل ، زاد الله محبة وفتح له
أبواب الخير كه دقة رحله كما سيأتي من الكلام على شرح هذا الحديث
الذي نحن بصدد شرحه وبيان معانيه الشريفة ونسكاته العظيمة .

جواز الكرامات :

ومن ذهب له هذه الموهوبات الجليلة وتفضل ^(٣) عليه بهذه الصفات
الجليلة فتعبر به ، ولا يستحسن أن تظهر على يده من الكرامات التي لا تنافي
الشريعة والتشريفات في مخلوقات الله عز وجل ^(٤) الوسيطة ، لأنه إذا دعاه
أجابته وإذا سأله أعطاه ، ولم يصب من جعل ما يظهر من كثير من أولياء

(١) في الأصل : والعمل (زيادة الراوي ولاداعي لها الآن وجودها يفسد الأسلوب ،

(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٩ .

(٣) في (ب) يوجد لفظ الجلالة بدل (تفضل) .

(٤) في (ب) تعالى بدل (عز وجل) .

من قطع المسافات البعيدة ، والمكاشفات المصيبة ، والأفعال ، التي تهجر
هنا غالب القوى البشرية ، من الأفعال الشيطانية والتصرفات الإباحية .

فإن هذا غلط واضح ، لأن من كان بحاجب الدعوة لا يمنع عليه أن يسأل
الله سبحانه أن يوصله إلى أبعاد الامكنة التي لا تقطع طرقاتها إلا في شهور في
حظرة يسيرة ، وهو القادر القوي الذي ما شاءه ^(١) كان ، وما لم يشأ ^(٢) لم
يكن ، وأى نهد في أن يجيب الله دعوة من دعاه من أوليائه في مثل هذا
المطلب وأشباهه ، وفي مثل هذا يقال : ما قاله الشاعر :

والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن أمر هفأ
وقول الآخر :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتاً من الناس حتى هـ ألف بواحد
بل هذا الذي تفضل الله ^(٣) عليه بهذه التفضلات لا يعدله ^(٤) الآف ولا
الآلاف ممن لم ينل ما نال ، ولا ظفر بشيء من هذه الخصال .

فألك والتلدد ^(٥) حول نجد وقد غصت تهاية بالرجال
ومن نظر في مثل الحلية ^(*) لأبي نعيم ،

(١) في (ب) (شاء) ، و (ما لم يشأ) .

(٢) في (ب) (تعالى) بمد لفظ الجلالة .

(٣) في (ب) (لا يساويه) بدل لا يعدله .

(٤) التلدد : التحير والتلذذ يمينا وشمالا ففي القاموس : تلدد : تلفت يمينا
ويحير متبلدا وتلبث .

الأعلام

(*) هو كتاب : (حلية الأولياء وصفوة الأصفياء) لأحمد بن عبد الله بن
أحمد الأصمعي حافظ مؤرخ من الثقات في الحفظ والرواية : من تصانيفه هذا =

وصفوة الصفوة (***) لابن الجوزي هرف صحفة ما ذكرناه ، وما كان هطاء ربك محظوراً .

وكم للصحابة ، رضى الله عنهم ، من الكرامات التى يصعب حصرها وسنشير إلى بعضها قريباً ، ولو لم يكن منها إلا إجابة دعاء كثير منهم . وقد هرفناك أن إجابة الدعاء هى أكبر كرامة ، ومن أكرمه الله (١) بذلك دعاء ما يشاء كيف يشاء من جليل الأمور . وحقيقتها وكبرها ، وصغيرها .

وفى كتب الحديث والسير من ذلك الكثير الطيب ، وكذلك فى أمم الأنبياء السابقين من أولياء الله سبحانه (٢) الصالحين الممدد لهم حسبما نقل إلينا عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، وحسبما تحكيه التوراة والإنجيل ، ونبوات أنبياء بنى إسرائيل التى (٣) من جعلتها الزبور .

والحاصل أن الله سبحانه ينفصل على عباده بما يشاء ، والفضل بيده ، من شاء أعطاه ، ومن شاء منعه .

(١) فى (ب) توجد كلمة (تعالى) بعد لفظ الجلالة .

(٢) فى (ب) سقطت من الناسخ (سبحانه) .

(٣) فى (ب) لا توجد كلمة (التى) .

الأعلام

- الكتاب ، و (معرفة الصحابة) كبير بقيت منه أجزاء مخطوطة فى مجلد واحد توفى سنة ٤٣٠ هـ الأعلام ج ١ ص ١٥٠ .

(*) هو مختصر كتاب حلية الأولياء لأبى نعيم بطريقه نفت ما لا يتفق مع العقل ، ولا مع الكتاب والسنة . وابن الجوزى هو جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ من العلماء العاملين الذين لم يرضوا من التصوف إلا بما وافق العقل والسنة ، ومن كتبه فى ذلك (تلبيس إبليس) وهذا الكتاب الذى معنا .

وليس لنا أن ننكر إلا ما أنكره الشريعة المطهرة . فن جاء بما يخالفها
دفعناه ومنعناه .

وأما مجرد استبعاد أن يهب الله سبحانه لبعض عباده أسراً عظيماً ويعلمه
ما تقتضيه عنه قوى غيره من المنح الجليلة ، والتفضلات الجزيلة فليس مراد
المتصفين بالإحسان ، وكثيراً ما ترى ^(١) البيان إذا حكيت له أفعال الأفراد
من أهل التشجاعة من مقارنة الأبطال ، وملابسة الأحوال ومنازلة العدد
الكثير من الرجال يستبعد عقله ذلك ويضيق ذهنه عن تصوره ويظمه باطلاً ،
ولا سبب لذلك إلا أن غريزته المجهولة على الجبن الخالع تقصر عن أقل قليل
من ذلك وتعجز عن الملابسة لأحتر منه .

وهكذا البخيل إذا سمع ما يحسكي هن الأجواد من الجود بالموجود
والسباحة بالكثير الذي تشع نفوس من لم يهب الله له غريزة السكرم المحمودة
بعض معشاره ظن أن تلك الحكايات من كذب الوراقين ، من مخرقة
المتخريقين ^(٢) استبعد عقله ، ونبا فهمه عن قبول ما منح الله ^(٣) به أكبر
علماء هذه الأمة من اتوسع في المعارف والاسكتشاف من العلوم المختلفة
وفهمها كما ينبغي ، وحفظها حق الحفظ ، والتصرف الكامل في كل ما يرد عليه
منها فيورده موارده ، ويصدره مصادره .

فاعرف هذا ، واعلم أن مواهب الله عز وجل لعباده ليست موضع الاستبعاد

(١) في (ب) (ترى) دون نقط هكذا (برى) .

(٢) في القاموس : (أخرقه : أدهشه ، والتخريق . . التزيق : وكثرة
الكذب والتخريق خلق الكذب) .

(٣) في (ب) (تعالى) بعد لفظ الجلالة .

للمستعبدين ، وتشكيكات المشككين ، فقد تفضل هلى بعض عباده بالنبوة واصطفاه لرسالته ، وجهله واسطة بينه وبين عباده .

وتفضل هلى بعض عباده بالملك ، وجهله فوق جميع رهيته ، واخفاره هلى من سواه منهم . وهم الممدد الجم ، والسواد الأعظم ، وقد يكون غير شريف الأصل ، ولا رفيع الخند ، كما أعطى ملك مصر والشام والخرميين وغير المالوك الجرا كمة (*) ، وهم هميت يحطب الواسد منهم إلى سوق الرقيق ، وبعد حين يصير ملكا كبيرا ، وصلطانا جليلا .

وهكذا من ملك قبلهم من الأتراك المماليك كبنى قلاوون (***) ، وأعطى بنى بويه (****) ، وهم أولاد صماك غالب (١) ، للمماليك الإسلامية ، وجمعهم الخاكسين هلى الخلفاء العباسية . وهلى سائر للمباد فى أقطار الأرض .

دع هناك التفضلات على هذا النوع الإنسانى للسكرم بالعقل ، وانظر إلى ما من به هلى أنواع من مخلوقاته (٢) ، فإن الشجاعة التى جعلها فى الأسد

(١) فى (ب) لا توجد كلمة غالب .

(٢) فى (ب) (المخلوقات) .

الأعلام

(٠) هم الذين حكموا مصر من سنة ١٣٨٢ م — سنة ١٥١٧ م .

(٠٠) أبناء الملك المنصور سيف الدين قلاوون من المماليك البحرية حكموا

مصر من سنة ١٣٧٩ م — سنة ١٣٥٤ م .

(٠٠٠) وهم على والحسن وأحمد أولاد بويه الذى كان يعمل فى صيد السمك هم الذين أسسوا الأسرة البويهية التى لمتلكت ناصبة بلاد العراق وما يحيط بها من بلاد الدولة الإسلامية من سنة ٣٣٤ — سنة ٤٤٧ هـ . وأصبح لهم النفوذ الفعلى فى تلك الفترة من حياة الدولة العباسية فى عهد الخلفاء : المستكنى والمطيع والطائع والقادر والقائم . ص ٣٧١ وما بعدها . من (محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ، فى الدولة العباسية) .

لا يقوم لها من بنى آدم العدد الكثير ، وتلك موهبة من الله سبحانه ، وهكذا
كثير من أنواع الحيوان يختص هذا بالقوة الباهرة ، وهذا بالجسم الوافر
وهذا بحسن التركيب ، وهذا بالطيران في الهواء ، وهذا بالمشي في قعر البحر ،
والتصرف لما يحتاج إليه في أمواج الماء .

وكم يعد الماد من تفضلات الملك الجواد جللت قدرته ، فسبحانه ما أعظم
شأنه وأمر سلطانه وأجل إحسانه .

وهذا هارضي من القول اقتضاء تعريب ما يفضل الله به على خلقه هياده
إلى الأذهان الجامدة ، واللبائع الراكدة حتى تنزل عن مركز الإنكار ،
وربك يخلق ما يشاء ويختار .

ومن نظر إلى ما وهبه الله سبحانه للصحابه رضى الله عنهم ، لم يستبعد
شيئا مما وهبه الله عز وجل لأوليائه ويصعب الإحاطة بأكثر ذلك فضلا عن
كله . وقد قدمنا الإشارة إلى كراماتهم إجمالا ، ونذكر الآن بعض كراماتهم
على التفصيل والتمعين .

فإنها أن أسيد بن (*) حضير رضى الله عنه كان يقرأ سورة الكهف فنزلت

الأعلام

(*) هو أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك من الأنصار ، شهد أسعداً والمشاهد
بعدها مع رسول الله ﷺ وثبت في أحد حين انكشف الناس ، وتوفي في شعبان
سنة عشرين من الهجرة . وروى له البخارى : عن أنس قال : « كان أسيد بن
حضير وعياد بن بشر عند رسول الله ﷺ في ليلة ظلماء حنّس فتحدثا عند
حتى إذا خرجا أضاعت لهما عصا أحدهما فشيا في ضوءها فلما تفرقا بهما الطريق
أضاعت لسكل واحد منهما عصاه فشيا في ضوءها » انفرد بإخراجه البخارى .
(صفوة الصفوة ج ١ ص ٢٠١ ، ٢٠٢) .

هلمية السكينة من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج، هي الملائكة، وأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له ^(١) : «لو استمر هلي ثلاثه لاستمرت تلك السكينة وإفقه هلمية باقية عنده»

وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين ^(٢) ، وكان سامان ^(*) الفارسي وأبو الدرداء ^(**) يأكلان في صحبة ^(٣) أو سمح ما فيها،

(١) في (ب) سقطت من الناسخ (له)

(٢) في (ب) (الواو) بدلا من (أو).

الأعلام

(٣) هو عمران بن حصين بن عبيد أسلم قديماً وغزاهم رسول الله ﷺ غزوات ولم يزل في بلاد قومهم ثم تحول إلى البصرة فمرض بها فسقط بطنه فبقي ثلاثين سنة حتى سمي مشقوب. وذكر ابن الجوزي عدة روايات في تسليم الملائكة على عمران. صفوة الصفوة ج ١ ص ٢٨٢.

(٤٥٥) يسكني أبا عبد الله من أصبهان سافر يطالب الدين مع قافلة فباعوه لليهود بالمدينة ثم كتب فأعانه النبي ﷺ على ذلك وأعلم حين قدم النبي ﷺ المدينة ومنعه ان يترك من شهز بدس وأخذ ثم شهد الحندق وما بعدها وولاه عمر المدائن وقصة إسلامه معجزة تسجل في كتب السير وصفوة الصفوة ص ٢١٠ وما بعدها ج ١. وتوفي سنة ٢٢٠ هـ وكان من المصنفين.

(٥٥٥) وأبو الدرداء هو: عويمر بن زيد وقيل ابن هاجر كما ذكر صاحب الصفوة وقد شهد مع رسول الله ﷺ مشاهد كثيرة وولاه عمر بن الخطاب السجستان بدمشق ومن مآثراته: رتب مهناوية بن صالح عن أبي الدرداء قال: إذا أصبح الرجل اجتمع هوا وعمله، فإن كان عمله تبعاً لهواه فيومه يوم سوء، وإن كان هواه تبعاً لهواه فيومه يوم صالح. وتوفي سنة ٤٢ هـ أو سنة ٣١ هـ. صفوة الصفوة ص ٢٥٧.

وخرج هجاء (*) ابن بشر وأسيد بن حضير من عند رسول الله (١) صلى الله عليه وآله وسلم في ظلمة الليل فأضاء لهما أطراف السوط ، فلما افترقا افترقا الضوء معهما . وكان الصديق (٢٠٠) رضى الله عنه يأكل وهو وأضيافه من القسمة ، فلا يأكلون لقمة إلا يأتون أسفلها أكثر منها فشيئهم ، وهي أكثر مما كان فيهما قبل أن يأكلوا .

وخبيب بن هدي (٢٠٠) رضى الله (٢) عنه لما أمره المشركون أن يؤلف بقاطف من الغنم في غير وقته (٣) .

وهامس (٢٠٠٠) بن فهمة (٤) النموا جديده

(١) في (ب) (سلي الله عليه وآله وسلم) ، وليست في (أ) .

(٢) في (ب) توجد كلمة (تعالى) .

(٣) روى البخارى ذلك على لسان إحدى بنات الحارث بن عامر بن نوفل قتله خبيب يوم بدر ، صفوة الصفوة ج ١ ص ٢٥٤ .

(٤) في (ب) (رضى الله تعالى عنه) .

الأعلام

(٥) صحابي جليل وقد تقدم ذكره في الصحيفة السابقة أسيد بن حضير .

(٥٠) هو الخليفة الأول للمسلمين بعد رسول الله ﷺ أبو بكر رضى الله عنه .

(٥٠٠) هو خبيب بن عدي بن مالك رضى الله عنه شهد أحداً مع النبي ﷺ وكان فيمن بعثه رسول الله ﷺ مع بني حيان من هذيل ليرشداهم إلى تعاليم الدين الإسلامى ففرروا بهم فأسروه هو وزيد بن دثنه فباعوها إلى قريش فقتلوا وصلبوا بمسكة بالتنعيم . صفوة الصفوة ج ١ ص ٢٥٣ . مكرر عن رقم ٣ أعلى الهامش .

(٥٠٠٠) مولى أبي بكر رضى الله عنه وصديقه ورفيقه هو رسول الله ﷺ في حادث الهجرة قتل يوم بشر معونة سنة ٤ هـ .

فتمته الدبر^(١) ، ولم يقدرُوا على الوصول إليه . وخرجت أم أيمن^(٢) ، وهي صائمة وليس معها زاد ولا ماء فمطشت حتى كادت تموت ، فلما كان وقت النظر سمعت حساً على رأسها فرففته فإذا هو دلو برشاه^(٣) أبيهض بمعلق فمربت منه حتى رويت وبعثت عطشت بعداً^(٤) .

وأخبر سفينة^(٥) ، بولي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأسد أنه بولي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ففشي به الأسد حتى أوصله إلى مصده^(٦) .

والبراء بن^(٧) (٠٠٠) مالك^(٨) كان إذا أقسم على الله أبر قسمه وكان الخوب

(١) حينما قتله جبار بن سلمى وقيل إن الملائكة دفنته ، المرجع السابق ص ١٧١ والدبر : جمادات النحل أو الزناير .

(٢) أي معلق بجبل ، قال في القاموس : الرشاء كـ : النساء : الجبل .

(٣) كان ذلك حين خرجت مهاجرة من مكة إلى المدينة . المرجع السابق .

(٤) المصدر السابق .

(٥) في (ب) رضى الله عنه .

الأعلام

(٠) اسمها بركة مولاد رسول الله ﷺ وحاضنته ورثها عن أبيه فأعتقها حين تزوج خديجة وشهدت أحدا وكانت تسقى الماء وتداوى الجرحى وشهدت خيبر وتوفيت في آخر خلافة عثمان (رضى الله عنه) صفوة الصفوة ج ٢ ص ٦٢٩ في (ب) توجد كلمة (رضى الله تعالى عنها) .

(٠٠) واسمه مهران ، ويسكنى أبا عبد الرحمن بن مولدى الأعراب اشترته أم سلمة وأعتقته واشترطت عليه أن يخدم النبي ﷺ ما عاش ، فقال لها : « ما أحب أن أفارق النبي ﷺ ما عشت » . صفوة الصفوة ج ٨ ص ٢٧٨ .

(٠٠٠) في (ب) (البر) وصحتها : البراء بن مالك بن النضر بن ضميم شهد =

إذا اشتد على المسلمين في الجهاد يقولون : يا براء أقسم على ربك . فيقول : أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم^(١) ، وجعلتني أول شهيد ففتحوا أكتافهم وقتل شهيداً .

وحاصر خالد بن الوليد^(٢) رضى الله عنه [١٢٠] حينئذ فقالوا : لا نسلم حتى تشرب السم فتشربه ، ولم يشربه .

وأرسل عمر^(٣) بن الخطاب رضى الله عنه جيشاً مع رجل يسمى

(١) في الفرقن بعد ذلك فييزم المصدر فلما كان يوم القادسية قال : (أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وجعلتني أول الخ ص ٢٦٦ .

(٢) في (أ) : رضى الله فقط دون (عنه) وهى لأزمة لتام المراد ، وأهل المؤلف سها عنها . وفي (ب) رضى الله تعالى عنه .

الأعلام

== أحداً وما بعدها مع رسول الله ﷺ ونوفى في المناسبة التي أشار إليها المؤلف وهى بعبارة أوضح : عن أنس بن مالك قال . إن البراء لقي زحسا من المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين فقالوا له : يا براء ، إن رسول الله ﷺ قال إنك لو أقسمت على الله لأبرك فأقسم على الله ، فقال أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقني بذي ﷺ ففتحوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً . المصدر السابق . وفي الفرقان لابن تيمية إن ذلك كان في موقعة القادسية ص ٢٦٦ . في (ب) رضى الله عنه .

(٣) هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم من كبار الصحابة والفاخرين في الإسلام ، وكان له الفضل في تثبيت أركان الإسلام في حروب الردة بعد وفاة الرسول ﷺ أول خلافة أبي بكر رضى الله عنه نوفى في حصص في خلافة عمر بن الخطاب سنة ٢١ هـ .

(٤) الخليفة الثماني بعد أبي بكر رضى الله عنه . وكان مثالا في العدل والحزم والمهارة على مصالح الرعية .

صارية^(١٠) فبينما عمر يخطب جعل^(١١) يصيح على المنبر : يا صارية الجبل ، يا صارية الجبل ، فقدم رسول الجيش فسأله عمر فقال : (يا أمير المؤمنين لقينا عدونا فهزمونا ، فإذا بسائح يقول : يا صارية الجبل ، يا صارية الجبل . فأمندتنا ظهورنا بالجبل فهزمناهم)

ولما هذبت بعض الصحابييات ذهب بصرها ، فقال المشركون ما أصاب بصرها إلا اللات والعزى ، فقالت : كلا والله ، فرد الله عليها بصرها^(١٢) وكان سعيد بن أبي وقاص^(١٣) رضى الله عنه بحجاب الدخلة مادعا قتل استعجب له . وكذلك سعيد بن زيد^(١٤) رضى الله عنه دعا على المرأة لما كذبت عليه

(١) في (ب) توسيد (عمر) بعد جعل .

(٢) في الفرقان اسمها (الزيرة) ص ٦٩ وفي السيرة لابن هشام ج ١ ص ٣٤٠ زيرة .

الأعلام

(٥) هو سارية بن زهم السكناي . صحابي ، من الشعراء القادة الفاضحين كان في الجماعة لهما كثير الفارات يسبق الفرس عدواً على رجله . ولما ظهر الإسلام أسلم ، وجمعه عمر أميراً على ذلك الجيش المذكور . الأعلام ص ١١٢ ج ٣ .

(٥٠) واسمه مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن السائبين في الإسلام وأول من رمى بسهم في سبيل الله وعنه رضى الله عنه « أن رسول الله ﷺ دعا الله من أجله وقال : اللهم سدد رميته واجب دعوته » روى عن طارق ابن شهاب قال : كان بين خالد وسعيد كلام فذهب رجل يقع في خالد عند سعيد فقال له « إن ما بيننا لم يباغ ديننا » . توفي سنة خمس وخمسين ، أو خمسين من الهجرة . ص ١٣٨ صفوة الصفوة ج ١ .

(٥٥) هو أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى من

فقال : اللهم إن كانت كاذبة فأهم بصرها ، واقتلها في أرضها فعميت ، ووقعت في حفيرة في أرضها فأت (١) .

ودعا الله العلاء* بن الحضرمي بأن يسقوا ، ويتوضئوا ، لما هضوا الماء ولا يبقى بعدهم فأجيب ، ودعا لما احتضنهم البحر ، فلم يبقه روا على المرور ، فمروا بخيولهم على الماء ما ابتلت سرسج خيولهم (٢) .

ودعا الله بأن لا يروا جسده إذا مات ، فلم يبدوه في الله (٣) .

وكان للتابعين من السكرات ما هو معروف في كتب هذا الشأن منها :
قد منا الإشارة إليه ، وكذا لك من بعدهم .

وقد كان في التابعين من ألقى في النار فوجه قائماً يهلى ، وهو أبو مسلم

(١) في الفرقان : هي (أروى بنت الحكم) ص ٦٩ .

(٢) صفوة الصفوة ج ١ ص ٢٩٠ .

(٣) المصدر السابق .

الأعلام

السابقين إلى الإسلام وشهدوا المشاهدة كلها مع رسول الله ﷺ ما عدا بدرآ . وهذه هي قصة دعائه على المرأة : (عن هشام بن عروة عن أبيه أن أروى بنت أويس استعدت مروان على سعيد وقالت سرق من أرضي فأدخله في أرضه فقال سعيد : اللهم إن كانت كاذبة .. الخ) ص ١٤١ ، ١٤٢ المصدر السابق . وتوفي سنة ٥٠ هـ أو ٥١ من الهجرة .

(٤) هو عبد الله بن حماد بن سلمى من حضر موت من السابقين إلى الإسلام وولي البحرين في عهد الرسول ﷺ وعهد أبي بكر رضي الله عنه وأراد عمر أن يوليّه البصرة فسار إليها فات في الطريق سنة ٢١ أو ١٤ أو ١٥ هـ .

انطولا (ن) (*) ، ونا قديم المدينة جعله عمله بينه وبين أبي بكر . وقال الحمد الله الذي لم يمتني حتى أراني من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من قبل به كما فعل إبراهيم . ودعا إلى امرأة أفسدت عليه زوجته فعميت فبانت ، فدعا لها فرد الله عليها بصرها

ومنها من وضع رجله على رغبة الأنثى حتى صارت التاففة . وهو هاجر (:)
أبى عبد قيس ، ومنها من مات فرسه في التزو فقال اللهم لا تجعله مخلوق على منة ، ودعا الله فأحياه . فلما وصل إلى بيته (١) قال يا بني خذ سرج الفرس فإنه هارية ، فأخذ سرجه فمات ، وهـ (صلة بن أشيم) (***) .

وكان سعيد (****) بن المسيب لما خلى في المسجد

(١) في (ب) لا توجد كلمة (إلى بيته) .

الأعلام

(٥٠) هو العالم الرباني العابد الزاهد ثنائي الكبير الشأن ربحانة الشام هاجر في خلافة الصديق وروى عن عمر ومعاذ وغيرها وله كرامات كثيرة في حروب المسلمين مع الروم ، مات في خلافة معاوية أو ابنه . ص ٨٧ السكواكب الدرية في تراجم الصوفية ١ .

(٥٥) هو هاجر بن عبد الله المعروف بابن عبد قيس العبدي البصري المراقب المستحي ، كان مالك بن دينار يقول فيه (هو راهب هذه الأمة) مات في خلافة معاوية ودفن ببيت المقدس (السكواكب الدرية ج ١ ص ١٧٩ ، ١٣٠) .

(٥٥٥) السكواكب الدرية ج ١ ص ١٢٥ ، ١٢٦ وهو أبو الصهباء أحد زهاد الدنيا كان عند ثنوازل محتسباً صابراً وله كرامات ظاهرة وأحوال باهرة ، مات سنة ٩٥ هـ بمصر ودفن بالقرافة ، وفي صفوة الصفوة أنه ابن (أشيم) ولكن في (ب) والسكواكب بالباء وفي (أ) غير منقوطة .

(٥٥٥٥) هو سعيد بن المسيب بن حزن ولد لسنتين خلتما من خلافة عمر بن

أيام الحرة^(١) مع الأذان من قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم .
وكان عمر (*) بن هبة بن فريقد يصلي يوماً في شدة الحر [فأظلمت]^(٢)
غمامة .

وكان مطرف (*) بن عبد الله الشخير إذا دخل بيته سمعت منه آية .
ولما مات الأنصف (*) بن قيس رقت قلعة رجل في قبره فأهوى

(١) أيام الحرة هي أيام حصار المدينة من جهة الحرة وهي مكان يظهر المدينة
وقد حاصرها (يزيد بن معاوية) سنة ٦٩ لما طرد أهلها عامه عليها فبعث إليهم
(مسلم بن عقبة المري) ثم دخلها عنوة وأسرف هو وجنوده في القتل والسلب
والنهب ثلاثة أيام .

(٢) في (أ) (فاصلته) بدل أظلمت وهو سهو من المؤلف .

الأعلام

= الخطاب رضى الله عنه ، كان من العلماء الأفاضل العاملين بعلومهم ومن مآثراته :
(ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله عز وجل ولا أهانت بمثل معصية الله) .
(وكفى بالموءمن نصرة من الله عز وجل أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله) . ومات
رضى الله عنه بالمدينة وهو ابن أربع وثمانين سنة على خلاف في ذلك . صفوة
الصفوة ص ٤٤ ، ٤٥ ج ٢ .

(٠) هو عمر بن عتبة بن فرقد السكوفي ، وفي (أ) ، (ب) (عمرو) صاحب
الأحوال الحارقة والسكرامات الظاهرة منها أن السبع كان يحرسه وهو يرعى
ركاب أصحابه لأنه كان يشترط على أصحابه في النزول أن يخدمهم . استشهد في
غزوة أذربيجان في خلافة عثمان ص ١٤٧ المصدر السابق .

(٠٠) هو مطرف بن عبد الله الشخير المتعبد المتنسك كان لنفسه مذلاً ، ولذا كرر
ربه مجلاً ، مات سنة ٩٥ هـ . ص ١٧٦ المصدر السابق .

(*) الأنصف بن قيس بن معاوية بن حصين المري التميمي سيد بني تميم =

ليأخذها فوجد القبر قد فُتح فيه من البصر .

وأوس القرني (*) وجد بالمسلمات في ثيابه أكلنا لم نكن معه من قبل ، ووجدوا له قبراً صغيراً في صخرة فدفنوه فيه ، وكننوه في تلك الأواب

وكان إبراهيم التيمي (**) يتيم الشهير والشهيرين لا يأكل شيئاً ، وخرج بمنازلهم طعاماً فلم يقدر عليه ، فأخذ من موضع تراباً أحرم رجع إلى أهله ففثحوها فإذا هي حنطة حراء . وكان إذا زرع منها فخرج المسال من أصابها إلى فرعها حباً متراً كباً

وأصاب عبد الواحد (**) بن زيد النالج فسأله ربه أن يطلق أعضاده وقت

الأعلام

وأحد العظام الدهاء الفصحاء الشجعان الفاتحين ، يضرب به المثل في الحلم أدرك النبي (ﷺ) ولم يره ووفد على عمر حين آلت الخلافة إليه فأعجب عمر بعقله توفي سنة ٧٣ هـ . الأعلام ج ١ ص ٣٦٢ .

(*) هو أويس بن عامر المراسي بن النمين روى عن عمر وعلي وعن ابن أبي ليلى وغيره ، ينظر : الموافقات للشاطبي ج ٢ ص ٨٤ ، السكواكب الدررية ج ١ ص ٨٠ و ٨١ ، حلية الأولياء ج ٢ ص ٢ .

(**) إبراهيم بن يزيد بن شريك بن طارق التيمي ، يروي عن أنس ، ومات في سجن الحجاج سنة ثلاث وتسعين ، وقيل أثنيتين وتسعين ، وكان عادياً صابراً على الجوع أرسلت عليه السكالب في السجن تمسح حتى مات ، وكان «و وأبوه تقيين (الباب في تهذيب الأنساب ص ١٩٠ ج ١) .

(...) هو عبد الواحد بن زيد البصري توفي سنة ١٧٧ هـ . حلية الأولياء ج ٢ ص ١٥٥ ، شذرات الذهب ج ١ ص ١٨٧ .

الوضوء ، فكان وقت الوضوء تملأ له أعفأؤه ، تعود بعده ، وخير ذلك كثير (١) .

مقـى يكون الخارق كرامة :

والفواصل أن من كان من المصدقين (٢) من الأولياء إن كان من المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والقدر غيره وشهره قبالما أوجب الله عليه ، تاركاً لما نهاه الله عنه مستكراً من طاعته ، فهو من أولياء الله سبحانه وما ظهر عليه من السموات التي لم تخالف الشرع فهي بوهبة من الله عز وجل لا يحل لمسلم أن ينسبها

ومن كان بعكس هذه الصفات ، فليس من أولياء الله سبحانه وليه ولا يـه
وحانية بل شيطانية ، وكراماته من تلبس بالشيطان عليه وعلى الناس

وليس هذا بغير ما ، ولا مستنكر ، فكثير من الناس من يكون عوداً
بخدم من الجن ، أو بأكثر فيخدمونه في تعبيل ما يشتهي ، وربما كان عوداً
من الحرمات ، وقد قلنا أن الميراث لا يزغ ، والميزان الذي لا يـور ،
هو ميزان السكتاب والسنة .

فمن كان متبعاً لما معتدأ عليهم فكراماته ، وجميع أسوآله روحانية ، ومن
لم يتمسك بهما ويقف عند حدودهما فأحواله شيطانية ، فلا تعيل الكلام
هذه اللقـام ، ولتعد إلى شرح الحديث الذي نحن بهمد الكلام عليه ،
فنعول :

(١) نلاحظ أن الشوكاني نقل هذه السمكرامات من الفرقان لابن تيمية ، انظر

ص ٢٣١ — ١٣٢ .

(٢) في (ب) (من كان معدوداً) .

المعاداة من الولي كما يمكن أن تنصور :

قال ابن حجر في فتح الباري : « وقد استشكل وجود أحد بعاديه يعنى الولي ، لأن المعاداة ، إما تقع من الجانبين ، ومن شأن الولي الحلم والصفح عن من يجعل عليه ٢١١ .

وأجيب بأن المعاداة لم تنحصر في الطغورية ، والمعاملات النورية مثلاً بل قد تنشع^(١) من بغض ينشأ من التعصب ، كالرافض في بغضه لأبي بكر والمبتدع في بغضه لاسنى فتقع المعاداة من الجانبين .

أما من جانب الولي : فله تعالى وفي الله وأما من جانب الآخر فلما تقدم . وكذا الفاسق المنجهر ببغضه للولي ، وببغضه الآخر لإنكاره عليه وملازمته لنفيه عن شهوداته .

وقد تطلق المعاداة ، ويراد بها الوقوع من أحد الجانبين بالفعل ، ومن الآخر بالقوة^(٢) انتهى .

وأقول معلوم أن غالب للعداوات الدينية لا تكون إلا بين المتبع والمبتدع ، والمؤمن والفاسق ، والصالح والطالح ، والعالم والجاهل ، وأولياء الله سبحانه وأعدائه .

ومثل هذا من الواضح بحيث لا يحتاج إلى سؤال ، ولا ينشأ عنه إشكال . والولي لا يكون ولباً لله حتى يبغض أهداء الله وبعاديه ، وينكر

(١) في (أ) ، (ب) البناء دون نقط هكذا (بقع) .

(٢) ص ٢٩٣ .

عليهم ، فماداتهم والإنكار عليهم هو من تمام ولايته ، وما تقرب
صحتها عليه .

وأولياء الله سبحانه هم أحق عباد الله بالقيام في هذا المقام اقتداء برسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنه كان إذا غضب لله أحمر وجهه وهلا صوته حتى
كأنه مندر جيش يقول : صبحكم ومساكم ، يهكنا المعادة من المؤمن للفاسق ،
ومن الفاسق للمؤمن .

فإن المؤمن يعاديه لما أوجب الله عليه من عداوته ، وانكاره لما هو
عليه من الوقوع في معاصي الله سبحانه ، والانتهاك لحرمه ، وتعدى حدوده .
والفاسق قد يعاديه لإنكاره عليه وخشوفه من قيامه عليه ، وقد يكون
ذلك لما جرت به عادة الفاسق من الإزراء بمن يكفر من طاعة الله والسخرية
بهم ، كما يعرف ذلك من يعرف أحوالهم ، فإنهم بعدون ما هم فيه من الالم
واللهو ، هو العيش الصافي ، والمنهج الذي يختاره العقلاء ، ويمدون المستغنيين
بمطاعة الله من أهل الرياء والتلصص لاقتناص الأموال .

وأما العداوة بين العالم والجاهل فأمرها واضح ، فالعالم يرغب عنه ويعاديه
لما هو عليه من الجهل للدين ، وعدم القيام بما يحتاج إليه من كان
من المسلمين .

والجاهل يعاديه لكونه قد طار بتلك المزية الجليلة ، وانحصلة النبيلة التي هي
أشرف خصال الدين ^(١) :

فنزلة السفيه من الفقيه كنزلة الفقيه من السفيه
فهذا زاهد في حق هذا وهذا فيه أزهى منه فيه

(١) في (ب) توجد (المؤمن) بدل الدين .

وأما العداوة بين المتبع والمبتدع فأمرها أوضح من الشمس فإن المتبع يعادى المبتدع لبدعته ، والمبتدع يعادى المتبع لإتباعه وكونه على الصواب ، والتمسك بالبدع يعنى بصائر أهلها فيظن أن ما هو عليه من الضلالة هو الحق الذى لا شبهة فيه ، وأن المتبع للكتاب والسنة على ضلالة .

وقد تبلغ هدايات أهل البدع لغيرهم من أهل الاتباع فوق هداياتهم ليهود والنصارى ، ولا شك أن أولياء الله سبحانه لهم من منصب الإيمان والعلم والاتباع المنسبب الأوفر .

فأعداؤهم يكثرون لكثرة ما منحهم الله من إعصاال الشريعة ، ويحسدونهم زيادة على ما يحسدون أهل الفضائل لاجتماعها لديهم ، مع فوزهم بالقرب من الله بما فتح الله عليهم به ^(١) من طاعاته ، فرائضها ، ونوافلها .

وهم أيضا يكرهون أعداء الله لوجود المقتضيات لديهم لكرهاتهم ؛ من الإيمان والعلم والعمل الصالح ، وتتوى الله سبحانه على الوجه الأتم .

وإذا التمس عليك هذا فانظر في تمثيل يقربه إليك وهو أن من كازله حظ من سلطان أكثر أعداؤه حسدا له هلى تلك المنزلة الدنياوية .

ومن كان رأسا فى العلم عاداه غالب المنتصرين ، لا سيما إذا خالف ما يعتقدونه حقاً . وجمهور العامة تبعاً لهم ، لأنهم ينظرون إلى كثرتهم ، والقيام بما يحتاجون إليه من القتارى والفضاء ، مع تلبسهم عليهم بعبود مفتراة لذلك العلم الذى وصل إلى ما لا يعرفونه ، وبلغ إلى ما يقصرون عنه ، أقل الأحوال أن يلتقوا إليهم بأنه يخالف ما هم عليه هم وآباؤهم وما مضى عليه سلفهم .

(١) يوجد فى (ب) كلمة (سبحانه) بين (به) ومن (طاعته) ، ولا يوجد لفظ الجلالة بعد (فتح) .

وهذه وإن كانت شكاية ظاهر^(١) عن ذلك العالم عارها ، لسكنها تقع من قبول العامة لها في أعلى محل ، وتثير من شرهم ما لا يقادر قدره . وهذا كأن في غالب الأزمان من غالب نوع الإنسان .

قال ابن هبيرة^(*) في الإيضاح : « قوله : « حادى لى ولياً » ، أى اتخذته هدواً . ولا أرى المعنى إلا أنه عاداه من أجل ولايته ، وهو : إن تضمن النهي من إبداء قوب أولياء الله تعالى ، فليس على إطلاقه ، بل يستثنى منه ما إذا كانت الحال تقتضى نزاهة بين وليين في خاصمة أو محاسبة ، وترجع إلى استخراج حق ، أو كشف غرض . فإنه جرى^(٢) بين أبي بكر وعمر مشاجرة وبين العباس وعلى إلى غير ذلك من الوقائع .

وتعقبه ألفا كهاني^(**) . « بأن معاداة الولي لا تفهم إلا إذا [كانت]^٣ على طريق الحسد الذي هو تمنى زوال ولايته » ، وهو بعيد جداً في حق الولي فتأمل . قال ابن حجر : « والذي قدمته أولى أن يعتمد »^(٤) انتهى .

(١) في (ب) (طاهر) نفسى المقط .

(٢) في (ب) (فإنها جرت) .

الأعلام

(*) من (٥٦٠ - ٦٠٧ هـ) مسعود بن يحيى بن محمد ابن هبيرة . أديب من بيت وزارة مولده ووفاته ببغداد . حدث وصنف . الأعلام ج ٨ ص ١١٩ .

(**) هو صهر بن على بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري تاج الدين ألفا كهاني له كتب : منها (الإشارة) (خ) في النحو و (المنهج المبين) في شرح الأربعين النووية ، و (رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام) (خ) في الحديث . توفي سنة ٧٣٤ هـ الأعلام ج ٥ ص ٢١٧ .

(٣) في (أ) (كان) ، ولكن السياق يقتضى (كانت) .

(٤) ص ٢٩٣ فتح الباري .

قلت : أما الخاصة في الأموال والديار ، فهي مستثناة سواء كانت بين أوليين ، أو بين الولي وغيره ، فمن ادعى عليه بما يلزمه التخلص هذه شرعا ، ولم يكن ذلك مجرد التمتع ، فحق على ذلك الولي ^(١) ، أن يتخلص مما يجب عليه ، ولا يخرج به صدره ، ولا يتأذى به قلبه ، فإن التأذى من التخلص من الحقوق الواجبة ؛ ليس من ^(٢) دأب الأولياء . (فلا وربك لا يؤمنون حق يحكموك فيما شجر بينهم ؛ ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ؛ ويسلموا تسليما ^(٣)) .

(١) هنا خروج من الشوكاني على المبدأ العام في عدم إمكان تحديد شخص الولي لا من جهة الشخص نفسه ولا من جهة من حوله ، فإن الرسول ﷺ كان دائم الاستغفار ، كما قال عن نفسه أيضاً « إني لأخشاكم الله وأتقاكم له » . « وما أدرى ما يفعل بي ولا بكم » بلسانه مرة و بلسان القرآن مرة أخرى . فهو ﷺ ظل في موقف الخائف والحريص إلى آخر لحظة من حياته ، ولم يخطر بباله أنه قد فاز أو اقتحم العقبة أو أنه ليس له من الأعمال ما يحاسب عليه ، فإذا كان ﷺ كذلك فالأولى بمن بعده أن يخاف ولا يركن إلى فكرة أنه قد صار من الأولياء ، فلا يظن أنه قد وصل إلى درجة الولاية ، بل يظل طول حياته يعمل على الوصول إليها وفي سبيلها ، فلا يجوز له أن يعتقد في نفسه الولاية . ولا لغيره أن يعتقد فيه كما قال (ﷺ) « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها ذارع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار » ، إلا إذا اشتهر بين الناس بصفات الأولياء وأصلهم ، فحينئذ يجوز لغيره أن يغلب فيه الظن بالولاية لا لنفسه . ينظر مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ص ٣٣ ؛ فهناك يقول : أولياء الله المحددون هم العشرة المبشرون بالجنة ولا يجوز التهميم بالقطع على غيرهم .

(٢) في (ب) لا توجد كلمة (من) .

(٣) النساء : ٦٥ .

وتحكيم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو تحكيم ما جاء به من الشريعة المطهرة . وهي موجودة في كتاب الله سبحانه ، وفي سنة رسوله ^(١) صلى الله عليه وآله وسلم وهما باقيان إلى هذه النفاية بين أظهر المسلمين . والعلماء الممارفون بما فيهما ، موجودون في كل أقطار الأرض ، فإذا حكم حكم منهم على الولي بما يجب عليه في كتاب الله سبحانه ، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلا مثال عليه أوجب من الامتثال على غيره لارتفاع رتبته ومزيد [خصوصيته] ^(٢) بكونه ولياً لله سبحانه ، فإذا خرج صدره من ذلك وتأذى به فهو قاذح في ولايته ، وليس على الخصام له ولا على الحاكم الذي حكم عليه شيء من الإثم

عودة إلى مقياس الولاية :

وقد قدمنا أن المعيار الذي تعرف به صحة ولايته ، هو أن يكون عاملاً بكتاب الله سبحانه وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم مؤثراً لهما على كل شيء مقدماً لهما في إصداره وإبراده ، وفي كل شأنه ، فإذا زاع هتوما زافت . هذه الولاية .

وانظر ما اشتملت عليه هذه الآية ^(٣) الشريفة مما هو موهظة للمتعطين وعبرة للمعتبرين ، فإنه أولاً بدأ فيها بالقسم الرباني ، وأقسم بنفسه هو وحده وتقدس مشرفاً له صلى الله عليه وآله وسلم بإضافة الربوبية إليه ، جازماً بنفسه

(١) في (ب) (رسول الله) .

(٢) في (ب) ، (أ) (خصوصية) وأملها سهو كتابي من المؤلف . وقد سهواً بالناسخ في (ب) أيضاً عن النظر في أسلوبها فنقلها كما هي .

(٣) المتقدمة في الصفحة السابقة .

الإيمان عن خالف هذا القسم الرباني ، فقال : لا يؤمنون . ثم جعل لذلك غاية هي تحكيمه صلى الله عليه وآله وسلم فيما شجر بين العباد .

ثم لم يكتف بذلك حتى قال : « ثم لا يجحدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت » فلا ينفع مجرد التحكيم لسكتاب الله سبحانه ولسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى لا يكون في صدر المحكم لهما حرجاً من ذلك القضاء .

ثم لم يكتف بذلك ، حتى قال : « ويسلموا » فلا ينفع مجرد التحكيم لهما مع هدم الحرج من الحكم عليهما حتى يسلم ما عليه مما أوجبه القضاء^(١) بهما . ثم جاء بالنأ كيد لهذا التسليم لتفيد أنه أمر لا مخلص عنه ، ولا خروج منه . فكيف يجحد من كان ولياً لله سبحانه حرجاً في صدره على خصمه للطالب له بحق يحق عليه التخاص منه ، أو على حاكمه الذي حكم به عليه ؟

فإن هذا ليس بصنيع أهل الإيمان بالله ، فكيف بأوليائه الذين ضموا إلى الإيمان ما استحقوا به اسم الولاية ، والعزة الربانية^(٢) .

ولكن هذا إذا كان الخهم^(٣) يعلم أنه محق في طلبه ، وأن ذلك الحق ثابت له لا محالة ، فإن التقاضى : إنما يقضى له بالظاهر الشرعي^(٤) ، كما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الصحيحين وغيرهما أنه قال : « إنكم تخفونهم إلى ولعل بعضهم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، وإنما ألقى بينهم ما أسمع من قضيت له من حق أخيه شيئاً ، فلا يأخذه ، وإنما أقطع له قطعة من النار » .

(١) في (ب) (لها) وهو خطأ واضح .

(٢) هذا أبلغ توضيح لما يجب أن يكون عليه الولي في مواقف الخصومة .

(٣) في (ب) (إذا كان يعلم الخهم) وهو تعبير ضعيف في هذا المقام .

(٤) في (أ) كلمة الشرعي تكررت وهو سهو طبعاً من المؤلف .

فهذا يقوله^(١) الصادق المصدوق سيد ولد آدم ، المبعوث إلى جميع العالم
لأنفسهم وجنهم ، وقد أخبرنا بأنه^(٢) إذا قضى بشيء مما سمعه ، وكان الباطن
بخلافه لم يجز للمحكوم له أن يأخذه بل هو قطعة من النار فكيف بمن هو
مظنة للخطأ ، وحمل الإصاابة تارة ولغيرها أخرى ، ومن لا هممة له ، ولا روى
ينزله عليه ١١٢ .

وقد صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الصحيحين وغيرهما أنه قال :
إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر فكل
حاكم من أحكام المسلمين [يتردد]^(٣) حكمه بين العواب والخطأ ، ولكنه
مأجور على كل حال ، لأن ذلك فرضه الواجب عليه ، ولا يحل للمحكوم له
أن يستحل مال خصمه بمجرد الحكم ، كما قضوا به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
في أحكامه الشرعية فكيف بأحكام غيره من أحكام أمته ١١٣ .

وقد ثبت في السنن^(*) وغيرها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إن
النفاء ثلاثة قاضيان في النار : قاض في الجنة ، فإحدى في الجنة رجل علم بالحق^(٤) »

(١) في (ب) تكررت (يقوله) .

(٢) في (ب) (أنه) فقط دون الباء .

(٣) في الأصل (يتردد) وهو سهو من المؤلف .

الأعلام

(*) هي سنن أبي داود : سليمان بن أشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ هـ
وسننه : إحدى كتب الحديث الست الصحيحة ، وقد قال فيها : كتبت عن رسول
الله ﷺ وآله وسلم خمسمائة ألف حديث ، اتخذت ماضئته وجمعه في كتابي
هذا وهو أربعة آلاف حديث ، وثمانية أحاديث في الصحيح ، وما ينسبهم (ص ٩٠٤)
كشف الظنون ج ٢ .

(٤) في (ب) (علم الحق) دون الباء .

وقضى به والقاصيان [اللذان]^(١) هما في النار : رجل قضى للناس بجهل فهو في النار ، ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار .

وبهذا تعرف أن الظلم المحاكم للولي ، إذا كان يعلم أنه لا حق له عليه وأن دعواه باطلة ، فهو داخل تحت قوله : « من هادى لى ولياً » لأن دعواه الباطلة على الولي مما دأ له ظاهرة ، فاستحق الحرب الذي توهمه الله سبحانه به في هذا الحديث .

وأما القاضى إذا قضى عليه بما هو في ظنه [حق]^(٢) [موافق]^(٣) للكتاب والسنة ، واجتهد في البحث والفحص ، وكان أهلاً للحكم فليس ذلك منه بمادة للولي ، وليس عليه من تأذبه بحكمه شيء ، فهو قد حكم بالشريعة الملهمة واستحق أجرين أو أجراً ، وامتنل ما أرشده^(٤) إليه الصادق للصديق صلى الله عليه وآله وسلم .

للراد بالشريعة :

وها هنا نكتة يلغى التنبيه لها من كل أحد من أهل العلم ، وهي أن لفظ الشريعة إن أريد به الكتاب والسنة ، لم يكن لأحد من أولياء الله تعالى ولا من غيرهم أن يفرض منه ، ولا يخالفه بوجه من الوجوه ، وإن أريد به حكم الحاكم فقد يكون^(٥) صواباً ، وقد يكون خطأ كما بينه رسول

(١) في (أ) (الذين) بالنصب وهو سهو .

(٢) في (أ) (حقاً) بالنصب وهو خلاف القاعدة المحوية .

(٣) وكذلك (أ) فيها (موافقاً) بالنصب .

(٤) في (ب) (أرشد) .

(٥) في (أ) تسكّرت (فقد يكون) وهو سهو من المؤلف .

الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث السابق^(١) باللعن الأول . [و]^(٢)
ليس لأحد أن يخرج هذه^(٣) ، ومن خرج هذه فهو كافر :

ومن ظن أن لأحد من أولياء الله سبحانه طريقا إلى الله تعالى غير
الكتاب والسنة ، واتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو كاذب .
وقد غلط كثير من الناس فجعلوا الشريعة شاملة للقسمين ، وما أقبح
هذا الغلط ، وأشد عاقبته ، وأعظم خطره .

الكونيات ، والدينيات في القرآن الكريم :

وكما وقع الاشتباه بين هذين القسمين ، وقع الاشتباه أيضا بين شيئين
آخرين ، وإن كانا خارجين عما نحن بصددده وهو الفرق بين الإرادة
الكونية ، والإرادة الدينية ، وبين الأمر الكوني والأمر الديني ، وبين
الإذن الكوني والإذن الديني ، وبين القضاء الكوني والقضاء الديني ،
والبعث الكوني والبعث الديني ، والإرسال الكوني والإرسال الديني ،
والجمل الكوني والجمل الديني ، والتحرير الكوني والتحرير الديني ، وبين
الحقيقة الكونية والحقيقة الدينية .

والفرق بين هذه الأمور واضح ، وإن اشتبه على طائفة من أهل العلم
فخطوا ، وخطوا .

(١) في الصفحة السابقة ص ٢٨٠ : (إذا اجتهد الحاكم .. الخ) .
(٢) في (أ) لا توجد (الوار) قبل (ليس) ، ولكنها ضرورية لأنه
استئناف كلام المراد منه الحظ على لزوم الكتاب والسنة ، والعمل بالحديث الذي
يحض على مبدأ الاجتهاد .

(٣) أي عن ذلك الحديث المشار إليه كما يفهم من المقام ، فالواجب على القضاء
الاجتهاد ولزوم الحديث ، وغير القضاء في النظر إلى أحكامهم على هذا الأساس .

وبيان ذلك أن الله سبحانه له الخلق والأمر، كما قال: «إن ربكم الله^(١) الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ينفث الليل والنهار يطأه حيثما، والشمس والقمر، والنجوم مسخرات بأمره، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين»^(٢).

فهو سبحانه خالق كل شيء وربّه وما يملكه^(٣) لا خالق غيره ولا رب سواه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. وكل ما في الوجود من حركة وسكون بقدرة وقدرته ومشيئته وقدرته وإرادته وخلقه، وهو سبحانه أمر بطاعته وطاعة رسوله، ونهى عن الشرك بالله سبحانه.

فأعظم العنايات التوحيدية والإخلاص، وأعظم المعاصي الشرك «إن الله لا يفر أن يشرك به، ويفر ما دون ذلك لمن يشاء»^(٤) وقال سبحانه «ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله، والذين آمنوا أشد حبا لله»^(٥).

وفي الصحيحين وغيرهما عن ابن مسعود^(*) قال: «قامت يا رسول الله

(١) في (أ) سقط لفظ الجلالة سموا من المؤلف.

(٢) الأعراف: ٥٤.

(٣) في (ب) (وما لكه).

(٤) النساء: ٤٨.

(٥) البقرة: ١٦٥.

الأعلام

(٥) أحد أصحاب رسول الله ﷺ وأحبهم إليه وكان من أوائل الناس إسلاماً، وأحفظهم للقرآن الكريم والحديث الشريف. وقال فيه الرسول ﷺ كما روى عن زر بن حبیش عن ابن مسعود: أنه كان يجنّي سوا كما من =

أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك قلت : ثم أي ؟ قال :
أن تقتل ولدك خشية أن تطعمه منك . قلت ثم أي ؟ قال : أن تزني بحليلة
جارك . فأنزل الله ^(١) تصديق ذلك : والذين لا يدهون مع الله إله آخر ،
ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق
أثاماً ، يضاعف له المذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب وآمن وعمل
عملاً صالحاً ، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفوراً رحيماً ^(٢) .

وأمر الله سبحانه بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذي القربى ، ونهى عن
الفحشاء والمنكر والبغى ، وأخبر أنه يحب المتقين ^(٣) ، [و] المحسنين ، ويحب
المتواضعين ويحب المتطهرين ، ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بلبيان
مرصوص ، وهو يكره ما نهى عنه ، كما قال : (كل ذلك كان سيئته عند ربك
مكروهاً) . وقد نهى عن الشرك وعقوق الوالدين ، وأمر بإيتاء ذي الحقوق ،
ونهى عن التبذير والافتقار ، وأن يجعل يده غلولاً إلى عنقه ، وأن لا يبسطها

(١) في (ب) كلمة (تعالى) بعد لفظ الجلالة .

(٢) ٦٨ ، ٦٩ ، ١٧٠٦ الفرقان .

(٣) في (أ) لا توجد (واو) قبل المحسنين .

الأعلام

== الأ . ك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكسوه فضحك القوم منه ، يقال رسول
الله ^(صلى الله عليه وسلم) () مم تضحكون ، قالوا يابى الله من دقة ساقيه ، فقال : « فوا الذي
نفسى بيده لهما أثقل في الميزان من أحد » . ومن مأثوراته : « لا يقتلن أحدكم
دينه رجلاً فإن آمن آمن وإن كفر كفر » ولي قضاء الكوفة وبيت المال لعمر ،
وصدراً من خلافة عثمان ثم صار إلى المدينة فأت بها سنة اثنتين وثلاثين هـ ودفن
بالبقيع ص ١٥٥ جصفوة الصفوة) .

كل البسط ، ونهى عن قتل النفس بغير حق وعن^(١) قربان مال اليتيم ، لا بالتى هى أحسن إلى أن قال : (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها)^(٢) .

وهو سبحانه لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر .

والعبد مأمور أن يتوب إلى الله سبحانه ، وقال : فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)^(٣) . وقال : (وساروا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون أموالهم فى السراء والضراء ، والكافمين الغيظ ، والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ، والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون)^(٤) .

فما خلقه الله سبحانه وقدره وقضاه فهو يريد ، وإن كان لا يأمر به ولا يحبه ولا يرضاه ، ولا يثيب أصحابه ، ولا يجملهم من أوليائه .

وما أمر به وشهره وأحبه رضيه وأحب فاعليه وأثابهم وأكرمهم عليه ، فهو الذى يحبه ويرضاه ، ويثيب فاعله عليه .

فالإرادة الكونية ، والأمر الكونى ، وهى مشيئته لما خلقه من جميع مخلوقاته إنسانهم وجنهم ، مسلمهم وكافرهم ، حيوانهم وجمادهم ، ضارهم ونافعهم .

والإرادة الدينية والأمر الدينى : هى محبته المتنازلة لجميع ما أمر به وجعل شرعاً وديناً ، فهذه مختصة بالإيمان والعمل الصالح .

(١) فى (ب) لا توجد كلمة (عن) .

(٢) الإسراء : ٣٨ .

(٣) الزلزلة ٨٧ .

(٤) آل عمران من ١٣٣ — ١٣٥ .

أمثلة:

فمن الإرادة الأولى : أهني السكونية قول الله سبحانه : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، وعن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً ، كأنما يصعد في السماء)^(١) . وقول نوح^(٢) : (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم)^(٣) . وقال تعالى : (وإذا أراد الله بشئ سمعوا سماعاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال)^(٤) .

ومن الإرادة الدينية . قوله : (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر)^(٥) . وقوله تعالى : (إنما يريد الله ليكمل عليكم^(٦) من حرج ، ولعلكم تريد ليظهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون)^(٧) . وقوله سبحانه : (يريد الله ليعبين لكم عبادكم من الذين من قبلكم ، ويتموب عليهم ، والله هليم حكيم ، والله يريد أن يتموب عليهم ، ويريد الذين يتموبون الشهوات أن تعلموا عيلاً عظيماً ، يريد الله أن يخفف عنكم ، وخلق الإنسان ضعيفاً)^(٨) . وقوله سبحانه : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويظهركم طاهراً)^(٩) .

(١) الأنعام : ١٢٥ .

(٢) في (ب) يوجد (عليه السلام) بعد نوح .

(٣) هود : ٣٤ .

(٤) الرعد : ١١ .

(٥) البقرة : ١٨٥ .

(٦) في (أ) ، (ب) كلمة (في الدين) وهي سهو من المؤلف والبايع .

(٧) المائدة : ٦٠ .

(٨) النساء : من ٢٦ — ٢٨ .

(٩) الأحزاب : ٣٣ .

ومن الأمر السكوني : قوله سبحانه ^(١) (إنما قولنا ^(٢) لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) ^(٣) وقوله : (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) ^(٤) وقوله : (أناها أمرنا بياناً أو نهياً فجعلناها حصيداً كأن لم تكن بالأمس) ^(٥) .

ومن الأمر الديني : قوله سبحانه : (إن الله يأمر بالعدل ، والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر ، والبغى) ^(٦) وقوله سبحانه : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعماً يعظكم به إن الله كان سمياً بهيراً) ^(٧) .

ومن الإذن السكوني : قوله تعالى : (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) ^(٨) أى عيشته وقدرته ، وإلا فالهوى لا يبيحه الله . وقال تعالى : في الإذن الديني : (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً) ^(٩) وقال : (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) ^(١٠) وقال : (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله) ^(١١) .

ومن القضاء السكوني : قوله تعالى : (فتضامن سبع سموات) ^(١٢) وقوله : فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) ^(١٣) .

(١) في (ب) (قوله سبحانه) .

(٢) وكانت في الأصل وفي (ب) (أمرنا) وهو سهو منهما أيضاً .

(٣) النحل : وكانت في الأصل : «إنما أمرنا» ولكن صحتها ، (قولنا)

مخرجت بذلك عن موضع الاستشهاد .

(٤) القمر : ٥٠ (٥) يونس : ٢٤ (٦) الدحل : ٩٠ .

(٧) النساء : ٥٨ (٨) البقرة : ١٠٢ (٩) الأحزاب : ٤٦ .

(١٠) النساء : ٦٤ (١١) الحشر : ٥ (١٢) فصلت : ١٢ .

ومن القضاء الديني : قوله سبحانه (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه)^(١)
 أي أمر وليس المراد قدر فإنهم قد عبدوا غيره كقوله : (ويعبدون من دون
 الله مالا يضرم ولا ينفعهم ، ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله)^(٢) .
 وقول الخليل عليه السلام (أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون
 فإنهم يدعون إلا رب العالمين)^(٣) وقوله سبحانه : (قد كانت لكم أسوة
 حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم : إنا برآء منكم وما تعبدون من
 دون الله كفرنا بكم ، وبدأ بيننا وبينكم العداوة ، والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا
 بالله وحده)^(٤) وقوله سبحانه : (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون)^(٥)
 إلى آخر السورة .

ومن البعث السكوتي : قوله سبحانه : (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم
 هباداً لنا أول بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً)^(٦) .

ومن البعث الديني : قوله سبحانه : « هو الذي بعث في الأميين رسولا
 منهم^(٨) يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة »^(٩) .
 وقوله عز وجل : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا
 الطواغيت)^(١٠) .

(١) الإسراء ٢٣ . (٢) يونس : ١٨ .

(٣) الشعراء : من ٧٥ — ٧٧ . (٤) الممتحنة : ٤ .

(٥) سورة (الكافرون) . (٦) الإسراء : ٥ .

(٧) في (ب) سقطت من الناسخ كلمة (منهم) .

(٨) الجمعة : ٢ .

(٩) النحل : ٣٦ .

(١٠) في (أ) ، (ب) سقطت من المؤلف والناسخ كلمة (ألم تر) .

ومن الإرسال السكوني : قوله تعالى : (ألم تر ^(١) أنا أرسلنا الشياطين
على الكافرين تؤزهم أزاً) ^(٢) وقوله : (وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين
يدي رحمته) ^(٣) .

ومن الإرسال الديني : قوله سبحانه ^(٤) : (يا أيها النبي إنا أرسلناك
شاهداً وبشراً ونذيراً) ^(٥) .

وقوله تعالى : (إنا أرسلنا إليك رسولا شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى
فرعون رسولا) ^(٦) .

ومن الجمل السكوني : قوله سبحانه : (وجعلناهم أئمة يدعون إلى
النار) ^(٧) .

ومن الجمل الديني : قوله سبحانه : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) ^(٨)
وقوله تعالى : « ما جعل الله من بحيرة ، ولا سائبة ، ولا وصيلة ولا حام » ^(٩) .

ومن التحريم السكوني : قوله تعالى : (وحرمنا عليه للراضع من قبل) ^(١٠)
وقوله سبحانه : (محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض) ^(١١) .

ومن التحريم الديني : قوله عز وجل : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم

-
- | | |
|---|------------------------|
| (١) في (١) ، (ب) سقطت من المؤلف والناسخ كلمة (ألم تر) . | (٢) مريم : ٨٣ . |
| (٣) ٥٧ الأعراف . | (٤) في (ب) (تعالى) . |
| (٥) الأحزاب : ٤٥ . | (٦) المزمّل : ١٥ . |
| (٧) القصص : ٤١ . | (٨) المائدة : ٤٨ . |
| (٩) المائدة : ١٠٣ . | (١٠) القصص : ١٢ . |
| (١١) المائدة : ٢٦ . | |

الخنزير وما أهل الغدير الله به (١) وقوله (حرمت عليكم (٢) أمهاتكم ؛
وبناتكم (٣) وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت) (٤)
وقوله سبحانه : (قل لا أجد فيها أوحى إلى محرما على طاهم يعلمه) (٥) وقوله
تعالى : (قل إنما حرم ربي الفواحش) (٦) .

فجميع ما تقدم يتال لما كان كونيا عنه حقيقة كونية ، ولما كان دليلا منه
حقيقة دليمية .

التقدير ونفي احتجاج العصاة به :

وإذا هرفت هذا فاعلم أن من ظن أن القدر حجة لأهل المعاصي فقد غلط
غلطا مبينا ، واقعدى بأهل الكفر الذين سبى الله عنهم ، أنهم قالوا : (لو شاء
الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء) (٧) ثم قال :
(كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل (٨) هل عندكم من علم
فتخرجوه لنا ، إن ننبهون إلا الظن ، وإن أنتم إلا تخرون . قل فלה الحجة
البالغة فلو شاء لهذاكم أجهمين) (٩) .

(١) المائدة : ٣ .

(٢) في (أ) تكررت كلمة (عليكم) .

(٣) في (أ) سقطت من النسخ (وبناتكم وأخواتكم) وهو سهو وخطأ

(٤) النساء : ٢٣ :

(٥) الأنعام : ١٤٥ .

(٦) في (ب) زاد النسخ (ما ظهر منها وما بطن) وهى من الآية .

(٧) الأنعام : ١٤٨ ٤ ١٤٩ .

(٨) في (أ) غلط المؤلف وقال فهل (بدل (قل هل) .

(٩) في (ب) خطأ في الآية القرآنية .

ولو كان الله رجلاً لم يعذب الله سبحانه للكافرين للصلوات كقوم نوح
 وهاد ونوح وقوم فرعون وغيرهم ولم يأمر بإقامة الحدود على العصاة للكافرين
 لها ، ولا يهتج أحد بالقدر إلا إذا كان متبهماً هو أو غيره هدى من الله . ومن
 ظن ذلك فعليه أن لا يظن كافراً : ولا ضامياً ، ولا يماقبه إذا اعتدى عليه ،
 ولا يفرق بين من يفعل الخير ، ومن يفعل الشر ، وهذا خلاف ما تقتضيه
 عقول جميع العقلاء ، وما تقتضيه جميع كتب الله للنزلة وما تقتضيه كلمات
 أنبياء الله عليهم السلام (١) .

فلا تنسك بقل ولا شرع ، وقد قال الله سبحانه (٢) : « أم حسب الذين
 أخرجنا السبائل أن فهمهم كالذين آمنوا و عملوا الصالحات سواء مبهم
 ومما هم سواء ما يحكمون » (٣) . وقال تعالى : « أفحسبتم أنما خلطناكم معهما
 وأنكم إلينا لا ترجعون » (٤) . وفي ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث
 الصحيحة ، ومن ظن أن في محاجة آدم وموسى حجة للمحتجين بالقدر حيث
 قال موسى : أنت أبو البشر خلقتك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ،
 وأسجد لك ملائكته ، أخرجتنا ونفستك من الجنة فقال له آدم : أنت الذي
 اصطفاك الله بكلامه (٥) ، وكتب لك التوراة بيد ، فلم تلومني على أمر
 قدره الله هل قبل أن أخلق ؟ قال : فحج آدم موسى . هكذا في
 الصحيحين وغيرهما .

(١) في (ب) (الصلاة والسلام) .

(٢) في (ب) (تعالى) بعد (سبحانه) .

(٤) الجامعة : ٢١ .

(٦) المؤمنون : ١١٠ .

(٥) في (ب) (لكلامه) .

ووجه الحديث : أن موسى عليه السلام ^(١) ، إنما لام أباه آدم عليه السلام
لأنه كاه الشجرة التي كانت سبباً لإخراجه ، وذريته من الجنة ، ولم يلمه هلى كونه
أذن ذنباً وتاب منه فإن موسى يعلم أن التائب من الذنب لا يلام . وقد ثبت
فى الصحيح فى الحديث الذى صلى الله عليه وآله وسلم قال ^(٢) : « يا عبأى
إنما هى أعمالكم أحصها لكم ثم أوفىكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله
سبحانه ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » ^(٣) .

الصحابه رضى الله عنهم ومركزهم من الولاية :

وانرجع إلى شرح الحديث الذى نحن بصدد شرحه فنقول : اعلم أن
الصحابه ^(٤) لاسياً ^(٥) أبا برهم الجامعين بين الجهاد بين يدى رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ، والعلم بما جاء به ، وأشهدهم الله سبحانه من مشاهدة النبوة
ومحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى السراء والضراء ، وبذلهم أنفسهم
وأموالهم فى الجهاد فى سبيل الله سبحانه حتى صاروا خير القرون بالأحاديث
الصحيحة . فهم خيرة الطيرة ، لأن هذه الأمة هى كما أكرمهم الله به بقوله :
كنتم خير أمة أخرجت للناس ، وكانوا الشهداء على العباد كما فى القرآن العظيم

(١) فى (أ) السلام هكذا (السلام) دون الميم .

(٢) فى (ب) بعد قال : (يقول الله تعالى يا عبأى الخ) وهى لازمة ، لأن
القائل الله سبحانه وتعالى وليس الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٣) قد علق ابن القيم على هذا الحديث ، وبين آراء المتكلمين فيه ، وبأى
وجه احتجوا به على آرائهم فى القدر ص ٣٩ — ٣١ من شفاء العليل فى مسائل
القضاء والقدر والحكمة والتعليل .

(٤) فى (ب) يوجد (رضى الله عنهم) .

(٥) فى (ب) (هم) بعد لاسياً .

تتم خير العباد جميعا ، وخير الأمم صابقتهم ولاحقهم ، وأولهم وآخرهم . وهؤلاء الصحابة رضى الله عنهم ، هم خير قرونهم ، وأفضل طوائفهم إلى يوم القيامة . فتقرر بهذا أن الصحابة رضى الله عنهم خير العالم بأسره من أوله إلى آخره ، لا يفضلهم أحد إلا الأنبياء والملائكة ، ولهذا لم يعدل مثل أحد ذهابه أحدهم ، ولا نهيفه .

فإذا لم يسكنوا رأس الأولياء ، وصهوة الأتقياء ، فليس لله أولياء ، ولا أتقياء ، ولا بررة ، ولا أصفياء .

وقد نطق القرآن الكريم^(١) بأن الله^(٢) رضى عن أهل بيعة تشجرة وهم جمهور الصحابة إذ ذاك .

وثبت عنه صلى الله عليه وآله ولم يثبتوا متواترا أن الله سبحانه أطاع على أهل بدر فقال : (اعلموا ما شئتم فقد خفرت لكم) . وشهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجاهة منهم بأنهم من أهل الجنة .

فقوله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث : « من عادى لي وليا » ، يصدق عليهم صدقا أولياءه ، يتباركهم بفحوى الخطاب .

فانظر أرشدك الله إلى ما صارت الرافضة أقامهم^(٣) الله تعينه بهؤلاء الذين هم رؤس الأولياء ورؤساء الأتقياء ، وقادة المؤمنين ، وأصوة المسلمين ، وخير عباد الله أجمعين من الطين واللعن والنسب والشتم والنم ، وانظر إلى أى مبلغ بلغ الشيطان الرجيم بهؤلاء اللغزبين المجترئين على هذه الأهراس

(١) في (ب) (العظيم) .

(٢) في (ب) (سبحانه وتعالى) بعد لفظ الجلالة .

(٣) صغرهم وأذلهم .

المصونة المحترمة للمكرمة ١١١ .

فبإلهه المحجب من هذه العقول الرقيقة ، والأفهام الثمينة ، والأذهان المختلة ، والإدراكات المعتلة ، فإن هذا التلاهب الذي تلاهب بهم الشيطان بفهمه ، أقصر الناس فعلا ، وأبعدهم فطانة ، وأجهدهم فهما ، وأقصرهم في العلم باها ، وأقلهم اطلاها .

فإن الشيطان لعنه الله سول لهم بأن هؤلاء الصحابة رضى الله عنهم الذين لهم المزايا التي لا يحيط بها حصر ، ولا يحصيها حد ولا عدد ، أبقوا بما يهتكون من أعراسهم الشريفة ، ويجهلون من مناقبهم المنيفة ، حتى كأنهم لم يكونوا . الذين أقاموا أعمدة الإسلام باسمهم ، وشادوا قصور الدين بمرامهم ، وامتدحوا الممالك الكسروية ، وأطعموا الملة العسرافية والجورانية ، وقطعوا حبال الشرك من الطوائف المشركة من العرب وغيرهم ، وأوصلوا دين الإسلام إلى أطراف المعمور من شرق الأرض وغربها ، وعينها وشمالها ، فانتسعت رقعة الإسلام وطبقت الأرض شرائع الإيمان ، وانتطعت هلائق الكفر وانقصمت حباله ، وانتهت أوصاله ، ودان بدين الله سبحانه الأسود والأحر ، والوثني ، والمالي .

فهل رأيت أو سمعت بأضعف من هؤلاء تمييزا ، وأكثر^(١) منهم جهلا ، وأزيف منهم رأيا ؟ يا الله العجيب بعاد بن خير عباد الله وأرفعهم قدس ، الذي بعث به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهم لم يعاصروهم ، ولا عاصروا من أذركم ، ولا أذنبوا إليهم بذنوب ، ولا ظلموهم في مال ، ولا دم ولا عرض ، بل قد صاروا تحت أطباق الترى وفي رحمة واسع الرحمة منه مئين من السنين . وما أحسن ما قاله بعض أمراء ههنا ، وقد رام كثير من أهل الرضى أن

(١) في (ب) (أكثرهم) .

يفتنوه ويوقعوه في الرفض : « مالي ولقوم بني وبينهم زيادة على اثني عشر مائة من السنين » . وهذا القائل لم يسكن من أهل العالم بل هو عبد صيره ماله أميراً ، وهدهد عقله إلى هذه الحجة العقلية التي يعرفها بالفتارة كل من له نصيب من عقل ، فإن هداوة من لم يظلم الممادى في مال ولا دم ولا عرض ، ولا كان معاصراً له حتى ينافسه فيما هو فيه ، يعلم كل حافل أنه لا يعود على الفاعل بفائدة .

هذا على فرض أنه لا يعود عليه بضرر في الدين فكيف وهو من أعظم الذنوب التي لا ينبغي فاعلها إلا «فو الغريم المجنى عليه بظلمه في عرضه ١١٢ . أنظر عاقل الله ، ما ورد في غيبة المسلم من الوعيد الشديد مع أنها ذكر الغائب بما فيه (١) كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيانها ما سأله السائل عن ذلك ثم سأله عن ذكره بما ليس فيه جعل ذلك من البهتان ، كما هو ثابت في الصحيح ، ولم يرخص فيها بوجه من الوجوه .

وقد أوضحنا ذلك في الرسالة (٢) التي أدفعنا بها ، ما قاله النورى وغيره من جواز الغيبة في ست صور ، وزيفنا ما قالوه تزيفاً لا يبقى بعده شك ولا ريب ، ومن بقي في صدره حرج وقف هليماً ، فإنها دواء لهذا الداء الذي هلك به كثير من هباد الله سبحانه .

فإذا كان هذا حراماً بيننا ، وذنوباً عظيماً في غيبة فرد من أفراد المسلمين الأحياء الموجودين ، فكيف غيبة الأموات التي صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) في (ب) (بما في المغتاب) فتكون الغائب من غاب : بمعنى اغتاب ، ولكن على ما هنا فإن الغائب على معناها الأصلي وهو غيب الحاضر .

(٢) وهي رسالة (رفع الريب فيما يجوز ولا يجوز من الغيب) أنظر ص ٤٥ .

عليه وآله وسلم النبي عنها بقوله : « لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا » ١٢ .

فكيف إذا [كان] ^(٣) هؤلاء المسبوين الممزقة أعضائهم المتهوكة حرمة لهم خير الخليفة ، وخير العالم كما قدمنا تحيته ١١٢ .

فسبحان الصبور الحليم ١١١ .

فيا هذا المنجى على هذه الكبيرة المنقمة على هذه العظيمة ، إن كان الحامل لك عليها واقف لك نفع ، وبها هو تأميك الظفر بأمر ديني ، وهرض عاجل ، فاعلم أنك لا تنال منه طائلا ، ولا تنوز منه بنقير ولا قطمير .

فقد جربنا وجرب غيرنا من أهل المصهور الماضية ، أن من طلب الدنيا بهذا السب [الذي] ^(١) فتح باب الشيطان الرجيم ، وشيوخ الملاحدة من الباطنية والتراحم والإسماعيلية تنسكت عليه أحواله وضائق عليه مما يشه ، ويأخذته مطالبه وظهر عليه كآبة المنظر ، وتمامة ^(٢) الهيمنة وراثته الحال ، حتى يعرفه غالب من رآه أنه رافضي ، وما علمنا بأن رافضيا أفتاح في ديارنا هذه قط .

وإن كان الحامل لك على ذلك الدين فقد كذبت على نفسك ، وكذبت شيطانك وهو كذوب .

فإن دين الله هو كتابه وصحة رسوله فانظر هل ترى فيهما إلا الإخبار

(١) في (أ) ، (ب) كانوا على لغة يتعاقبون .

(٢) في (أ) (التي) وهو سهو من المؤلف .

(٣) في (ب) و (قناة) .

لنا^(١) بالرضى عن الصحابة ، [وأنهم]^(٢) أشداء على الكفار ، وأن الله يفيظ
[هم] الكفار ، وأنه لا يلحق بهم غيرهم ، ولا ياتئاهم سواهم ١١٩ .

وهم الذين أنفقوا من^(٣) قبل الفتح وقالبوا ، وأنفقوا بعده كما حكمه
القرآن الكريم ، وهم الذين جاهدوا في الله حتى جاهدوا ، وجاهدوا بأولهم
؛ أنفقتهم في سبيله .

وهم الذين قاموا بفرائض الدين ، وأشرفوا في المسلمين ، وهم الذين وردت
لهم في السنة المنطرة المناقب العظيمة ، وأنفضائل الجسيمة هم وماز خصوصا .
ومن شك في هذا نظري دراوين الإسلام ؛ وفيما يلحق^(٤) بها من المسندات
والستدركات والمعاجيم ، ونحوها فإنه سيجد هناك ما يشفى غلله ويرى غلله
ويرده عن غوايته ، ويفتح له أبواب هدايته .

هذا إذا كان يعرف أن التشريعية الإسلامية هي الكتاب والسنة وأنه
للاشريعة بين أظهرنا من الله ورسوله إلا ذلك .

فإن كان لا يدري بهذا ويزعم أن له صلفاً في هذه المعصية العظيمة والظلمة
الذميمة ، فقد خره الشيطان بمخادع مثله ، وافتنون مثل فنونه ، وقد نزه الله
هز وجل علماء الإسلام سابقهم ولا حاتم ومجتهدهم ومفكرهم عن الوقوع
في هذه البلية الخالقة للدين المخرجة لمركبها من سبيل المؤمنين إلى طريق
الملاحدين .

(١) في (ب) سقطت (لنا) من النسخ .

(٢) في (أ) (أنه) ، (به) وهو سهو من المؤلف .

(٣) في (ب) سقطت (من) من النسخ .

(٤) في (ب) (يلحق) .

موقف أهل البيت من الصحابة :

فإن زعم أنه قد قال بشيء من هذا الضلال المبين قائل من أهل البيت للظاهرين ، فقد افترى عليهم الكذب البين ، والباطل الصراح فإنهم مجمعون سابقهم ولا حقهم ، هلى تعظيم جانب الصحابة الأكرمين ، ومن لم يعلم بذلك فليستأر في رسالة التي ألفتها في الأيام القديمة التي سميتها (إرشاد النبي إلى مذهب أهل البيت في محب النبي) فإنني نقلت فيها نحو أربعة عشر إجماعاً عنهم من طرق مروية عن أكابرهم وعن المتابعين لهم المتحسين يذهبهم .

فيا أيها المفرودين اقتديت ، وهلى من اهتديت ، وبأى جبل تمسكت وفي أى طريق سلكت يالك الويل والتمور ، كيف أذهبت دينك في أمر يخالف كتاب الله سبحانه ، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويخالف جميع المسلمين منذ قام الدين إلى هذه الغاية ، وكيف رضيت لنفسك بأن تكون خصماً لله سبحانه ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، واسنذه ولصحابته وجميع المسلمين ١١٩ أين ينأه بك ، وإلى أى هوة يرمى بك ، أما تخرج نفسك من هذه الظلمات للنراكة إلى أنوار هذا الدين الذي جادنا^(١) به الصادق المصدق عن رب العالمين ، وأجمع عليه المسلمون أجمعون ، ولم يخالف فيه مخالف يمتد به في إجماع المسلمين ، اللهم إلا أن يكون رافضياً خبيثاً ، أو باطنياً ملحداً ، أو قمرطلياً جاحداً^(٢) أو زنديقياً معانداً .

(١) في (ب) (جاء) فقط دون الضمير .

(٢) الرافضة الذين رفضوا الإمام زيداً وفارقوه لأنه لم يتبرأ من (أبى بكر وهر) رضى الله عنهما وقال ها وزيراً سجدى . والباطنية هم طوائف الشيعة ومن يخونهم من الصوفية في الاعتقاد في باطن للدين يخالف ذلك الظاهر الذي جاء به القرآن والحديث ، ويتفق مع مبادئهم الدخيلة على الإسلام . =

وها هنا حقيقة ترشدك إليها إن بقي لك طريق إلى الرشاد وفهم [إلى ما
إليه المقلاء تنقاد ^(١)] .

مبدأ الباطنية ، وكيف قاموا :

أعلم أن بقايا الجوس ، وطوائف الشرك والإطاد لما ظهرت الشريعة
الإسلامية وقهرتهم الدولة الإيمانية وليلة الحمديّة ، ولم يجدوا سبيلا إلى دهمها
بالسيف ولا بالسنان ، ولا بالطبقة والبرهان ، سخرها ما هم فيه من الإطاد
والزندقة بحيلة تقبلها الأذهان ، ونذهن لها العقول ^(٢) .

قاموا إلى البيت للطهرين ، وأظهروا محبتهم ونواياهم ، كذبوا وفتراد
وهم في الباطن أعظم أعدائهم ، وأكبر الخالفين [لهم] ^(٣) . ثم كذبوا على
أكبرهم الجاهل بين العلم والدين ، المشهورين بالصلاح والرشد ، فقالوا : قال
الإمام فلان كذا ، وقال الإمام فلان كذا ، وجذبوا جماعة من العامة الذين
لا يفهمون ولا يعقلون ، فتدرجوا معهم بدهوات ومررفة ، وسياسات شيطانية .
وما زالوا ينقلونهم من رتبة إلى رتبة ، ومن درجة إلى درجة حتى أخرجهم

= والقراطة ها أتباع أبي سعيد التردطلى مؤسس دولة القرامطة . وهم شعبة
من الباطنية ، وسيأتي توضيح المؤلف لذلك أكثر .

(١) في الأصل (وفهم إلى ما ينقاد إليه المقلاء انقياد) بسكون انقياد :
وأسلوب (ب) هنا أقوم .

(٢) وأرى أن التصوف المتأخر به . القرن الثاني الهجري حيلة أخرى استر
إلحادهم ، ومحاولة لتقويض الإسلام بطريق التظاهر بخدمة .

(٣) في الأصل لا توجد كلمة (لهم) ولكن الأسلوب يقتضيها ، وهي
موجودة في (ب) .

إلى الكفر البواح ، والزندقة المخضبة ، والإلحاد الصراح .

فمنذ ذلك ظهرت لهم دول : منها دولة اليمى التى قام بها (هلى (*) ابن الفضل) الملحّد الكافر كفرا أقبح من كفر اليهود والنصارى والمشرّكين . ونمّق بالإلحاد هلى منابر المسلمين فى غالب الديار الخنية ، وصيرها كفرية إسلامية باطنية .

وكذلك (منصور بن حسن) (**) انطرح معه من هند رأس الملعدة :

الأعلام

(*) على بن الفضل الجندى اليماني وهو رجل من اليمى أصله من سبأ وكان من دعاة الفرامطة شاهد الناس على القيام بدعوة المهدي المنتظر ، وكان مبدأ أمره سنة ٢٤٠ هـ وتبعه خلق كثير ، وسلك دمسكا شظيا وقتل خلقا كثيرا ، استولى على بلاد اليمى ودخل زبيد وقتل أربعة آلاف عنده غير الرجال ، ولم يدخل صنعاء أظهر مذهب الحبيث وارتكب المحظرات وادعى النبوة فكان المؤذن يؤذن (أشهد أن على بن الفضل رسول الله) وأباح لأصحابه شرب الخمر ونكاح البنات والأخوات وسائر المحارم ، وكان يكتب : (من باسط الأرض وادحها ، ومزلزل الجبال ومرسها ، على بن الفضل إلى عبده فلان) واستمر أمره ثلاث عشرة سنة ثم دسوا له سمّا فمات سنة ثلاثمائة وثلاث سنين هـ (فرجة الموم والحزن) ص ٢٢ ، كشف أسرار الباطنية ص ٢٠ .

(**) فى (الصليحيون) ، هو أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب وفى طائفة الإسماعيلية للدكتور محمد كامل حسين (الحسين بن حوشب) بالعام المهيمة . وفى (كشف أسرار الباطنية) : (أبو القاسم بن زاذان السكونى) ص ٢٠ ، كان يدين بمذهب الإمامية الإثني عشرية . وقدهى بالدعوة الباطنية ، وأرسل هو وعلى بن الفضل إلى السكونى لنلقى الدعوة من الإمام الباطن (المستور هناك) ورجعا إلى بلاد اليمى لنشر تلك الدعوة ، ويقال له منصور اليمى ، وفى فى اليمى سنة ٣٠٣ هـ . الصليحيون ص ٢٢ - ٤٨ .

(ميمون*) (القذاح) فلك بعض الديار اليمنية ، واسقوطن الحصن العظيم في مغارب اليمن ، وهو حصن مسور ونشر الدهوة الباطنية بالسيف كما نشرها (هلى ابن الفضل) ولما كننه كان في إظهار الكفر والإلحاد دون هلى بن الفضل ثم بقيت بعده بقايا يتناوبون هذه الدهوة الملعونة ، يقال لهم الدهاة ومنهم الملك الكبير (هلى بن محمد الصليحي) (***) الفأثم بملك غالب الديار اليمنية . وبقيت الدولة فيهم حيناً من الدهر ، ولكن الله حافظ دينه وناصر شريعته .

فإنه كان في جهات اليمن الجبالية ، دولة للأولاد (الإمام الهادي يحيى ابن الحسين) (***) رحمه الله ، فصار لهم ، وجار لهم ، وقالوهم في معركة بعده معركة ، وموطن بعده وطن حتى كفوهم عن كثير من البلاد ، وبقي الإسلام رسم ، والدين اسم ، ولولا أن الله حفظ دينه بذلك لعمارت اليمن بأسرها تروطية

الأعلام

(*) من كبار دعاة الفاطميين وأشرف على الدعوة في مرحلة من أمم مراحلها ، ويقال إنه هو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق الإمام المنتظر . الصليحيون ص ٢٧ — ٤٨ .

(**) هو رأس الأسرة الصليحية ، وأحد من ملكوا اليمن عنوة ، صاحب دعاة الفاطميين باليمن ، وماله إلى مذهبهم ، وصار إماماً فيه . ملك اليمن سنة ١٠٦٣ م توفي سنة ١٠٨١ م ، وقد ظلت أسرته (الصليحيون) تحكم اليمن إلى سنة ١١٣٧ م .

(***) قال فيه صاحب فرجة الموم والحرز ، أمام اليمن يحيى الفرائض والسنن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم إلى علي بن طالب عليهم السلام ، دعوته أيام المعتضد العباسي . مولده بالمدينة ٢٤٥ هـ وكان خروجه إلى اليمن سنة ٣٨٠ هـ ودخل صنعاء وجاهد طاعى القرامطة على بن الفضل وله تسعة وأربعون مؤلفاً ، منها « الأحكام ، والمنتخب » توفي سنة ٤٩٨ هـ ص ٢١ .

باطنية . ثم جاءت بعد حين من الدهر دولة الإمام الأعظم (صلاح الدين محمد بن علي) (*) وولده المنصور (علي بن صلاح) فقلقتهم وزلزلتهم ، وأخرجتهم من معاقلهم وشردهم في أقطار الأرض ، وسفست دماهم في كثير من المواطن ، ولم يبق منهم بعد ذلك إلا بقايا حقيرة قليلة ذليلة همت أذبال التقيين وفي حجاب التستر ، والنظار بدين الإسلام إلى هذه الغاية .

والرجاء في الله عز وجل ، أن يستأصل بقيتهم ، ويذهبهم بسيف الإسلام وهزائم الإيمان ، وما ذلك على الله بعزيز (١) .

هذا ما وقع من هذه الدهور الملهونة في الديار اليمنية ، وأما في غيرها ، فأرجل ميمونة القذاح رجلا أصلا من اليمن يقال له أبو عبد الله (**) الداعي إلى بلاد المغرب فبث الدعوة هناك ، وقامها رجال من أهل المغرب من قبيلة كندة وغيرهم من أشهر فظهرت هناك دولة قوية .

(١) في (ب) سقطت (وما ذلك على الله بعزيز) من النسخ .

الأء — لام

(*) هو المعروف بصلاح الدين وتكنى بالناصر ، وكان قد انتصف بمحصل الكمان وتسر بل بحلل الفضائل والجلال ولم يزل نامشا للدين قاما لبينة التمردين حتى توفي في قصر صنعاء سنة ٥٧٩٣ هـ وكان ولده علي بن صلاح الدين قد ترشح للأمر ، وكان إمام جهاد ثم بويع وتوفي سنة ٥٨٤٠ هـ ص ٤٠٦ ، ٤٠٩ المصدر السابق ، غير الطالع للشوكاني ج ٢ ص ٣٢٦ ، ج ١ ص ٤٨٧ .

(**) ويقال له أبو عبد الله الشيعي أحد دعاة الشيعة ذهب إلى بلاد شمال أفريقيا لينشر الدعوة لعبيد الله بن محمد من نسل جعفر الصادق ، ونجح في إقامة الدولة الفاطمية هناك على يد عبيد الله الملقب بالمهدي وطرده الحاكم من قبل الدولة الفاطمية .

ولم يتم لهم ذلك إلا بإدخال أنفسهم في الذنب الشريف المولى الفاطمي .
ثم طالت ذيول هذه الدولة المؤسسة على الإلحاد ، واستولت على ههرثم الشام
ثم الحرمين ، في كثير من الأوقات . وغابوا خلفاء بني العباس على
كثير من بلادهم حتى أبادتهم الدولة الصليبية [دولة ^(١)] صلاح الدين
بن أيوب .

فكان من أعجب الاتفاق أن التائم بمصائرهم وحجرو دولتهم في حين
الإمام صلاح الدين وولده ، وللقائم بحجرو دولتهم في عصر السلطان
صلاح الدين ^(*) ابن أيوب . وظهرت من هذه الدهور الإطارية دولة القرامطة ،
أبو طاهر ^(**) القرمطي ، وأبو سعيد القرمطي ^(***) ، ونصوبهم ووقع منهم
في الإسلام وأهله من سبك الدماء ، وهناك الحرم ، وقتل حجاج بيت
الله صرة بعد صرة ، ما هو معلوم لمن يعرف علم التاريخ ، أحوال العالم .

(١) لعله من المستحسن أو من الأرجح لسلامة الفهم والأسلوب إضافة كلمة
(دولة) قبل كلمة صلاح الدين . وهذا سهو عن المؤلف في (أ) والناسخ في (ب) .

الأعلام

(*) صلاح الدين الأيوبي .

(**) هو أبو طاهر سليمان الجنابي بن الحسن بن بهرام الجنابي رئيس
القرامطة بالبحرين تولى بعد أبيه سنة ٣٥١ هـ فكانت له غزوات متتابعة إلى جهة
البصرة سنة ٣٢١ هـ وفي سنة ٣١٥ هـ سار إلى الكوفة وفي سنة ٣١٧ هـ سار إلى
البيت الحرام الخ ، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) ص ٣٥٠
٣٥٣ .

(***) سقط من الناسخ في (ب) (أبو سعيد القرمطي) . وهو الحسن
الجنابي والد سليمان المتقدم مؤسس دولة القرامطة في الأحساء على الجانب الغربي
من الخليج الفارسي . أنظر تاريخ العرب . المجلد الثاني ص ٥٧١ لفيليب حتى .
وتاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) للخضري ص ٣٥٠ .

وأففى شرهم إلى دخول الحرم المكى ، والمسجد الحرام ، وقتلوا الحجاج فى المسجد الحرام حتى ملأوه بالقتلى ، وملأوا بئر زمزم ، وصعد شيطانهم القمر على هلى البيت الحرام وقال :

ولو كان هذا البيت لله ربنا - أصيب هلىنا النار من فوقنا صبا
لأنا حببنا حجة جاهلية ، محلة^(١) لم تبق شرقا ولا غربا

وقال مخاطبا للحجاج : يا حجير أنتم تقولون من دخله كان آمنا ، ثم قلع الحجر الأسود وحمله معه إلى هجر .

فانظر ما وصلت إليه هذه الدعوة المملونة ١٢ .

ثم أطفأ الله شرهم ، وأخذتهم فى آخر المدة جيوش التتار الخارجين هلى الإسلام ، فكان فى تلك الحنة منحة أذهب الله بها هذه الطائفة الخطيئة ثم هاد الإسلام كما كان . ودخل فى الإسلام ملوك التتار ، وكانت العاقبة للدين ، ودفع الله عن الإسلام جميع المارقين منه والخارجين هليه « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين »^(٢) . « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم »^(٣) .

وإنما قصصنا هليك ما قصصناه أياها الرافضى المعادى لصعابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واسنته ، ولدين الإسلام ، لنعلم أنه لا صلف لك إلا هؤلاء القراطة والباطنية ، والإسماعيلية الذين باغوا فى الإطحاد وفى كراد الإسلام ، لم يبلغ إليه أحد من طوائف الكفر .

(١) أى دخلوا الحرم المكى بملايس الحل فى أشهر الحج ودون أن يهزموا .

(٢) سورة آل عمران آية : ٥٤ .

(٣) سورة البقرة آية : ٩ ، وفى الأصل : (أ) ، (ب) أيضا (وما يخادعون)

وهو سهو من المؤلف والناسخ .

فإن هرفت أنك على ضلال مبين ، وحرور عظيم ، وأن سلفك الذين
اقتديت بهم وتبعتم أترحمهم الباطل في الكفر إلى هذه المبالغ التي لم يطعم^(١)
فيها الشيطان . فربما تنبّه من هذه الرقعة ، واستيقظ من هذه الغفلة ، وترجع
إلى الإسلام وتشتى على هديه القويم ، وصراطه المستقيم .

فإن أبيت إلا العناد ، واناروج ن طرق الرشاد إلى طرق الإلحاد ، فلي
نفسها براش تجنى ، ولا يظلم ربك أحدا ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب
يتقلبون ، واختبر نفسك ما يحلو

كرهه الرافضة للصحابة أريد به عدم السنة :

وأعلم أن هذه الشبهة الرافضة ، والبدعة الخبيثة ذبلا هو أثر^(٢) ذل
وويل هو أقبح ويل

وهو أنهم^(٣) لما دلوا أن الكتاب والسنة يناديان عليهم^(٤) بالناسرة ،
والجوار بأعلا صوت ، عادوا السنة المطهرة ، وقدحوا فيها ، وفي أهلها بعد
قدحهم في الصحابة رضي الله عنهم . وجهلوا المنصك بها من أعداء أهل البيت
ومن المخالفين للشريعة لأهل البيت .

فأبطلوا السنة المطهرة بأسرها ، وتسكوا في مقابلها ، وتغوضوا عنها
بأكاذيب مقترنة مشتملة على القدح المسكتوب المفترى في الصحابة وفي جميع

(١) في (ب) (يطعم) .

(٢) في (ب) (شئ) .

(٣) في (ب) (أنه) بدل أنهم وهو ضعيف

(٤) في (ب) (عليهما) بدل عليهم والأسلوب لا يثبت .

الحاملين لسنة المهتدين بها ، العاملين بما فيها الناشئين لها في الناس من
الناجيين وتابعيهم إلى هذه النهاية رحيم الدين^(١) ، والبغضى لأمر المؤمنين^(٢) .
على بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولأجله .

فأبى الله إرافضة ، أقام أبيغض علماء السنة المطهرة هذا الإمام الذي
تعجز الألسن عن حصر مناقبه مع علومه ، بما في كتب السنة المطهرة من قوله
صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يحبك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق »
وما ثبت في السنة من أنه يحبه الله سبحانه وتعالى ، وصلى الله عليه وآله وسلم ؟
بالهم التويل الطويل ، وانفسار البالغ أوجد مسلم من المسلمين ، وفرد من
أفراد المؤمنين بهذه اللثابة ، وعلى هذه الحقيقة الخطيئة ١١٢ سبحانه هذا بهتان
عظيم ، ولكن الأصح كما قلت :

فبيع لا ياله قبيح^١ لعم أبيك دين الرافضينا
أذاهوا ، على كل نكر وأخفوا من فضائلنا
وسبوا لارها أصحاب طه وهادوا من عداهم أجمعينا
وتالوا دينهم دين قديم ألا لمن الإله الكافينا
زكا قلت :

تشيخ الأقوام في هصرنا منحصر في أربع من بدع

(١) (النواصب ، والماصبية ، أهل الذم) وهم المحدثون يفضة سيدنا أمير
المؤمنين على بن أبي طالب (رضي الله عنه) لأنهم نسبوا له أن هادوه ، وأظهروا
له الخلاف ، وهم طائفة الخوارج ، تاج العروس : مادة نعب .

(٢) في (ب) لا توجد (لأمر المؤمنين) .

هداوة النعمة والثواب للأ سلاف والجمع^(١) وترك الجمع

وكما قال بعض المعاصرين لنا :

تمالوا إلينا إخوة الرافض إن تكن لكم شرعة الإنصاف دغاً كدياننا
مدحنا عالياً ، فرق ما مدحونه وعاديتهم أصحاب أحمد ، دوننا
وقلتهم بأن الحق ، ما آمنتمونه ألا لن ارحمنا أناننا

نصيب العلماء العاملين من الولاية :

ومن جهز أولياء الله سبحانه الأخيارين تحت قواه : « من عادى لي ولياً »
العلماء العاملين .

فهم كما قال بعض السلف إن لم يكونوا هم أولياء الله سبحانه^(٢) فما
لله أولياء .

فإذا فتح الله^(٣) عليهم بالمعارف الدينية ، ثم منحهم العمل بها ، ونشرها
في الناس ، وإرشاد العباد إلى ما شرعه الله لأمره ، والقيام بالأمر بالمعروف ،
والنهي عن المنكر ، فهذه رتبة عظيمة ، ومنزلة شريفة ، ولهذا ورد أنهم
ورثة الأنبياء

وهم الذين قال الله سبحانه فيهم : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
أوتوا العلم درجات »^(٤) .

(١) أى الجمع بين الصلاتين في الحضر كسلا وإهمالا وتراخيا عن أداء الصلاة
في وقتها .

(٢) في (ب) لا يوجد (سبحانه) .

(٣) في (ب) لا يوجد لفظ الجلالة (الله) .

(٤) سورة المجادلة آية : ١١ .

فبيان الرفع لم بأنها درجات يدل أبين دلالة ، وينادى أرفع نداء ، بأن منزلتهم عند الله سبحانه^(١) منزلة لا تفضلها إلا منازل الأنبياء . وهم الذين قرن الله سبحانه شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته ، فقال : « شهد الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكة ، وأزولوا العلم »^(٢) وهم الذين قال الله سبحانه فيهم : « إنما يخشى الله من عباده العلماء »^(٣) فحصر خشيته التي هي سبب الفوز عنده عليهم حتى كأنه لا يخشاه غيرهم . وهم الذين أخذ الله عليهم الميثاق ، أن يبينوا لعباده ما شره لهم فقال : « وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه »^(٤) فهم أمناء^(٥) الله سبحانه على شريعته .

وهم المترجمون لها لعباده المبينون المراده .

فكانوا من هذه الحيتية كالأوسطة بين الرب سبحانه ، وبين عباده لما اختصهم الله به من ميراث النبوة .

وهذه منزلة جليلة ، ورتبة جميلة لا تعادلها^(٦) منزلة ولا تساويها منزلة ، فحق على كل مسلم أن يعترف لهم بأنهم أولياء الله سبحانه ، وأنهم المبينون من الله وعن رسوله .

(١) في (ب) لا توجد كلمة (سبحانه) .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٨ .

(٣) سورة فاطر آية : ٢٨ .

(٤) سورة آل عمران آية : ١٨٧ .

(٥) للمؤلف رسالة مستقلة في هذا الموضوع عنوانها (بحث في السلام على أمناء الشريعة) مخطوطة بمكتبة صنعاء رقم ٧ من مجموع (٥٩) .

(٦) في (ب) (لا تعادله) وهو خطأ .

وأنهم القائمون مقام الرسل في تعريف عباد الله بشرائع الله عز وجل ، إذا كانوا على الطريقة السوية ، وللنهج القويم منقذين بقيد الكتاب والسنة مقتدين بالهدى الحمدي ، مؤثرين لما في كتاب الله سبحانه ، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم على زائف الرأي ، وهائل التقليد

فهؤلاء هم العلماء المستحقون للولاية الربانية ، والمزية الرحمانية ، فمن عاداهم فقد استعق ما تضمنه هذا الحديث من حرب الله عز وجل له وإنزال عتبته به ، لأنه هادى أولياء الله ، وتعرض لفضب الله عز وجل .

أسباب رسوخ العلماء العظامين في الولاية :

١ — وعلوم أن الانفعاع بهؤلاء هذه الأمة فوق كل انتفاع ، وأثير الواصل منهم إلى غيرهم فوق كل خير ، لأنهم يبينون ما شره الله سبحانه لعباده ، ويرشدونهم إلى الحق الذي أمر الله سبحانه به ويدفعونهم عن البعد الذي يقع فيها من جهل الأحكام الشرعية ، وبصاؤون أعداء الدين الملحدين ، والمبتدعين ويبينون للناس أنهم على ضلالة ، وأن تمسككم بذلك البعد إما عن جهل أو عن هناد ، وأنهم ليس بأبديهم شيء من الدين إلا مجرد تشكيكات يوقعون فيها المقصرين ، ويهذبونهم إلى باطلهم .

٢ — ومن أهظم فوائد علماء الدين الذين الله وأمساد الله أنهم يوضحون للناس الأحاديث الموضوعة المسكونة على رسول الله (١) كما فعل طوائف من الملحدة ، والمبتدعة والزنادقة . ويرشدونهم إلى التمسك بما صح من السنة .

٣ — وكذلك يوضحون للناس ما يقع من أهل الزنغ ، والعناد من تفسير

(١) في (ب) (صلى الله عليه الخ) بعد (رسول الله) .

كتاب الله^(١) بأهويةهم وعلى ما يطابق دأبهم فيه من البدعة . وذلك كثير جدا بحيث لمباحث منه من تصاوير المبتدعة الخرفين إما أراد الله سبحانه ، ولما فسر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وما فسر به الصحابة والمناجون ومن بعدهم من علماء الدين ، وما تقتضيه اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم . فقد ضل كثير من العباد بتحريفات أهل الأهواء وتلاعبهم بالكتاب العزيز ، وردوه إلى ما قد ذهبوا إليه من الباطل المبين^(٢) ، والزغ الواضح .

٤ — حياتهم للأمة من التقليد :

وكذلك اغتر كثير من المقصرين بلم الرأي ، وآثروه على كتاب الله سبحانه ، وعلى سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهما الذان^(٣) أمر الله سبحانه بالرد إليهما عند الاختلاف قال الله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسل وأطيعوا الزول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله وإلى الرسل إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا) :^(٤) ، والرد إلى الله سبحانه ، هو الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول هو الرد إلى سنته به . ونه على الله عليه وآله وسلم بلا خلاف في ذلك .

بل قد ذهب جمع من العلماء إلى أن أولى الأمر هم العلماء ، ومنهم من يرى

(١) (ب) توجد (عز وجل) بعد لفظ الجلالة .

(٢) في (ب) (البين) بدل المبين .

(٣) في الأصل (الذين) وهو خطأ نحوي .

(٤) سورة النساء آية : ٥٩ .

الأمة عبد الله بن عباس ، وجابر (*) بن عبد الله ، وابن (*) البصري ،
وأبو السائبة (*) ، وعطاء (*) بن أبي رباح ، والضحاك (*)

الأسماء

(*) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام شهد العترة مع السبعين شهيد
المشاهد كلها ماء صيدا بدرا وأحد وترقى سنة ٥٧٨ هـ بالمدينة . صفوة العصابة
ص ٢٦٧ - ٧ .

(**) قال عنه أبو نعيم صاحب حلية الأولياء : (ومنهم حليف الخوف ،
والحزن . عديم النوم والوسن ، الفقيه الزاهد أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن)
وذكر له كتابا كتبه إلى عمر بن عبد العزيز يدعوه فيه إلى التفسر والدم ويحذره
من الدنيا ، استغرقت خمس صفحات من كتاب الحلية : ومن كلامه ، (إن المؤمنين
شهود الله في الأرض يعرضون أعمال بني آدم على كتاب الله ، فمن وافق كتاب الله
حمد الله عليه وما خالف كتاب الله عرفوا أنه مخالف لكتاب الله ، وعرفوا
بالقرآن ضلالة من ضل من الخلق) . ج ٢ ص ١٣١ - ١٤٠ طبعة الخاشعي
سنة ١٩٣٣ .

(***) هو رفيع بن مهران الرياحي مولاها البصري المفسر دخل المدينة على
أبي بكر وكان ابن عباس يرقه على الممرير وقرش أسفل ، وكان ذا أحوال قال
فيه صاحب الحلية (ذو الأحوال السامية وكانت وصاياه في لزوم اتباع ومجانبة
الإحداث والابتداع توفي سنة ٩٣ هـ وقيل سنة ٩٥ هـ) ج ٢ ص ٢١٧ ، شذرات
الذهب ج ١ ص ١٥٠ .

(****) كان مولى من الموالى كانت الخلفة في الفتية بمسكة في المسجد الحرام
لابن عباس وبعد ابن عباس ، عطاء ابن أبي رباح . توفي ١١٥ هـ ص ١١٩ المصدر
السابق ج ١

(*****) هو الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني أبو القاسم : مفسر
كان يؤدب الأطفال . له كتاب في التفسير . الأعلام ج ٢ ص ٢١٠ .

رجاهد^(١٠) في إحدى الروايتين عنه . وهو إحدى الروايتين عن أحمد
ابن^(١٠) حنبل . وقال أبو هريرة وزيد^(١٠٠) بن أعلم ، والسدي^(١٠٠٠)
ومقاتلي^(١٠٠٠٠) : هم الأمراد وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل .
وروي أيضاً عن ابن عباس أنهم الأمراء .

ففي القول الأول فيه الأمر بطاعة العلماء بعد طاعة الله ورسوله . وعلى
القول الثاني ، فعلوم أن الأمراء إنما يطاعون إذا أمروا بمقتضى العلم ، فطاعتهم
تبع لطاعة العلماء ، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد صح عنه أنه قال :
« إنما الطاعة في المعروف »^(١) والمعرف إنما يعرفه العلماء ، وصح عنه
صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « لا طاعة^(٢) » في معصية الله . والفرق بين

(١) في (ب) نسي الناسخ الحديث الآتي وما بعده (« إنما الطاعة في المعروف »
والمعروف إنما يعرفه العلماء . وصح عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال .
الخ) .

(٢) في (ب) (لا طاعة لمخلوق الخ) بزيادة (لمخلوق) .

الأعلام

(*) مجاهد بن جبر من المولى ، من العلماء في تفسير القرآن في المصدر الأول :
توفي قبل سنة ١٠٢ هـ .

(**) هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أحد الأئمة الأربعة المشهورين :
(١٦٤ — ٢٤١) هـ .

(***) زيد بن أسلم العمري مولى فقيه منسب من أهل المدينة .
له كتاب في التفسير رواه عنه ولده عبد الرحمن ، توفي سنة ١٣٩ هـ الأعلام ج ٣ ص ٩٠
(****) هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، تابعي صاحب كتاب في التفسير
والمغازي والسيرة ، توفي سنة ١٢٨ هـ الأعلام ج ١ ص ٣١٣ .

(*****) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء من أعلام المفسرين .
توفي سنة ١٥٠ هـ . الأعلام ج ٨ ص ٢٠٦ .

قال الشافعي (*) رحمه الله الله فيما صح عنه : « أجمع المسلمون على أن من استعبأت له سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس . قال أبو عمر بن عبد البر (**) : « أجمع الناس على أن المسلم لا يسي معبوداً من أهل العلم »

فإن العلم معرفة الحق ؛ ليلة . فقد تضمن هذان الإجماعان ، إخراج المصنف
المقدم للأى على كتاب الله ؛ أو صفته رسول .
وإخراج المفرد الأهمى عن زمرة العلماء .

وقد قدم الأئمة الأربعة الحديث الضعيف على الرجوع إلى الرأى كإروى عن الإمام أبى حنيفة (***) ، أنه قدم حديث القمئة فى الصلاة على بعض القياس ، مع أنه وقع الإجماع من أئمة الحديث على ضعفه ، وقدم حديث الوضوء بنسبة القمى على القياس ، وجهور الحديثين يضمونه وقدم حديث : « أكثر الحىض عشرة أيام » وهو ضعيف بلا خلاف بين أهل الحديث ، وقدم حديث « لا مهر دون عشرة دراهم » وهو ضعيف باتفاق المحدثين .

الأعلام

- (٥) أحد الأئمة الأربعة المشهورين محمد بن إدريس (١٥٠هـ - ٢٤٠هـ)
 (٥٥) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب النخعي القرطبي ولد سنة
 ٣٦٨ من كبار حفاظ الحديث ، مؤرخ أديب ، وتوفي بشاطبة سنة ٤٦٣هـ من
 كتبه (العقل والعقلاء) ، (جامع بيان العلم وفضله) الأعلام ج ١ ص ٣٦٩ .
 (٥٥٥) هو الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت صاحب المذهب المشهور
 بين المذاهب الأربعة : (٨٠ - ١٥٠) .

وقدم الإمام مالك (١) بن أنس الرسول (٢) ، وللتعام (٣) ، والبلاغات (٤) ،
وقول الصحابي هلى القياس . وقدم الشافعى حديث محمد بن زيد (٥٠) هلى
القياس مع ضيقه .

وقدم الإمام أحمد بن حنبل : الضعيف ، والأثر للرسول ، وقول الصحابي
هلى القياس .

(١) وهو الحديث الذى سقط منه الصحابي ، واء أكان الراوى المرسل
تابعيا كبيرا أم صغيراً وهو ضعيف عند الإمام الشافعى فلا يحتج به ، صحيح
عند أبى حنيفة ومالك ، فيحتج به عندها .

(٢) هو ما سقط من رواته راو واحد قبل الصحابي فى الموضوع الواحد .

(٣) اصطلاح خاص بالأديث التى جاءت فى دوطأ الإمام مالك ، فقد سقط
فى سندها من طريقه هو ، راو ، أو أكثر ، ولكن حفاظ الحديث وصلوها من
طرق أخرى غير طريقه انظر (تدبر باب الراوى) للسيوطى ، ز وتاريخ فون
الحديث (محمد عبدالمزى الخولى . وقارن : مقدمة (شرح النووى على صحيح
مسلم) ، (والباعث الحديث ، شرح اختصار علوم الحديث) للحافظ ابن كثر ،
تاليف أحمد محمد شاكر .

الأعلام

(*) هو مالك بن أنس بن مالك بن أى عامر الأصمعى احسد الأئمة
الأربعة المشهورين فى الفقه الإسلامى : (٩٥ — ١٧٩ هـ) .

(**) (و ج) اسم جميل بالمطائف وفيه يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) :
« وإن آخر وطاة ، وطئها الله . و ج » ، أى وطئها جند الله أرجد رسول الله ،
وعند الشافعى يحرم سيد هذا الجبل ، و بياته ، ولكنة ، لاضمان فيها قطعا :
(الجازات النبوية) للشرىف الرضى س ٦٣ طبعة سنة ١٩٦٧ م ، مؤسسة الحلبي
وشركاه . (والإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع) ، للخطيب ج ١ ص ٢٤٨ طبعة
مصطفى البابى الحلبي سنة ١٩٤٠ م .

وأما الصحابة الذين هم خير القرون، [والتابعون] ^(١)، وتابعونهم، فكانوا لا يفتنون إلا بما صح من النصوص، وقد يتورعون عن التمسك مع وجود النص كما هو منقول عن غالبهم في كتب الحديث، والتاريخ.

وبغنى الحريص على دينه قبل الله سبحانه: (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم والبغى غير ذلك)، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا، وأن تقولوا على الله بالالهون ^(٢).

فقرن القول على الله بما لم ينزل، بالفواحش، والإثم والبغى غير الحق، والشرك بالله، وهذا زجرٌ أن نصب نفسه الإفتاء أو القضاء، وهو غير عالم بكتاب الله وسنة رسوله، فتشهره الجلود وترجف منه الأفتدة.

وهو يفتي بالتقول على الله سبحانه بلا علم سواء كان في أسمائه أو صفاته أو أفعاله، أو في دينه شرهه.

وقال الله سبحانه: (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون، مناع لمايل، ولم هدايا أليم) ^(٣). فنهام الله سبحانه عن الكذب هيايه في أسكاه. وقولهم لما لم يحرمه ^(٤): هذا حرام ولما لم يحل هذا حلال.

(١) في (أ) (والتابعين وتابعيهم) وهو خطأ نحوي.

(٢) سورة الأعراف. آية: ٣٣.

(٣) سورة السجدة، آية: ١١٦.

(٤) وردت في (ب) (لما تحرمه هذا حلال، ولما لم يحله هذا حلال) فبح
فجاء أحد القارئین وشطب على كلمة «حلال» وكتب فوقها كلمة «حرام»
فصار المعنى مضطرباً.

وبين لهم أنه لا يجوز له بعد أن يقول هذا حلال وهذا حرام إلا إذا علم بأن الله سبحانه أحله وحرمه ، وإلا كان متقولا على الله بما لم يقل .

ومعلوم أن المستدل بمجرد محض الرأي لا يعلم بما أحله الله وحرمه . فإن زعم ذلك فهو كاذب على الله تعالى ، وعلى نفسه التي تادته إلى هذا الافتراء وأوقعته في هذا الذنب العظيم . والمثل يقر على نفسه أنه لا يهتقل بحجج الله ولا يفهم براهينه ، ولا يدري بما شرعه الله لعباده في كتابه ، وعلى لسان رسوله . بل هو قابع لرأى من قلده مقر على نفسه بأنه لا يدري هل رأى الله قلده فيه من الحق أو من الماثل .

ومن لزواجهم عن القسم بمحض الرأي ، وبمحت التقليد ، قول الله سبحانه :
(قل أرايتم^(١) ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ، قل الله أذن لكم أم على الله تفترون)^(٢) .

وقال الإمام الشافعي فيما رواه عنه الخطيب^(٣) ، في كتاب الفقيه ، والمتفقه له : « لا يجل لأحد أن يفتي في دين الله ، إلا رجل عارف بكتاب^(٤) الله ناصحه ومنسوخه وحكمه ومتشابهه . وتأويله ، وتنبؤه ، ومكيه ومذهبيه ، وبعد ذلك يسكنون بصيرا بمحدث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،

(١) في (أ) (أرايتم) .

(٢) سورة يونس آية : ٥٩ .

(٣) في (ب) (بكتاب الله)

الأعلام

(١) هو أحمد بن عيسى بن ثابت البغدادي أبو بكر المعروف بالخطيب ، أحد الحفاظ المؤرخين المقربين . ذكر له ياقوت أسماء (٥٩) كتابا من مصنفاته منها ، (السكمانية في علم الرواية) مصطلح الحديث ، و (الفقيه والتفقه) ولد سنة ٣٥٢ هـ وتوفي سنة ٤١٣ هـ الأعلام ج ١ ص ١٦٦ .

وبالناسخ ، والمنسوخ منه^(١) ويعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن ،
ويكون بصيراً باللفظ ، بصيراً بالشعر ، وما يحتاج إليه ، للعلم والقرآن ، ويستعمل
هنا مع الإنصاف .

ويكون مشرفاً على اختلاف أهل الأمصار ، ويكون له قريحة بعد هذا ،
فإذا كان هكذا فله أن ينكلم في الحلال ، والحرام ، وإذا لم يكن هكذا فليس
له أن يفق^(٢) انتهى

الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله في مسائل الدين هو الطريقة العلمية :

والحاصل أن كل ما لم يأت به الكتاب والسنة فهو من هوى الأنفس كما
قال^(٣) : الله سبحانه : (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ،
ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، إن الله لا يهدي القوم
الضالين)^(٤) .

فقسم سبحانه الأوصاف إلى قسمين لاثنتي لهما : إما الاستجابة لله^(٥) والرسول
باتباع الكتاب والسنة ، أو اتباع الهوى .

فكل ما لم يكن في الكتاب والسنة فهو من الهوى : كما قال تعالى : (يادأود
إننا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك
عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا

(١) في (ب) لا توجد (منه) بعد (الناسخ والمنسوخ) .

(٢) في (ب) سقطت من (الناسخ) (أن يفق) .

(٣) في (ب) سقطت لفظ الجلالة (الله) من (الناسخ) .

(٤) سورة القصص آية : ٥٠ .

(٥) في (ب) توجد كلمة (سبحانه) بعد لفظ الجلالة .

يوم الحساب) (١).

فتسم سبحانه الخـم بين الناس إلى أصوين : إما الخـم بالحقر الذي جاء به الكتاب والجنة ، أو الهـمى ، وهو ما خالفهما .

وقال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم : (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . إنهم إن يقرئوك من الله شيئاً ، وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض ، والله ولي المتقين) (٢) وقال سبحانه : (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ، ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون) (٣) .

وقد أجمع الناس سابقهم ولاحقهم أن الرد إلى كتاب الله سبحانه وإلى سنة رسوله (٤) ، هو الواجب على جميع المسلمين ومن رد إلى غيرهما فهو حاص لله ورسوله مخالف للكتاب العزيز ، والجنة المظهرة

ولا فرق بين التنازع في الحقير والكثير . فإني قوله : فإن تنازعتم في شئ . نكرة في سياق الشرط ، وهى (٥) من صيغ العموم فتشمل كل ما يصدق [عليه (٦)] الشئ من الأشياء الشرعية .

فالواجب عند التنازع فيه رده إلى ما أمر الله بالرد إليه بقوله فردوه إلى الله والرسول ، ثم قال : (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) (٧) . ففعل

(١) سورة ص آية : ٢٦ .

(٢) سورة الجاثية آية : ١٨ .

(٣) سورة الأعراف آية : ٣ .

(٤) فى (أ) لا توجد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

(٥) فى (ب) و (هـ) بدل (وهى) .

(٦) فى (أ) لا توجد (عليه) وهى لازمة لسكالمعنى .

(٧) سورة النساء آية : ٥٩ .

هذا الرد من موجبات الإيمان ، وعدمه من موجبات عدمه ، فإذا انقضى
الرد انقضى الإيمان

وقال سبحانه : « وما كان لمؤمن ، ولا مؤمنة إذا فضوا الله ورسوله أمراً
أن يكون لهم الخيرة من أنفسهم »^(١) ، فأخبر سبحانه ، أنه ما صنع ولا انتقام
لأحد من المؤمنين والمؤمنات أن يختار غير ما قضى به^(٢) الله ورسوله ، ونزل
سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ، واتقوا الله
إن الله محيط عظيم »^(٣) : أي : لا تقدموا بأقوالكم بين يدي نزل الله ورسوله ،
بل قولوا كما يقول الله^(٤) ورسوله ، وعلموا أن : فيما افترق بين الكتاب
والسنة وما يرجع إليهما [هي]^(٥) قتيماً ، بالجهل الذي حذر منه صلى الله عليه
 وآله وسلم ، وأنذر به ، كما في الصحيحين وغيرهما من قوله : « إن الله لا ينزع
 العلم بعد إذا أعطاكموه اقتواها ، ولكن ينزعه مع قبض الطاء بعلمهم ،
 فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فضلون ويضلون » .

وفي حديث هوف بن مالك الشجعي قال : قال رسول الله صلى الله عليه
عليه وآله وسلم : « تفرق أمتي على بضع وسبعين فرقة أحظاهم فتنة قوم
يقدمون الدين برأيهم يحرمون ما أحل الله ، ويحلون ما حرم الله » قال أبو هريرة
ابن هبيرة : « هذا هو القياس على غير أصل ، والكلام في الدين

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٦ .

(٢) (ب) سقطت (به) من النسخ .

(٣) سورة الحجرات آية : ١ .

(٤) في (ب) سقطت من النسخ : (بل قولوا كما يقول الله ورسوله) .

(٥) في (أ) (هي) بين الواضحة والمشطوبة .

(٦) في (ب) (صلى الله تعالى عليه الخ) بزيادة تعالى .

بالطرح والظنة»^(١).

وقد ثبت عن أ كابر الصحابة الخلفاء الأربعة وغيرهم ذم الرأى ومقت
العامل به ، وأنه ليس من الدين فى شىء .

قد استوفى ذلك الحافظ ابن عبد البر فى كتاب (العلم)^(٢) ، وجمع ما لم
يجمعه غيره .

والرأى إذا كان فى معارضة أدلة الكتاب والسنة أو كان بالطرح والظن
مع التقصير عن معرفة النصوص ، أو كان متضمناً تعطيل أسماء الله تعالى .
وصفاته ، أو كان مما أحدثت به البدع وغيرت به الدين ، فلا خلاف بين
المسلمين فى أنه باطل وأنه ليس من الدين فى شىء .

وإذا كان مبنيّاً على قياس على دليل الكتاب والسنة ، فإن كان بتلك
المسالك التى لا ترجع إلى شىء ، إنما هى مجرد تخمين وتخمين فهو أيضاً باطل .
وإن كان مع القطع بنفى الفارق ، أو كان ثبوت الفرع بفحوى الخطاب أو كانت
العلة منصوصة ، فهذا وإن أطلق عليه اسم القياس فهو داخل تحت دلالة الأصل
مشمول بما دل عليه مأخوذ منه .

وتسميته قياساً إنما هو مجرد اصطلاح وقد أوضحت الكلام على هذا
فى كتابى الذى سمّيته (إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول) .

(١) يورد أبو عمرو هذه العبارة للفقهاء فى ذمهم للقياس الخاطىء ، الذى
لا يدور على العلة ، أو التشابه بين الأصل وبين الفرع . أنظر (جامع بيان العلم
وفضله) ج ٢ ص ٧٧ ، إدارة الطباعة المنيرية سنة ١٣٤٦ هـ .

(٢) هو (جامع بيان العلم وفضله) المتقدم . ينظر منه صفحات ٣٢ ، ٣٣ ،
٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ١٤٠ .

حقيقة التقليد والتقليد وحكمهما :

وإذا عرفت ما ورد في ذم الرأي وضم القول على الله بما لم يقل قالوا أن التقليد إنما هو قبول رأي الغير دون روايته ، والتقليد إنما يفرض له مقلد في اصطلاح أهل الأصول والفروع إذا وقع منه التقليد لعلم في رأيه ، وأما إذا أخذ عنه الراية عن^(١) الحكم في كتاب الله سبحانه أو في سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فليس هذا من التقليد في شيء . وإذا كان التقليد هو ما ذكرناه فهو مذموم من جهتين :

الأولى : أنه عمل بعلم الرأي ، وقد تقدم في ذمه وهم جواز الأخذ به ما تقدم .

الثانية : أنه عمل بالرأي على جهل لأنه مقلد لصاحب ذلك الرأي ، وهو لا يدري أكان ذلك الرأي من صاحبه على صواب أم على خطأ . باعتبار علم الرأي فإن له قوانين عند أهله من وافئها أصاب الرأي ومن أخطأها أخطأ الرأي ، والسكل ظلمات بعضها فوق بعض .

وقد جاءت الأدلة القرآنية بدم تقليد الآباء فقال : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ، ولا يهتدون »^(٢) . وقال سبحانه « وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون » قال أولو جئناكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم^(٣) .

(١) في (ب) (من) بدل عن .

(٢) سورة البقرة آية ١٧٠ .

(٣) في (أ) و (ب) سقطت كلمة (كذلك) وكلمة (من قبلك) .

(٤) سورة الزخرف آية ٢٣ ، ٢٤ .

وقال عز وجل : (وإذا قبل لهم اتباعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) (٢) .

وفي القرآن الكريم من هذا الجنس آيات كثيرة ، وهي وإن كان مردها في الكفر ، فالمراد بها وبأمثالها ذم من أعرض عما أنزله (٣) الله سبحانه ، وأخذ بقول سلفه . واللفظ أوسع مما هو سبب النزول والاعتبار به كما تقرر في الأصول . فن وقع منه الإعراض عما شرعه الله (٤) ، وقدم عليه ما كان عليه سلفه فهو داخل تحت عموم هذه الآيات .

ومما يدل على ذم التقليد قوله سبحانه : (ولا تقف ما ليس لك به علم) (٥) والمقلد قد قف ما ليس له به علم . وقال سبحانه : (اتباعوا ما أنزل إليكم من ربكم ، ولا تتبعوا من دونه أولياء) (٦) والمقلد لا يدري بما أنزل الله حتى يتبعه ، بل تبع الرأي وهو غير ما أنزل الله ، واتبع من دونه من قلده فقد اتبع من دونه أولياء ، والمقلد أيضا لا علم له ، فإذا أخذ برأى من قلده كان ذلك من القول على الله بما لم ينزل ومن الرد إلى غير الله ورسوله ، وقد قال سبحانه : (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) (٧) .

(١) في (ب) و (أ) سهى المؤلف والناسخ وكتبا (حسبنا) بدل (بل نتبع) .

(٢) سورة لقمان آية : ٢١ .

(٣) في (ب) (أنزل) .

(٤) في (ب) (سبحانه) بعد لفظ الجلالة .

(٥) سورة الإسراء آية : ٣٦ .

(٦) سورة الأعراف آية : ٣ .

(٧) سورة الأعراف آية : ٣٣ .

وقال : (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول)^(١) وقد لنا تقرير معنى الآيتين ومن ذلك قوله عز وجل : (وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا)^(٢) .

قال أبو عمر بن عبد البر^(٣) : « قد ذم الله تبارك وتعالى التقليد في كتابه في غير موضع فقال : (اتخذوا أحياءهم ، ورهبانهم أربابا من دون الله)^(٤) روى عن حذيفة^(٥) وغيره أنهم قالو : لم يعبدوهم من دون الله ، ولكنهم أحلوا لهم وحرموا لهم فاتبعواهم وقال عدى^(*) بن حاتم : يا رسول الله إنا لم نتخذهم أربابا ، قال : بلى ، أليس يحلون لكم ما حرم الله عليكم فتحلونه ويحرمون عليكم ما أحل الله لكم فتحرمونه ؟ فقلت : بلى . قال : فذلك

(١) سورة النساء آية : ٥٩ .

(٢) سورة الأحزاب آية : ٦٧ .

(٣) في (ب) زيدت (رحمه الله تعالى) وقول ابن عبد البر هذا جاء في كتابه

المنقدم ص ١٠٩ وص ١١٠ ج ٢ .

(٤) سورة النوبة آية : ٣١ .

الأعلام

(٥) هو حذيفة بن اليمان المديني من كبار الصحابة . واسم اليمان حسيل بن جابر ابن همرو بن ربيعة بن الحارث بن مازن . وحذيفة معروف في الصحابة بصاحب سر رسول الله ﷺ مات سنة ٣٦ هـ . الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٤١٨ ، الاستيعاب في أسماء الأصحاب ج ١ ص ٢٧٧ .

(*) عدى بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج العثاني . أمير صحابي كان رئيس طيء في الجاهلية والإسلام ، وقام في حرب الردة بأعمال كبيرة . روى عنه المحدثون متنا وستين حديثاً . الأعلام ج ٥ ص ٨ . وقول عدى هذا ، استمرار لكلام ابن عبد البر ، كما نقله عنه الشوكاني . انظر ص ١٠٩ (جامع بيان العلم) ج ٢ .

عبادتهم ، أخرجه أحمد والترمذي قال : وفي هؤلاء وشملهم قال الله عز وجل :
(إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب .
وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله
أعمالهم حسرات عليهم)^(١) وقال تعالى (ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون
قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين)^(٢) (٣) . وقال سبحانه : (إنا أطلعنا ساداتنا
وكبراءنا فأضلونا السبيلا)^(٤) .

ومثل هذا في القرآن كثير من ذم التقليد . يرقن أحنج العلماء بهذه الآيات
على إبطال التقليد ، ولم ينههم كافر أولئك من الاجتماع بها لأن التنبيه لم يقع
من جهة كفر أحدهما^(٥) وإيمان الآخر وإنما وقع التنبيه بين المقلدين بغير
حجة للملذ ، كما لو قلد رجلا فكفر ، وقلد آخر فأذنب ، وقلد آخر في مسألة
فأخطأ وجهها ، كان كل واحد ملوما على التقليد بغير حجة ، لأن كل تقليد
يشبه بعضه بعضا ، وإن اختلفت الآثام فيه .

وقال عز وجل : وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين
لهم ما يتقون^(٦) قال « فإذا بطل التقليد بكل ما ذكرنا وجوب المسلمين

(١) سورة البقرة آية : ١٦٦ ، ١٦٧

(٢) في (أ) زيادة بعد « عابدين » نصها كذلك يفعلون والظاهر أن المؤلف
قد كتبها أولا على أنها جزء من الآيات أو أنها تسكلة الآية ، ثم بدا له فسكتب التسكلة
الصحيفة (آباءنا لها عابدين في الهامش) ونسى أن يشطب عليها .

(٣) سورة الأنبياء آية : ٥٢ .

(٤) سورة الأحزاب آية : ٦٧ .

(٥) في (أ) ، (ب) (أحدها) دون الميم وسياتي الكلام يقتضيها أن نقول
(أحدها) .

(٦) سورة التوبة آية : ١١٥ .

للأصول التي يجب التمسك بها ، وهي : الكتاب والسنة وما كان في معناهما بدليل جامع » .

قال : قال هلي : « إياكم والاستئذان بالرجال فإن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة ثم ينقلب له لم الله فيه فيعمل بعمل أهل النار فيموت وهو من أهل النار ، وإن الرجل يعمل بعمل أهل النار فينقلب له لم الله فيه فيعمل بعمل أهل الجنة فيموت وهو من أهل الجنة » قال : وقال ابن مسعود : « لا يفلدن أحدكم دينه رجلاً إن آمن آمن ، وإن كفر كفر فإنه لا أسوة في الشر » قال أبو عمر^(١) بن عبد البر : « وهذا كله نفى للتقليد ، وأبطال له أن فهمه وهدى لرشده^(٢) » .

التقليد في نظر العلم والحرقة :

قال « قال أهل العلم والنظر : حد العلم النبين ، وإدراك العلوم على ما هو به فن بان له الشيء فقد علمه » ، قالوا : « والمقلد لأهل [له]^(٣) لم يخفوا في ذلك » قال : « يقال لمن قال بالتقليد لم قلنت به ، وخالف الأساف في ذلك ؟ فإنهم لم يقلدوا ؟ » فإن قل [قلنت]^(٤) لأن كتاب الله تعالى لأهل لي بتأويله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أحصها ، والذي قلنته علم ذلك فقلنت من هو أعلم مني »

(١) في (أ) و (ب) نسي المؤلف والناسخ (واو) (عمرو)

(٢) في (ب) (وهدى يرشده) وهو خطأ في الأسلوب .

(٣) في (أ) لا توجد (له) وهي لازمة لسلامة الأسلوب .

(٤) في (أ) ، (ب) (قلنت) ولكن قلنت هي الصحيحة كما يقتضيه ذلك السياق ،

وكما هو في الأصل الذي نقل عنه الشوكاني . انظر : (كتاب جامع بيان العلم ،

وفضله ج ٢ ص ١١٧ آخر سطر) الطبعة المتقدمة

قيل له : « أما العلماء إذا أجمعوا على شيء من تأويل الكتاب وحكاية السنة أو اجتماع رأيهم على شيء فهو لا شك فيه ، ولكن قد اختلفوا فيما قلدت فيه بعضهم دون بعض ، فما حجتك في تقليد بعضهم دون بعض ؟ وكلامهم هالم ولعل الذي رغبت عن قوله أهلم من الذي ذهبت إلى مذهبه » .

فإن قال : قلده لأنه أعلم أنه صواب ، قيل له : « علمت ذلك بهليل كتاب أو سنة أو إجماع ؟ فإن قال نعم أبطل التقليد وطواب بما ادعاه : من الدليل . وإن قال قلده لأنه أهلم مني ، قيل له قلده كل من هو أهلم منك فإنك تجد من ذلك خلقا كثيرا ، ولا تخص من قلده » .

ثم قال أبو عمرو^(١) بن هب البر بعد كلام سابقه : « ولكن من كانت هذه حاله هل تجوز له الفتناء في شرائع دين الله فيحمل غيره على إباحة الفروج وإرافة الدماء ، واسترقاق الرقاب ، وإزالة الأملاك ، وتهجيرها إلى غير من كانت في يديه بقول لا يعرف^(٢) صحته ، ولا قام له الدليل عليه وهو مقر ، أن قائله يخطئ ويصيب ، وأن مخالفه في ذلك ربما كان المصيب فيما خالفه فيه ، فإن أجاز الفتوى لمن جهل الأصل وللعنى لحفظه الفروع لزمه أن يميزه العامة وكفى بهذا جهلا وردا للقرآن قال الله عز وجل (ولا تقف ما ليس لك به علم)^(٣) . وقال سبحانه : (أتقولون على الله ألا تعلمون^(٤)) . وقد أجمع العلماء أن مالم يتبين ولم يستيقن فليس بعلم ، وإنما هو ظن والظن لا ينشئ من الحق شيئا .

(١) في (أ) و (ب) (عمر) دون الواو .

(٢) في (ب) (تعرف) .

(٣) سورة الإسراء : آية : ٣٦ .

(٤) سورة الأعراف آية : ٢٨ .

ثم قال : « ولا خلاف بين علماء الأمصار في فساد التقليد ، ثم صرح بأن المقلد ليس من العلماء باتفاق أهل العلم »^(١) .

موقف أئمة المسلمين من المقلدين :

وقد ذكرنا في الرسالة التي سميناها : القول المفيد في حكم التقليد ، نبى الأئمة الأربعة أئمة المذاهب الأربعة هن تقليد هم ، فلم تذكر هاهنا طرفة من ذلك .

قال المزني^(٢) في أول مختصره : « اختصرت هذا من علم الشافعي (من معنى قوله) لأقرأه على من أراده مع إهلامه^(٣) نبيه هن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ، ويحتاط لنفسه »^(٤) .

وحكى ابن القيم^(٥) عن أحمد بن حنبل أنه قال : « لا تقلدني ، ولا تقلد

(١) انتهى من كلام ابن عبد البر باختلاف يسير ، ومع تقديم ، وتأخير : صفحات ١٠٩ - ١١٠ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ج ٣ إدارة الطباعة المنيرية سنة ١٣٤٦ هـ .

(٢) في (أ) (إعلاميه) بهذا الرسم .

(٣) ص ٢٤ .

الأعلام

(٤) من (١٧٥ - ٢٩٤ هـ) هو إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني صاحب الإمام الشافعي من أهل مصر . كان زاهداً عالماً مجتهداً قوى الحججة من كتبه : (الجامع الكبير) ، و (الجامع الصغير) ، و (المختصر) ، و (الترغيب في العلم) الأعلام ج ١ ص ٣٢٧ .

(٥) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية توفي سنة ٧٥١ كان تلميذا لابن تيمية واتجه في تأليفه وجهته من جعل للكتاب والسنة ما المرجع الأول والأخير السكل فقيه أو متكلم

السكا، ولا الثوري (٠)، ولا الأوزاعي (٠٠)، وخذ بن حيث أخذنا (٠).

قال « ومن قلة فقه الرجل أن يقلد دينه الرجال » (٢). وحكي بشر (٠٠٠) ابن الوليد عن أبي يوسف (٠٠٠٠) القاضى صاحب أبي حنيفة أنه قال لا يحل لأحد أن يقول « قالنا حتى بعلم من أين قلنا ».

(٢) ص ٢٥ .

(١) ص ٢٥ .

الأعلام

وأهما لا يتعارضان مع المعقول السريح : من مؤلفاته اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجممية : الدرر السكاينة ، المنهل الصافي ، بنية اللوعة ، جلاء المؤمنين .

(*) سفيان بن سعيد الثوري ، مسلم له في الإمامة في الحديث . كان من العلماء الزاهدين ولد بالسكوفة سنة ٩٧ هـ وتوفي بالبصرة سنة ١٦١ هـ . الأعلام ج ٣ ص ١٥٨ .

(**) عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي إمام الديار الشامية في الفقه والزهد ، وأحد الكتاب المترسلين عرض عليه القضاء فامتنع . له كتاب (المسائل) (السنن) في الفقه ولد سنة ٨٨ هـ في بعلبك وتوفي في بيروت سنة ١٥٧ هـ . الأعلام ج ٤ ص ٩٤ .

(***) هو بشر بن الوليد السكندى ، الفقيه ، تبع مالك بن أنس ، وتفقه بإبي يوم . كان متعبداً ، متمسكا بالحق ، توفي سنة ٣٢٨ هـ . لليزان للذهبي ج ١ ص ٣٢٧ .

(****) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصارى السكوفى البغدادي ، أبو يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة وتلميذه ، وأول من نشر مذهبه . كان فقيهاً من حفاظ الحديث ، ولزم أبا حنيفة فغلت عليه الرأي ، وهو أول من وضع السكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة . الأعلام ج ٩ ص ٥٩٢ . ولد سنة ١١٣ هـ وتوفي سنة ١٨٢ هـ .

وكذلك قال الإمام أبو حنيفة : وقد صح عن الشافعي أنه قال : أجمع الناس على أن من اعتبأ بنت له سنة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن له أن يذهبها لقول أحد وتواتر عنه أنه قال : « إذا صح الحديث تأخر بوايقولي الخاطئ »

وروى جعفر (٥) الفريابي عن مالك أنه قال : من ترك قول عمر بن الخطاب لقول إبراهيم النخعي (٥٠) أنه يستتاب فقبل له : إنما هي رواية عن عمر قال مالك يستتاب .

وإذا كان هذا قوله في ترك قول عمر فما نريد يقول في ترك الكتاب والسنة ؟ وتقديم قول عالم من العلماء عليهما ؟

والحاصل أن النقل عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم في المنع من العمل بالرأى ومن تقليد الرجال في دين الله كثير جداً لا ينسجم له هذا المواقف . ويسكنى من كان يؤمن بالله واليوم الآخر بعض ما قدمناه من آيات الكتاب العزيز .

تناقض المقلد مع نفسه :

فإن قال المقلد : قد دل على ذلك دليل قلناه له : « أنت تشهد على نفسك

الأعلام

- (٥) جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض الفريابي (٢٥٧ — ٣٥٩) هـ . قاض من العلماء بالحديث . بقي من كتب (صفة النفاق وذم المنافقين) و (دلائل النبوة) كان يحضر مجلسه ببغداد نحو عشرة آلاف . الأعلام ج ٧ ص ١٤٧ .
- (٥٠) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي ولد سنة ٩٦ من أكابر التابعين صلاحاً وصدق رواية وحفظاً للحديث مات مخفياً من الحجاج سنة ٩٩ هـ وكان إماماً مجتهداً الأعلام ج ١ ص ٢٦٠ .

ويشهد عليك غيرك بأنك لا تقبل الحجة ؟ وأنت إنما تأخذ برأى غيرك دون روايته فإليك والاستدلال ، وإقامة نفسك مقاماً تقر عليها بأنت لست من أهله ، فأنت كالمشيع بما لم يعط ، وكلابس ثوبي زور .

فإن كنت تفهم حجج الله وتقبل براهينه، فما بالك^(١) إذا أوردنا عليك الحجة من الكتاب أو السنة في إبطال ما أنت عليه رجعت إلى الانجاء بأذيل التلقيد وقلت : إنك لست من يفهم الحجة ، ولا ممن يخاطب بها . فما بالك تقدم في دين الله رجلاً ، وتؤخر أخرى ١١٩

اعتمد على أيها ضئت حتى يخاطبك خطاب من أقت نفسك في مقامه . وعند ذلك يسفر الصبيح لعينيك ، وتعلم أنك تتمسك بحبل غرور . ومصاب بخدع زور .

ومع هذا فن صرت تقلده دون غيره يقول لك لا يجوز أن تقلده ، فأنت قلده ته شاه^(٢) أم أبي ، ثم أخبرنا ما هو الحال لك على تقليد هذا الشخص المعلن من جملة علماء الدين ، ومنهم علماء الصحابة والتابعين ؟ فإن قلت : لكونه أعلم الناس فما يدريك أصليحك الله بالعلم^(٣) وبالأعلم وأنت تقر على نفسك أنه لا علم لك ؟ . والمسلمون أجمعون يقولون : إنك لا تعد من أهل العلم ولا تدخل في عداد أهله .

وأيضاً علماء الصحابة أعلم من صاحبك وكذلك علماء التابعين ، فكيف اخترت صاحبك عليهم ؟ .

(١) في (ب) (فالك) .

(٢) في (ب) (شيئاً رضى أم أبي) وهو تصحيف .

(٣) في (ب) (ولا بالأعلم) .

ثم أخبرنا هل وجد في أيام الصحابة . والتابعين مقام لأحمد أو جماعة منهم ، بل لم تحدث بدعة التقليد إلا في القرن الرابع ، ولم يبق إذ ذاك صحابي ولا تابعي .

ثم هذا الذي قلته خالفه غيره من أهل العلم ، وقال بخلاف ما يقول ، فأخبرنا بم هرفت أن صاحبك الحق دون المخالفه^(١) ؟ فإنك تقره على نفسك بأنك لا تعرف ما هو الحق ، ولا من الحق من أهل العلم ، وغيرك من المقلدين يعتقد مثل اعتقادك فيمن قلده فمن الحق منكم ؟ . ومن المهيب للمحق من إماميكما ؟ .

إن قلتما^(٢) : لا ندري فما بالكما تقيمان أنفسكما ، قام المسندين بحجج الله وأنتم لا تعرفانها ولا تعقلانها بإقراركما على أنفسكما ؟ .

وإن قلتما قد عقلمتا الحجة على جواز التقليد فقد فتح الله لكما خوخة من هذه العماية : ويسر لكما طريقاً إلى الرشاد فأقبلا إلينا نعرفكما ما أنتم عليه من التمسك بالتقليد في دين الله والعمل بالرأى المتقابل^(٣) المخالف الأدلة الشرعية فإنه إن صح لكما ما زعمتما لا تخالفان في أن الكتاب والسنة وثران على ذلك الرأى الذي قلتما فيه كما فيه . وحينئذ قد ينجح الدواء وقرب البرء من ذلك المرض الذي أصابكما ، وأيضاً نقول لهذا المقلد الممكين نحن نعم ، وتعلم أنت إن بقي لك شيء من العقل ونهيب من الفهم أن هلماء المسلمين من

(١) في (ب) نسي الناسخ (ك) .

(٢) في (ب) (قلت) . وهو خطأ في الأسلوب .

(٣) قال في المنجد (قال يفيل فيلة وفيلولة وفيلولة) رأيه : أخطأ ، ووضف فهو فايل الرأى . وفي (ب) نسي الناسخ نقطتا الياء ورممها هـ هكذا (الفال) دون نقط الياء مع أن الشوكاني في نسخته قد نقطها .

الصحابه ، والتابعين ومن بعدهم ون للماصرين ان قلته ون بعدهم من أئمة
العلم أن التبعين فيهم من كثرت فيما جاءوا به ، واختاروه لأنفسهم مثل
التبعين منك في إيمانك . وهذا شيء يصح فيه هؤلاء المسلمين .

فما بالك عدت إلى واحد منهم قلته دينك في جميع ما جاء به من
الصواب والخطأ ؟

إن قلت لا أدري فنقول : لا حرييت . نحن نعرفك بالحقيقة

أنت ولدت في قطر قد قلده فيه أهل عالمنا من علماء الإسلام فذنت بما
دانوا وقلت بما قالوا ، فأنت من الذين يقولون هند سؤال المسلمين سمعت
الناس يقولون شيئاً فقلته فيقال لك : لا دريت ولا تليت وكان الأحسن بك
إن كنت ذا عقل ونهم وقد أخذت بأقوال^(١) الإمام الذي قلته أن تضم
إلى ذلك قوله : « إنه لا يحمل لأحد أن يقلده » فما بالك تركت هذا من
أقواله ؟

ثم اعلم أنك مسئول يوم القيامة عن دين الله هذا الذي أنزل به كتابه
العزيز وبعث به نبيه الكريم فانظر ما أنت قائل ، وبماذا تهيب ؟ إن قلت .
أخذت يقول عالم فلان ، فهذا العالم فلان فلان منك في هرصات القيامة مسئول كما
سألت متعبد بما تعبدك الله به

فإذا قلت : قللت فلاناً وأخذت بقوله فعبثت الله سبحانه بما أمرني به ،
وأفريت بما قاله وقضيت بما قرره ، فأبغضت الفروج وصفكت الدماء وقطعت
الأصابع . فإن قيل لك فعلت هذا بحق أو بباطل ، فما أنت قائل ؟

إن^(٢) قلت : فسألت ذلك يقول فلان فلان به أن يقال لك : هل كنت أن

(١) في (ب) (يقول) .

(٢) في (ب) (فإن) .

٣٧٣

قوله صواب موافق لما شرعه الله لعباده في كتابه وسنة رسوله فلا بد أن نقول:
لا أدري فلا أدري ، لا تليق ، ثم قيل لك : قد ساءت انقياداً أي دليل
لك على تخصيص هذا العالم بالمرء بجميع ما قاله . وثنايهم على قولهم بل
على الكتاب والسنة ، هل بعثه نبياً لسيادته به . بن عبد الله رسولاً أم
أمرت عباده بطاعته كما أمرت عباده بالاتباع رسولاً ، فانظر ما أنت تفتن .
فإن هذا سؤال لا بد أن نسأل عنه ، فإن الله سبحانه إنما بعث إلى عباده
رسولاً واحداً ، وأنزل إليهم كتاباً واحداً . وجميع الأمم أوطأ وآخرها ،
صاحبها ولاحتها ، متعبدون بما شرعه لهم الله سبحانه في كتابه ، وعلى لسان
رسوله صلى الله عليه وآله وسلم

ومن جملة من هو متعبد بهذه الشريعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،
فكيف بإمكان الذي هو واحد من العالم ، وفرد من أفراد البشر ؟ سبحانه
هذا بهتان عظيم

منهج الصحابة والتابعين :

ثم انظر يا مسكين في أصح آخر ، وهو أنه قد انقضى ، قبل حدوث هذه
المداهيب . خير القرون ثم الذين يلونهم ، ومعلوم السبل من له فهم أهم كانوا
على العمل بالكتاب والسنة ، وكان المفهومون منهم يسألون العلماء عن الحكم
الذي يعرض لهم في عبادة أو معاملة ، فيجيبون عليهم بما عندهم من الكتاب
والسنة ويروون لهم ما ورد فيهما في تلك المسألة . وأنت تقر بأنهم على هدى
وحق ، فانظر في حال من خالف ما كانوا عليه من أهل التقييد الحاد ،
واجمل نفسك حيث شئت ، واختزلها ما يحلوا .

فإن قلت إمامي قد كان كما كان عليه هؤلاء ، قلنا لك فهل شاركه في ذلك
غيره أم لا ، فإن قلت نعم ، قلنا لك فما حلاك على الأخذ بقول واحد من

أهل العلم دون غيره مع نهيته لك عن تقليده ١١٩

ويقال لهذا المقلد أيضاً إذا أخبرك عالم من علماء الإسلام بأن ما قللت إمامك فيه في المسألة الفلانية ، خلاف ما في كتاب الله أو خلاف ما في سنة رسوله ، أو خلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون ، فهل أنت تترك لذلك الرأي الذي أخذت به من رأي إمامك أم لا ؟

إن قلت نعم فقد هديت ورشدت ، ولا نطالب منك غير هذا . فانظر ما ههنا أكابر علماء عصرك في تلك المسألة التي قللت إمامك فيها ، واسألهم عن الدلائل ، وهما هو الحق المطابق للكتاب والسنة ، واهمل على قولهم ، وعلى ما يرشدونك إليه ، ولا تسأل ، إلا من اشتهر بين الناس بمعرفة للكتاب والسنة .

وإن قلت لا ، فانظر ما أنت عليه ، وما هو الأمر الذي وقعت فيه^(١) واحترق على نفسك بأن رأي إمامك أقدم من كتاب الله^(٢) ومن سنة رسوله^(٣) ، وبعد ذلك انظر بعقلك هل أوجب الله عليك اتباع هذا العالم ، والأخذ بجميع ما يقوله ١١٩ وأقل حال أن تسأل علماء الدين في هذه المسألة بخصوصها فإنه يفتح لك ههنا ذلك باب خير وطريق رشد

فإن أبديت فاعلم أنك قد جعلت إمامك ناسخاً للشريعة الحميدة رافياً لها ، وليس بعد هذا من الضلال شيء ، وأنت إن انصفت اعترفت بهذا ، ولم تنسكه^(٤) فإن أنكرته فأخبرني متى آثرت دليلاً من كتاب ، أو سنة على

(١) في (أ) لا توجد (فيه) وهي لازمة لتمام الكلام .

(٢) في (ب) توجد (عز وجل) بعد لفظ الجلالة .

(٣) في (ب) صلى الله عليه وآله وسلم بعد (رسوله) .

(٤) في (ب) لا توجد (فإن أنكرته) .

قول إمامك وسألت علماء الكتاب والسنة عن مسألة مما أنت عليه ورجعت إلى ما أفنوك به ، ورأوه لك ؟ ١١٩ .

فإن قلت : أنت لا تعرف الطهارة ولا تعلقها ، ولا تدري هل الصواب بيد إمامك ، أو بيد من خالفه ، قلنا : فأخبرنا هل أنت على قصورك وجهلك لا يسعك ، ما وسع المتصيرين من الصحابة والتابعين ؟ ١١٩ فقد كان فيهم من هو كذا لك .

فإن قلت : وما كانوا يهتدون إذا احتاجوا إلى العمل في عبادة أو ماملة ؟ قلنا : كانوا يسألون المشتهرين بالعلم عن الشريعة في تلك المسألة ، ويسترونهم النصوص فيروونها لهم .

فكن كما كانوا ، واعمل كما عملوا وإن قلت : لا يسعك ما وسعهم فلا وسع الله عليك . وستعلم سوء مغبة ما أنت فيه وخسار^(١) هاقبته ولا يظلم ربك أحدا .

معنى الاقتداء بالصحابة ، وموقف المقلد من ذلك :

وقد احتج بعض متصري المقابلة لجواز التقليد بحديث أصحابي كالنجم بأيهم اقتديتم اهتديتم .

وهذا الحديث لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كما هو معلوم عند أهل الشأن ، فقد انفقوا على^(٢) أنه غير ثابت ، ولو سلمنا ثبوته تنزلا فعناء ظاهر واضح ، وهو الاقتداء بالصحابة في العمل بالشريعة التي تلقوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذوها عنه ، فن اقتدى

(١) في (ب) (وخسارة) .

(٢) في (ب) لا توجد (على) .

بواحد منهم فيما يرويه منها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد اعتدى
ورشه ودخل إلى الشريعة من الباب الذي يخل إليها منه
وليس المراد الاقتداء به في رأيه ، فإنهم رضى الله عنهم لا رأى لهم يخالف
ما بلغهم من الشريعة قط

رأى العالم عند الدليل رخصة له فقط :

ولو كان مثل هذا حجة في الاقتداء بما ينقل عنهم من رأى الراجح إلى
الكتاب والسنة بقياس صحيح أو شبهه لكان ذلك خاصاً بالصعابة المزية
التي [لا يساويهم فيها غيرهم]^(١) ولا يلحق بهم دواهم ، مع أنه وقع الإجماع
من علماء الإسلام جميعاً أن أرى العالم عنه ، فقد الدليل إنما هو رخصة له
لا يحل لغيره التحل بها حسبها قد بينا ، في مؤلفاتنا بأنهم بيان ونقلنا
أصبح نقل

ثم بعد التفتيا والتي تقول هذا المستدل بهذا الحديث الذي لم يصح : هب
أنه صحيح فهل قلنا صعباً أم غير صعباً ، وهذا ذلك بقف حماره
على القنطرة .

ومثل هذا لو استدلل مستدل منهم بحديث « عليكم بهنقى رخصة الملقاة
الراشدين المهديين من بعدى » .

فإن المراد به الاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم ، وفي عباداتهم ، وما لائهم ،
وهم لا يوقنونها إلا على الوجه الذي أخذوه من رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ، وعرفوه من أفعاله وأقواله ، وقد كان ذلك دينهم وهجرام
لا يفارقونه قيد شعر ، ولا يفارقونه أدنى مخالفة

(١) في (أ) و (ب) : (لا يساويها غيرهم) وهو غير مستقيم

فهذا هو المراد بالحديث على ما فيه من المقال ، فإن لنا إسناده مولى الربيعي^(١) وهو مجهول ، والمفضل الضبي^(٢) وليس بحجة .

ثم بعد الامتيا والتي نقول المستعمل بذلك فهل قلدت أحد الخلفاء الراشدين أم قلدت غيرهم ؟

وهو لا بد أن يعترف أنه قلده غيرهم ، وأنه أبعد الناس من اتباع ما كانوا عليه ، لأنه لو جاءه من حديثهم الذي كانوا عليه بمجلد ضخم يخالف أدنى مسألة مما قلده فيها إمامه لرمى به وراء الحائط ، ولم يلتفت إليه ولا حول^(٣) عليه .

ثم إذا صح هذا الحديث ففيه الإرشاد إلى سنته صلى الله عليه وآله وسلم وسنة خلفائه الراشدين . ومعلوم أن ما كان قد ثبت من سنته لا يخالفه الخلفاء الراشدون ولا غيرهم من الصحابة .

بل هم عليه وليس لهم سنة تخالف ما سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قط ، ولا مع هن واحد منهم في جميع هممه أنه خالف سنة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) في (أ) بهذا الرسم (ربيعي) .

الأعلام

(٢) قال عنه صاحب الأعلام : المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر الضبي أبو العباس راوية علامة بالشعر والأدب وأيام العرب صاحب المفضليات وأوثق من روى الشعر من السكوفيين . توفي سنة ١٦٨ هـ على ما يقال . الأعلام ج ٨ ص ٢٠٤ .
(٣) في (ب) (يعول) .

منهج الاجتهاد ، هو منهج الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه :

وإذا هرقت هذا فقد قدمنا من الآيات القرآنية ، والأحاديث ^(١) الصحيحة ما هو منهج الحق ، ومنهج الشرع ، وهو الأصل الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وخلفاؤه الراشدون ، وبه تقوم الحجة على كل مسلم ، ومن سننه صلى الله عليه وآله وسلم الصحيحة ^(٢) الثابتة للمتلفاة بالقبول قوله صلى الله عليه وآله وسلم « كل أمر ليس عليه أمرنا فهو رد » .

وكل عاقل له أدنى تعلقى يعلم الشريعة للعلامة يعلم علما ^(٣) لا شك فيه ولا شبهة أن التقليد لم يكن عليه أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وأنه حادث بعد ، مضى عصره صلى الله عليه وآله وسلم ، وعصر أصحابه وعصر التابعين لم . فهو رذة أى ^(٤) مردود مضر وبه وجه صاحبه .

فإننا نعلم أن الذي كان عليه أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو العمل بكتاب الله سبحانه ثم بما أنزل الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبينه للناس هن ^(٥) أمر الله كما قال : « إن هو إلا وحى يوحى » ^(٦) . وقال : « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ^(٧) . وقال : « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول » ^(٨) وقال : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني »

(١) فى (ب) (الأخبار) .

(٢) فى (ب) سقطت من النسخ (الصحيحة) .

(٣) فى (ب) توجد (يقينا قبل لا شك فيه) .

(٤) فى (ب) سقطت (أى) من النسخ .

(٥) فى (ب) (من) .

(٦) سورة النجم آية : ٤ .

(٧) سورة الحشر آية : ٧ .

(٨) سورة المائدة آية : ٩٢ .

يحببكم الله»^(١). وقال « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة »^(٢).
وقال : « فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول الآية »^(٣). وقال :
« إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم^(٤) أن يقولوا
سمعنا وأطعنا »^(٥) وقال : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما »^(٦). وقد
تقدم الكلام على بعض هذه الآيات الكريمة .

ومن هذه سنن الله عليه وآله وسلم التي قال فيها : « عليكم بعتق وسنة
الأنبياء الراشدين » قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « كل بدعة ضلالة » .
واللتقليد بدعة لا يخالف في ذلك مخالف ، ولا يشك فيه شاك . فيا أيها القائل
انزع عن فوائتك ، واخرج عن ضلالتك وخلص نفسك من بدعتك . ودع
هذه المناق بما لا يضمن ولا يفنى من جموع .

فهذا الحق ليس به خفاء ودعني من بُليّات^(٧) الطريق
غير الأمور المتألفات على الهدى وشر الأمور المحدثات للبدائع
فهكذا^(٨) فتقول في حديث « اقتصدوا بالدين بقدي أبو بكر وعمر » .
وحديث « رغبنا لأمتي ما رضى لها ابن أم عبد » وحديث : « إن أبا هبيرة

(١) سورة آل عمران آية : ٣١

(٢) سورة الأحزاب آية : ٢١ .

(٣) سورة النساء آية : ٥٩

(٤) في (ب) سهى التنازع عن (ليحكم بينهم)

(٥) سورة النور آية : ٥١ .

(٦) سورة النساء آية : ٦٥ :

(٧) بنيات الطريق بضم الباء وفتح النون : الترهات والأباطيل .

(٨) في (ب) (وهكذا) .

ابن الجراح^(١) أمين هذه الأمة « ونحو ذلك من الأحاديث .
فالمراد الاقتداء بمن أمرنا^(٢) بالاقتداء به في أقواله وأفعاله الواردة على
الشريعة للطهارة ، وكذلك الرضى بما رضىه^(٣) ابن مسعود من الأفعال
والأقوال الواردة على ما توجبه الشريعة للطهارة .
وكذلك كون أبي عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة هو^(٤) لما اختصه
الله سبحانه به من عظم الأمانة على الأمور التي من أخطأها هذا الدين القويم
والشريعة المباركة .

للمطالع من المقلد ومن هوام المسلمين :

وقد هرفت ما قد يناله من أنا لا شكك المقلد أن يعرف نهوض الشريعة
حتى يقول : لا أقدر على ذلك ولا أستطيعه ، بل قلنا له دع^(٥) هذه البهجة
الحادثة ، وكن كما كان المقصرون من الصحابة [والتابعين] الذين اشتغلوا

(١) غلط المؤلف فوضع عبدالرحمن بن عوف بدل أبي عبيدة في هذا
الموضع والموضع الآتي ، وكذلك الناسخ في (ب) نقل على هذا الخطأ . فجاء أحد
القارئین ودفن إلى هذا الخطأ فصححه في الأول وسها عنه في الثاني ، والحديث
كما هو في فتح الباري على صحيح البخاري لابن حجر : « . . عن أنس بن مالك
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن لكل أمة أميناً ، وإن أميننا أيتها الأمة
أبو عبيدة بن الجراح » ج ٧ ص ٧٥ باب فضائل الصحابة (رضى الله عنهم) .

(٢) في (ب) (أمر) .

(٣) في (ب) (رضى به) .

(٤) (ب) نهى الناسخ (هو) .

(٥) في (ب) توجد (عنك) بعد دع .

(٦) في (ب) و (أ) ، (التابعون) ولكن (التابعين) أوفق لاستقامة

المعنى الذي يقصده الشوكاني .

عن حفظ العلم ، والبلوغ إلى غايته ، بالأعمال الصالحة من جهاد أو عبادة : ولا يهتم أهوة وفيهم لك قدوة ، فاسأل أهل العلم كما أمرك الله بسؤالهم بقوله : « فاسألوا أهل الذکر إن كنتم لا تعلمون » .

وأطلب منهم أن يروا لك ما جاءت به الشريعة في الحادثة التي احدثت إلى السؤال عنها من عبادة أو معاملة .

وكل عالم يعلم وإن قل علمه — أن لم يكن فيهم أحد منتسباً إلى أحد من كبار الصحابة الذين كانوا يرون للناس العلم ويفتونهم به ، كما ياسب بعد حدوث المذاهب كل مقلد إلى من قبله ، بل كان السائل منهم يسأل من يلقاه من المشتهرين بالعلم منهم عن كيف ما يتفق له ويأخذ^(١) ما يرويه له ، ويفتيه به ، وقد قدمنا الإشارة إلى هذا .

الاجتهاد ووحدة الأحكام :

ونبغي أن يعلم كل من له فهم أن دين الله واحد ، وأن ما أحله فهو حلال لا يتغير عن صفته ، وما حرّمه فهو حرام لا يتغير .

وإذا قال قائل من أهل العلم فيما قد أحله بكتابه أو بسنة رسوله أنه حرام فهو مخطئ مخالف لما شرعه الله لعباده . وإذا قال قائل من أهل العلم فيما قد حرّمه الله سبحانه : إنه حلال ، فهو مخطئ مخالف لما شرعه الله لعباده . ولكن هذا القائل الذي قال بخلاف ما تقرر في الشريعة ، إن كان أصلاً للاجتهاد وقد بحث كلية البحث فلم يجد فهو مخطئ مأجور كما في الحديث الصحيح الذي قد مرنا ذكره أن المجتهدين مع الإصابة أجريين ، والمجتهد مع الخطأ أجرأ ، وهو حديث متفق عليه متفق بالفيول

(١) في (ب) (ياخذ) .

وإن كان غير أهل الاجتهاد ، أو لم يبحث كما يجب عليه فهو مجازف في دين الله آثم ، بخلافه لما شرهه الله ^(١) لعباده .

فمن قال إن كل مجتهد مصيب [إن] أراد أنه مصيب ^(٢) للاحق فقط فخطأ خطأً بيناً ، فإنه جعل حكم الله سبحانه متناقضاً ، متخالفاً ، لأنه إذا قال قائل هذا حرام ، وقال آخر هذا حلال ، كان حكم الله تعالى في تلك الدين عنده أنها حلال حرام . وهذا باطل من القول ، وزائف من الرأي ، وفاسد من النظر ، فإنه مع كونه باطلاً في نفسه يهتز به الله عز وجل منه ، هو أيضاً خلاف ما عند أهل العلم .

وإن أراد أنه مصيب بمعنى أنه يستحق أجراً على اجتهاده وإن أخطأ ، فهذا معنى صحيح ، ولكنه إطلاق لفظ يخالف ما أطلقه عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال : وإن اجتهد فأخطأ فله أجر ، فلا ينبغي أن يطلق لفظ المصيب عليه ، وإن كان لمن أطلق هذا اللفظ إرادة صحيحة . بل ينبغي أن يقال كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من وصفه بالخطأ مع استحقاق الأجر . أو يقال : إنه مخطئ مأجور .

وكما أن هذا الإطلاق لا يحسن لما فيه من شبه الرد ^(٣) على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإن كان له إرادة ^(٤) صحيحة ، كذلك لا يجوز أن يقال في شأن هذا المخطئ كما يقول بعض أهل الأصول : إنه مخطئ آثم ، فإن هذا

(١) في (ب) (سبحانه) بعد لفظ الجلالة .

(٢) في (ب) سقط من النسخ : (إن أراد أنه مصيب) وفي (أ) (أي) بدل

(إن) ولكن (إن) أولى لكي يستقيم الأسلوب كما سيأتي بعد .

(٣) في (أ) تسكررت (الرد) وهو سهو من المؤلف .

(٤) في (أ) سهى المؤلف عن التاء المربوطة وكتبها هكذا (إراد) .

قول بالجهل ، ومخالفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنه أثبت له الأجر وهذا القائل أثبت له الإثم .

وأما قول من قال من أهل الأصول : إنه مخطيء مخالف لأشبهه عند الله فهو قول صواب ، لأنه مع انحصار فقد خالف الحق ، إذا كان يريد بالأشبهه ما هو الحق عند الله .

وإن كان يريد غير هذا المعنى كأن يريد بالأشبهه الأقرب ، فهو كلام غير صحيح ، لأنه لا قرب لخلاف الحق حق يكون الحق أقرب منه .

وعلى كل حال ، فالأحسن أن يقال في مخطيء الحق ما قاله رسول الله (١) مخطيء له أجر .

والبعيد كل [البعد] (٢) عن الحق قول من قال : إن كل مجتهد مصيب من الإصابة ، وإن كل واحد من العلماء قد أصاب الحق الذي يريد الله سبحانه ، فإنهم قد جعلوا مراد الله عز وجل (٣) أمراً دائراً بين اجتهادات المجتهدين إلى يوم القيامة ، فكل مجتهد إذا اجتهد فذلك الاجتهاد هو مراد الله من العباد ، وإن خالف اجتهاد غيره ، وناقضه كما تقدم .

منعق المقلدين هو منطق السوفسطائيين :

وما أشبهه القائل بهذه المقالة بالفرقة التي يقال لها الفرقة السوفسطائية فإنهم جاءوا بما يخالف العقل فلم ينته بأقوالهم أحد من علماء الحق لأنهم بالجنون أشبه منها بالعقل .

(١) في (ب) بعد رسول الله يوجد (صلى الله عليه . الخ) .

(٢) في (أ) ، (ب) (كل البعيد) وهو سهو من المؤلف ثم سهو من الناسخ .

(٣) في (ب) سقط من النسخ (عز وجل) .

وهم ثلاثة فرق : هندية ، وهندية ، والأدريية^(١) .

الهندية : إذا قيل لأحدهم أنت موجود ، قال القائل : عندهك لا هندي .

والهندية : إذا قيل لأحدهم أنت موجود قال : لا ، فإذا قيل له ماهذا

الشبح الذي أراه والكلام الذي أسمعه منه والجرم الذي ألمسه ، قال : لا شيء ولا وجود لي .

وأما الأدريية : فإذا قيل لأحدهم أنت موجود ، قال : لا أدري .

وقد صرح علماء المقول أن هؤلاء لا يستحقون جواباً إلا الضرب لهم حتى يعترفوا ؛ لأنهم لا يقبلون حجة ، ولا يسمعون برهاناً .

ومن عجيب صنع العقلة أنهم يقبلون ممن ينتسب إلى مذهبهم المرجح بين الروايتين لإمامهم ، وإن كان ذلك المرجح مثلاً فخر مجتهد ، ولا قريب من رتبة المجتهد .

ولو جاء من هو كإمامهم أو فوق إمامهم وأخبرهم عن الراجح من ذينك القولين لم يلتفتوا [إليه]^(٢) ، ولا قبلوا قوله ولو هضم ذلك بالآيات المحكمة والأحاديث المتواترة ؛ بل يقبلون من موافقيهم مجرد النخريج على مذهب إمامهم ، ولقياس على ماذهب إليه ويحملونه ديناً ويحلون به ويحرمون .

فيالله وللمسلمين مع هلم كل عاقل أن الرب واحد ، والنبي واحد ، والآمة واحدة والكتاب واحد ١١ .

(١) في (ب) (الأدريية) . وصحتها : « اللادريية » ينظر ص ١٣٥ من كتاب (الله للعقاد . وهم قوم من الشكك ، وآراؤهم منتشرة في كتب الكلام والفلسفة ، ينظر ص ٤١ من كتاب نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام للدكتور على سامي النشار . الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤ .

(٢) في (أ) و (ب) (عليه) .

وبالجملة فشكل من يعقل لا يخفى عليه أن هذه المذاهب قد صار كل واحد منها كالشريعة عند أهله يذودون عنه كتاب الله وسنة رسوله ، ويجعلونه جسراً يدفعون به كل ما يخالفه كائناً ما كان .

سد باب الاجتهاد نسخ للشريعة :

والعجب أن هؤلاء مكاسبير للتقليد لم يقفوا حيث أوقفهم الله من القصور وهدم العلم النافع ، فقاموا على أهل العلم قومة جاهلية وقالوا : باب الاجتهاد قد انسد وطريق الكتاب والسنة قد ردمت .

وهذه المقالة من هؤلاء الجمال تتضمن نسخ الشريعة وذهاب رسمها وبقا مجرد اسمها وأنه لا كتاب ولا سنة لأن العلماء العارفين بها إذا لم يبق لهم سبيل على البيان الذي أمر الله سبحانه^(١) عباده به بقوله : (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لنديننه للناس ولا نسكتهمونه)^(٢) . وقوله : (إن الذين يكتمون ما أنزلنا — إلى قوله — أولئك يلعنهم الله)^(٣) .

فقد انقطعت أحكام الكتاب والسنة ، وارتفعت من بين العباد ، ولم يبق إلا مجرد تلاوة القرآن ودرس كتب السنة ، ولا سبيل إلى التنبه بشيء مما فيها .

ومن زعم عند هؤلاء الجبهة أنه يقضى أو يفقح بما فيها أو يعمل لنفسه بشيء مما اشتمل عليه فدعواه باطلة وكلامه مذبذب .

فانظر إلى هذه الفاقة العظمى والداهية الدهيئة^(٤) والجملة والجهلاء

(١) في (ب) (تعالى) بدل سبحانه .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٨٧ .

(٣) سورة البقرة آية ١٥٩ .

(٤) في (ب) الصماء .

والبعدة العمياء الصماء ١١١ سبحانه هذا بهتان عظيم .

وإن زعموا أن هذا الصنيع منهم ليس هو بمعنى ما ذكرنا من نسخ الكتاب والسنة ورفع التعبد بهما فقل لهم فما بقي بعد قرأكم هذا ١١٢ فإنكم قد قلتم ليس للناس إلا التقليد ، ولا صليل لهم إلى غيره ، وأن الاجتهاد قد انسد بابيه وبعلات دهورى من بعده ، وامتنع فضل الله على عباده ، وانقطعت حججه ١١١ .

وعندما مع كونه من الإفتك البين قد اختلفت فيه أنظار هؤلاء المقلدة اختلافا كبيرا ، فقالت طائفة منهم ليس لأحد أن يجتهد (بعد أبي حنيفة وأبي يوسف وزفر بن الحذيل ومحمد بن الحسن الشيباني ، والحسن بن زياد اللؤلؤى ، وإلى هذا ذهب غالب المقلدة من الحنفية ، وقال بكر بن الملاء النخعي ، الساسكي : ليس لأحد أن يجتهد)^(١) بعد المائتين من الهجرة .

وقال آخرون : ليس لأحد أن يجتهد بعد الأوزاعي وصفيان الثوري ووكيع ابن الجراح وهب الله بن المبارك

وقال آخرون : ليس لأحد أن يجتهد بعد الشافعي .

وقد ذكرنا بعض هذا الباطل البين ، والإفتك الصريح في رسالتنا التي سميها (القول أفيد في حكم التقليد) .

وهؤلاء وإن كانوا خارجين عن زمرة العلماء بالإجماع حسبما نقلناه فيما تقدم ، وليسوا بما يستحق الاشتغال بما قاله^(٢) ، وتعاويل الكلام في الرد عليه لأنهم في عباد أهل الجبل لا يرأفون من طبعهم بمجرد حفظهم لأمر من قلده ،

(١) هذه لفظة موجودة تصحيحا في الهامش في (ب) .

(٢) في (ب) (قالوه) وهو سهو من الناسخ .

لكنهم لم يأتوا بدعوتهم أفطار الأرض وصاروا هم السواد الأعظم ، وكان
غالب القضاء والمفتين منهم وكذلك صائر أهل المناصب ، فإنهم شاركوا
هم في الجهل بما شرعه الله ^(١) لعباده ، صاروا أهل الشوكة والصولة ، وليس
لإمامة بصيرة يعرفون بها أهل العلم وأهل الجهل ويميزون بين منارهم . وغاية
ما هندهم أنهم ينظرون إلى أهل المناصب وإلى المتجملين بالنياب الرفيعة .
فإن دققوا النظر نظروا إلى المدرسين في العلم . وهم هند هذا النظر يرون
شبه علم الرأي قد اجتمع عليه الجمع الجمل من القلة ولم صراخ وهو بل
وجلبه وقد استغرقوا هم وشيوخهم المدارس والجوامع ولا يرون شيخ علم
الكتاب والعلمه أترأ ولا خبراً ، فإن درس شيخ من شيوخهم في مدرسه
أو جامع فهو في [زاوية ^(٢)] من زواياه قعد بين يديه الرجل والرجلار . وهم
في مسكنة ووقار لا يلتفت إليهم ملتفت ، رثا يتعلم لأصم متعلم فإذا
[يرى ^(٣)] السامع عند هذا النظر ما ذاك يخطر بباله ؟ ويفلب هل ثلثه ؟
وإلى من يميل ، ولئن يحكم بالعلم ؟ وهلى من يلقى مقاليد ما ينوبه من أمر دينه
ودنياه ؟ . فلم هذه المسكنة احتجنا إلى هذا الكلام في هذا المؤلف وغيه
من مؤلفاتنا وإلا فهم أقل وأحق من أن يشتغل بشأنهم أو يسأ عما يصدر
منهم من الجهل المسكتوف ، والذي لا يكاد يلتبس هلى من لديه أدنى علم
وأقل تمييز .

جهاد الشوكاني للمقلدين :

ولقد كان لي مع هؤلاء في أيام الاشتغال بالدرس والتدريس وهن فوان

(١) في [ب] [تعالى] بعد لفظ الجلالة .

(٢) في [أ] [زوه]

(٣) في [أ] ، (ب) (تري) ولكن يرى هلى الموافقة .

الشباب ، وحدة الهداية فلاقل وزلازل جهت فيها رسائل وقلت فيها قصائد .

فن جملة ما خاطبتهم به ماقلت من قصيدة :

يا ناقداً لمقال ليس يفهمه من ليس يفهم قل لي كيف تفتقد
يا صاعداً في وعرضاق مسلكهما أيصعد الوعد من السهل يرتفع ؟
يا ماشياً في فلاة لا أنيس بها كيف السبيل إذا ما اغتالك الأسد ؟
يا خائض البحر لا يدري صباحته وبلى عليك أننجو إن علا الزند ؟
ومنها :

إني بليت بأهل الجهل في زمن قاموا به ورجال العلم قد تمسكوا
قوم يدق جليل القول عندهم فالهم طاقة في حبل ما يرد
وغاية الأمر عند القوم أنهم أهدى المدة لمن في علمه ^(١) صد
إذا رأوا رجلاً قد نال مرتبة في العلم دون الذي يدرونه جعلوا
أو مال عن زائف الأقوال ، أتركوا باباً من الشر إلا نحوه تصعدوا
أما الحديث الذي قد صح مخرجه كالأمهات فما فيهم لها ^(٢) واهد
تراهم إن رأوا من قال حديثاً قالوا له ناصبي ^(٣) ماله رشد
وإن ترضى هلى الأصحاب بينهم قالوا له بأهض الآن مجتهد
يا غارقين بشوم الجهل في بدع ونافرين عن الهدى القويم هـوا ^(٤)

(١) في (ب) (دينه) بدل علمه ، وفي أ ، ب (أعدا) بالالف

(٢) في (ب) (فأ فيها لهم ولد) .

(٣) أى يكره ال البيت ، وهو لقب ، كان يعلق على من يكره ال البيت ، كما تقدم ، واستغله الرافضة أسوأ استقلال .

(٤) في الهاش في (أ) : (ارجعوا) .

ما اجتهدت في العلم مقصداً
لا تمسكوا مورداً بعداً لشاربه
النقص في الجمل لأحياءكم الصمد
في موقف المعطى والحاكم الأحمد
وما قلناه في ذلك :

هلي هصر النبيلة كل حين
وبمقيه من السحب الواري
زمان خضت فيه بكل فن
وهت على الذي حصلت منه
وعاداني على هذا أناس
رأوني لا أدين بدين قوم
ويطرحون قول للطاهر طه
فقالوا قد أتى فينا فلان
يقول الحق قرآن وقول
فقلت كذا أقول وكل قول
وهذا مهيع^(٦) الأعلام قبلي
إذا جحد أروؤ فضل ونيلي
وكل في إذا ما حاز هلم
وراض بجواحاً من كل فن
رماه القاصرون بكل عيب

سلام ما تقيمت الرعود
ملت^(٦) دائم التمسك بعود
وسمت مع الحداثة من يسود
فوجدت به وغيري لا يسود
وأظلم من يمايك الحسود
يرون الحق ما قال الجودود
وكل منهم عنه شهود
بعضلة وفاقرة تؤود
ظير الرسل لا قول ولود
هذا هذين تطرقه الردود
وكلهم لمورده ورد
فقدماً كان في الناس الجودود
وكان له بمروجة جودود
وصار لكل شاردة يقودود
وقام لحربه منهم جنودود

(٥) مطر غزير دائم .

(٦) المهيع : الطريق الواضح .

فهادوا خائبين وكل كيد لهم فملى نفوسهم يسود
وراهوا وضع رتبته فكانوا^(١) على الشرف الرفيع هم للشهود

* * *

إذا ما الله قدر نشر فضل
ومن كثرت فضائله يسود
إذا ما غلب يلزمه^(٢) أناس
وليس يضر نبح الكلب بدراً
وما الشم الشوامخ عند ربح
ولا البحر الخضم يصاب يرباً
وبما قلته من قهيذة طويلة :

لا هيب لى غير أنى فى دياركم
وأنتم كهف نيش الظلام وما
موتراً إذا شئتم قبطار من كل
وأرهبى أن يلجى دعوتى نفر
لا يمدلون بقول الله قول فى
لا ينشون عن الهدى القويم ولا
شمى ولم يعرفوا منها سوى الشهب
زال الخفاش بنور الشمس فى نسب
فى نضرة الطوى ما حررت له الكتب
يسمون الهدى لا يسمون للنشب
ولا بسمه خير الرعل رأى^(٥) غي
يهانعون لترغيب ولا رهب

(١) فى (ب) (وكانوا) وهو سهو أدى إلى ضعف فى المعنى .

(٢) فى (ب) يلزمه .

(٣) فى (ب) ، (أ) تفسيرها فى الهامش (كناية عن الخضوع) .

(٤) فى (ب) (يخالف) ،

(٥) فى (ب) (قول) .

أبث ما بينهم من مذهبي درراً جعبتهما عن ذوى التقليد والريب
يا فرقة ضيقت أهلها منها وصيرت رأس أهل السلم كالذئب
ما قام رب علوم في دياركم إلا وجسرته أكويس الكرب
من قال : قال رسول الله بينكم فداً بذنا هتكم من جملة المذهب
ومنها :

عاديتم السنة ألفرافكان بذنا دهوى خهوسكم مرصولة العصب
كم ثلث ذرمة ——— ق ث الضر منقحة

(وظل) ^(١) رجسو نجاها من يد المطب
سودتم جيل جهل بالعلوم وثا رأى يجبر بذيل الزيل والهرب
والاجتهاد ضا في كتب فقهم شرط الإمام فإن يمدوه لم يجب
وشرط حال أهباء القضاء مع الإفتاء فلم تعرفوا ما خط في الكتب
ومنها :

ولاني حزت أضعاف اتقى شرطوا قبل الثلاثين من عمرى بلا كذب
لم أضعخ أرجاء الجوامع بالنسر يس في كل ثن مهتر المطب
لم أضعف في عصر الشبهة ما يقدو له محكم العرش في طرب
لو كان مطلع شمسى غير أرضكم ما حال دون سناها عارض السحب
ولا غدت لعشاش الناظرين لها كأنها طلعت في مظالم الحجب

ومما قلته من قصيدة طويلة :

وما سبه باب الحق عن طالب الهدى ولكن عين الأرمم القدم سدت

(١) في (ب) (ظل) ، ولسكها في (أ) (ضل) .

رجال كأمثال الخفافيش ضوءها يابح لدى الظلماء وتمي بضجوة
 وهل ينقص الحسناء فقدان رغبة إلى حسننها من أهييب بعنة
 وهل حظ قدر البدر عند طلوعه إذا ما كلاب أنكرته فمرت
 وما إن يضمر البحر أن قام أحق على شطه يرمى إليه بصخرة
 فخش في غمار الاجتهاد وعده من رجال سلت عن ضناء بقرية
 ومنها .

وإن كنت شهماً ناقداً متبصراً فدمع ما به عين من المعى قوت
 فما جادنا نفل بقصر ولا آنى بذلك حكم للعقول الضميمة
 وما فاض من فضل الإله على الأول مضوا فهو فياض عليك بكملة
 ولا تك مغاوطاً ذلولاً لرايض^(١) تصير بهذا مشبهاً للبهيمة
 وما قلته من الأشعار الجارية في هذا المضمار فهو كثير جداً يحتاج إلى
 مؤلف مستقل .

وقد حكيت بعض ما وقع لي مع هؤلاء المقلدة في الكتاب الذي سميته
 (أدب الطلب ومنتهى الأرب) . وكيدهم التمدد وحسد هم الشديد مستمر إلى
 الآن والله ناصر دينه ، ورافع أعلام شريعته ، وكات من رام أهلها ، أو رام
 الخاملين لها بكيد ومكر . ولا يهين المكر السوء إلا بأهل . (يخادعون الله
 والذين آمنوا وما يخدعون^(٢) إلا أنفسهم وما يشعرون^(٣)) . (ومكروا

(١) في (ب) (ارافض) وصححت (ارايض) وهي من راض يروض بمعنى
 علم ، أو درب .
 (٢) في (أ) ، (ب) سمى المؤلف والناسخ وكتبها : (وما يخادعون) .
 (٣) سورة البقرة آية : ٩ .

وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ لِلْمُكَرِّينَ ^(١) . (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَفَيْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ^(٢))
 (الَّذِينَ قَالُوا لَمْ يَأْتِنَا مِنَ الْمَاءِ قَدْرُ حِمْلٍ وَالْحَكَمَ تَخْشَوْهُمْ فَرَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا
 حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَاقْبَلُوا بِنِعْمَةِ رَبِّ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسُّهُمْ سُوءٌ ^(٣)) .
 وما أصدق هذه المواهيد التي وعد الله بها عباده ، وأبين حدودها وأظهر
 وقورها وهو صادق الوعد فلاه ^(٤) الحمد [فإنه] ^(٥) ما قام قائم في معارضة
 الحقين إلا وكبه الله على منخره ، وحافى به مكره وعاد على نفسه خداعه
 وأحاط به غيه . وكما قد رأينا من هذا وسمننا في ههنا ومنا وفيها ، فكلمات
 المأقبة للمعتدين ، كما وعد به رب العالمين والحمد لله .

من أخطار التقليد والمقلدين :

وكما أن قول هذه ^(٦) المقلدة الذين ردوا باب الاجتهاد وسدوا طرقه فقه
 استلزم ^(٧) رفع الكتاب والسنة والتمسك بغيرهما ، فكذلك استلزم رد ما صح
 من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من أنها لا تزال طائفة من هذه
 الأمة على الحق ظاهرين » . وكذلك استلزم رد ما صح أنه لا تزال في هذه
 الأمة قائم بحجة الله ، وكذلك استلزم رد ما ورد « من أن الله سبحانه يبعث
 لهذه الأمة في رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » .

(١) آل عمران آية : ٥٤ (٢) يونس آية : ٢٣ .

(٣) آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤ (٤) في (ب) (له) .

(٥) في (أ) لا توجد (فإنه) وهي لازمة لسلامة الأسلوب .

(٦) في (ب) لا يوجد (قول هذه) .

(٧) في (ب) (صملهم) بعد استلزم .

وجود الاجتهاد في المذاهب حجة على المقلدين :

ومع هذا فكل طائفة من طوائف المذاهب الذين كدر مشارب مذاهبهم وجود هؤلاء المقلدة الذين لا يعلمون حجة ، ولا يعرفون برهاناً ولا يفهمون من العلم إلا مجرد صور وقفوا عليها في مختصرات المفاهيم ، قد جعل الله سبحانه فيهم من العلماء المبرزين بالكتاب والسنة وبما هو كالمقدمة لهما من العلوم الآلية وغيرها ، عدداً جماً كما يعرف ذلك من يعرف أخبار الناس ويدري بأحوال العالم ، وفيهم من كمل الله سبحانه لهم علوم الاجتهاد وفوقها ، واسكنهم امتحنوا هؤلاء الصم البكم من المعاصرين لهم مقلدة المذاهب الذين اشتركوا فيه بمجرد الانتماء إليه فغلبوهم على أنفسهم وصانعوهم وداروهم لما يخشونه من معرفتهم ويتوقعونه من إغراء العامة بهم .

ومنهم من كتم اجتهاد نفسه ، ولم يستطع أن ينسب إلى نفسه الاجتهاد ولا تظهر بما يدب به ويمتدده من تقديم ما يعرفه من الأدلة على ما يخالفه من الرأي .

ومنهم من تظهر بعض النذور فلقى من متفهمة المائلة من إغراء^(١) الإمامة به ما هو معروف لمن نظر في الزوارخ العامة ، أو^(٢) الخاصة بذهب من المذاهب وطائفة من الطوائف .

ومن كان لا يعرف التاريخ ، ولا يلشط إلى الإطلاع على أخبار العالم وتحقيق أحوال الطوائف فلينظر إلى مثل مؤلفات ابن عبد السلام^(*) ،

(١) في (ب) (من أذى العامة له) .

(٢) في (ب) (و) بدل (أو) .

الأعلام

(*) عبد المزيّن بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الدمشقي (٥٧٧-٦١٠هـ)

وإبن دقيق العيد (***) ، وإبن سعيد الدباس (***) ، والذهبي **** وزين الدين
العراقي (٠) ، وإبن حجر العسقلاني والسيوطي (٠٠) وأمثالهم من الشافعية .
وإلى مثل وفات ابن قدامة (٠٠٠) . ومن في طبعته من اللقطة ومن بعدهم
مثل تقي الدين ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم وأمثالهم من الحنابلة .

عز الدين الملقب بسلطان العلماء فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد . كان صاحب رأى
عريض وثورة على كل ما يخالف الإسلام من كتبه (حل الرموز) رسالة في النصوص
و « التفسير الكبير » و « قواعد الشريعة » . الأعلام ج ٤ ص ١٤٤ ، ١٤٥ .
(*) محمد بن علي بن وهب بن مطيع أبو الفتح المعروف بابن دقيق العيد (٦٢٥ -
٧٠٢ هـ) قاض من أكابر العلماء بالأصول مجتهد أصل أبيه من منفوط
(الأعلام ج ٧ ص ١٧٤) .

(*) محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس البصري (٦٧١ - ٧٣٤ هـ) من
حفاظ الحديث مؤرخ عالم أديب مولده ووفاته بالقاهرة من كتبه (المقامات العلمية
في السكرات الجليلة) (الأعلام ج ٧ ص ٦٣) .

(*) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي شمس الدين . حافظ مؤرخ علامة محقق
تصنيفه كبيرة كثيرة تقارب المائة (ولد سنة ٦٧٣ وتوفي سنة ٧٤٨ هـ) (الأعلام
ج ٦ ص ٢٢٢) .

الأعلام

(٥) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن المعروف بالحافظ العراقي ، أو
الزين (زين الدين) (٧٢٥ - ٨٠٦ هـ) .

(٦) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الجلال الأسيوطي . اشتهر بالتفسير
والتصنيف في الحديث له نحو (٦٠٠) مؤلف إمام حافظ مؤرخ أديب . الأعلام
ج ٤ ص ٧١ .

(٧) محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد ابن قدامة المقدسي (٧٠٥ -
٧٤٤ هـ) حافظ للحديث من كبار الحنابلة صنف ما يزيد على ٧٠ كتاباً . الأعلام
ج ٦ ص ٢٢٢ .

ومثل ابن هبذ البر والقاضى هياض (٠٠٠٠) وابن العربى (٠٠٠٠٠) وأمثالهم
من المالكية .

وبالجملة فى كل مذهب العدد الكثير غالبهم يذم التقليد وينكر هلى أهله
ولكنهم كما هرفناك لا يصرح منهم بذلك تصريحاً إلا الأقل لتلك العلة
وغالبهم يلوح به تلويحاً ويمرض به تعريضاً .

أهل اليمن والاجتهاد :

وأما قطارنا اليمنى بآرك الله فيه فغالب من توصل فى العلوم وأدرك من نفسه
ملككة الاجتهاد الرجوع إلى الدليل ، ويرى بالتقليد وراء الحائط ويلقى عن
هنفه قلاذته .

هرفنا هذا من شيوخنا ، وهرفوه من شيوخهم وهرفه الأول هن الأول
وهرفناه من أترابنا ، والمرافقين لنا فى الطلب ، بل غالب الأخذين هنا وهم
العدد الجرم (١) بهذه الصفة ، وهلى هذه الطهفة المحمودة .

بل غالب من كان له إنصاف من الذين لم يكتر اشتغالهم بالعلم فى ديارنا
هذه يهضم كما كان يهضم السلف الصالح من الصحابة ، وتابعهم ، ومن بعدهم

(٣) توفى سنة ٤٧٦ هـ فى مراكش وولد فى سبته وهو: عياض بن موسى بن
عياض ابن عمرو بن يحيى السبكي عالم المغرب وإمام أهل الحديث فى وقته من
كتبه (شرح صحيح مسلم) الأعلام ج ٥ من ٢٨٢ .

(٤) محمد بن عبد الله بن محمد المعافى الأشبلى المالكى أبو بكر بن العربى
قاض ، من حفاظ الحديث . بلغ رتبة الاجتهاد صنف فى الحديث والفقه والتفسير
والأصول والأدب والتاريخ . من كتبه (العواصم من القواصم) . الأعلام
ج ٧ ص ١٠٦ من (٤٦٨ - ٥٤٣ هـ) .

(١) فى (ب) (لا توجد « هم ») .

...من هدم التقليد بالتقليد ، والتعويل على سؤال العلماء بالكتاب والسنة هن
الدليل الراجح فيعملون به ويقفون عنده ، ولا يبالون بما يخالفه مما عليه المقلدة ،
وصاروا منة بين إلى السنة المطهرة غير منتمين إلى مذهب من المذاهب ،
فأصابوا أصاب الله بهم ، وضاعف أجرمهم ، وصرف عنهم مرة المقلدة أنباع
تخل ناعق .

تمصيب المقلدين أساسه الجهل :

وقد عرفناك أن هؤلاء الملمدة ذموا ما لم يعرفوه ، وعابوا ما لم يدروا به ،
« وهذا أمر يستتبعه كل عاقل » ، ويزرى بصاحبه كل فاهم ، فإن من تعرض
لذلك كلام فيما لا يعرفه فهو جاهل من جهتين :

الجهة الأولى : كونه لا يعرف ذلك الشيء .

الجهة الثانية : كونه تكلم فيما لا يعرفه ، كما يفعله أهل الجهل المركب .

هذا على فرض أنه لم يتعرض للندح فيه ، ولا أوقعته نفسه الأمانة في
العلماء على التمسكين به ، فإن فعل أخطأ من ثلاث جهات هذا الثالثة .
وأما أحسن ما قاله الشاعر :

أتانا أن سهلا ذم جهلا علوما ليس يعرفهن سهل
علوما لو دراها ما فلاها ولسكن الرضى بالجهل سهل

ولقد صدق هذا الشاعر فإن كلمة الباعثة للجهل على هذا الفضول هي
الرضى بالجهل ، ويكفيه مارضى به لنفسه نقصاً وحباً وغبوة ومهانة .

واجب العلماء وأولى الأمر نحو المقلدين :

هو واجب على كل من له ولاية بأمر فيها بمعروف أو ينهى عن منكر أن

يجعل نهى المنكر الذى عليه هؤلاء عنوان كل نهى ينهى به عن منكره
فإنهم فى الحقيقة إنما يطعنون على كتاب الله^(١) وسنة رسوله^(٢) بأن ما فيها
من الشريعة قد صار منسوخاً ، ويطعنون على علماء الدين من السلف الصالح ،
ومن مشى على هديهم القويم ، ويدفعون بالرأى الذى هو ضد للشريعة ، ما
شرعه الله لعباده ، وهم بهذه المنزلة من الجمل البسيط أو المركب .

فهل سمعت أذنك بمنكر مثل هذا المنكر ، وبلمية فى الدين مثل هذه البلمية
ورزية فى الملة الإسلامية مثل هذه الرزية ؟ فإن النيل من^(٣) عرض فرد من
أفراد المسلمين عنكر لا يخالف فيه مسلم إذا كان على طريق الغيبة أو^(٤)
البهتان ، أو على طريق الشتم مواجهة ، وككافة .

فكيف بمن جاء بما هو من^(٥) أعظم البهتان ، وأقبح الشتمة للشريعة
الحمدية ، والدين الإسلامى ، ولعلماء المسلمين سابقهم ولا حقهم ١١ ؟ . فيا الله
وللمسلمين بالله وللمسلمين ، بالله وللمسلمين ١١ ؟ .

فإن هؤلاء لما رأوا كثيراً من العلماء يداهنونهم ويدارونهم اتقاء لشركهم
مازادهم ذلك إلا شراً ، [ولا]^(٦) أثر فيهم إلا تجرداً على ما هم فيه .

ولو تسكلم أهل العلم بما يجب عليهم من نصر الشريعة والدين عن أهائهم

(١) فى (ب) (تعالى) بعد لفظ الجلالة .

(٢) فى (ب) يوجد (صلى الله عليه) بعد رسوله .

(٣) فى (ب) (فى) بدل (من) .

(٤) فى (ب) (و) بدل (أو) لأن الحشرة قد أكلت الحمزة .

(٥) فى (ب) سقطت (من) من الناسخ .

(٦) فى (أ) (وإلا) بهمزة قبل (لا) وهو سهو .

بما يحب عليهم لسكانوا أقل شراً وأحق ضرراً^(١) .

وأقل حال أن يعرفوهم بأنهم من أهل الجاهل [الذين]^(٢) لا يستحقون خطاباً ولا يستوجبون جواباً ، فإن في هذا كدراً ليهض ما صاروا عليه من الظن بأنفسهم الباطل والخيال المختل لما يرونه من سكوت أهل العلم عنهم والتصبر هلى ما يسمعون منه ، ويميلهم عنهم .

وقد يتسبب عن هذه الإعانة لهم بالتجليل ، والتضليل فائدة يندفع بها بعض تجرؤهم هلى كتاب الله وسنة رسوله ، وعلماؤهم ، فإن من الناس من يصلح بالهوان ويفسد بالإكرام ، كما هو معلوم لكل من يعرف أحوال الناس واختلاف طبائعهم .

ولقد أحسن الشاعر حيث قال :

أكرم تميماً بالهوان فإنهم إن أكرموا فسدوا هلى الاكرام
وكما قال الآخر :

أهن هامراً تكرم هلىه فإنما أخو هار من سه بهوان
وينبغي لمن سمع أحدهم يفتى فى التعامل والتعريم ، وينصب نفسه لما ليس من شأنه ، أن يقول له كما قال الشاعر :

تقولون هـذا عندنا خير جائز وإن أنتم حتى يكون لكم هند ؟
وإن سمع أحداً منهم يتكلم فى غير ما يعلم هلى تقدير أن هله بعطف من الرأى يمد هلاً كما فى اصطلاح العامة ، وإلا فهو ليس^(٣) يعلم بالإجماع كما قدمنا

(١) فى (ب) (أحق ضرراً ، وأقل شراً) .

(٢) فى (أ) سها المؤلف وكتب (الذى) بدل (الذين) .

(٣) فى (ب) (وإلا فليس هو الخ) .

قل ذلك ، فليتل عليه قول الله سبحانه (ها أنتم هؤلاء حاجبتم فيما لكم به علم ، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) وليتل عليه قوله عز وجل^(١) : (رلا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب ألا يفلحون . مناع قليل ولهم عذاب أليم)^(٢) . وقوله عز وجل : (قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)^(٣) . وقوله تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)^(٤) (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)^(٥) (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)^(٦) ويتلو عليه الآيات التي فيها الحكم بالحق وبالعدل وبما أرى الله ورسوله .

مدى تكريم الله سبحانه الأولياء :

وانرجع الآن إلى شرح الحديث الذي نحن بهدد شرحه .

قال الكرماني : « إن قوله (لى)^(٧) فى من هادى لى وليا هو فى الأصل

(١) آل عمران آية : ٦٦ ، وقد سها المؤلف فسمى (هؤلاء) بعد أنتم وقد نسمى الناسخ فى (ب) الآية بأكملها ، والتقديم الآية التالية .

(٢) النحل آية : ١١٦ ، ١١٧ .

(٣) الاعراف آية : ٣٣ .

(٤) المائدة آية : ٤٤ ، ٤٧ (٥) المائدة آية : ٤٥ .

(٦) فى (ب) (هذه) قبل الآيات ، وهى زيادة من الناسخ لا داعى لها .

(٧) فى (ب) نسمى الناسخ (لى) فاحداث اضطرابا فى فهم المعنى .

صفة انوله ولياً لـكنه لما تقدم عليه صار حالاً انتهى^(١) .

أقول ولا يختلف المعنى بذلك لأن المعنى هل الوصف : من عادى^(٢) ولياً
كائناً الى وهو هل الحال كذلك لكن التقدم فيه فائدة جلية ، وهي الإشعار^(٣)
باختصاص الولي به لا بغيره ، كما هو معروف في كتب المعاني والبيان ، ثم
في نسبته الولي إلى نفسه أشريف له عظيم ورفع لشأنه بليغ .

قال ابن هبيرة : ويستفاد من هذا الحديث تقديم الإعذار على الإنذار «
قلت ووجهه أنه لما قدم معاذة من هو بهذه الصفة من الولاية لله فكأنه أعذر
إلى^(٤) كل سامع أن من هذا شأنه لا ينبغي أن يعادى بل هل كل من عرف
أن^(٥) هذه صفته ، أن يواليه ويحبه ، فإذا لم يفعل فقد أهذر الله إليه ، ونهيه
هل أن من عادى يستحق العتوبة البالغة هل عداوته فقال منذراً له : فقد
« آذنته بالحرب » هل ما صنع مع ولى .

ووقع في حديث عائشة عند أحمد في الزهد ، وابن أبي الدنيا وأبي نعيم
في الحلية والبيهقي في الزهد بالفظ : « من أذل لي ولياً » وفي أخرى منه من
آذى ، وفي إسناده هبيرة الواحد بن^(٦) ميمون عن هروة ، وهو منكر
الحديث لكن ، أخرجه الطبراني من طريق يعقوب^(٧) [هن]^(٨) مجاهد

(١) فتح الباري ص ٢٩٣ .

(٢) في (ب) زاد الناسخ من عنده (لى) بعد من عادى وليست لازمة ولا من
صراط المؤلف .

(٣) في (ب) إشعار اختصاص .

(٤) في (ب) (نسي للناسخ « كل سامع إلى بل على كل من عرفه الخ ») .

(٥) في (ب) زيادة (من) بين (أن وهذه) . وهو سهو .

(٦) في (أ) (يعقوب بن مجاهد) .

هن (١) هروء (٢٠٠) قوله : « فقد آذنته » بالماء (٢) وفتح المعجمة بعد (٣) نون
أى أهلمته .

وقال فى الصحاح : « واذنتك بالشئ » أهلمته ، والاذن العاجب . قال
الشاهر : تبدل بإذنتك للرخصى .

وقد آذن وتآذن بمعنى كما يقال أيقن وتيقن ، وتقول تأذن الأمير فى
الناس أى نادى فيهم بكون فى التهدد ، والنهى أى تقدم وأهلم . وقوله
تعالى : (وإذ تأذن ربك) (٤) أى أهلم ، انتهى .

فعرفت بهذا أن فى قوله : فقد آذنته معنى التهديد لمن عادى الولى والنهى
له من أن يقدم على معاداته لأنه قد (٥) تقدم إليه بأن لا يعاديه وأنه وليه وأهله
بذلك وأما المتصور فيجىء بمعنى علم ومنه قوله تعالى : (فأذنوا بحرب من
الله ورسوله) (٦) : أى أهلموا ، وبمعنى الاستماع يقال أذن له (٧) إذا استمع
منه . قال الشاهر :

-
- (١) فى (أ) تكررت (عن) وهو سهو من المؤلف .
(٢) فى (ب) (ولفتح للمعجمة)
(٣) فى (ب) (بعدها) بزيادة (هـ) .

الأعلام

- (*) سنأتى ترجمتهما أول الفصل الثمات .
(*) عروة بن الزبير بن العوام وأمه أسماء بنت أبى بكر الصديق من رجال
السند المشهورين فى تحمل الحديث وروايته ، توفى سنة ٩٤ هـ . صفوة الصفوة

ج ٢ ص ٤٩

- (٤) سورة الأعراف آية : ١٦٧ ، سورة إبراهيم آية : ٧
(٥) فى (ب) (فقد تقدم)
(٦) سورة البقرة آية : ٢٧٩
(٧) فى (ب) ، (ب)

إن يسمعوا ربة طاريا بها فرحاً عني وما سمعوا من صالح دفنوا
 سم إذا سمعوا خيراً ذكرت^(١) به وإن ذكرت بشر هتدم أذنوا
 ومنه ما أذن الله لشيء كآذنه لنبي يتغنى بالقرآن أى استمع ، والأذان
 الإلهام ، ومنه الأذان للصلاة .

قوله : « بالحرب » : فى رواية السكشميين^(١) : « فقد آذنته بحرب وفى
 حديث معاذ عند ابن ماجه^(*) ، وأبى نعيم فى الحلية بلفظ : « فقد بارز الله
 بالحاربة » وفى حديث أبى أمامة عند الطبرانى^(**) ، والبيهقى^(***) فى الزهد
 بسند ضعيف بلفظ : « فقد بارزنى بالحاربة » . ومثله لفظ حديث أنس عند
 أبى يعلى والبخارى^(****) والطبرانى ، وفى سننه ضعف . وفى حديث
 ميمونة^(*****) بلفظ « فقد استحل محاربتى^(٢) . وفى رواية وهب (.....)
 بن منبه بلفظ : « من أهان ولى المؤمن فقد استقبلنى بالحاربة » .

قال ابن حجر فى الفتح « وقد استشكل وقوع الحاربة ، وهى مفاعلة من
 الجاندين مع كون المخلوق فى أسر الخالق .
 والجواب : بأنه من المخاطبة بما يفهم . فإز الحرب تنشأ عن العداوة ،

(١) فى (ب) (وصفت) .

الاعلام

(*) فى (ب) السكشميين والصواب (السكشميين) بضم السكاف وسكون الشين ،
 وكسر الميم ، وسكون الياء تحتها نقطتان ، آخرها نون نسبة إلى قريه من قرى
 (مرو) القديمة ، وقد خربت : (أبو الهيثم) محمد بن مسكن بن زراع ، بن
 هارون بن زراع ، الأديب ، اشتهر بروايته صحيح البخارى عن الفربرى ،
 وتوفى سنة ٣٨٩ هـ . (الباب) لابن الأثير ج ٣ ص ١٣٠ .

(٢) فى (ب) (محارمى) .

والعداوة تلشأهن المخالفة . وغاية الحرب الهلاك ، والله عز وجل لا يظلمه
غالب فكأن للمنفى قد تعرض لإهلاكه إياه فأطلق الحرب وأريد لازمه ،
أى أعمل به ما يعمل العدو لمحارب^(١) انتهى .

قلت : فقد جعل ذلك من السكناية : وهى لفظ أريد به لارم . معناه مع جواز
إرادته كما حققه أهل علم البيان .

الأعلام

(*) هو أبو عبد الله محمد بن يزيد بن عبد الله بن ماجه القزوينى . ولى ربيعة
أحد الأعلام المشاهير ، ألف سننه المشهورة ، وهى إحدى السنن الأربع ، وإحدى
الأمهات الست (٢٠٩ - ٢٧٣ أو ٢٧٥ هـ)

(*) سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي . من كبار الحديثين أصله من
طبرية الشام ولد بمكة سنة ٣٦٠ هـ وتوفى سنة ٣٦٠ هـ بأصبهان . له ثلاثة معاجم
فى الحديث ، الأعلام ج ٣ ص ٩٨١ .

(*) هو الإمام أبو بكر أحمد بن الحسن الشافعى الحافظ . له السنن الكبرى
والصغرى وكتاب (الأسماء والصناعات) والزهد ، توفى سنة ٤٥٨ هـ . شذرات الذهب
ج ٢ ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

(*) هو أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبو بكر البزار ، حافظ من العلماء
بالحديث له مسندان أحدهما كبير (وسماه البحر الزاخر) ، والثانى صغير . توفى
سنة ٢٩٢ هـ . الأعلام ج ١ ص ١٨٢ .

(*) هى ميمونة بنت الحارث المالكية ، إحدى زوجات الرسول ﷺ

(*) فى (ب) (ابن منبه دون (وهب) . وهو الحافظ أبو عبد الله الضعافى ،
ولد بصفا سنة ٣٤٤ هـ . ونشأ بها قال عنه صاحب السكواكب الدرية : عالم أهل
اليمن جد واجتهد غالب أخذه عن ابن عباس من أكابر الزهاد والعباد . كان
جدّه أحد الأكاسرة . مات بصفا سنة ١١٤ هـ . السكواكب الدرية ص ١٨٦ .

(١) ٢٩٤ فتح البارى .

ويمكن أن يقال إن المفاصلة قد تطلق ولا يراد بها وقوعها من الجانبين كما في كثير من الاصطلاحات العربية ، فيكون المراد بالحقارة هنا الحرب من الله عز وجل كما يدل عليه لفظ فقد آذنته بالحرب .

ويمكن أن يجعل العبد لما كان معانداً لله عز وجل بعداوة أوليائه بمنزلة من أقام نفسه مقام المحارب لله سبحانه ، وإن كان في أمره ونهت حكمه باهتبار الحقيقة ، وأنه أحقر وأقل من أن يحارب ربه . لكنها خيالت له نفسه الأمانة بالسوء هذا الظلال الباطل ، فعادى من أمره الله بموالاته ومحبه مع الله بأن ذلك مما يستخط الرب ويوجب حلول العقوبة عليه وإبقائه في المهالك التي لا ينجو منها .

قال الفياكهي « في هذا الحديث تهديد شديد لأن من حاربه الله تعالى ^(١) أهلكه وهو من الجاز البليغ لأن من كره ^(٢) أحبه الله تعالى خالف الله سبحانه ومن خالف الله عز وجل عانده ، ومن عانده أهلكه . وإذا ثبت هذا في جانب المعادة ثبت في جانب الموالاته .

فن والى أولياء الله عز وجل أكره الله عز وجل ^(٣) انتهى .

قلت : لا مقتضى لهذا الجاز بهذه الوسائط ، والانتقالات ، فإن مجرد وقوع الحرب من الرب للعبد ، إهلاك له بأبلغ أنواع الإهلاك وانتقام منه بأكمل أنواع الانتقام فالحديث خارج هذا المخرج

ومثله في وهيد أهل الربا : (فأذنوا بحرب من الله ورسوله) ^(٤) .

(١) في (ب) سقطت (تعالى) .

(٢) في (ب) (ما أحبه) .

(٣) ٢٩٤ فتح الباري مع عدم وجود كلمات : « عز وجل » المسكورة في نقل الشوكاني .

(٤) سورة البقرة آية : ٢٧٩ .

قال الطوفي (*) : « لما كان ولي الله سبحانه من (١) تولى الله سبحانه بالطاعة
والنقوى تولاها الله تعالى بالحفظ والتمسرة ، وقد أجرى الله تعالى (٢) السادة
بأن هدو العدو صديق ، وصديق العدو عدو ، فعدو ولي الله تعالى هدو الله
سبحانه فن هاد كان كمن حاربه ، ومن حاربه فكأنما حارب الله
تبارك وتعالى » (٣) .

قلت : وهذا هو مثل كلامنا المتقدم في توجيه المفاعلة .

-
- (١) في فتح الباري (من) فقط .
(٢) في (ب) (سبحانه) بدل (تعالى) .
(٣) في فتح الباري دون بعض الزيادات التي هنا مثل تكرير كلمة (سبحانه)
بعد لفظ الجلالة ، وكلمة « تبارك وتعالى » .
الاعمال

(٥) (٦٥٧ - ٧١٦ هـ) سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي
المصري فقيه حنبلي من العلماء له مختصر (الجامع الصحيح) للترمذي الإكسيري
في قواعد التفسير : الأعلام ج ٣ ص ١٨٩ :

الفصل الثاني

الطريق إلى ولاية الله

(د) أداء الفرائض :

قوله : « ما تقرب إلى هبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه » . لفظ التقرب المنسوب إلى الله من عبده يفيد أنه وقع ذلك على جهة الإخلاص . لأن من لم يخلص العبادة لله سبحانه لا يصدق عليه معنى التقرب . وهكذا من فعل العبادة المفترضة بخوف^(١) المقربة فإنه لم يكن متقربا على الوجه الأتم .

قال ابن حجر في الفتح : « ويدخل تحت هذا اللفظ جميع فرائض العباد والكفاية وظاهره [الإختصاص]^(٢) بما ابتداء الله تعالى فريضته ، وفي دخول ما أوجبه المكلف على نفسه نظر ، للتقيد بقوله : افترضت عليه إلا إن أخذ من جهة المعنى^(٣) الأعم^(٤) ، انتهى .

قلت : إن كان ما أوجبه الله على نفسه مما أوجب الله عليه الوفاء به ، فهذا الإيجاب هو من فرائض الله سبحانه ، وحكمه حكم ما أوجبه الله ابتداء على عباده . بل هو فرد من أفرادها لا يحتاج إلى إدراجه تحت معنى أهم قال : « ويستفاد منه أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله تعالى »^(٥) . انتهى . قلت . وجه ذلك أن النكرة وقعت في سياق النفي فم كل ما يصدق عليه معنى الشيء فلا يبقى شيء من القرب إلا وهو داخل في هذا المصمم ، لأن كل قرية كائنة ما كانت يقال لها شيء سواء كانت من الأنفال أو الأقوال أو

(١) في (ب) (خوف) .

(٢) في (أ) (الإخلاص) ولا نستقيم في هذا السياق .

(٣) ص ٢٩٤ مع زيادة كلمة الأعم هناك .

(٤) في (ب) سقطت الأعم من النسخ .

(٥) نفس الصفة .

مضمرات القلوب ، أو الخطوط الواردة على العبد أو للوقوف للمعاصي التي هي ضد لفعلها :

قال الطوفي : « الأمر بالفرائض جازم ، ويقع بتركها العقوبة بخلاف النفل في الأمرين وإن اشترك مع الفرائض في تحصيل الثواب فكانت الفرائض أكمل ، فلذا كانت أحب إلى الله ^(١) وأشد تقرباً .

فالفرض كالأصل والأس ، والنفل كالفرع والبناء ، وفي الإتيان بالفرائض على الوجه للأمر به امتثال الأمر واحترامه وتعظيمه بالالتقياد إليه وإظهار عظمة الربوبية وذل العبودية فكان التقرب بذلك أعظم العمل

والذي يؤدي الفرض قد يفعله خوفاً من العقوبة ، ومؤدى النفل لا يفعله إلا إيثاراً للخدمة فيجازى بالحببة التي هي غاية مطلوب من يتقرب بخدمته ^(٢) انتهى

قلت : إذا كان أداء الفرائض أعظم العمل لتمام العمل التي ذكرها من امتثال الأمر واحترامه وتعظيمه ، وإظهار عظمة الربوبية وذل العبودية كان ثوابها أكثر ، والجزاء عليها أعظم ، ولا يخالفه ما ذكره من أن العبد لا يفضل النفل إلا إيثاراً للخدمة وأنه يجازى بالحببة فذلك صبيه وقوع التقرب منه بما لم يوجبه الله عليه ، وإن كان للثواب عليه دون ثواب الفرائض ، وميتاً لهذا مزيد تحقيق عند الكلام على قوله أحبيته

(١) في (ب) (سبحانه) بعد لفظ الجملة .

(٢) فتح الباري مع زيادات طائفة في نقل الشوكاني .

١ — من أداء الفرائض ترك المعاصي :

واعلم أن من أعظم فرائض الله سبحانه ترك معاصيه التي هي حدوده التي من تصدأها كان عليه من العقوبة ما ذكره الله سبحانه في كتابه العزيز . ولا خلاف أن الله ^(١) افترض على العباد ترك كل معصية كائنة ما كانت ، فكان ترك المعاصي من هذه الطهنية داخل تحت عموم قوله : « وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه » . بل دخول فرائض الترتك للمعاصي أولى من دخول فرائض الطاعات كما يدل عليه حديث « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فلا تقربوه » .

٢ — من المعاصي إبطال الفرائض بالحيل :

واعلم أن من أعظم البدع الحادثة في الإسلام ما فتح بابه أهل الرأي للعباد من الحيل ^(٢) التي زحلقوا بها كثيرًا من فرائض الله سبحانه فأخرجوها عن كونها فريضة ، وكان الله لم يفرضها على عباده ، وحلوا بها كثيرًا من معاصي الله التي نهى عباده عنها وتوهدهم على مقارفتها والوقوع في شيء منها .

ومن تأمل أكثر ما ورد من المآثر من الآمن وجد غالبه في المستحدين لما حرمه الله ، والمسقطين لفرائضه بالحيل . كقوله صلى الله عليه وآله سلم :

(١) في (ب) (سبحانه) بعد لفظ الجلالة .

(٢) تكلم الإمام الشوكاني في بدعة (الحيل) هنا ، لبيان قيمة الفرض وأهميته ، وأنه من الواجب أدائه على وجهه دون تهريب منه ، وأن التحيل عليه يعتبر إسقاطاً له . فاصحاب الحيل ليسوا مؤدبين للفرض ، فليسوا من العلماء العاملين ولا من الأولياء . وبذلك يلحقون بالمنحطلين من التكليف والمسقطين لها ، من غلاة الصوفية ، وأصحاب المذاهب الباطنية من غلاة الشيعة على ماسياتي في الصفحات القادمة . ويفطر (ضلال المدعين لرفع التكليف) في الفصل الرابع .

« لمن الله الحمل والحمل له » ، « لمن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فحملوها وباهوها وأكلوا أثمانها » . « لمن الله الراشي والمرأش » ، « لمن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده » . « ولعن عاصر الخمر ومعتصرها ولعن الواصلة والمستوصلة والواشئة والمستوشة » .

ومسيخ الله الذين استعملوا محارمه بالحيل قرودة وخنازير . و « ذم أهل الخداع والمكر » وأخير أن المنافقين يخادعون وهو يخادهم . وأخير عنهم بمخالفة ظواهرهم لبواطنهم ، وصرايرهم لملائيبتهم .

وثبت هن ابن عباس أنه جاءه ^(١) رجل فقال : إن عبي طلق امرأته ثلاثاً أيحلم له رجل ، فقال : من يخادع الله يخدعه : وصح هن ابن عباس وأنس أنهما متلاعن الغيبة فقالا إن الله لا يخدع .

وقد قارب الله المتحيلين على المساكين وقت [الجذاذ] ^(٢) بإهلاك مآثرهم حتى أصبحت كالصريم : وصح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (البيعان بالخيار حتى يتفرقا إلا أن تكون صفقة خيار ، ولا يحل له أن يفارقه خشية أن يستقبله) . وصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم النهي لمن عليه الزكاة أن يجمع بين متفرق ، أو يفرق بين مجتمع خشية الصدقة .

والأداة في منع الحيل وإبطالها كثيرة جداً . ومجرد تسميتها حيلة يؤذن بدفعها وإبطالها فإن التحيل على عمومه قبيح شرهاً وهقلاً . وهذا للتحيل لإسقاط فرض من فرائض الله أو تحليل ما حرمة الله سبحانه هو ناصب لنفسه في مدافعة ما شرعه الله سبحانه لعباده ، مريد لأن يجعل ما حرمة الله حلالاً ،

(١) في (ب) (أن رجلاً جاءه) .

(٢) في (ب) (الجداد) نالدين ، ومعناها الجنى وقطع الفمار . وفي (أ) كتبها المؤلف قابلة للنطقين هكذا (الجذاذ) .

وما أحله حراماً. فهو من هذه الحثية مما نده الله بخادم عباده، مندرج تحت عموم قوله سبحانه : (يخادعون الله وأقربين آمنوا وما يخدعون^(١) إلا أنفسهم وما يشعرون)^(٢) . وقوله : (يخادعون الله وهو خادعهم)^(٣) . وقوله : (وسكروا ومكر الله والله خير الماكرين)^(٤)

وعلموا لكل عاقل أن الشريعة قد كملت وانقطع الوحي بموته صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يبق لأحد من عباد الله مجال في تشريع غيره ، شرعه الله ولا رفع شيء مما قد شرعه إلى سبحانه .

وكل العباد متجهون بهذه الشريعة لم يجعل الله سبحانه لأحد منهم أن يجعل شيئاً مما حرم فيها ، ولا يحرم شيئاً مما^(٥) حل فيها فمن جاء إلى عبادة الله ، وقال قد لفتني الشيطان أن أحل لكم الحرام الفلاني أو أحرم عليكم الحلال الفلاني ، أو أسقط عنكم واجب كذا ، فهذا مما يفهم كل عاقل أنه أراد تبديل الشريعة للظهور ومخالفة ما فيها ، فعلى كل مسلم أن يأخذ على يده ويمسك بينه وبين ما أراد ارتكابه من المخالفة لدين الإسلام ، والمخالفة لما قد ثبت في كتاب الله أو في سنة رسوله ، فهذا بمجرد يده وجه كل محتمل ، ورغم أنف كل متجرب على دين الله بإسقاط ما هو واجب فيه أو تحليل ما هو من حرمانه .

(١) في (ب) و (أ) : وما يخادعون : وهو سهو من المؤلف والناسخ .

(٢) سورة البقرة آية : ٩ (٣) سورة النساء آية : ١٤٢ .

(٤) سورة آل عمران آية : ٥٤ (٥) في (ب) (أحل) .

(أ) إبطال جميع القائلين بالحيل :

وأما تسمك أهل الرأي القائلين على الإسلام وأهله بثل قوله^(١) سبحانه
لنبيه أيوب عليه السلام : (بخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تُلمِث)^(٢) وأنه
سبحانه أخذ له أن يتحمل من عييته بالضرب بالضغث وبمثل ما أخبر الله سبحانه
عن نبيه يوسف عليه السلام أنه جعل صوته في راس أخيه ليتوصل به لك إلى
أخذه من لغوته وأخبر سبحانه أنه فعل ذلك برضاه وإذنه ، كما قال : (كذلك
كندنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله^(٣)) . وبمثل
ما صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم : « أنه استعمل رجلا هلي خبير فجاءهم
بتمر جنيب فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أكل تمر خبير هكذا ؟ قال :
إنا لناخذ الصاع من هذا بالصاهين ، والصاهين بالثلاثة . فقال : لا تقبل ، مع
الجمع بالدراهم ثم اتبع بالدراهم جنيباً^(٤) » .

« وقد^(٥) لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم طائفة من المشركين . في نفر
من أصحابه فقال المشركون : من أنتم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم : من ماء فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا : أحياء اليمين كثير ، فلمعهم
منهم وانصرفوا » .

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « احملني » فقال :
ما هندي إلا لدا لثاقفة فقال : ما أسمع بولد لثاقفة ؟ فقال النبي صلى الله عليه
وآله وسلم : وهل ولد الإبل - إلا اللثوق ؟ » .

فيجاب عنه بأن ما ذكره من قصة أيوب خارج عما نحن بهتده ، فإن

(١) في (ب) (قول الله) (٢) سورة (ص) آية : ٤٤ .

(٣) سورة يوسف آية : ٧٦ .

(٤) في (ب) خبيثا ، بالخاء هو تصحيف والجنيب نوع جيد من أنواع التمر .

(٥) في (ب) سقطت (لد) من من الناسخ .

أيوب نذر أن يضربها مائة عصى وقد ضربها كذلك بمائة عصى . وأيضاً لو سلم أنه نذر أن يضرب بمائة عصى مفرقة ، أو مائة ضربة مفرقة فذلك الذي أنذر الله له به خفيف هل المرأة تفسخ لما كان قد أوجبه^(١) على نفسه هل تقدير أنه كان^(٢) يجب في شريعته الوطء بالنذر ، وأنه لما نذر أوجب الله ذلك عليه ثم حنف عليه ونسخ ما كان قد أوجبه الله عليه بإيجابه على نفسه .

وما المانع من أن يوجب الله شيئاً ثم ينسخه وليس النزاع في مثل هذا فإن شريعتنا هذه فيها التناسخ والمسخ

ولما النزاع في شريعة كملت وأخبرنا الله^(٣) بكاملها فقال : (اليوم أكملت لكم دينكم)^(٤) ثم انقطع الوحي بموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ثم جاء جماعة عولوا الشريعة وبطلوها فحللوا حرامها ، وأسقطوا فرائضها بأكاذيب لم يأذن الله بها ، بل هي ضد لشريعته ودفع لها ورفع لأحكامها .

فأين قصة أيوب من صنيع هؤلاء الخنثاة على الله وعلى رسوله وعلى الشريعة الإسلامية ، وعلى عباد الله المسلمين ؟ .

وأى جامع يجمع بين هذا وبين قصة أيوب ؟ ثم هذه القصة الأيوبية هي من التحلل من الأيمان والخروج من المأثم ، فلو فرضنا أن لها دخلاً فيما قصده من سكان ذلك خاضعاً بما فيه خروج من المأثم والتمتع بالآيان . وقد ثبت في شرعنا أن اليمن إذا كان غير ما خيراً منها كان الطنث أولى من البر كما صح

(١) (ب) زيادة الآي (الله عليه بإيجابه) بعد أوجبه .

(٢) في (ب) (لا توجد دكان) .

(٣) (ب) (سبحانه) بعد لفظ الجلالة .

(٤) سورة المائدة آية : ٣ .

عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من حلف على شيء فرأى غيره خيراً منه ، فليأت الذي هو خير ، وليكفر من يمينه » وصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « والله لا أحلف على يمين ، فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير ، وكفرت من يميني » .

فقد ثبت في شرعنا أن الحالف على يمين غيره ما خيره منها يكفر من يمينه من غير حاجة إلى ضرب في مثل صورة يمين أيوب لا مفرقاً ولا مجموعاً وقد ثبت أن امرأة أيوب كانت ضعيفة لا يحتمل ضعتها لوقوع مائة ضربة مفرقة .

ومثل هذا قد صوغت شريعتنا التخييف فيه خروجا من المأثم ، ولا سيما إذا صح ما روى أن مريضاً أقر بالزنا وكان ضعيفاً لا يحتمل الحد الشرعي فأمر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن^(١) يضرب بشعراخ من النخل فيه مائة عنكول . فهذا ليس بمعية بل شريعة ثابتة .

وليس النزاع إلا فيما فعله المعتادون من زحلة أحكام الشريعة بالأقول للكاذبة المفترقة ، لا فيما قد^(٢) ثبت في الشريعة .

وبهذا يتقرر لك أن استدلالهم بقصة أيوب خارج عن محل النزاع ، مع أن هذه القصة هي أعظم ما هووا عليه وبنوا عليه القناطر التي ليست من الشريعة في قبيل ودلائير . بل هي ضد للشريعة ومضاد لها .

وأما قصة يوصف بالجواب هنا واضح لأنها واقعة وقعت لنبى من أنبياء الله سبحانه ، وضعها الله سبحانه له بعد أن أراد به لآله .

(١) في (ب) (أن يضرب) دون الباء .

(٢) في (ب) نسي الناصخ (قد) .

فإن كان مثل ذلك ممنوعاً في شريعتنا فقد نسخ ما كان في تلك الشريعة بما كان في شريعتنا^(١)، وشريعتنا هي الشريعة الناصخة للشرائع، ومعلوم أنه لا يؤخذ مما كان من الشرائع السابقة إلا ما قرره شريعتنا منها لا ما خالفته وأبطلته، فإنا وللتماق بشريعة منسوخة ١٢.

وإن كان مثل ذلك جائزاً في شريعتنا فليس النزاع فيما هو جائز فيها. بل النزاع في جعل المعتقلين وذنن المذنبين المعلنين لأحكام الشريعة من عند أنفسهم المقطعين لفرائض الله سبحانه بأرائهم القابلة وتبليغاتهم الباطلة

(ب) الحلية والشريعة :

والحاصل أن كل ما ثبت في الشريعة من تخفيف أو خروج من شأنه فمحمول نقول هو شريعة بيضاء نقية، فمن زعم أنه حيلة فقد انغرى على الله وعلى رسوله وعلى كتاب الله^(٢) وعلى صفة رسوله الكذب الصراح والباطل البواح. فإن هذا من صنع هؤلاء المعاندين لله ورسوله المخالفين للكتاب والسنة الدافعين لما هو ثابت فيها بعد كمالها وتكاملها وموت نبيها وانقطاع الوحي عنها ١٢ يا الله للمعجب من هؤلاء الذين تجردوا أولاً على هناد الشريعة ومخالفاتها ١١. وثانياً الاستدلال بما شرعه الله لعباده، أو كلف في شريعة نبي من الأنبياء قد رقت شريعتنا حكمه ونسخه وأبطلته ١١.

وهكذا يجاب عنهم في حديث الترمذي والجميع بالإجماع «شراء الخليلي بها». فإن ذلك شريعة واضحة وسطى قائمة بمنفعة لبيع الشيء بقيمة التي يبيع بها.

(١) في (ب) سقط من النسخ الآتي : (فقد نسخ ما كان في تلك الشريعة بما كان في شريعتنا).
(٢) في (ب) (كتابه).

للقراض عليها ، فكان ذلك مما أذن الله سبحانه به بقوله تعالى : (تجارة من تراضى)^(١) ويقول رسوله ^(٢) صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يجل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه » . وليس مما نهى الله عنه بقوله سبحانه : (لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل)^(٣) ، ويقول رسوله ^(٤) صلى الله عليه وسلم : « إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام » .

(هـ) الحيلة من الإضافات للشريعة المبطلات لفرائضها :

وليس للنزاع إلا في صنع المحتالين المخالفين للشريعة المنزلين لأحكامها المستبدلين بها غيرها بعد كمالها وانتهاج الوحي منها وهو تضييقها على الله عليه وآله وسلم

فأنتم أيها المحتالون إذا علمتم بهذا الحكم الثابت في المنع فلايس ذلك من العمل بالحيلة في شيء ، بل من العمل بالشريعة الإسلامية ، ولا تطلب منكم إلا العمل بها والثبوت على ما فيها ، وترك تحليل حرامها وإبطال فرائضها .
فاشدد يدك على ما ذكرناه ها هنا من الجواب على المحتالين فإنك إن جاريتم به أقمتم حجراً وقطعتهم قطعاً لا يجدون عنه مغيصاً .

وقد أجاب عنهم أهل العلم بمجوابات لم نرتضها وتركنا ذكر شيء منها لاحتكامها للمعارضة والمناقضة وفتح باب المقال للمحتالين .

(د) المعارض من الشريعة :

وأما ما ذكره من قوله صلى الله عليه وآله وسلم لمن سأله : من هم ؟ فقال

(١) سورة النساء آية : ٢٩ (٢) في (ب) (رسول الله) .

(٣) في (ب) (صلى الله عليه وآله وسلم) .

صلى الله عليه وآله وسلم : « من ماء » ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم :
 « أحلك على ولد الناقة » فليس في هذا من الآية الحرة شيء ، بل هو من
 باب الأمراض في الكلام . وقد ثبت الإذن بها في هذه التشريعية كما مع هذه
 صلى الله عليه وآله وسلم : « أن يلق إذا أراد خضرة يورى بغيرها » مع كون
 قوله صلى الله عليه وآله وسلم (١) « من ماء » كلام صحيح صادق فإنه
 قصد صلى الله عليه وآله وسلم ما ذكره الله سبحانه من قوله سبحانه :
 (وهو الذي خلق من الماء بشرا) (٢) ونحوها من الآيات وكذلك ما روى صلى الله
 عليه وآله وسلم في ولد الناقة « فإن الجمل هو ولد الناقة » وكذلك ما روى
 عليه وآله وسلم من قوله : « لا تدخل الجنة عجوز » : وكذلك ما روى
 عن أبي بكر رضي الله عنه في حديث الهجرة أنه كان إذا سئل عن
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هو ؟ قال : « هذا بهديني
 السبيل » .

[فاما مرض] (٣) باب آخر ليست من التحيل في شيء : لكن هؤلاء قد
 صاروا مثل الغريق بكل جبل ياتوى .

فيما نشر المخالفين على الله وعلى كتابه وعلى رسوله وعلى سنته وعلى المسلمين
 « هوا كل قول عند قول محمد فسا آمن في دينه كخاطر
 فدع عندي بهنا صبح في حجراته وهات حديثاً ما حديث الرواسل
 يقولون أقولا ولا يعرفونها ولو قيل هانوا حققوا لم يهتقوا

(١) في (ب) (وسلم دون آله) .

(٢) سورة الفرقان آية : ٥٤ .

(٣) في (أ) المعارض (وهو سهو من المؤلف) .

(هـ) من الحيل المكفرة والمنافية للدين :

إذا عرفت هذا فاعلم أن من هذه الحيل الشيطانية ما يستلزم كفر بالله وكفر من أفتاه ، وذلك كمن يفتي المرأة بأن تزني من الإسلام لأجل تبين من زوجها .

وكمن يفتي الحاج إذا غاف الفوت وخشى وجوب القضاء عليه من قابل أن يكفر بالله ويرتد عن الإسلام ، فإذا عاد إلى الإسلام لم يلزمه القضاء .
 فسمع وأعجب من حيلة أوجب كفرها وكفر من أفتاه بها فكانت ثمرة هذه الحيلة الملعونة هي خروج رجلين مسلمين من الإسلام إلى الكفر .
 فهل شيء من الشر^(١) يعدل هذا الشر ؟ وهل نوع من مداخل الله يعدل الكفر بالله والخروج من دين الإسلام ؟

وهذا اتفاق وإن كان قد ظلم نفسه ابتداءً وخروج من الإسلام إلى الكفر فعلى نفسها براثن تبني . ولكن الشافق في ظلمه هذه المسكينة وهذا المسكين الذين استفياه من الشريعة الإسلامية فأخرجها منها ياديه بهد .

ومن حيلة الحيل الملعونة ما قالوه في إسقاط القصاص الشرعي أنه إذا جرح رجلاً فخس أن يموت من الجرح فإنه يدفع إليه دواء مسجوماً يموت به فيسقط عنه القصاص .

وبما قالوه في إسقاط حد العرقلة أن السارق يقول هذه المسكين وماله داري وهذا صبي .

ومن هذه الحيل الملعونة أنه إذا اغتصب شيئاً فاداه المصروع عليه

(١) في (ب) (من الشريعة) وهو خطأ .

فأنكره فطلب تحليفه قالوا : إنه يقر به لو أنه الصغير ، فيسقط عنه الجوارح ويفوز بالمصوب .

وقالوا : إذا أراد إخراج زوجته من المهرات في مرضه أقر بأنه قد طلقها ثلاثاً .

وقالوا : إذا كان في يده نصاب فبأه أو وجهه قبل الحول ثم استرده سقطت عنه الزكاة . بل قالوا : إذا كان عنده نصاب من الذهب والفضة وأراد إسقاط زكاته في جميع عمره ، فالحيلة أن يدفعها إلى محال مثله في آخر الحول ، ويأخذ منه نظيره فيستأنف الحول ، ثم إذا كان آخر الحول فعلا كذلك فلا يجب عليه ما زكاة ما عاش . وهكذا إذا كان له عروض للتجارة قالوا : ينوي آخر الحول أنها للفقير ثم ينقض هذه النية بعد ساعة ، فلا يجب عليه زكاة ما عاش .

وهكذا قالوا إذا أراد أن يجامع في نهار رمضان بيده بالأكلى والشرب ثم يجامع بعد ذلك ، فلا يجب عليه الكفارة . بل قالوا إنه إذا نوى قبل الجماع قطع للصوم لم يجب عليه الكفارة .

وهكذا قالوا إذا كان له نصاب من السماء فأراد إسقاط زكاتها ، فالحيلة في ذلك أن يعافها يوماً واحداً ثم تعود إلى الصوم .

وكم نعم من هذه الحيل للطائفة هؤلاء الشياطين فإنها في الغالب في كل باب من أبواب الشريعة .

ومن لم يعرف أنها حيل باطلة معاندة للشريعة لا يجوز التعلق بشيء منها ، ولا يتحمل تأملها مما هو عليه فهو بهيمة ليس من هذا النوع الإنساني ولا يستحق أن يخاطب خطاب العقلاء فضلاً عن خطاب المشركين .

ويجب على كل مسلم أن يعاقب فاضل هذه الخيل^(١) الملمونة بما يليق به من العقوبة حتى يرجع عن فعله ، ويلزم بما^(٢) يلزمه شرعا ، ويتوب إلى الله سبحانه من الذنب الذي أوقعه فيه الحق له^(٣) .

وأما المفتي له فينبغي إغلاظ العقوبة له حتى يعترف ، أولا بطلان ما خيله له الشيطان ، وأوقعه فيه من أن تلاء الحيلة المماندة لدين الإسلام ليس لها وجه صحيحة أو شائبة من^(٤) قبول ، ثم يتوب إلى الله من أن يعود إلى شيء من تلاء للفناري الملمونة ، فإن فعل ذلك ، وإلا فأقل الأحوال تطويل حبسه حتى تصح توبته ، وإشماره في الناس بأنه مماند للشريعة فيما قد فعله وتجهيز الناس من قبول ما يديهم به من الغرور وبوقهم فيه من الباطل .

(ب) « التقرب بالنوافل » :

قوله : « وما زال هبدي يتقرب إلى بالنوافل » في رواية الكشميني^(٥) . وما يزال « بصيغة المضارع »^(٦) . ووقع في حديث أبي أمامة « يتجنب إلى » بدل يتقرب . وكذا حديث ميمونة .

والقرب التفضل وهو طلب القرب . والنوافل هي ما هذا الفرائض التي افترضها الله سبحانه على عباده من جميع أجناس الطاعات من صلاة وصيام وحج وصدقة وأذكار ، وكل ما ندى الله سبحانه إليه ورغب فيه من خير حتم واقتراض .

(١) في (ب) (الحيلة) . (٢) في (ب) (ما يلزمه) .
(٣) في (ب) (المفتي) . (٤) في (ب) (نسي الناسخ (من) .
(٥) في (ب) (الكشميني بتأخير الياء : (نحتها نقطتان) عن الماء ، وهو خطأ كما تقدم .
(٦) في فتح الباري (المضارعة) .

وتختلف النوافل باختلاف نواجاها فاما كل نواجا أكثر كان فعله أفضل .
وتختلف أيضاً باختلاف ما ورد فيه الترغيب فيها : فبعضها قد يقع الترغيب
فيه ترغيباً مؤكداً . وقد يلزمه صلى الله عليه وآله وسلم مع الترغيب للناس
في فعله .

١ — من نوافل الصلاة :

ومن نوافل الصلاة المرغوب فيها التأكيد في استحبابها رواه أنس رضي الله عنه
وهي كما في الصحيحين وغيرهما من حديث عبد الله (٠) بن عمر قال : « حفظت
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد الظهر
وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الفداء » .

وأخرجه الترمذي وصححه من حديث هائلة (٠٠) . وأخرجه أحمد ومسلم
وأبو داود بمعناه ، سكن زادوا : « قبل الظهر أربعاً » .

وأخرج مسلم وأهل السنن من حديث أم حبيبة (٠٠٠) بنت أبي سفيان عن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من صلى في يوم وليلة اثني عشرة سجدة
سوى المكتوبة بنى له بيت في الجنة » . زاد الترمذي : « أربعاً قبل الظهر

الأعلام

(٩) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب ، أسلم مع أبيه بمكة قبل سن البلوغ ،
كان من أعبد الناس ومن أروعهم ومن علماء الصحابة ، وعن نافع أنه مات بمكة
سنة ٧٤ أو ٧٣ هـ .

(١٠) أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) والزوجة
الثانية لرسول الله ﷺ بعد السيدة خديجة (رضي الله عنها) توفيت سنة ٥٧
أو ٥٨ (صفوة الصفوة ج ٢) .

(١١) اسمها رملة بنت أبي سفيان بن حرب أم المؤمنين إحدى زوجات
الرسول ﷺ توفيت سنة ٤٤ في خلافة معاوية (رضي الله عنه) المصدر السابق .

وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب « وزاد للنسائي : « ركعتين قبل المصير ولم يذكر ركعتين بعد العشاء » .

وأخرج أحمد وأهل السنن من حديثها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من صلى أربع ركعات قبل الظهر وأربعاً بعدها حرمة الله على النار » وصححه الترمذي ، ولكنه من رواية مكحول (٠) من غيبة (٠٠) بن أبي سفيان عن أم حبيبة ولم يسمع مكحول من غيبة ، وفي إسناده الترمذي عبد الرحمن بن القاسم بن عبد الرحمن صاحب أبي أمامة ، وقد اختلف فيه فمنهم من يضعف روايته ، ومنهم من يوثقه . ووجه تصحيح الترمذي له أنه قد تابع مكحولا (الشمسي) (١) وهو ثقة وقد صحح هذا الحديث أيضاً ابن حبان . وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (رعم الله أمراً صلى قبل المصير أربما) حسنه الترمذي ، وصححه ابن حبان (٠٠٠) وابن خزيمة (٠٠٠٠) ، وفي

(١) في (أ) (الشعبي) وهو سهو من المؤلف .

الأعلام

(*) مكحول بن أبي مسلم شهاب بن شاذل أبو عبد الله الهذلي بالولاء ، فقيه الشام في عصره ، من حفاظ الحديث توفي توفي سنة ١١٢ هـ . الأعلام ٨٠ ص ٢١٢ (**) غيبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية أمير ، وكان أخوه معاوية يوليه . توفي بالطائف سنة ٥٠ هـ الأعلام ج ٥ ص ٢٦٩ . (٠٠٠) أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي . كان إماماً فاضلاً ، سافر الكثير في طلب الحديث ، وتصانيفه مشهورة ، روى عن ابن خزيمة والنسائي ، وغيرهم ، وروى عنه الحاكم أبو عبد الله وغيره ، وروى عنه الدارقطني إجازة ، وتوفي بيست سنة ٢٥٤ هـ . (الباب) في تهذيب الأنساب . (٠٠٠٠) من (٧٣٣ — ٨١١ هـ) محمد بن إسحق بن خزيمة السلمي إمام نيسابور في عصره . كان فقيهاً مجتهداً عالماً بالحديث تزيد مصنفاته على ١٤٠ . الأعلام ج ٦ ص ٢٥٢ .

إسناده محمد بن مهران وفيه مقال وقد وثقه ابن حبان وابن هدى (*).

وأخرج أحمد وأبو داود من حديث عائشة قالت « ما صلى ^(١) ، صلى الله عليه وآله وسلم المشاء قط فدخل على إلا صلى أربع ركعات أو ست ركعات » ورجال إسناده ثقات ، ومقاتل بن بشير المجلي ، وقد وثقه ابن حبان وقد أخرجه الذبائي ، وأخرجه البخاري ، وأبو داود والذمالي من حديث ابن عباس قال : « بت عند خاتمي ميمونة ^(٢) » الحديث « وفيه » نصلي ^(٣) النبي صلى الله عليه وآله وسلم المشاء ثم جاء إلى منزله فصلي أربع ركعات » وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة قالت : « لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على شيء من السوافل أشد تعامداً منه على ركعتي الفجر » وأخرج أحمد وسلم والترمذي وصححه من حديثها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت : ^(٤) « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » وأخرج أحمد وأبو داود من ^(٥) « حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تذهوا ركعتي الفجر ولو طردتكم الخيل »

(١) في (أ) : (ما صلى الله عليه وسلم) وهو سرور من المؤلف .

(٢) في (ب) : (وصلي) .

(٣) في (ب) (قال) .

(٤) في (ب) (عن أبي هريرة) .

الأعلام

(٥) (٣٧٧ - ٣٦٥ هـ) عبد الله بن عدى بن عبد الله بن محمد بن المبارك بن القطان الجرجاني علامة بالحديث ورجاله كان يعرف في بلدته بـابن القطان واشتهر بين علماء الحديث بابن عدى له (السكامل في معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة) ، من الثقات في الحديث . الأعلام ج ٤ ص ٢٣٩ .

(*) ميمونة بنت الحارث الهلالية أم المؤمنين وإحدى زوجات الرسول

وفي إسناده عبد الرحمن بن إسحاق^(*) للذني، ويقال : هباد ابن إسحق .
قال أبو حاتم الرازي^(**) : لا يحتاج به ، وهو حسن الحديث وليس
بثبت ولا قوى : قلت : قد أخرج له مسلم وأما شهد به البخاري وثقه
يحيى بن معين .

ومن النوافل المؤكدة صلاة الليل مع الوتر في آخرها : وقد ثبت في
الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عمر قال : قام رجل فقال : يا رسول الله :
« كيف صلاة الليل ؟ » فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : صلاة الليل
مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة .

وثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة قالت : « كان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يصلي ما بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر
إحدى عشرة ركعة يصلي بين كل ركعتين ويوتر بواحدة » .

وثبت في الصحيحين وغيرهما من حديثها قالت : « كان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة يوتر من ذلك
بخمسة لا يجلس في شيء منهن إلا في آخرهن » .
وثبت [في]^(١) الصحيح « أنه كان يصلي في الليل أربعاً ثم يوتر
بركعة » وثبت الإتيان بسبع وتسع .

(١) في (أ) (في) غير واضحة وعليها شطب .
الأعلام

(٥) عبد الرحمن بن إسحاق بن محمد السدوسي ، أبو علي الجوهري من
(٢٥١ — ٣٢٠) قاضي كان فقيهاً حاسباً ، الأعلام ج ٤ ص ٦٩ .

(٥٥) من (١٩٥ — ٢٧٧) محمد ابن إدريس بن المنذر بن دلود بن مهران
الحنظلي حافظ للحديث من أقران البخاري ومسلم ولد في الري وإليها نسبته
ونقل في العراق والشام . ص (الأعلام ج ٦ ص ٢٥٠) من كتبه طبقات
التابعين (خ) .

ومن النوافل المؤكدة صلاة الضحى : والأحاديث في مشروعيتهما متواترة حسبما أوضحنا ذلك في شرحنا للمتنقي ومنها ما هو في الصحيحين كحديث أبي هريرة : « أوصاني خليلي صلى الله عليه وآله وسلم بثلاث : صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أنام » وفيهما من حديث أم هانئ ^(١٠٠) « أنه صلى الله عليه وآله وسلم صلى سبعة الضحى ثمانى ركعات يسلم بين كل ركعتين » ، ومنها ما هو في أحدهما كحديث أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يصبح على كل سلامى صدقة إلى أن قال . ويجزى من ذلك ركعتين تركهما من الضحى » أخرجه مسلم وغيره

وأخرج مسلم وغيره من حديث عائشة قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي الضحى أربع وثمان ركعات ويزيد ما شاء » ومنها ما هو في غيرهما وهو أحاديث كثيرة

ومن النوافل المؤكدة صلاة نهيمة المسجد ، والأحاديث فيها كثيرة صحيحة ، ومنها حديث أبي قتادة ^(١٠١) في الصحيحين وغيرهما قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين » .

الأعلام

(١٠٠) هي هند بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن السابقات إلى الاسلام ومن بيتها أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم . السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٤٣

(١٠١) هو أبو قتادة الطائري بن ربيع (رضي الله عنه) شهد أحداً وما بعدها وكان من الفرسان المذكورين توفي سنة ٥٤ هـ . صفوة الصفوة ص ٢٦٨ ج ١ .

ومن النوافل المؤكدة الصلاة هتفب الوضوء كما في حديث بلال (٢٠) في
 الله جميعين وغيرهما أنه قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « حدثني
 بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دو^(١) نعليك بين يدي في الجنة
 قال : ما عملت عملا أرجى عندي إني لم أظهر طهورا في ساحة من ليل أو
 نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي » . ومن النوافل
 المؤكدة الصلاة بين الأذان والإقامة كما في حديث عبد الله بن مغفل (٢٢)
 « بين كل أذانين صلاة ، بين كل أذانين صلاة ثم قال في الثالثة إن شاء » .
 وهو في الصحيحين وغيرهما . والمراد بالأذان الأذان والإقامة . وفي لفظ
 من حديثه متفق عليه أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : « صلوا قبل المغرب
 ركعتين ثم قال صلوا قبل المغرب ركعتين ثم قال عند الثالثة : لمن شاء كراهية
 أن يتخذها الماس سنة أي راجبة » وفي البخاري وغيره من حديث أنس (٢٣)

(١) أي صوت مشبك ، وحركته . انظر (المنجد) في اللغة : (مادة دوى)
 وقد جاء هذا الحديث في صحيح مسلم برواية : « .. فإني سمعت الليلة خشف
 نعليك بين يدي في الجنة » والمعنى واحد . ج ٨ ص ١٤٦ باب من فضائل بلال
 (رضى الله عنه) ، كتاب فضائل الصحابة (رضى الله عنهم) طبعة التحرير .
 الأعلام

(٢) هو بلال بن رباح مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يؤذن بعد دفن
 الرسول صلى الله عليه وسلم وذهب إلى الشام مع البعوث التي خرجت إليها .
 ومات بها سنة ١٨ هـ .

(٣) هو عبد الله بن مغفل أبو سعيد رضى الله عنه كان من البكائيين
 ومن الذين بشهمهم إلى البصرة يفتقونهم مات في البصرة في عهد يزيد بن
 معاوية المصدر السابق .

(٤) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم (رضى الله عنه) خدم النبي
 صلى الله عليه وسلم تسع سنين ودعا له الرسول بالدعاء المشهور « اللهم اكثر ماله
 وولده وأطول عمره واغفر ذنبا » قال أنس : لقد تحققت الثلاثة وأنا أرجو
 الرابعة . مات سنة ٩١ هـ صفوة الصفوة ج ١ ص ٨٢٩ .

قال : « كان إذا أذن المؤذن قام ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتبدرون السوارى حتى يخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم كذلك » .

تذييل — محبة الله والاعتساف من تلك النوافل :

والحاصل أن جميع التقرب إلى الرب عز وجل بنوافل الصلاة في جميع الأوقات من أحسن العبادات إلا في الأوقات المكروهات ، فمن استكثر منها قرب ^(١) إلى الله بقدر ما فعل منها فأحبه وليس بعد الظفر بمحبة الله سبحانه ^(٢) له شيء .

٤ — من نوافل الصيام :

وأما نوافل الصيام المؤكدة فهي كثيرة ، ومنها ^(٣) صوم شهر الله المحرم فإنه صلى الله عليه وآله وسلم سئل أي الصيام بعد رمضان أفضل ؟ فقال : « شهر الله المحرم » كما ثبت في صحيح مسلم وأحمد وأهل السنن من حديث أبي هريرة . ولا يمارض هذا ما أخرجه الترمذي من حديث أنس : « سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي الصوم أفضل بعد رمضان ؟ قال شعبان » . لأن في إسناده صدقة بن موسى وليس بالقوى . ويؤيد أنه من صوم المحرم ما أخرجه الترمذي وعنه من حديث علي ^(٤) أنه صوم رجلا

(١) في (ب) (سبحانه) . بعد لفظ الجلالة .

(٢) في (ب) (تعالى) .

(٣) في (ب) (فنها) .

الأعلام

(٤) علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ابن عم النبي (صلى الله عليه وسلم) وزوج ابنته فاطمة (رضي الله عنها) رابع الخلفاء الراشدين وأكثر الصحابة علما وورعا .

يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو قاعد فقال : يا رسول الله :
أى شهر تأمضنى أن أصوم بعد شهر رمضان فقال « إن كنت صائماً بعد
شهر رمضان فهم الحرم فإنه شهر الله فيه يوم تاب فيه على قوم ويتوب فيه
على قوم يعنى يوم عاشوراء » .

وقد ثبت من حديث ابن عباس وعائشة وسليمة (*) بن الأكوع وابن
مسعود فى الصحيحين وغيرهما أنه كان صلى الله عليه وآله وسلم يصوم يوم
عاشوراء قبل أن يفرض رمضان ، فلما فرض رمضان قال : من شاء صامه
ومن شاء تركه .

وثبت فى صحيح مسلم وغيره أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال :
« إئتى بقت إلى قابل لأصومن التاسع » وفى لفظ لأحمد : « صوموا يوم
عاشوراء ، وخالفوا اليهود صوموا قبله يوماً وبعده يوماً » .

ومن نوافل الصيام المؤكدة : صيام ست من شوال كما فى حديث
أبى أيوب (*) هـند أحمد وعلم وأهل السنن عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) فى (ب) (أيوب) فقط وسوى الناسخ عن (أبى) .

الأعلام

(٥) غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات وقال فيه الرسول
صلى الله عليه وسلم : « خير فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رجالنا سلمة »
توفى بالمدينة سنة ٧٤ هـ . صفوة الصفوة ج١ .

(٥٥) هو خالد بن زيد بن كليب الأنصارى المشهور بأبى أيوب الأنصارى
شهد العقبة مع السبعين ونزل الرسول صلى الله عليه وسلم فى بيته أول هجرته
إلى المدينة . توفى سنة ٥٢ حين كان يريد معاوية فتح القسطنطينية ودفن بأصل
حصنها : صفوة الصفوة ج١ ص ١٨٦ .

وآله وسلم أنه قال : « من صام رمضان ثم أتبعه سنًا من شوال فذلك صيام الدهر » . وأخرج أحمد وابن ماجه والنسائي والدارمي (٠) وابن زرار (٠٠) من حديث ثوبان (٠٠٠) عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من صام رمضان وصلة أيام بعد الفطر كان تمام السنة من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » .

وفي الباب أحاديث :

ومن نوافل الصيام المؤكدة : صوم عشر ذي الحجة فقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام — يعني أيام تشر — قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله ؟ ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك شيء » .

ومن العشر يوم عرفة وقد ثبت في صحيح مسلم وغيره من حديث أبي قتادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة ، وصوم يوم عاشوراء يكفر سنة ماضية » .

الأعلام

(٠) عبد الله بن عبيد الرحمن بن الفضل بن بهرام النخعي الدرامي السمرقندي من حفاظ الحديث له (المسند) ، (في الحديث) و (كتاب التفسير) ، (الجامع الصحيح ج ١ . الأعلام ج ٤ ص ٢٣٠) (١٨١ — ٢٤٥ هـ) .

(٠٠) أحمد بن عمرو بن عبد الحاق أبو بكر البزار حافظ من العلماء بالحديث من أهل البصرة له مسندان أحدهما كبير سماه (البحر الزاخر) والثاني صغير توفي سنة ٢٩٢ هـ . الأعلام ج ١ ص ١٨٢ .

(٠٠٠) هو أبو عبد الله ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراه الرسول صلى الله عليه وسلم فاعتقه فلم يزل معه حتى قبض ثم نزل حمص فمات سنة ٥٤ هـ : المصدر السابق ص ٣٧٨ .

ومن نوافل الصيام المؤكدة صوم شعبان كما أخرج أحمد وأهل السنن من حديث أم سلمة « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يصوم من السنة شهراً تاماً إلا شعبان يصل به رمضان » وحسنه الترمذى .

ويكفى في مشروعية : مطلق التفضل بالصيام ، حديث : « الصوم لى وأنا أجزي به » وهو حديث صحيح

٣ — من نوافل الحج :

وأما نوافل الحج ، فيسكنى في ذلك حديث أبي هريرة « قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أى الأعمال أفضل ؟ قال . إيمان بالله وبرسوله قال ثم ماذا ؟ قال الجهاد فى سبيل الله قال : ثم ماذا ؟ : حج ، وبرور » وهو فى الصحيحين وغيرهما ، وقد احتج به من فضل نفل ^(١) الحج على نفل الصدقة . وفى الصحيحين وغيرهما من حديثه أيضاً : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « العمرة [كفارة] ^(٢) لما بينهما ، والحج للبرور ليس له جزاء إلا الجنة » . وفى الصحيحين وغيرهما من حديثه ^(٣) قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

٤ — « من نوافل الصدقة :

وأما نوافل الصدقة فقد ورد فيها الترغيب العظيم ، ولو لم يكن من ذلك

(١) فى (ب) سهى الناسخ عن كلمة (نفل) قبل (الحج) .

(٢) فى (أ) (كفان) بهذا الرسم تقريباً .

(٣) فى (ب) (أيضاً) بعد (حديث) .

إلا قول الله عز وجل : « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين »^(١) وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان من السماء فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا » . وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي أمامة^(٢) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا ابن آدم إياك إن تبدل الفضل خيرا لك ، وإن تمسكه شرا لك ، ولا تلام على كفاف ، وأبدأ بمن تعمل واليد العليا خير من اليد السفلى » . وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين هليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى راقبهما فأما المنفق فلا ينفق إلا [شبع]^(٣) عليه ووفرت على جلدته حتى تخفى بشانته وتنفو أثره وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزمت كل حلقة مكانها فهو يوصعها فلا تنسع » .

وأخرج البخاري وغيره من حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيكم مال ورائه أحب إليه من ماله ؟ قالوا يا رسول الله ما مننا أحد إلا ماله أحب إليه من مال ورائه قال : فإن ماله ما قدم ومال ورائه ما أخر » .

(١) جواب (لو) مفهوم من المقام ، تقديره : (لكفى) .

(٢) في (أ) ، (ب) (شبع) وهو سهو خاطئ » .

الأهلام

(٥) هو أبو أمامة الباهلي واسمه عدي بن عجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزا معه غزوات متتابعة كان يكثر الصيام والصدقة والزهد في الدنيا .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أسماء^(١) بنت أبي بكر قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا تؤكلى^(٢) فيؤكلى الله عليك » وفي رواية « أنفق أو أنفق^(٣) أو أنضج ولا تضحى فيضحى الله عليك ولا تؤهى فيؤهى الله عليك » .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا حسد إلا في اثنتين : رجل أتاه الله مالا فسلطه على مملكته في الحق ورجل أتاه الله حكمة فهو يقض بها ويسلمها » وفي رواية « لا حسد إلا في اثنتين : رجل أتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل أتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » .

والأحاديث في الترغيب في الصدقة وهظيم^(٣) أجرها كثيرة جداً وأفضلها صلة الرحم كما في البخاري وغيره من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه » وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة قالت : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعته الله » . وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ميمونة « قالت يا رسول الله : أشعرت أئى أهنتك وليدتى قال :

(١) لا تبخلى .

(٢) النفاح النفاع المنعم على الخلق قاموس (نفح) وفي (ب) عطاف الناسخ بالواو دون (أو) وهو سهو منه .
(٣) في (ب) (وعظم) .

الأعلام

(٥) بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنه وأم عبد الله بن الزبير صاحبة المواقف المشهودة مع الحجاج بجانب ولدها عبد الله . وذات النطاقين .

وفعلت ؟ قالت نعم قال أما أنت لو أعطيتهم أخواتك كان أعظم لأجرك
وأخرج النسائي من حديث سلمان ابن همار قال : « قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم : الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان ،
صدقة وصلة » .

(ج) التقرب بالأذكار :

ترغيب السكتاب ، والسنة فيها :

وأما نوافل الأذكار فقد ورد في الترغيب فيها وعظيم^(١) أجرها السكتاب
والسنة . أما السكتاب فن ذلك قوله^(٢) هز وجل : « ولله أكبر »^(٣)
أي أكبر مما سواه من الأعمال الصالحة . وقال سبحانه : « فاذا كررت
أذكر كرم »^(٤) وقال سبحانه : « واذا كروا الله كثيراً لمسكم تفلحون »^(٥)
وقال : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب »^(٦) وقال هز وجل : « والذاكرين
الله كثيراً والذاكرات »^(٧) .

وفي السنة الكثير الطيب ، فمن ذلك حديث أبي هريرة قل : قال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم : « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ، فإن

(١) في (ب) (عظم) .

(٢) في (ب) (قول الله) .

(٣) سورة العنكبوت آية : ٤٥ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٥٢ .

(٥) سورة الجمعة آية : ١٠ .

(٦) سورة الرعد آية : ٢٨ .

(٧) سورة الأحزاب آية : ٣٥ .

ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وإن اقترب إلى شبراً اقتربت منه ^(١) ذراعاً ، وإن اقترب إلى ذراعاً اقتربت إليه باهاً ، وإن أتاني مشياً أتيتته هرولة . وأخرجه البخاري أيضاً من حديث ألس ومن حديث أبي ذر ^(٢) وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي موسى ^(٣) « الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحى والميت » .

وأخرج أحمد والترمذي ومالك في الموطأ وابن ماجه والحاكم في المستدرک والطبرانی في الكبير من حديث أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم قالوا : بلى قال : ذكر الله » وصححه الحاكم ، وقال الهيثمي ^(٤) :

(١) في (ب) (إليه) .

الأعلام

(٠) هو أبو ذر الغفاري جنذب بن جنادة اهتدى إلى دين التوحيد قبل بعث الرسول صلى الله عليه وسلم ، أسلم حين علم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كنت رابعاً في الاسلام وحسن إسلامه وكان من الزاهدين في زخرف الحياة . توفي سنة ٣٢ هـ صفوة الصفوة ١ ص ٢٤٤ .

(٠٠) هو أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس بن سليم من السابقين إلى الإسلام وأحد الحكمين في الفتنة التي كانت بين معاوية وعلى (رضي الله عنه) قبل مات سنة ٤٢ أو ٤٤ هـ أو سنة ٥٢ هـ . المصدر السابق ص ٢٢٥ .

(٠٠٠) (٧٣٥ - ٨٠٧ هـ) على بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي حافظ فقيه له كتب وتخریج في الحديث منها : (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد « ط ») عشرة أجزاء ، الأعلام ج ٥ ص ٧٤ .

إسناده حسن ، وأخرجه أحمد من حديث معاذ^(١٠٠) ، وقال المنذرى^(١٠١) بإسناد جيد إلا أن فيه انقطاعاً ، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح إلا أن زياد^(١٠٠٠) بن أبي زياد مولى ابن [عياش]^(١) لم يدرك معاذ

وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد^(١٠٠٠٠) معاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله

(١) في (أ) ، (ب) (عباس) بالياء والسين والأصح (عياش) .

الأعلام

(٥) هو معاذ بن جبل أو ابن عمر بن أوس أسلم وهو ابن ثمانى عشرة سنة وشهد العقبة مع السبعين والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهت الرسول قاضياً إلى اليمن وشيعة ماشياً في مخرجه وهو راكب توفي سنة ١٨ هـ وكان من أعبد الناس وأزهدهم في الدنيا وأعقلهم . صفوة الصفوة ج ١ ص ١٩٥ .

(٥٠) من (٥٨١ — ٦٥٦) عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله أبو محمد زكى الدين المنذرى صاحب (الترغيب والترهيب « ط ») مولده ووفاته بمصر . الأعلام ج ٤ ص ١٥٦ .

(٥٠٠) كان مولى لعبد الله بن عياش بن ربيعة القرشى ، واسم أبيه ميسرة وكان عمر بن عبد العزيز يستزيره ويكرمه وبهت إلى مولاة ليبيعه إياه فابى وأعتقه . وقد روى زياد عن أنس بن مالك وقال مالك بن أنس كان زياد مابدا معتزلاً لا يزال يذكر الله تعالى ويلبس الصوف ولا يأكل اللحم . صفوة الصفوة ج ٢ ص ٥٩ .

(٥٠٠٠) هو أبو سعيد الخدرى (رضى الله عنه) واسمه سعد بن مالك بن سنان استصغر يوم أحد فرد وشهد الخندق وما بعدها روى كثيراً من الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . صفوة الصفوة ج ١ .

صحيحه عنه فيمن عنه . وأخرجه غير مسلم من حديثهما ، منهم أبو داود الطيالسي (٠) وأحمد في المسند ، وأبو يعلى (٠٠) الموصلي وابن حبان وأخرجه أيضاً من حديثهما ابن أبي (١) شيبة والترمذي في الدعوات ، وابن شاهين (***) في الذكر . وأخرج مسلم والترمذي والداقني من حديث معاوية « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج على حلقة في المسجد من أصحابه فقال : يا أجلسكم ؟ قالوا جلسنا نذكر الله نحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا . فقال الله ما أجلسكم إلا ذلك ؟ قالوا : الله ما أجلسنا إلا ذلك قال : أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنني أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة »

وأخرج الترمذي وحسنه من حديث أنس من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إذا صرتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله وما برياض الجنة ؟ قال حلق الذكر » وأخرجه أيضاً من حديثه أحمد في المسند والبيهقي في الشعب قال المناوي (٠٠٠٠) : وإسناده وشواهده ترتقي إلى الصحة

(١) غير محمد ينظر الأعلام ج٤ ص ٣٢٦ ، ٢٦٠ ، ج٧ ص ١٤٢ .

الأعلام

(٠) سليمان بن داود بن الجارود مولى قريش من كبار حفاظ الحديث فارسي الأصل كان يحدث من حفظه سمع يقول أحفظ ثلاثين ألف حديث ولا فخره له بسند (ط) . (٠٠) أحمد بن علي المنقبي التميمي الموصلي أبو يعلى حافظ من علماء الحديث له كتب منها : المعجم في الحديث ، ومسندان (كبير) و (صغير) توفي سنة ٣٠٧ هـ الأعلام ج١ ص ١٦٤ .

(٠٠٠) محمد بن أحمد بن عثمان بن شاهين . توفي سنة ٣٨٥ هـ . الأعلام

ج٥ ص ١٩٦ .

(٠٠٠٠) عبد الرؤف المناوي ، شارح الجامع الصغير ، وصاحب طبقات الصوفية ، أو (السكواكب الدرية) في تراجم السادة الصوفية) توفي سنة ١٠٢٩ هـ البدر الطالع للشوكاني .

وأخرجه الطبراني من حديث ابن عباس وفي إسناده رجل مجهول .
والأحاديث في فضائل الذكركثيرة جداً قد ذكرنا منها في شرحنا لعدة
الحصن الحصين أحاديث كثيرة وذكرنا المفاضلة بينها وبين سائر الأعمال
فلم يرجع إليه .

أعظم الأذكار أجراً :

وينبغي أن نذكر هنا ما أعظم أجره من الأذكار ليلتفع به المطالع على
هذا الشرح .

فأفضل الذكركما كان في دعاء الرب عز وجل فإنه مطلوب منه سبحانه
كما قال : « ادعوني أستجب لكم »^(١) وعقبة بقوله : « إن الذين يستكبرون
عن عبادتي » الآية ، فجعل الدعاء له في حوائج العبد عبادة ، وجعل تارك
الدعاء مستكبراً عن عبادته : فسبحان الله العظيم ذي السكرم الفياض ،
والجود [المتتابع]^(٢) . جعل سؤال عبده لحوائجه وقضاء مآربه عبادة له
وطلبه منه وذمه على تركه بأبلغ أنواع الذم ، فجعله مستكبراً على ربه :
فشكراً لك يا رب على هذه النعمة شكراً يليق بك لا أحصى ثناء عليك أنت
كما أثلّيت على نفسك

وقال عز وجل : « أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء »^(٣)
وقال : « وإذا سألك عبادي عنى فأنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان »^(٤)

(١) سورة غافر آية ٦٠

(٢) فى (أ) تحريف للباء إلى اللام هكذا (المتتابع) وهو سهو خطى
من المؤلف .

(٣) سورة النمل آية ٦٢ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٨٦ .

ومما قلناه من النظم في شكره عز وجل على نعمه التي هذه النعمة المظلمة فرد
من أفرادها :

لو كانت لي كل لسان لما وفيت بالشكر لبعض النعم
فكيف لا أعجز عن شكرها وليس لي غير لسان وفهم ؟
هذا هو الإفضال هذا المعطاء الفياض ؛ هذا الجود هذا الكرم

وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه وأهل السنن الأربع وابن حبان ^(١) من
حديث النعمان ^(٢) بن بشير قال : قال صلى الله عليه وآله وسلم : « الدعاء
هو العبادة » ثم تلا الآية : وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ، إن الذين
يسكتون عن عبادتي — الآية . وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم .
وأخرج الترمذي من حديث أنس قال قال رسول [الله صلى ^(٣) الله عليه
وآله وسلم] : « الدعاء مخ العبادة »

وأخرج الترمذي وابن حبان من حديث سلمان هذه صلى الله عليه وآله وسلم
قال « لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد العمر إلا البر » وصححه ابن حبان .

-
- (١) في (ب) سقط من النسخ (وابن حبان) .
(٢) في (ب) « صلى الله تعالى عليه الخ » .
(٣) في (أ) سها المؤلف عن الصلاة على النبي وكتب لفظة « رسول » مجردة
من الإضافة إلى « الله » .

الأعلام

(٥) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الحزرجي الأنصاري أبو عبد الله أمير
خطيب شاعر من أجلة الصحابة من أهل المدينة له ١٢٤ حديثاً من [٢ - ٦٥ هـ]
الأعلام ج ٩ ص ٤ .

وأخرجه أيضا الحاكم وصححه . وقال الترمذي حسن هريب . وأخرجه أيضا الطبراني في الكبير ، والاضياء (*) في المختارة .

وأخرج ابن أبي شيبة والطبراني في الكبير (١) والحاكم في المستدرک وابن حبان في صحيحه من حديث ثوبان أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال « لا يرد القدر إلا الدهاء ولا يزيد في العلم إلا الابر ، وأن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » .

وأخرج الحاكم في المستدرک والبزار والطبراني في الأوسط والطحاوي من حديث عائشة عنه صلى الله عليه وآله وسلم : « لا ينفي حذر من قدر ، والدهاء ينفع مما نزل وعالم ينزل وأن البلاد لينزل فيملقاه الدهاء فيعتاجان إلى يوم القيامة » . قال الحاكم صحيح وتعبه الذهبي في التلخيص ، بأن زكريا بن منصور أحد رجاله عجم هلى ضعفه . وقال في الميزان ضعفه ابن معين (**) ، ووهاه أبو زرعة (***) ، وقال البخاري منكر الحديث وقال ابن الجوزي :

(١) في (ب) سقطت (في الكبير) .

الأعلام

(*) المتوفى سنة ٦٤٣ هـ ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد ابن عبد الرحمن السعدي المقدسي الصالحى الحنبلى محدث عصره . ولد سنة ٥٦٩ هـ ولم يكن في وقته مثله . من مصنفاته (الأحاديث المختارة) من مسموعاته : كتب منها تسعين جزءا ولم تكمل . شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٢٥ ، ٢٢٤ .

(**) من (١٥٨ — ٣٣٣) يحيى بن معين بن عوف زياد المرى بالولاء البغدادي من أئمة الحديث ومؤرخى رجاله . قال فيه العسقلاني : « إمام الجرح والتعديل » ج ٩ ص ٢١٨ الأعلام .

(***) المتوفى سنة ٢٨٠ هـ عبد الرحمن بن عمر أبو زرعة الدمشقي من أئمة زمانه في الحديث ورجاله له كتاب في التاريخ وعلل الرجال . الأعلام ج ٤ ص ٩٤٠ .

حديث لا يصح ، وقال الهيثمي ^(١) في مجمع الزوائد : « رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه ، والبزار والطبراني في الأوسط ، ورجال أحمد وأبو يعلى وأحمد إسنادي البزار ، رجاله رجال الصحيح ، غير هلي بن أحمد الرافعي وهو ثقة » قلت : وبهذا يعرف أن الحديث إذا لم يكن صحيحاً كما قال الحاكم فأقل أحواله أن يكون حسناً .

وأخرج الترمذي وابن حبان من حديث عائشة ^(١) عنه صلى الله عليه وآله وسلم : « ليس شيء أكرم على الله من الدهاء » قال الترمذي : حسن قريب ، وأخرجه أيضاً من حديثها أحمد في المسند والبخاري في التاريخ ، وابن ماجه والحاكم في المستدرک . وقال صحيح وأقره الذهبي ، وقال ابن حبان : حديث صحيح .

قلت : وإنما لم يصححه الترمذي لأن في إسناده عنده ^(٢) عمران القطان ضعفه النسائي وأبو داود وعشاء أحمد . قال ابن القطان : رواه كلهم ثقات إلا عمران وفيه خلاف .

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من لم يسأل الله يغضب عليه » وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف باللفظ « من لم يدع الله يغضب عليه » . وأخرجه باللفظ الأول الحاكم وكذلك أخرجه باللفظ الثاني ^(٣) في المستدرک وصححه ، وما أحسن قول الشاعر :

(١) في (ب) سها الناسخ عن (عائشة) .

(٢) في (ب) سها الناسخ عن (عنده) .

(٣) في (ب) تكررت (الحاكم) قبل في المستدرک .

الأعلام

(٥) أحمد بن محمد حنبل الوائلي السعدي ، الهيثم المصري ، ثم المسكي ، ولد

سنة ٩٠٠ هـ وتوفي سنة ٩٧٣ هـ .

الله يفضب، إن تركت سؤاله وإذا سألت بني آدم يفضب
وأخرج ابن حبان والحاكم والضياع في المختارة من حديث أنس مرفوعا :
« لا تعجزوا في الدهاء فإنه لن يهلك مع الدهاء أحد » وصححه ابن حبان
والحاكم والضياع فهو لاء ثلاثة^(١) أئمة صححوه .

وأخرج الترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وآله
وسلم : « من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدهاء
في الرخاء » وصححه الحاكم وأقره الذهبي ، وأخرجه الحاكم أيضا من حديث
سلمان وقال صحيح الإسناد .

وأخرج الحاكم من حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال :
« الدهاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض » قال الحاكم :
صحيح الإسناد وأخرجه أبو يعلى من حديث هلى بهذا اللفظ ، وأخرجه^(٢)
أبو يعلى أيضا من [حديث]^(٣) جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم : « ألا أدلكم هلى ما ينجمكم من هدمكم وبدر [لكم]^(٤) أرزاقكم ؟
تدهون الله سبحانه في ليلكم ونهاركم فإن الدهاء سلاح للمؤمن » .

وأخرج أحمد من حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم : « ما من
مسلم ينصب وجهه لله في مسألة إلا أخطأ إياها إما أن يهجمها له وإما أن
يدخرها له » قال المنذرى في الترغيب والترهيب : إسناده لا بأس به .
وأخرجه أيضا البخارى في الأدب المفرد والحاكم .

(١) في (ب) ثلاث .

(٢) في (ب) (أخرج) بدل (أخرجه) .

(٣) في (أ) سها المؤلف عن (حديث)

(٤) في (أ) (لا توجد لكم) .

وأخرج أحمد والبخاري وأبو يعلى والحاكم من حديث أبي سعيد عنه صلى الله عليه وآله وسلم : ما من مسلم يدهو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطمير ولا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء عظمها » قال الحاكم صحيح الإسناد . وقال المنذرى : أسانيد جيدة وأخرج أبو داود والترمذي وحسنه وابن حبان وصححه والحاكم وصححه أيضاً من حديث سلمان بنه صلى الله عليه وآله وسلم : « إن ربكم حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه [يديه] ^(١) أن يردهما صفراً خائبين » . وأخرجه الحاكم وصححه من حديث أنس

أذكار الأوقات وفوائدها :

ومن أكثر الأذكار أجوراً وأعظمها جزاء الأذعية الثابتة في الصباح والمساء فإن فيها من النفع والدفع ما هي مشتملة عليه .

فعلى من أحب السلامة من الآفات في الدنيا والآخرة بالخير الآجل والعاجل أن يلازمها ويفعلها في كل صباح ومساء ، فإن هسر عليه الاتيان بجميعها أتى ببعض منها . وقد ذكرها صاحب هذه الحصن وذكرنا في الشرح لها تخريجها وبيان معانيها وما ورد في معناها . وكذلك ينبغي ملازمة ما يقال عند النوم وعند الاستيقاظ ، فإن ذلك هو الطريق الجرب في دفع الآفات :

وهي أيضاً مذكورة في المدة .

وكذلك ينبغي للإنسان أن يحافظ عند خروجه عن بيته على أن يقول : « أهوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلقى » : ويقول : بسم الله الذي

(١) في (أ) (يده) وهو سهو من المؤلف .

لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم » وآية الكرسي
فإن ذلك حرز حريز من جميع الشرور لما ورد في هذين الذكرين بهذا اللفظ ،
وما ورد في آية الكرسي .

وكذلك ملازمة الاستغفار فإنه المرم الذي يفسد كل ذنب ، ومن غفرت
ذنوبه فاز ، وهى الصراط السوى جاز ، وقد ورد في ذلك أحاديث ذكرها
أئمة الحديث . وقد ذكر صاحب عدة الحصن منها نصيبا وافرأ وذكرنا في
شرحنا لها ، الكلام على كل حديث منها وضمننا إليها زيادة على ما فيها .

أذكر التوحيد :

ومن أعظم ما يلزمه العبد من أذكر الله سبحانه هو كلمة التوحيد .
وقد أخرج الترمذى وأحمد بن حنبل من حديث جابر عنه صلى الله عليه
 وآله وسلم قال : « أفضل الذكر لا إله إلا الله » ولفظ أحمد « لا إله إلا الله
أفضل الذكر وهى أفضل الحسنات » . وأخرجه أيضا ابن ماجه من حديثه
بلفظ : « أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله »^(١) وكذا
أخرجه النسائى وابن حبان وصححه وإحاكم وقال صحيح الإسناد . كلهم
أخرجوه من طريق طلحة بن حراش عن جابر . وطالحة أنصارى مدنى
صديق . قال : الأزدى له ما ينكر ووثقه ابن حبان ، وأخرج له فى صحيحه
وأخرج أحمد بن حديث أبى ذر قال : « قلت يا رسول الله أوصنى قال : إذا
[عملت]^(٢) سبئة فأتبها حسنة تمحوها قال قلت يا رسول الله : أن الحسنات
لا إله إلا الله ؟ قال : هى أفضل الحسنات » . قال فى مجمع الزوائد رجاله ثقات

(١) فى (ب) نسي الناسخ (لله) .

(٢) فى (أ) حرفت من المؤلف سهواً إلى (علمت) .

إلا أن سمرة بن هطية حدث به عن أشياخه عن أبي ذر ولم يسم أحدا منهم .
وأخرج مسلم من حديث أبي ذر قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :
« ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة » وأخرج
البخاري من حديث أبي هريرة أنه قال ^(١) : يا رسول الله « من أسعد الناس
بشفاعتك يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لقد ظننت أن
لا يسألني عن هذا الحديث [أحد] ^(٢) أول منك لما رأيت من حرصك على
الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قالها ^(٣) خالصا من قلبه « ،
« الأحاديث الثابتة في كون من قال هذه الكلمة وكانت آخر قوله دخل الجنة
متواترة ، فالحمد لله على ذلك .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي أيوب أن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم قال « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو
على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة من ولد اسماعيل » .

(١) في (أ) تكررت كلمة (قال) . وفي صحيح البخاري (قيل) بعد
(قال) وليس لها معنى ، لأن السائل هو أبو هريرة ، وهو المخاطب في الحديث
(٢) في (أ) ، (ب) سقطت (أحد) من المؤلف ، ثم من الناسخ ، وهي
في الحديث في صحيح البخاري . وروى ابن عبد البر هذا الحديث بعبارة (أحد
أولى منك) وبعبارة (لقد ظننت أنك أول من يسألني . (جامع بيان العلم
ج ٢ ص ٢٧ .

(٣) في هامش (أ) ، (ب) تفسير الضمير في (قالها) بالعبارة الآتية : (يعني
كلمة التوحيد) وفي صحيح البخاري : (من قال : لا إله إلا الله) : بالإظهار
بدل الإخمار . ينظر هذا الحديث ، في صحيح البخاري . طبعة بولاق ج ١
(كتاب العلم) باب ٣٣ . وفي طبعة الشب ج ١ ص ٣٥ — ٣٦ .

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها :

وما ينبغي لطالب الخير ، والاسْتِكْثَار منه ، وجمعه فأنه لكل دعاء الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث جماعة « أن من صلى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات » .

فانظر إلى هذا الأمر العظيم والجزاء الكريم ، يصلى العبد على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واحدة فيصل عليه خالق العالم ورب الكل عز وجل عشر صلوات ؟ فهذا ثواب لا يساويه جزاء وأجر لا يماثله أجر !! .

فليستكثر منه من شاء الاستكثار من الخير فإن هذا العبد الحقير الذى هو أحد مخلوقات الرب سبحانه يقول بلسانه هذه الصلاة مرة فيرد الله عليه عشر صلوات ؟ ! ! ! فهل دليل على الرضا والمغفرة والمحبة من الرب للعبد أدل من هذا الدليل وأوضح من هذه المحبة اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله محمد هدد ماصلى عليه المصلون منذ بعثته إلى الآن ، وعدد ما سيصل عليه المصلون من الآن إلى انقضاء العالم .

ومع هذا فن أجور هذه الصلاة على سيد ولد آدم صلى الله عليه وآله وسلم ماورد من أن أولى الناس به صلى الله عليه وآله وسلم أكثرهم صلاة عليه وما ورد : أن من صلى عليه « صلى الله عليه وآله وسلم » حطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات وغير ذلك مما تكثر الإحاطة به .

بل ورد « أن من صلى عليه صلاة واحدة صلى الله عليه ولا يتركه سبعين صلاة » أخرج ذلك أحمد في المسند ، من حديث هبذ الله بن عمرو . قال المنذرى

في الترهيب والترهيب بإسناد حسن وكذلك حسنه الميمنى وتمايه « فليقل
عبد من ذلك أو ليعكبر » .

ومن نظر بعين المعرفة في هذا وفهم معناه حق فهمه طار بأجنحة السرور
والخروج إلى أوكار الاستكثار من هذا الخير العظيم والأجر الجسيم والثناء
الجليل والجلود الجليل فتكرراً لك يا راعب الجزل ومعهلى الفضل .

التسبيح وفوائده :

ومما يلبغى لطالب الخير ملازمة التسبيح والتكبير والتوحيد والتحديد
فقد ثبت في صحيح مسلم من حديث سمرة^(١) بن جندب قال : « قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم : أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله والحمد لله
ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيمن بدأت » . وأخرجه من حديثه أيضا
النسائي وابن ماجه وثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « كلمتان خفيفتان على^(٢) اللسان
ثقلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم »
وورد أن الأربع الكلمات^(٣) المقدمة أفضل الكلام بعد القرآن . كما أخرجه
أحمد بإسناد رجاله رجال الصحيح .

(١) في (ب) (في اللسان) .

(٢) في (ب) (الكلمات) وهو سهو .

الأعلام

(*) توفي سنة ٦٠ هـ وهو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري صحابي من
الشجعان للقادة له رواية عن النبي ﷺ . الأعلام ج ٣ ص ٢٠٤ .

الأدعية النبوية :

ويبلغني لطالب الخير وبإضي الرشد أن يلزم من الأدعية النبوية ما تبلغ إليه طاقته .

وأقل حال أن يلزم الكلمات^(١) الجامعة مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم إني أهوذك من زوال نعمتك وتحول عاقبتك ونجاة نعمتك وجميع سخطك » هكذا أثبت في صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وآله وسلم من حديث ابن عمر وأخرجه من حديثه أيضا أبو داود والبيهقي . ومثل حديث أبي هريرة عند مسلم قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر » . ومثل حديث أبي هريرة أيضا عند الشيخين وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « تعوذوا بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء » . ومثل ما أخرجه أحمد في مسنده وابن حبان والطحاكي وصحاحه والطبراني في الكبير قال في مجمع الزوائد وإسناده أحمد وأحمد إسنادي الطبراني ثقات . ومثل حديث أنس في الصحيحين وغيرهما قال : كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » . ومثل سؤال الله العاقبة وقد ورد^(٢) في ذلك أحاديث متواترة كما بيناه في شرحنا لعدة الحصن الحصين :

(١) في (ب) (الأدعية) .

(٢) في (ب) (وردت) .

الأدعية عقب الوضوء والصلاة :

ومما ينبغي لطالب الخير ملازمته الأدعية الواردة عقب الوضوء وعقب الصلوات وهي كثيرة .

وأقل الأحوال أن يقتصر عقب الوضوء على ما أخرجه مسلم وأهل السنن من حديث عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « ما منكم من أحد يتوضأ ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » .

وعقب الصلاة على ما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث المنيرة « أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول في دبر كل صلاة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجند منك الجند ثلاث مرات » وعلى ما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعاً : « أن يكبر الله ويسبحه ويحمده حتى يحصل من الجميع (ثلاث وثلاثون) أو من كل واحدة من هذه الكلمات إحدى عشرة كما في صحيح مسلم ، أو من كل واحدة (١) منها عشر عشر كما في صحيح البخاري .

الأدعية عند الأذان والإقامة ودخول المسجد :

ويقول عند الأذان كما يقول المؤذن كما في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيد .

(١) في (ب) سقطت من النسخ (واحدة) .

وبعد أن يقول المؤذن : خي على الصلاة : لا حول ولا قوة إلا بالله وبعد
أن يقول خي على الفلاح لا حول ولا قوة إلا بالله ؛ كما في الصحيحين وغيرهما
من حديث عمر بن الخطاب .

ويقول عند سماع النداء : « اللهم رب هذه الدهوة التامة والصلاة القائمة
آت محمد الوسيلة والفضيلة وابنه مقاما محمودا الذي وعدته » (١) أخرجه
البيهقي من حديث جابر .

وإذا دخل المسجد يقول : « اللهم افتح لي أبواب رحمتك » وإذا خرج
منه يقول : « اللهم إني أسألك من فضلك » كما أخرجه مسلم وأبو داود
والنسائي من حديث أبي حمزة أو أبي أسيد .

الأدعية داخل الصلاة :

أما الأدعية داخل الصلاة فهي كثيرة جداً في كل ركن من أركانها فيأتي
متها بما هو صحيح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وله أن يدهو بما أحب
كما في حديث : « فليتمخير » (٢) من الدهاء أهجبه إليه « وإن كان وارد في
التشبه فلا فرق بينه وبين سائر أركان الصلاة .

الأدعية في الصيام والحج والجهاد والسفر وغيرها :

وهكذا ورد في الصيام والحج والجهاد والسفر وغيرها أدعية مروية في
كتب الحديث يتخير منها أصحابها وأكثرها فائدة فلا نطول بذكرها فهي
معروفة في مواطنها ولانرجع إلى شرح الحديث الذي نحن بهدد شرحه .

(١) في (ب) (بعثته) .

(٢) في (ب) (أن يتخير) .

(د) الإيمان وطريق الولاية :

قال أبو القاسم القشيري^(١) قرب العبد من ربه يقع أولاً بإيمانه^(٢) ثم بإحسانه^(٣) وقرب الرب تعالى من عبده بما يخصه به^(٤) في الدنيا من عرفاته ، وفي الآخرة من رضوانه^(٥) وفيما بين ذلك من وجوه لطفه وأمتنانه

ولا يتم قرب العبد من الحق إلا بعمده من الخلق قال : وقرب الرب بالعلم والقدرة تام للناس^(٦) ، وباللطف والنصرة خاص بالخواص^(٧) وبالتأنيس خاص بالأولياء . انتهى^(٨) ما نقله عنه صاحب الفتح^(٩) .

وأقول : يشير بقوله « قرب العبد من ربه يقع أولاً بإيمانه ثم بإحسانه » إلى الحديث الثابت في الصحيح أنه سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

- (١) في الرسالة (وتصديقه) بعد (بإيمانه) .
- (٢) في الرسالة (وتحقيقه) بعد ثم (بإحسانه) .
- (٣) في (ب) سقطت من الناسخ (ربه) .
- (٤) في الرسالة بدل رضوانه (ما يكرمه به من الشهود والعيان) .
- (٥) في الرسالة (للكافة) .
- (٦) (بالمؤمنين) في الرسالة . طبعة المئانية . سنة ١٣٠٤ هـ . ص ٥٣ ، طبعة صبيح سنة ١٣٦٧ هـ . سنة ١٩٥٧ م ص ٤٢ .
- (٧) في (ب) (ما نقله عن صاحب . الخ) .
- (٨) ص ٢٩٤ .

الأعلام

(١) أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري النيسابوري الفقيه الشافعي . كان علامة في الفقه والتفسير الحديث والأصول والأدب والشعر وعلم التصوف . ومن تصانيفه : التفسير الكبير (التيسير في علم التفسير) ، الرسالة القشيرية المشهورة ، ولد سنة ٣٧٦ هـ وتوفي سنة ٤٦٥ هـ معجم المطبوعات ص ١٥١٤ ج ١ .

عن الإيمان فقال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره
وشره » . وأنه على الله هليم وآله وسلم سئل عن الاحسان فقال : « أن تمجد
الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » :

١ - الإيمان بالقدر ، وخاصة للمؤمنين :

فخصال الإيمان يستوى في الأربع الأدلة منها غالب المسلمين وأما الخامسة
وهي الإيمان بالقدر خيره وشره فهي المصلحة العظمى [التي] ^(١) تنفاوت فيها
الأقدام بكنه من الدرجات فن رشح قد في هذه المصلحة ارتفعت طبقته
في الإيمان .

ولا يستطيع الإيمان بها كما ينبغي إلا خالص المؤمنين وأفراد عباد الله
الصالحين ، لأن من لازم ذلك أن يضيف إلى قدر الله كل ما يناله من خير وشر
غير متعرض للأسباب التي يتعلق بها كثير من الناس ، وإذا مكنه الله من
الإيمان بهذه المصلحة كما ينبغي وعلم أنها من عند الله سبحانه بقدره السابق لكل
عبد من عباده ، هانت عليه المصائب لعله بأن ذلك من عند الله سبحانه ،
وما كان من عند الله سبحانه فالرضى به والتصميم له شأن كل عاقل ، لأنه خالفه
« موجوده من المدم فهو حقه وملكه يتصرف به كيف يشاء كما يتصرف العباد
في أملاكهم من غير حرج عليهم

فإن مالك العبد أو الأمة إذا أراد أن يتصرف بهما ويخرجهما من ^(٢)
ملكه لم تنكر العقول ذلك ولا تأباه العادات الجارية بين العباد . فكيف
تصرف الرب بمخلوقه ^(٣) فإنه المالك للعبد وسيده ولما في الأرضين والسموات

(١) في (أ) (الذي) وهي ضمنية .

(٢) في (ب) (من) .

(٣) في (ب) (بمخلوقاته) .

من العالم الذي خلقه وشق سمعه وبصره ورزقه ومن هبته بالنعيم التي لا يقدر
على شيء منها إلا هو تعالت قدرته وتقدس اسمه .

٢ — فوائد الإيمان بالقدر :

ومن فوائد رسوخ الإيمان بهذه الخصلة أنه يعلم أنه ما وصل إليه من الخير
على أي صفة كان وببعض من انفق فهو منه عز وجل ، فيحصل له بذلك من
الجبور والسرور ما لا يقادر قدره لما له سبحانه من العظمة التي تضيق أذهان
العباد عن تصورها وتقتصر عقولهم عن إدراك أدنى منازلها .

وإذا كان للعظمة من ملك من ملوك الدنيا ما يتأثر له المعطي ويفرح به
ويسر لأجله لكونه من أعظم بني آدم لجل الله سبحانه بيده الحل والعقد
في طائفة من عبادته ، فكيف العطاء الواصل من خالق الملوك ورازقهم
وهميهم ومحييهم .

وما أحسن ما قاله الحربي (*) رحمه الله : « من لم يؤمن بالقدر لم يتن »
بعبثه » (١) .

وهذا صحيح فما تعاضمت القلوب بالمصائب ، وضاعت بها الأنفس وحرجت
[بها] (٢) الصدور إلا من ضعف الإيمان بالقدر اللهم ارحمنا برحمتك فإننا من
الضعف ما أنت أعلم به ، ومن هدم الصبر على حوادث الزمان ما لا يخفى عليك ،

(١) في صفوة الصفوة : (من لم يحجر مع القدر ..)

(٢) في (أ) (بالصدور) وليست موافقة .

الأعلام

(*) هو أبو إسحق إبراهيم بن إسحق الحربي ولد سنة ثمان وتسعين ومائة
وأصله من مرو وكان إماماً في جميع العلوم وله التصانيف الحسان ، وكان زاهداً
في الدنيا . وتوفي ببغداد سنة ٢٨٥ هـ (ص ٢٢٨) ج ٢ صفوة الصفوة .

ومن عدم الثبات عند الحق مالدريك حقيقةه ولكننا نسألك العافية التي
أرشدتنا إلى سؤالها منك ، وقد أرشدنا رسولك صلى الله عليه وآله وسلم إلى
أن [نستعيد] (١) بك من سوء القضاء كما ثبت لنا (٢) منه في الصحيحين
وغيرهما أنه كان يقول : « اللهم إني أهوذ بك من سوء القضاء ودرك الشقاء
وجهد الأيلاء وشتمانة الأعداء » (٣) فنقول : اللهم إنا نعوذ بك عما استعاذ به (٤)
رسولك صلى الله عليه وآله وسلم فإنه قد سن ذلك لأمته .

٣ — الإيمان بالقضاء والاستعاذة من سوءه :

إذا عرفت هذا فاعلم أنه لا منافاة بين الإيمان بالقدر خيره وشره وبين
الاستعاذة من سوء القضاء .

فعلى العبد أن يجهد نفسه في الإيمان بهذه الخصلة ويعمرها عليها فإما إذا
مُرنت صرنت . اللهم أعنا على هذه النفوس وسهل لنا الخير حيث كان وقو
لإيماننا فإن الخير كل الخير في قوة الإيمان وبه تنفاوت المراتب .

ومما يدل على جواز الاستعاذة من سوء القضاء ما ثبت من حديث
الحسن السبط رضى الله عنه أنه علمه صلى الله عليه وآله وسلم ذلك الداء
بقوله في الوتر فيه « وقنى شر ما قضيت » وهو حديث صحيح ، وإن لم يكن
في الصحيحين .

-
- (١) (أ) (نستعين) ونستعيد هنا أوفق لما سيأتى بعد ، ولعل الشوكاني
كان يريد ما فسقت يده إلى نستعين) .
(٢) في (ب) سقطت من النسخ (لنا) .
(٣) في (ب) تقديم وتأخير في أجزاء هذا الحديث .
(٤) في (ب) (به) بدل (منه) .

٤ — الإيمان والإحسان ولما يجتمعان :

وتأمل بيان رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم ^(١)] لمعنى الإحسان فإنه يدل على أنه رتبة هائلة لأن من عبد الله كأنه يراه قد بلغ إلى أعلى منازل الخشوع الذى هو روح الصلاة وبه يتفارت أجزاها كما ثبت فى حديث « أن الرجل يصلى فيكون له نصفها ، ثلثها ، ربهما ، الحديث » فإن ذلك التفاوت إنما هو من جهة الخشوع وحضور القلب وقطع النظر عما سوى الله عز وجل .

فهذا الذى وصل إلى هذه الرتبة لا يبلغها إلا بعد أن تحصل له خصال الإيمان على السكال بعد خصال الاسلام ثم تحصل له هذه المزية العظمى .

ولا يكون ذلك إلا لأولياء الله عز وجل الراسخين فى الولاية ، البالغين إلى غاية مراتبها ، ولهذا آذان الله سبحانه من مآدام بالحرب وفيه إشارة إلى مراتب الطاعات بتفارت الأشخاص وأنه قد يقع التفاوت بين الرجلين كما بين السماء والأرض فكم بين رجل يعبد الله وهو يفسر فى أمر آخر ويشغل بأموال الدنيا لا يحصل له شيء من خشوع ولا نصيب من حضور قلب ولا طرف من المراقبة ، وبين هذا الذى رزقه الله سبحانه الإحسان وشرح صدره لعبادة الرحمن .

وفيه منزع قوى لما عليه أولياء الله من تلك المزايا التى لا يشاركهم [فيها ^(٢)] غيرهم ، ولا يلحق ^(٣) بهم فيها سواهم .

(١) فى (أ) سها المؤلف عن الصلاة على النبى ﷺ ، فائتها لأن مثله ، لا يتركها إلا سهواً .

(٢) فى (أ) (فيهم) ولا يستقيم ذلك .

(٣) فى (ب) (يلحق) .

ومن أنكر ما فضل الله به عليهم من فضله الذي هم ، وكرمه الذي هم
فذلك انصوره في علم الشريعة المطهرة مع جمعه لما لا يدري وإنكار ما
لا يعرف ، اللهم غفرًا .

البدء أعظم مظاهر الولاية :

وأما قول أبي القاسم القميري في كلامه السابق إن قرب الرب تعالى من
عبده بما يخصه من الدنيا من عرثاته وإلى الآخرة من رضوانه فأقول :
أعظم أنواع قرب العبد من الرب ما صرح به في الكتاب العزيز بقوله
صبحانه (١) : « وإذا حال لك عبادة من فإني أريد أجرك دعوة الرب
إذا دنا » .

لقد جعل سبحانه هذه من هذا القرب الذي أخبرنا به مفسرًا له ومبينًا
لضمانه أنه يجيب دعوة من دنا من عباده ، أكرم بها خصلة وأعظم بها فائدة
لا يقادر قدرها ولا يمتطاع الإحاطة بها فيها من ارتفاع طبقة من يجيب
دعاه ويلبي نداءه . فذكر أنك يا ربنا ربه لا نخشى ثناءه فليكن آتاك في أوقيت
على نفسك .

الولاية والمرة :

وأما قوله : « لا يتم قرب العبد من الحق إلا بيمينه من الخلق » فهذا
إنما يكون فيمن لا نفع فيه للعباد .

أما من كان ينفعهم به ، أو يحفظهم أو يجهده ، أو يأنسكار للأنكرات
أو بالقيام فيهم بما أوجب الله على مثله القيام به ، فهذا يكون قربه من الخلق

(١) في (ب) بعد سبحانه كلمة (تعالى) .

أقرب إلى الحق . وهو مقام الأنبياء ، ومقام العلماء الذين أخذ الله عليهم
اليمين للناس .

فليست هذه القضية التي ذكرها أبو القاسم كلية كما لا يخفى على من يعرف
شرائع الله سبحانه ، وما نذب بهاده إليه في كتبه المنزلة ، وعلى ألسن
رسوله المرسل . وقد جاء في السنة أن المؤمن الذي يخالف الناس ويصبر على
أذاهم أحب إلى الله من المؤمن الذي لا يخالفهم .

ويمكن حمل كلامه على البعد عن الخلق بإقبال قلبه على الله سبحانه ،
وهو عدم الاهتمام بما سواه ، وأنه وإن خالفهم بمظاهره فهو مع الله بباطنه .
وهذا معنى حسن ورتبة هلية .

الطيف والنصر وعامة المؤمنين :

وأما قوله : « وبالطيف والنصرة خاص بالخواص » فأقول : قد أخبرنا
الله سبحانه في كتابه أنه لطيف بعباده . وهذا المعنى عام لكل من يصدق
هليته أنه هبده الله من غير فرقة بين خواصهم وخواصهم .

ولولا ما تفضل به على عباده من جرى أطفافه عليهم لم يبتدوا إلى
معاش ولا معاد ولا عمل دنيا ، ولا عمل آخرة .

وأما النصر فقد وعد سبحانه في كتابه بنصرة المؤمنين : « وكان حقاً
هلينا نصر المؤمنين » وينصر حزبه والمجاهدين في سبيله .

فن كان من المؤمنين أو المجاهدين في سبيل الله ، وإن كان في عمله تخليط
وفي طاعته قصور فهو ممن وعد الله سبحانه بنصرته .

محبة الله بين أداء الفرض والنفل :

قوله : « حتى أحببته » في رواية السكيتي (حتى أُحِبّه) . قال ابن حجر في الفتح : « ظاهره أن محبة الله تعالى للعبد تقع ببلزمة العبد التقرب بالتواقل وقد استشكل بما تقدم أولاً أن الفرائض أحب للعبادات التقرب بها إلى الله تعالى فكيف لا تلزم المحبة ؟

والجواب : أن المراد من التواقل ما كانت حاوية للفرائض مشتملة عليها ومكتلة لها ويؤيده أن في رواية أبي أمامة : « ابن آدم إنك إن تدرك ما هدي إلا بأداء ما افترضت عليك » (١) انتهى .

وأقول هذا الإشكال ، ندفع من أصله فإن العبد لما كان معتقداً لوجوب الفرائض عليه وأنه أمر حتم بمقابله على تركها (٢) كان ذلك مجردة حاملاً له على المحافظة عليها ، والقيام بها فهو يأتي بها بالإيجاب الشرعي والعزيمة الدينية وأما التواقل فهو يعلم أنه لا عقاب عليه في تركها ، فإذا فعلها فذلك مجرد التقرب إلى الرب خالياً عن حتم ، ما طالع من حزم ، فكان في فعلها من هذه الهيئة محض المحبة للتقرب إلى الله بما يجب من العمل ، فجوزى على ذلك بمحبة الله له وإن كان أجر الفرض أكثر ، فلا ينافي أن تكون المجازاة بما كان الحامل عليه هو محبة التقرب إلى الله أن يحب الله فاعله . لأنه فعل ما لم يوجبه الله عليه ولا حزم عليه بأن يفعله .

ومثال هذا في الأحوال المشاهدة في بني آدم أن السيد إذا أمر عبده بأن يتقضى له في كل يوم حاجة أو حوائج ، وكذلك أمر من له من المالك

(١) ص ٢٩٤ فتح البهاري ١١ .

(٢) في (ب) (على الترك) وليس مستقيماً في الأسلوب .

بمثل ذلك فكان أحدهم يقضى له تلك الحوائج ثم يقضى له حوائج أخرى يعلم
أن سيده يحب قضاءها وتحسن لديه ، والآخرون لا يقضون له إلا تلك
الحوائج التي أصرهم السيد بها . فمعلوم أن ذلك للسيد الذي صار يأتي له كل يوم
بما أصره به وبغيره مما يحببه ، يستحق المحبة من السيد محبة زائدة على
[محبته] ^(١) لكل واحد منهم .

فالمراد من الحديث هذه المحبة الزائدة الحاصلة من فعله لما يحبه سيده . من
غير أمر منه له مع قيامه بما قام به غيره من اشتغال أمر السيد والتبرع بالزيادة
التي لم يأمر بها .

وقال الفاكهاني : ^(٢) معنى الحديث أنه إذا أتى بالفرائض ودام على إتيان
النوافل من صلاة وصيام وغيرهما أفضى به ذلك إلى محبة الله تعالى . ^(٣)
انتهى .

أقول : المراد في الحديث المحبة الحاصلة من النوافل خاصة لأن مجموع
الفرائض والنوافل . وكون فاعل الفرائض محبواً لا ينافي هذه المسألة الخاصة .

أداء الفرائض شرط في اعتبار النوافل :

فالحاصل أن الاختلاف بين المحبتين ظاهر واضح لاختلاف الأسباب
وإن كان سببية أحد السببين مشروطة بفعل السبب الآخر ، فإن من ترك
الفرائض وجاء بالنوافل :

كتاركة ببعضها بالفلأ وملبسة ببعض أخرى جناحاً

(١) في (أ) (محبة) وهو سهو في الكتابة من المؤلف لأن الأسلوب يقتضيه .

تعبير (ب) الذي اخترته .

(٢) ص ٢٩٤ فتح الباري .

وقال ابن هبيرة : « يؤخذ من قوله (ما تقرب إلى آخره) أن النافلة لا تقدم على الفريضة لأن النافلة إنما سميت نافلة لأنها تأتي زائدة على الفريضة فما لم^(١) يؤدي الفريضة لا يحصل النافلة ، ومن أدى الفرض ثم زاد عليه النفل وأدام^(٢) ذلك تحققت منه إرادة التقرب^(٣) انتهى .

وأقول : أما قوله إنه يؤخذ من قوله ما تقرب إلى آخره أن النافلة لا تقدم على الفريضة فليس في مثل هذا خلاف لأن الأمر بالفرائض حتم فالإتيان بها^(٤) هو حتم مقدم لا ينافي في ذلك أحد ولا يحتاج مثله إلى التحريم والتذكير . وقد صرح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة » .

ليست المداومة شرطاً في القرب :

وأما قوله : (وأدام^(٥) ذلك) فليس في هذا الحديث ما يدل على الإدامة بل المراد مجرد وجود التقرب بالنوافل وقتاً فوقتاً وتارة فتارة ، فإن من فعل هكذا يصدق عليه أنه متقرب بالنوافل وإن لم يحافظ على ذلك حتى يصدق الدوام على ذلك الذي تقرب به ويصدق عليه أنه مديم للتقرب .

قال ابن حجر بعد نقله لكلام ابن هبيرة المتقدم : « وأيضاً قد جرت المادة أن التقرب يكون غالباً بغير ما وجب على المتقرب كالمدينة والنعمة بخلاف من يؤدي [ما]^(٦) عليه من إخراج أو يقضى ما عليه من

(١) في (ب) (فن لم) وتعبير الشوكاني أقوى وهو ما جاء في فتح الباري .

(٢) في (ب) (أدام على ذلك) وهو تعبير ضعيف أيضاً .

(٣) ص ٢٩٤ (٤) في (ب) بها .

(٥) في (ب) (أدام على ذلك) .

(٦) سقطت في (أ) من المؤلف سهواً .

دين»^(١) انتهى .

وأقول لا حاجة إلى استخراج هذا المعنى العرفي للتقرب فإنه لا يفيد شيئاً مع العلم بأن معنى التقرب في لسان العرب وفي لسان الشرع يشمل كل ما يتقرب به العبد من فريضة أو نافلة . وصدقه على الفرائض أقدم لكون أمرها ألزم .

وأيضاً قد أفنى عن هذا الاستخراج لفظ النوافل فإنها في لسان الشرع ما زاد على الفرائض .

قال ابن حجر : « وأيضاً فإن من جملة ما شرعت له النوافل جبر الفرائض كما صح في الحديث الذي أخرجه مسلم « انظروا هل لعبدى من تطوع فتكمل به فريضته » ؟ الحديث بمعناه .

فتبين أن المراد من التقرب بالنوافل أن تقوم ممن أدى الفرائض لا بمن أدخل بها كما قال بعض الأكابر : « من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور »^(٢) انتهى .

أقول : لا يخفى عليك أن أصل الإشكال عند هؤلاء الذين تمسكوا بمثل^(٣) هذا الكلام هو ورود المحبة في جانب التقرب بالنوافل ، وقد بينا وجهه ، وأى مدخل لذكر أن النوافل تجبر بها الفرائض فإن هذا إنما هو إذا احتيج إلى الترجيح بين الفرائض والنوافل ، فإن الفرائض هي التي قال فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « وما تقرب إلى [عبدى]^(٤) بشئ »

(١) ص ٢٩٤ .

(٢) ص ٢٩٥ فتح الباري ج ١١ .

(٣) في (ب) سقطت من الناسخ كلمة (مثل) .

(٤) في (أ) سها المؤلف عن باه (عبدى) .

أحب إلى مما افترضت عليه ، فإن هذا قد دلّ دلالة أوضح من شمس النهار
أن التقرب بالفرائض أحب إلى الله من كل شيء . والنوافل ليست بهذه
المنزلة فإنها من جملة ما دخل تحت المنكحة في صياق النفي لكن الرب (١)
جعل فعلها سبباً لحبه إياها من حيث أنه جاء بزيادة على ما أمره به محبة
للتقرب إلى الله بما لم يؤمر به ، فاستحق محبة الله له مع كون تأدية الفرائض
أحب إلى الله لكن صاحب هذه النافلة محبوب له لذلك المنكحة التي
قدمنا ذكرها ، والفرائض أحب ما تقرب به إلى الله .

ثم لا خلاف أن نوافل من هو تارك للفرائض ليست بمنزلة نافلة من
هو مقيم للفرائض وللمتنفل الذي يحبه الله هو الذي جاء بفريضة ، ثم تنفل
ما كتبه الله له .

ولهذا سميت نافلة أى زائدة على ما افترضه الله على العبد . فالنافلة والنذر
المفاضلة بين الفريضة والنافلة ، فإن هذا كلام خارج عن مقصود الحديث
القديم ، وكيف يمتنع بما نقله عن بعض الأكابر على هذا الأمر الذي هو من
الشريعة بمنزلة أوضح من شمس النهار ١١٢

محبة الله شاملة للمتقرب بالفرض والمتقرب بالنفل :

وإيضاح المقام بأن يقال إن الترجيح فرع التعارض ولا تعارض هنا البتة
لأن كون الفرائض أحب للقرب إلى الله لا ينافي كون المتنفل (٢) بالنوافل
يحبه الله ، وإنما يكون التعارض في هذا المقام لو قال : من جاء بالفرائض

(١) في (ب) (سبحانه) بعد لفظ الرب .

(٢) في (ب) (التقرب) .

فهو أحب إلى الله من كل أحد ، ومن تقرب بالنوافل فهو أحب إلى الله من كل أحد . ١١٢ .

وأما مجرد كونه يحب أحدهما ، فإنه لا ينافي أن يحب الآخر ثم لا تنافي بين ما ترتب عليهما ، فإن الذي ترتب على التقرب بتأدية الفرائض هو كون هذا التقرب أحب إلى الله من كل شيء من أعمال الخير ، والذي ترتب على التقرب بالنوافل ، هو أن الله يحب طاعها ، وكونه . يحب طاعها ، لا ينافي كونه يحب غيره . وكون تأدية الفرائض أحب من غيرها لا ينافي أن تكون تأدية النوافل محبوبة ، بل هو المعنى الذي يفيد أفعلى التفضيل فإنه يدل على الاشتراك في الأصل ، فالفرائض والنوافل محبوبة إلى الله ولكن الفرائض أحب إليه ، وصاحب النافلة يحبه الله ولا ينافيه أن يحب صاحب الفريضة ، لكن صاحب النافلة لما جاء بما جاء به صاحب الفريضة وزاد عليه بما فعله من النافلة ترتب على محبته ما تضمنه الحديث من كونه سبحانه سمعه الذي يسمع به إلى آخر ما في الحديث . ومعلوم أن صاحب المملىين أجره أكثر من صاحب العمل ، فاعرف هذا واشدد يدك^(١) عليه ، فإنه قد وقع من شراح الحديث في هذا الموضع خبط كثير .

(١) في (ب) (يديك) .

الفصل الثالث

أثر محبة الله في حياة الولي

ههأأأته وتوفيقه :

قوله : « فإنا أحببته كنت سمعته الذي يسمع به وبصر الذي يبصر ؛ ويده الذي ^(١) يبطش به ورجله الذي ^(٢) يمشى بها » في حديث عائشة في رواية عبد الواحد ^(*) « عينه التي يبصر بها » وفي رواية يعقوب ^(**) « عينه الذي يبصر بها » بالتثنية وكذا قال في الأذن واليد والرجل ، وزاد عبد الواحد في روايته وفؤاده الذي يقل به ، ولسانه الذي يتكلم به « ونحوه في حديث أبي ألفة . وفي حديث أنس « وإن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً وفؤداً » ^(٣) ووقع في روايه « فبي يسمع وببي يبصر ، وببي يبطش ، وببي يمشى » .

قوله : « ويده الذي يبطش بها ورجله الذي يمشى بها » هكذا وقع في الصحيح في باب النواضع بلفظ الذي في الموضعين ^(٤) ولعله على تأويل اليد والرجل بالعضو لأنهما مؤنثان ، وكأ على مقتضى هذا التأويل أن يقول الذي

(١) في (ب) (التي) في الاثنين .

(٢) ص ٢٩٥ فتح الباري .

(٣) في طبعة بولاق شرح ابن حجر ، وفي طبعة الشعب ج ٨ ص ١٣١ ، جاد بلفظ (التي في الموضعين) .

الأعلام

(*) هو : عبد الواحد بن أحمد بن أبي القاسم بن محمد المليحي الهروي من أهل الأدب والحديث له (الرد على أبي عبيد) في غريب القرآن و (الروضة) ويشتمل على ألف حديث صحيح وألف غريب وألف حكاية وألف بيت من الشعر ص ٣٢٣ ج ٥ الأعلام للزركلي .

(**) يعقوب بن إبراهيم بن كثير ، محدث العراقي في عصره ، كان ثقة حافظاً متقناً أخذ عنه الأئمة السبعة له مسند في الحديث (الأعلام) ج ٩ ص ٢٥٣ .

يبطش به الذي يمشى [به] ^(١) راسكنه أنت وذكر بالاعتبارين والله أعلم .

قوله يبطش قال في الصحاح : البطشة المبطورة والأخذ بالنف وقديبطش به يبطش ويبطش بماء ، وباطشه مبطشة .

المراد من أن الله صار مسمع العبد وبصره إلخ :

قال ابن حجر في الفتح : « وقد استشكل كيف يكون الباري جل وهلا مسمع العبد وبصره إلى آخره ، والجواب من أوجه :

أحدها أنه ورد على سبيل التمثيل ، والمعنى كنت كسمعه وبصره في إثارة أمري فهو يحجب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح » ^(٢) انتهى الوجه الأول . وأقول :

هذا مع كونه إخراجاً للكلام عن الظاهر البين الواضح فهو مدفوع بالرواية المتقدمة من روايات الصحيح وهي قوله : « فبي يسمع وبني يبصر إلخ » . ومدفوع أيضاً بالرواية المتقدمة وهي قوله : « كنت له سمعاً وبصراً وبدأ ومؤيداً » فإن ذلك التناويل لا يتيسر في مثل هذه الرواية لا سيما مع قوله ومؤيداً ^(٣) .

قال ابن حجر : وثانيها « أن المعنى أن كايته مشغولة بى فلا يصفى بسمعه إلا إلى ما يرضيني ولا يرى ببصره إلا إلى ما أرتبه به » ^(٤) انتهى

(١) فى (أ) سقطت من اللؤاف سهواً ونظم الكلام يقتضيها .

(٢) نفس الصفحة السابقة .

(٣) فى (ب) سقط من الناسخ من أول قوله (فإن ذلك التناويل) إلى

((ومؤيداً)) (٤) ص ٢٩٥ .

وأقول : هذا أقرب من الوجه الأول وأقل تسكلاً وحاصله : أن هذا الكلام خارج عن مخرج التوفيق للمجد إلى طاعات الله وتسميده عن الوقوع في شيء من معاصيه

قال ابن حجر : ولها ، المني ^(١) « أجعل له مقاصده كأنه يخالها بسمه وبصره الخ » ^(٢) انتهى .

وأقول : هذا الوجه بمفعول عن الفاعلة إذ ^(٣) لا مني لتليل المقاصد بل من وبصره بل يمكن تأويله بما تان من المقاصد التي لا يقتضيها إلا الجمع لها أو التسلل إليها وما أقل ذلك ، وهو أن استقام في أئيد والرجل لأن اليد من آلة الأئيد والرجل من آلة الأئيد إلى لسانه كان يعني من هذا أنه كمنه مصيلاً له على تحصيل مطالبه وتقريباً منه قال : ولها : « كنت في النهر » كمنه وبصره وبصره ورجله على عبده « انتهى .

وأقول : الله أعلى وأجل من أنه يكون في مقابلة عبده للضعيف كونه الجوارح الضعيفة ، فرفقه أكبر من أن يكون ، وأجل من كل بخليل وإله يصلح ذلك لو كان المبدأ المساعدة والإتيان ، فإن يقال مثل هذا على من تان صاعداً متقاداً فالتقياد هذه الجوارح لصاحبها ، مثل ذلك لا يصلح في جانب وبب العالم وخالف السهل تعالى وتقدم .

وأيضاً لا يصلح ذلك في بني آدم إلا إذا كان من قال فلان : هو كمنه وبصره هزيراً عليه ، وكان ^(٤) من قال : هو كمنه وبصره قاضياً في جوارحه ، كما يفهمه استخدام الناصح .

(١) في (ب) « أن المني » (٢) ص ٢٩٥ .

(٣) في (ب) (ولا معنى) وهو لا يستقيم معنوياً .

(٤) في (ب) (كمن) من تصحيح أو تصحيف أحد الفقارئين .

قال :

خامسها : قال ألفا كمانى وسبقه إلى مضاه ابن هيرة : « هو فيما ظهر لى أنه (١) هلى حنق مضاف والتقدير كنت حافظ سمعه الذى يسمع به فلا يسمع إلا ما يحل سمعه وحافظ بصره إلى آخره » (٢) .

وأقول : ما أبرد هذا التقدير وأقل جدواه وهلى كل حال فهو يؤول إلى معنى الوجه الثانى . قال :

سادسها : « قال ألفا كمانى تحتل معنى آخر أدق من الذى قبله ، وهو أن يكون معنى سمعه مسموعه لأن المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل فلان أسمى أى أمرلى . والمعنى أنه لا يسمع إلا ذكرى ولا يلند إلا بتلاوة كتابى ، ولا يأنس إلا بما جاتى ، ولا ينظر إلا فى عجائب ملكوتى ولا يمد يده إلا فيما (٣) فيه رضائى ورجله كذلك . وبمناه قال ابن هيرة أيضاً » (٤) انتهى .

وأقول هذا الذى زعمه أدق معنى ، هو أبعد مسافة مما قبله وكون الله عز وجل مسموع العبد وبصره على ما فيه من هوج كيف يصح مثل هذا التأويل فى اليد والرجل مع أن تلك الرواية الثابتة فى الصحيح وهى « فى يسمع وبى يبصر الخ » تدفع هذا التأويل وترده على عقبه .

قال الطوفى (*) : اتفق العلماء من يعتمد بقوله على أن هذا مجاز وكناية هن

(١) فى (ب) لا توجد (أنه) . (٢) ص ٢٩٥ .

(٣) فى (ب) (إلا ما فيه الخ) .

الأعلام

(٥) سليمان بن عبد القسوى بن عبد الكريم الطوفى المصرى من (٦٥٧ - ٧١٦ هـ) فقيه حنبلى من العلماء . له (بغية السائل فى أمهات المسائل) فى أصول الدين ، (الإكسير فى قواعد التفسير) ، و (مختصر الجامع الصحيح للترمذى . خ) فى مجلدين الأعلام ج ٣ ص ١٩٠ .

نصرة العبد وتأيدته ؛ وإطافته حتى كأنه سبحانه نزل نفسه من هبته منزلة
الآلات التي يستعين بها ، ولهذا وقع في رواية « في يسمع وبني يبصر وبني
يبطش »^(١) وبني يمشي .

والإتحادية^(٢) زعموا أنه على حقيقته ، وأن الحق تعالى عين البصيرة . واحتجوا
بمجيء جبريل في صورة دحية . قالوا : فهو روحاني خلع صورته وظهر بظاهر
البشر . قالوا : والله سبحانه أقدر هل أن يظهر في صورة الوجود الكلي
أو بعضه « تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً »^(٣) انتهى .

أقول : هذا الذي ذكره من التنزيل لا يليق بجناحه سبحانه كما قدمناه في
المعبر إلى هذا المجاز بهذا الوجه كما قال الشاعر :

فكنت كالمساحي إلى مثعب^(٤) هوائل^(٥) من سبل^(٦) الأراهد^(٧)

وأما ما حكاه عن الإتحادية فليس ذلك مما يستحق التعرض لردده .

وقال الخطابي^(٨) : هذا مثال^(٩) . والمعنى توفيق الله تعالى لعبده في الأعمال

(١) في (ب) سقطت (بني) قبل (يبطش) .

(٢) في الفتح : قال والاتحادية إلخ .

(٣) الفتح : ص ٢٩٥ .

(٤) المثعب : مسبل الماء بشدة وبكثرة : القاموس .

(٥) طالبا للتجاة .

(٦) السبل محرقة : المطر . قاموس .

(٧) السحاب (٨) في الفتح : « هذه أمثال » .

الأعلام

(٩) أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي المتوفى سنة ٣٨٨ هـ الإمام

المشهور الفقيه الأديب مصنف غريب الحديث ومعالم السنن وغيرها . روى عنه

خلق كثير (اللباب في تهذيب الأنساب ج ٣ ص ٣٧٩) .

التي يباشرها بهذه الأعضاء وتيسر المحبة له فيها بأن يحفظ جوارحه هليته
ويمصمه عن موافقة ما يكرهه^(١) الله تعالى من الإصغاء إلى اللهو بسمعه ومن
النظر إلى ما نهى عنه تعالى ببصره ، ومن البطش فيما لا يهل له بيده ، ومن
السمي إلى الباطل برجله .

وإلى هنا نحا الداودي^(٢) ومنه السكلا بادي^(٣) وهجر بقوله « أحفظه
فلا يتصرف إلا في محالي ، لأنه إذا أحبه كرهه أن يتصرف فيها كرهه
منه » انتهى^(٤) .

وأقول : هذا يرجع إلى الوجه الثاني .

قال ابن حجر :

وسابها : قال الخطاين أيضاً : وقد يكون غير بذلك عن سريرة إجابة
النساء والنسج في اللالب . وذلك أن مساعي الإنسان كلها إما تكون بهذه
الجوارح المذكورة

وقال بعضهم : وهو منزع عما تقدم : « لا تتحرك »^(٥) له جارية إلا في الله

(١) في (ب) (ما يكره)
(٢) في الفتح لا يتحرك .
(٣) (٢) ص ٢٩٥ .

الأعلام

(٥) محمد بن عبد الحى بن رجب الداودي من علماء دمشق توفي سنة ١١٦٨ هـ
الأعلام ج ٧ ص ٥٩ .

(٥٥) محمد بن إبراهيم السكلا بادي البخاري أبو بكر من حفاظ الحديث له
(بحر الفوائد خ) في الحديث ، (التعرف لمذهب أهل التصوف) ج ١ : الأعلام ج ١
ص ١٨٤ توفي سنة ٣٨٠ هـ .

وَلِلَّهِ فِيهَا تَعَالَى بِالْحَقِّ لَاحِقٌ ^(١) أَنْتُمْ

وأقول : هذا الوجه الساج يرجع إلى الوجه الثاني ، كما يرجع إليه قول البعض .

هذا ولا يخفى أنك أن جهل كنت سمعت بمعنى عام دعائه سبحانه إلى طائفة فيه من البصائر لا ينبغي على من يفهم تضافيد الكلام وجوه إعادته . إذا عرفت ما أختصمت عليه هذه الوجوه التي ذكرها ابن حجر في الفتح ، وهرئت ما قلناه في كل وجه منها .

فأعلم أن الذي يظهر لي في معنى هذا الحديث القدسي ، أنه إلهاد الرب سبحانه هذه الأعضاء بنوره الذي تنوح به طرائق المداينة وتنفتح عنده سحب الغواية . وقد نطق القرآن العظيم ^(٢) بأن الله سبحانه هو نور السموات والأرض وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما سئل هل رأى رب قال : « نور أنى أراه » وهو في الصحيح .

وثبت أنه سبحانه تحتجب بالأنوار وثبت في الصحيحين وغيرهما من دهائه صلى الله عليه وآله وسلم إذا خرج إلى الصلاة « أنهم اجتمع في قلبي نوراً وفي بصري نوراً وفي سمعي نوراً وعن يميني نوراً وعن يميني نوراً وفي هسبي نوراً ، وفي لحي نوراً وفي دمي نوراً وفي شعري نوراً وفي بشري نوراً » وزاد مسلم : « وفي لساني نوراً واجعل في نفسي نوراً وأعظم لي نوراً » .

وأى مانع من أن يمد الله سبحانه عبده من نوره فيصير صانئاً من كدورات الحيوانية الإنسانية لاحقاً بالعالم العلوي سامعاً بنور الله مبصراً بنور الله

(١) نفس المصدر والصفحة .

(٢) في (ب) (الكريم) .

باطشاً بنور الله ماشياً بنور الله وما في هذا من منع أو من أمر لا يجوز هلى
الرب سبحانه وقد سأله رسوله^(١)، صلى الله عليه وآله وسلم وعلمه من ربه .
ووصف الله^(٢) عباده بقوله : (نورهم يسمى بين أيديهم - الآية)^(٣) .

وليس في هذا ما يخالف موارد الشريعة ، ولا ما يناهى إدراك عقول
المشرفين العارفين بالكتاب والسنة .

وقد جعل الله سبحانه الخروج من ظلمات المعاصى إلى أنوار الطاعات
خروجاً من الظلمات إلى النور وورد في الكتاب والسنة من هذا الجنس
الكثير الطيب .

فعنى الحديث كنت سمعه بنورى الذى أذف فيه فيسمع سماها لا كما
يسمعه أمثاله من بنى آدم ، وكذلك بقية الجوارح .

وانظر في هذا الدهاء الذى طلبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن
يكون نوراً لله في سمعه وبصره وقلبه وعصبه ولحمه ودهه وشعره وبشره ولسانه
ونفسه ، بل سأل ربه أن يمد بنوره خلفه وأمامه ، فلولا أن لنور الله سبحانه
قوة لجميع الأعضاء ، ما طلبه سيد ولد آدم وخير الخلق

والحال أن الله قد جعله نوراً لعباده فكيف لا يكون ذلك مطلوباً لهائر
العباد لما ينشأ عنه من النفع العظيم ؟ .

فن أمد الله سبحانه بنوره في جميع بدنه صار لاحقاً بالعالم العلوى ومن
أمد عضواً منه بنوره صار ذلك العضو نورانياً .

(١) في (ب) (رسوله الله) .

(٢) في (ب) (سبحانه) بعد لفظ الجلالة .

(٣) التحريم آية : ٨ .

فإن كان من الخواص كان لها من الإدراك ما لم يكن لها من الخواص
التي لم تعد بنور الله عز وجل . وإن كان الإمداد لعضو من الأعضاء غير
الخواص صار ذلك العضو قويا في عمله الذي يعمل به عندئذ إذا عمل به
الإنسان كان عمله صالحا موافقا لما هو الصواب .

فانضح لك بهذا معنى ما في هذا الحديث القدسي أي كنت بما أقيمت على
سمعه وبصره وبذره ورجله عن نوري ، سمع الذي يسمع به وبصره الذي يبصر
به وبذره التي يبطل بها ورجله التي يمشي بها ثم أوضح هذا المعنى بقوله :
« في يسمع وبني يبصر ، وبني يبطل وبني يمشي »^(١) .

قال ابن حجر في الفتح : « وأسنده البيهقي في الزهد عن أبي عثمان [الطبري] »^(٢)

(١) واستأنس لقبول رأي الشوكاني هذا برأي « السيد محمد شيد رضا » في
تاويل هذه المعاني أن هذا من قبيل (والله غالب على أمره) وهو أن يصرف عنه
السوء والفحشاء ويوفق لما يرضيه من الأقوال والأعمال ، فهذا التوفيق والتسخير
يسمى وبصره وبطله ويسمى ويفكر ، لا بهوى النفس وشواتها « رسالة الوفاء
والفقره لابن تيمية » نشر رشيد رضا هامش ص ٢٢ .

(٢) في الفتح . الجيزي ، ص ٢٩٥ ، وفي (ب) (الطبري) ، وفي (أ) (الطبري)
كما نقلها الشوكاني عن ابن حجر ، وصحته (الطبري) وهو أبو عثمان الطبري
النيسابوري وهو سعيد بن اسماعيل بن سعيد بن منصور الطبري النيسابوري وأصله
من الرى . والطبري نسبة إلى (الحيرة) قرية من قرى نيسابور ، وهي غير
الحيرة القريبة من الكوفة بالعراق ، نال مؤسسى الملامية .

وهو في وقته من أوحاد المشايخ في سيرته ومنه انتشرت طريقة التصوف
بنيسابور وتوفي بنيسابور سنة ٣٩٨ هـ ومن مآثوراته (أطوف من الله بوسعك
إلى الله ، والكبر والمعجب في نفسك يقطعك عن الله ، واحتفار الناس في نفسك
مرض عظيم لا يداوى) ص ١٧٠ طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي
(تحقيق نور الدين شريعة) .

أحد أئمة الطريق قال : وهذا^(١) : كنت أصرع إلى قضاء حوائجه من محبة
في الإجماع ودينه في النظر وبيده في الأمن ورجله في المشي .

وحاله بعض متأخري الصوفية على ما يدكرونه من منام الفناء والحو وأنه
الغاية التي لا شيء وراءها ، وهو أن يكون قائماً بإقامة الله تعالى محباً بمحبته له
ناظراً بنظره له من غير أن تبقى معه بقية تعلق باسم أو تتلف على رسم ، أو
تعلق بأمر أو توصف بوصف .

ومعنى هذا الكلام أنه [شهد]^(٢) إقامة الله تعالى له حتى قام ومحبته حتى
أحبه ونظر إلى عبده حتى أقبل ناظراً إليه بقلبه^(٣) .

وحاله بعض أهل الزيف على ما يدكرونه من أن العبد إذا لازم العبادة
الظاهرة والباطنة حتى تصفى من السمكورات أنه يهيم في معنى الحق ، —
تعالى عن ذلك علواً كبيراً — وأنه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد أن الله تعالى
هو الذي كلف نفسه الموحدة لنفسه ، وأن هذه الأسباب والذموم تهيىء عداً
صرفاً في شهوده [وأنه]^(٤) يهيم في الخارج . وعلى الأوجه كلها فلا تمسك فيه
للافتقاد ، ولا للفائدين بالوحدة المطلقة ، لقوله في بقية الحديث : « لئن سألتني
ولئن استعاذني فإنه كانه يرح في الرد عليهم »^(٥) انتهى .

(١) في (ب) (باهناه) .

(٢) في (أ) (يشهد) وليكن (شهد) أقوم .

(٣) ص ٧٤٥ ، ٧٩٦ (٤) في (أ) تسكرت (على) .

(٥) في (ب) « تعدم » وهو سهر من النامسح ، وفي (أ) ، (ب) (أن) بدلي
(أنه) (والرأى أن) (أنه) هي التي تليق بالمقام لأن الكلام على العبد المتجد فإنه
يفنى ، وإنه يفنى في الخارج .

(٦) ص ٧٩٦ .

تحقيق آراء الاتحادية والصوفية:

وأقول : أما ما رواه الشيخين عن أبي عثمان فهو كالرجاء السابع الذي حكمه ابن حجر من الخطابي

وما ذكره من بعض أهل الزيف هو ما ذكره ^(١) الخطابي ^(٢) في كلامه السابق من الاتحادية ، إلا أن هذا لا يكون الاتحاد [فيه] ^(٣) إلا بعد القضاء . وذلك هو اتحاد مطلق من الأصل ^(٤) فكأننا من هذه الحثية قولاً ، ويكون ما حكمه عن بعض متأخري الصوفية قولاً ثالثاً .

فتكون الوجوه التي وجه بها قوله « كنت سمعته اتخ » عشرة ينضم إلى ذلك ما ذكرناه واختارناه فتكون الوجوه أربع عشر وجهاً

وأما ما ذكره من الرد على ما حكمه من بعض أهل الزيف من قوله : لئن سألني واثق استعاذني . فرجه الرد أنه يقتضئ صائلاً ومستملاً ومستعاضاً به . ولعله رحمه الله لم يتأمل هذا الحديث كما ينبغي فإنه لو تأمله لم يقتصر على ما ذكره من القول والاستعاضة ، فإن الحديث كله يرد عليهم فإن قوله : من عادي لي ولما يرد عليهم لأنه يقتضئ وجود معاد ومعادي ومعادي لأجله . ويقتضئ وجود موالي وموالي ، ويقتضئ وجود مؤذن ومؤذن ومحارب ومحارب ، ومتقرب ومتقرب إليه وحيد ومعبود ومحسب ، ومحسب وممكن إلى آخر الحديث .

(١) الذي ذكر ذلك هو الطوفي لا الخطابي فليراجع .

(٢) في (ب) (صقر الخطابي) .

(٣) لا توجد (فيه) في (أ) ولكنها لازمة لاستقامة الأسلوب .

(٤) وهو ما يعبر عنه بمذهب وحدة الوجود .

فهو جميعه يرد على الاتحادية المتمسكين به من حيث لا يشعرون فإن قلت :
لعله اقتصر في الاستدلال على الرد عليهم بذلك الوجه المأخوذ من ذلك اللفظ
لأنه أوضح مما يستفاد منه الرد عليهم في صائر ألفاظ الحديث .
قلت : ليس ذلك الوجه أوضح من غيره حتى يكون ^(١) لتأثيره على ما عدا
مزية ، بل هي كلها مستوية من هذه الحيثية .

بل الوضوح أظهر في قوله : « وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن
نفس المؤمن » فإنه يقتضى وجود متردد ، وتردد فيه وفاعل ، وهو قول وجود
نفس متردد فيها وهي نفس العبد المؤمن وتردد وهو القاضى لها وكاره
الموت وهو المؤمن وكاره لمساوته وهو الرب سبحانه .

منشأ انطباع هذا الاتحاديين :

والحاصل أن قوا الاتحادية يقتضى عقل كل عاقل ببطلانه ، ولا يحتاج إلى
نصب الحججة معهم .

وأصل الشبهة الداحلة عليهم من قول الثنوية ، فإنهم جعلوا إلهين اثنين إله
الظلمة وإله الشر : فإنه الظير النور وإله الشر الظلمة ، وجعلواهما أصل
الموجودات كلها ، فإذا غلب النور صار العبد نورانياً ، وإذا غلبت الظلمة
صار العبد ظلامانياً

وغلوا عن كون هذا المذهب الكفرى يرد عليهم بأدنى بدء ، فإن
الظلمة غير النور ، والشيء الذى حلا به غير هذا الحال . نعم قد يقع الغلط
كثيراً عند إطلاق لفظ الوحدة مع تعدد معانيها ، فإنه يقال وحدة شهود

(١) في (ب) (تسكون) وهو سهو من الناسخ :

ووحدة قصود ووحدة وجود .

فالأولى معناها أنه لا يشهد إلا الله ويقطع النظر عما^(١) سواه ، وهذه وحدة محمود .

والثانية معناها : لا يقصد إلا الله ويقطع النظر عن قصد غيره ، وهذه وحدة محمود .

وأما الثالثة فهي التي جاءت على خلاف الشرع والعقل .

نسأل الله سبحانه أن يهدينا إلى ما يرضيه منا من طريق لا يقدح فيها شك ولا تعترض فيها شبهة ، ولا يكون للشيطان ما لنا سبيل .

فضل السمع على البصر في التأثر والاعتبار :

واعلم أنه لم يكن لدى هند تأليف هذا الشرح شيء من الشرح إلا شرح الفتح لابن حجر رحمه الله ، ولم يذكر فيه وجه تقديم قوله : « كنت سمعه على ما بعده » مع أن الآيات السكونية والعبودية المتعلقة بحاسة البصر أكثر من تعلقها بحاسة السمع .

واعلم وجه ذلك والله أعلم أن الآيات التنزيلية والعبودية القولية إنما تدرك ابتداء بالسمع ولا حظ للبصر فيها ، وكذلك صائر ما شرعه الله^(٢) ابتداء لأنها إما أقوال أو حكاية أفعال وهي لا تدرك ابتداء إلا بالسمع ، فكأن السمع مختصاً بالآيات التنزيلية والعبودية القولية وجميع ما جاءت به الشريعة .

(١) في (ب) (عن سواه) .

(٢) في (ب) زاد الناسخ (سبحانه) .

ولاشك أن ما كان بهذه المنزلة وهي هذه الغاية من شاعر الإدراك أولى من غيره منها وأحق بالتقديم ، مع أنه مشارك للبهر في الآيات الكونية والعبر الخارجية بوجه من الوجوه . لأنه يصف الراصف لمن يسمع ولا يبصر ما يشاهد في الخارج فيحصل له من الاعتبار والتفكير نصيب من ذلك . بخلاف البهر الذي لا يسمع فإنه لا يمكنه إدراك شيء من الآيات التنزيلية ولا من العبر القولية ، ولا من الشريعة المشروعة للعباد من الرب سبحانه ، ومن نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، والله أعلم .

إجابة الدعاء ، من مظائر حجة الله لأبيه (أولاً) :

قوله : « وإن سألتني لأعطيه » باللام والآنون في آخره . وكذلك في رواية « وإن استعذتني لأعفينه » وزاد في رواية عبد الواحد لفظ « عهدي » بعد « سألتني » وفي ضبط استعذتني وجهان : الأول بالنون بعد الدال المعجمة والثاني بالباء الموحدة .

وفي حديث أبي أمامة « وإذا استنصرني نصرته » وفي حديث أنس « وإذا نصحتني نصحت له » .

وفي الحديث دليل على شمول النوافل للأفعال والأفعال ، وقد بينا فيما تقدم بعض ما يدخل تحت لفظ النوافل ، وهي كثيرة جداً يضبطها أن يقال : هي كل ما رغب الشرع فيه أو وعد بالتواب عليه من غير حتم .

وظاهر الصيغتين أعني قوله : « وإن سألتني لأعطيه » ، وإن استعذتني أعنيته . وهو في الرواية الثانية التي ذكرناها أظهر لما فيها من اللام الموحدة القسم . فيجيب له كل مطالب ويمانه من كل ما استعذ منه .

قال ابن حجر في الفتح : « وقد استشكل بأن جملة من العباد والصلحاء

دهوا وبالغوا ولم يجابوا»^(١)

والجواب : أن الإجابة تنوع فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور ، وتارة يقع ولكن بتأخر لحكمة فيه ، وتارة قد تقع الإجابة ولكن بغير المطلوب حيث لا تكون في المطلوب مصلحة ناجزة ؛ وفي الواقع مصلحة ناجزة ، أو أصلح منها »^(٢) انتهى .

وأقول : كان ينبغي له أن يربط هذا التفسير^(٣) بالدليل ، فإنه لا يقبل إلا بذلك وقد أخرج أحمد بإسناد لا بأس به وأبخاري في الأدب المفرد والحاكم من حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ما من مسلم ينصب وجهه لله في مسألة إلا أعطاه الله إياها : إما أن يجعلها له وإما أن يدخرها له »^(٤) .

وأخرج أحمد والبرار وأبو يعلى^(٥) بإسناد جيد والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث أبي سعيد الخدري^(٥) أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم ، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن يجعل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء عظمها »

(١) ص ٢٩٦ (٢) ص ٢٩٦ .

(٣) في (ب) (التفسير) .

(٤) في (ب) سقطت من النسخ (له) .

(٥) في (ب) سقط من النسخ سطر بأكمله من (والحاكم - إلى : قال :).

الأعلام

(٥) أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي أبو يعلى حافظ من علماء الحديث ثقة مشهور . له كتب منها (المعجم خ) في الحديث ومسندان : كبير وصغير . الأعلام ج ١ ص ١٦٤ وتوفي سنة ٣٠٧ هـ .

فقد تضمن الحديث^(١) الأول صورتين . إما التمجيل وإما التناجيل ،
وتضمن الحديث الثاني ثلاث صور : الصورتين المذكورتين في الحديث الأول
والثانية : أن يصرف عنه من السوء مثلها .

وورد أيضاً ما يدل على وقوع الإجابة ولا محالة كما في حديث عائشة هند
الحاكم والبخاري والطبراني في الأوسط والخطيب عنه صلى الله عليه وآله وسلم
قال : « لا حذر من قدر والدهاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء لينزل
فيتلقاه الدهاء فيحتاجان إلى يوم القيامة » قال الحاكم : صحيح الإسناد .
وتعقبه الذهبي في التلخيص بأن زكريا بن موسى أحد رجاله وهو مجمع
على ضعفه

وقال الميثمي في مجمع الزوائد رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه ، والبخاري
والطبراني في الأوسط ورجال أحمد وأبي يعلى وأحمد إسنادي : البخاري رجاله
رجال الصحيح غير علي بن علي الرضا ، وهو ثقة .

وقد قدما ذكر هذا الحديث وذكر ما قيل في إسناده .

وقد تضمن أن الدهاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل . وذلك يشمل دفع كل
البلاء النازل وأنه يحتاج هو والبلاء إلى يوم القيامة .

فيمكن أن يجمع بين الحديث وبين حديث أبي هريرة وأبي سعيد بأن
دفع البلاء يحصل بالدهاء على كل حال .

وأما إذا كان الدهاء في مطلوب من المطالب التي ليست بدفع للبلاء ،
فيحتمل تلك الصور .

ويؤيد هذا الجمع ما أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه ،

(١) في (ب) (هذا) قبل (الحديث) .

والفضياء في المختارة من حديث أنس^(١) عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :
« لا تمجروا في الدهاء ؛ فإنه لن يهاك مع الدهاء أحد » . وقد صححه هؤلاء
الأئمة الثلاثة فلا وجه لمتقب الذهبي بأن في إسناده عمر بن محمد الأسلمي وأنه
لا يعرفه لأنه قد عرف هؤلاء الأئمة ولو لم يعرفوه لم يصححوا الحديث . لسكنه
حكي الذهبي في الميزان عن أبي حاتم أنه مجهول . وقال ابن حجر في لسان
الميزان : إنه أصاغل الحماكم في تصحيحه .

ويجيب عنه بأنه قد صححه معه ابن حبان والفضياء وهما ما هما ؟ . ومعلوم
أنهما لا يصححان إلا حديثاً قد عرفا إسناده . ومن علم حجة على من
لم يعلم .

ومما يدل على إجابة الدهاء على العموم حديث سلمان هند أبي دواود
والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحماكم ، وقال صحيح
على شرط الشيخين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
« إن الله حيي [كرم] يستحي إذا رفع الرجل يديه إليه أن يردهما صفراً
خائبين » . وأخرج الحماكم وقال صحيح الإسناد من حديث أنس قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله حيي كرم يستحي من عبده أن
يرفع إليه يديه ثم لا يضع فيهما خيراً .

وبدل على إجابته على العموم الآيات التي قدمنا ذكرها .

أثر نوافل الصلاة وغيرها في محبة الله لعبده :

قال ابن حجر « في الحديث مقام قدر الصلاة ، فإنه نشأ عنها محبة الله

(١) في (أ) كرر المؤلف (من حديث أنس) .

(٢) في (أ) (كرم) بنفس ذلك الرسم وهو سهو من المؤلف .

تعالى للمعبود الذي تقرب^(١) بها . وذلك لأن محل النجاة القربة ، ولا واسطة فيها بين العبد وربّه ، ولا شيء أقر لعين المعبد منها ، ولهذا جاء في حديث أنس المرفوع : « وجهلت قرة عيني في الصلاة » أخرجه النسائي وغيره بسند صحيح ، ومن كانت قرة عينه في شيء فإنه يود أن لا يفارقه ولا يخرج منه لأن فيه نعيمه وبه تطيب حياته

ولا^(٢) يحصل ذلك للمعابد إلا بالمصابرة على الانصب فإن السالك حروضة^(٣) الآفات والفتور انتهى

أقول : خص في كلامه هذا من بين النوافل نوافل الصلاة مع أن نوافل الصيام والحج والصدقة ونحوها ورد فيها ما ورد في الترغيب في نوافل الصلاة .

وبعضها ورد في نوافله ما أجره أعظم من أجر نوافل الصلاة كما في أحاديث الترغيب في ذلك . وقد قدمنا على ما منها .

ولا وجه لذلك فإن الحديث صرح به يوم النوافل وهي تشمل كل نافلة ، ونوافل كل نوع ما خرج عن فرائضه مع الترغيب في فعله .

فإن قال : إنه خص نوافل الصلاة لما لها من المزية ، فهذه المزية إنما ترتفع بارتفاع ما وهب به عليها من الثواب . وقد ذكرنا أنه ورد في بعض نوافل غيرها ما هو أكثر ثواباً من بعضها .

وما ذكره من الاستدلال بحديث : « وجهلت قرة عيني في الصلاة » فهو

(١) في الفتح (يتقرب) .

(٢) في الفتح : (إنما يحصل ذلك)

(٣) في الفتح (غرض) .

خير مناسب لأن سياق الكلام في بيان عظيم^(١) أجر نوافل الصلاة المصلى وهذا إنما هو شيء يحصل به التلذذ لقابل ذلك . وليس من الجزاء الموعود به

لكن كون الصلاة جملة قرة عين رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم]^(٢) فيها مما يحرك^(٣) نشاط الراضين في الخير إلى الاستكثار منها ، وأن تكون قرة أعينهم في الصلاة كما كانت قرة عينه في الصلاة . وهذه الصلاة التي كانت فيها قرة عين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تتناول الفرائض والنوافل .

وهكذا ، مما يرغب في الصلاة ، قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا بلال أرحنا بالصلاة » أي روحنا بنفعها .

وذلك وإن كان مورد صلاة الفرائض ؛ لكن لنوافلها نصيب من هذا الروح .

قال ابن حجر في الفتح : « وفي حديث حذيفة من الزيادة ، يعني حديث الباب : ويكون من أوليائي وأصفيائي ويكون جاري مع النبيين والمهديين والشهداء في الجنة^(٤) » .

المعصية والقرب التي في هذا الحديث :

وقد تمسك بهذا الحديث بعض الجبهة من أهل التلذذ والرياضة فقالوا :

(١) في (ب) (عظم) .

(٢) في (أ) سقطت (صلى الله عليه وآله وسلم) .

(٣) في (ب) (ما يحرك) (٤) ص ٢٩٦ .

القلب إذا كان محفوظاً مع الله تعالى كانت خواطره معصومة ^(١) الخطأ .
وتعقب ذلك أهل التحقيق من أهل الطريق فقالوا : لا يلبث إلى شيء
من ذلك إلا إذا وافق الكتاب والسنة والصحوة إنما هي الأبداء . ومن
هدام قد يخطئ ، فقد كان عمر رضى الله عنه رأس الملمحين ومع ذلك فتسكن
ربما رأى الرأى فيخبره بعض الصحابة بخلافه فيرجع إليه ويترك رأيه .
فمن ظن أنه يكتفى بما وقع في خاطره عما ^(٢) جاء به الرسول صلى الله عليه
وآله وسلم فقد ارتكب أعظم الخطأ
وأما من بالغ منهم فقال : حدثني قلمي عن ربي فهو أشد خطاً ، فإنه لا يأن
أن يكون قلبه إنما حدثه عن الشيطان والله المستعان ^(٣) انتهى .

من أسلم بآراء أهل الولاية وخواطرهم :

أقول : قد ^(٤) قدمنا في أول هذا الشرح أن أهل الولاية إذا لم تسكن
أعمالهم موزونة بميزان الكتاب والسنة فلا اعتداد بها ، وكردنا ذلك .
ومعلوم أن أولياء الله إذا لم يجعلوا كلامه وكلام رسوله تدوئهم ويشون على
صراطهما السوى لم يصح لهم هذا الانتماء إلى الله عز وجل .

وكيف يكون ولياً [لله] ^(٥) سبحانه من يعرض عما شرعه لعباده ودعاهم
إليه ويشغل بزخارف الأحوال ، وخواطر السوء ووثرها على كلام من هو

(١) في (ب) (عن) .

(٢) (ب) (ب) وهو خطأ واضح .

(٣) الفتح ص ٢٩٦ .

(٤) في (ب) سقطت (قد) من الناسخ .

(٥) في (أ) (وليام سبحانه) . وهو سهو من المؤلف .

ولى له ١٩ فإن هذا هو بالمدر أشبه منه بالولى .

وليس الكلام فيمن كان حاله هذا الخلل ، بل الكلام فيمن يستكثر من أنواع الطاعة التي رغب إليها أنشرع بقيداً لكل موارد ومصادره بالشرع ، فإن لهذه الطاعات أثراً عظيماً في صلاح باطنه ووقوع خواطره في القلب مطابقة للصواب وكيف لا يكون هكذا لقد صار محبوباً لله وكان سمه الذي يسم به وبصره الذي يبصر به وبه التي^(٢) يبغش بها ورجله التي^(٣) يمشي بها ، فبه يسمع وبه يبصر وبه يبغش وبه يمشي كما وقع في هذا الحديث القدسي

وأى رتبة أهل من هذه وأى منزلة أكبر منها ؟ والمحجب في بنى آدم يؤثر محبوبه على نفسه ويقدمه عليها بأبلغ جهده وغاية طاقته حتى قال بعض الحبين لمحبوبه شعراً :

ولو قلت طائفة^{١٣} في النار أعلم أنه رضا لك أو مدن لنا من وصالك
لقربت رجلى أنفحوها ووطيتها هدى منك لى أو ضلة من ضلالك
لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة لقد سررنى أنى خطرت ببالك
وقال آخر :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل دنى ويبضى الخند تقطر من دمي
فوددت تقبيل الرماح لأنها لمعت كبقارق تغرق المتبسم

(١) فى (ب) (اللى) .

(٢) أمر من (وطأ) بمعنى داس أو شى .

وقال آخر :

ذكرتلك والخطي تخطر بيننا وقد نهات منا للفتنة العجم

فإذا كان هذا في الحب البشري الذي هو نوع من أنواع مخلوقات الرب التي لا تدخل تحت حصر ، ولا تنطوق إليها إحاطة ، فكيف لا يصنع الله عز وجل لعبده من تيسر الخير والحماية عن الجنائز ، وحفظ الخواطر من الزبح ما يصير به ملكي الأفعال والأقوال ، وإن كان بشري الخلقة وهو القادر القوي الذي لا يتعاضده شيء .

وما يشير إلى صدق غالب خواطر أهل الإيمان حديث « اتقوا فراسة اللون فإنه يرى بنور الله » وهو حديث حسن كما قدمنا

والحاصل أن الخواطر الكائنة بين أهل الولاية إذا لم تخالف الشرع فينبغي أن تكون مسلمة لهم لكونهم أحباء الله وأوليائه ، وأهل طاعته وعبادته هباده .

واليس لمن كان بالنسبة إليهم كالبيهمة بالنسبة إلى الإنسان ، أو كالإنسان بالنسبة إلى الملائكة أن ينسكروا لهم شيئاً لا يخالف الشرع ، فإن خالف شيئاً منها فهي الجسر الذي لا يصل أحد إلى صرافى الله إلا بالمرور منه ، والباب الذي من دخل من غيره ضل وزل ، وقل وذل .

ياسالكما بين الأسنة والقننا إلى أشم عليك وأهله الدم ولا شك ولا ريب أن من جعل ما أدتن به الله على عبادته الصالحين المستكثرين من فوائد العبادات في هذا الحديث^(٢) من المحبة أهم ، وما ترتب

(١) في (ب) (أنواع) .

(٢) في (ب) سقطت من النسخ (في هذا الحديث) .

عليها عصمة كعصمة الأنبياء مخطيء مخالف للإجماع .

فإن العصمة بهذا المعنى خص الله سبحانه بها رسوله وملائكته ولم يجعلها لأحد من خلقه .

فإن هذا المقام هو مقام النبوة لا مقام الولاية . ولا يخالف في ذلك إلا جاهل أوزائع .

ولكن الشأن فيما تستلزمه هذه المحبة من الرب سبحانه وما يتأثر عن قوله كنت سمعته الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده الذي^(١) يبطش بها . ورجله الذي^(٢) يمشى بها . فإن هذا يدل أبلغ دلالة ويفيد أعلى مفاد أن من وقع له ذلك من جناب رب العزة كان مثبتاً أكمل تثبيت ، وموفقاً أعظم توفيق ، وربك يخلق ما يشاء ويختر ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطى لما منع .

وأما ما حكاه عن بلال منهم فقال : حدثني قلبي عن ربي . فليس هذا من الخواطر ، بل من الرواية المكذوبة والكلام المتفترى إن كان قائله كاذباً العقل .

وإلا فغالب ما تصدر مثل هذه الدهاوى العريضة على المصابين بقولهم ، الخاطئين في إدراكهم ، وليس على مجنون حرج .

وليس أحباء الله سبحانه هم هؤلاء ، بل الكلام في أحبائهم [الذين]^(٣) ذكرهم الله في هذا الحديث القدسي ولسان حالهم :

أهلاً بما لم أكن أهلاً لموقعه قول المبشر بعد اليأس بالفرج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد ذكرت ثم على ما فيك من عوج

(١) في (ب) (التي) .

(٢) في (أ) (الذي) وهو سهو من المؤلف .

الفصل الرابع

قيمة هذا الحديث في باب السلوك والأخلاق

الإحسان والمفروضات الباطنة :

وحكى ابن حجر في الفتح عن الطوفي أنه قال : « هذا الحديث أصل في السلوك إلى الله تعالى ، والوصول إلى معرفته ومحبته ، وطريقة^(١) أداء المفروضات الباطنة وهي الإيمان ، والظاهرة وهي الإسلام ، والمركب منهما وهو الإحسان ؛ كما تضمنه حديث جبريل عليه السلام . والإحسان يتضمن مقامات السالكين من الزهد والإخلاص والمراقبة وغيرها »^(٢) انتهى .

أقول : قد عرفناك فيما سلف أن مما افترضه الله على عباده ترك المحرمات ، فتركها فريضة من فرائض الله سبحانه . فقوله أداء المفروضات الباطنة وهي الإيمان ، والظاهرة وهي الإسلام لا يشمل جميع فرائض الله .

وبيانه أن الإيمان هو كما قاله صلى الله عليه وآله وسلم في جواب من سأله عن الإيمان « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والآخر خير وشيء » ، فلم يشمل جميع المفروضات الباطنة . فإن منها أن لا يتعلق بشيء من الاعتقادات الباطلة ، ولا يحسد ، ولا يصحب ، ولا يتكبر ولا يشوب عمله رياء ، ولا نيته هدم خلوص ، ولا يستخف بما أوجب الله عليه تعظيمه ، ولا ييطان غير ما يظهره^(٣) حتى يكون ذا وجهين ، وغير ذلك من الأمور القلبية التي هي هند من يتفكر في الأمور وينفذهم الحقائق كثيرة جداً . والنكاي^(٤) بها شديد ،

(١) في (ب) (وطريق) .

(٢) ص ٢٩٦ .

(٣) في (ب) (ما يظهر) دون الماء

(٤) في (ب) (والتكليف) .

والوهد عليها هنيء ، والحريص على دينه إذا لم يجاهدها^(١) كلية المجاهدة هلك من حيث لا يشعر . وذهب عليه أجر أعماله الظاهرة وهو لا يدري . فترك هذه هو من أهظم ما افترضه الله على عباده ، وهي غير داخلة في خصال الإيمان التي اشتمل عليها الحديث .

فإن الرجل قد يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والتدبر خيره وشره وهو مشتمل على شيء من هذه المعاصي الباطنة

وبيان ذلك أنك لو كشفت ما هنده في الإيمان بالله لوجدته . مؤمناً لا يعتريه في ذلك شك ولا شبهة ، وكذلك لا يشك في الملائكة وفي كتب الله ورسله ، وكون الأمر بيد الله عز وجل وهو القابض الباسط النافع الضار . فنهذه [يجدها]^(٢) الإنسان عند كل أحد من المسلمين . وإذا كشفت هذه الأدور الباطنة وجدت عباد الله مختلفين فيما لا ينزههم الله سبحانه إلا من قلوب خاصة انحصار .

وما أحسن ما روى عن بعض كفار الهند الوثنية بعد إسلامه أنه قال : « جاهدت نفسي في كسر الوثن الذي كنت أعبده ليلة فغلبتها وكسرتها ، وأنا في جهاد لها نحو عشرين سنة في كسر الأصنام الباطنة فلم أقدر علىها ، ولا نفع جهادي لها أبداً »

ومن فكر في هذا النوع الإنساني وجد غالب مصائب دينه من المعاصي الباطنة ووجد المعاصي الظاهرة بالنسبة إلى الباطنة أقل خطراً وأيسر شراً ، لأنه قد يمنع عنها الدين وقد يمنع عنها الحياء وحفظ الرودة . وأما البلايا الباطنة فهي إذا لم ينزع حاملها وأزاع الدين لم يبق منها لأنها أمور لا يطامع عليها الناس حتى يستعصى ويحاشى ويحافظ على مروهته .

(١) في (ب) (يجاهد نفسه) وهو أوضح .

(٢) في (أ) (يجده) وليس يستقيم .

طهارة الباطن وأثرها في مركز الإنسان من الولاية :

وبالجملة فمن قدر على تصفية باطنه من هذه الأدناس فقد دخل من باب الولاية الكبرى ، وتمسك بأوثق أسبابها لأنه قد خلص من أعظم موانعها ، وأشد القواطع عنها ، وصار باطنه قابلاً لأنوار التوفيق مستعداً للخضر بالمنازل العالية والمزايا الجليلة التي هي أس الولاية العظمى وأساس الهداية الكبرى وركن الإيمان القوي ، وعماد الإخلاص السوي

وإذا تقرر لك عدم احتمال خصال الإيمان على جميع الأنوار الباطنة ، فكذلك^(١) ما ذكره من احتمال الإسلام على الفرائض الظاهرة ، فإنه غير مسلم . لأن الإسلام هو الذي ذكره النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جواب سؤال من سأل عن الإسلام فقال : « أن تقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتحج البيت ، وتصوم رمضان ، وتشهد أن لا إله إلا الله » فقد اقتصر صلى الله عليه وآله وسلم في بيان ماهية الإسلام على هذه الخمس .

والفرائض الظاهرة كثيرة جداً يصعب حصرها ، وتنمسر الإحاطة بها ، وناهيك أن رأس الفرائض الظاهرة الجهاد وليس من جملة الخمس التي اشتمل عليها حديث الإسلام ، فلا تعطيل بذكرها فإنها معروفة لكل ذي علم وفهم .

الطريق إلى طهارة الباطن :

ويحسن أن نبين هاهنا الزواجر عن بعض المعاصي الباطنة حتى يكون ذلك بعد ما قبلناه من التحذير منها كالدواء لدائها الدخال ، وكالتفريق لاسمها القتال .

(١) في (ب) (و كذلك) وهو خطأ .

فألم أن هممة الأهمال التي تترتب^(١) عليها محتما أو فسادها هي النية والإخلاص ، ولا شك أنهما من الأمور الباطنة .

فمن لم تكن نيته صحيحة لم يصح عمله الذي عمله ، ولا أجره المترتب عليه . ومن لم يخلص عمله لله سبحانه فهو مردود عليه مضروب به في^(٢) وجهه ، وذلك كالأعمال التي يشوب نيتها بالرياء ، قال الله عز وجل : « واعبدوا الله مخلصين له الدين »^(٣) . وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يترجوها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة^(٤) في قصة الجيش الذي يفزو السكبة فيخسف بهم ، قالت : قلت يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم ؟ قال : « يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على قدر نياتهم » .

وأخرج ابن ماجه بإسناد حسن من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنما يبعث الناس على نياتهم » وأخرجه أيضا من حديث جابر . وأخرج البخاري وغيره من حديث أنس قال . « رجعنا

(١) في (ب) (ترتب) هكذا دون نقط الياء .

(٢) في (ب) سقطت من النسخ (في) .

(٣) لعلة يريد بذلك قوله تعالى « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء الخ » سورة البينة آية ٥٥ ، لأنه لا يوجد في القرآن آية بذلك المصدر الذي أورده

(٤) في (ب) (رضى الله عنها) .

من غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : إن أقواما خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا إلا وهم معنا حبسهم العذر . وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم » .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عباس عنه صلى الله عليه وآله وسلم : « من هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله عنده سيئة واحدة » زاد^(١) في رواية : « أو محاسنها ، ولا يهلك هلي الله إلا هالك » . وهو في الصحيحين بنحوه من حديث أبي هريرة .

ومن ذلك حديث : « الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار وهم : العالم الذي حلم ليقال له عالم ، والمجاهد الذي جاهد ليقال له جريء ، والرجل الغني الذي تصدق ليقال له جواد » .

وهو من حديث أبي هريرة في الصحيحين وغيرهما بالفاظ . وأخرج أبو دواء والنسائي بإسناد جيد من حديث أبي أمامة قال : « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقال : أ رأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر : ماله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا شيء له ، فأعادها ثلاث مرات ، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا شيء له ، ثم قال : إن الله لا يقبل من العبد إلا ما كان له خالصا ، وابتنى به وجهه » .

وأخرج أحمد بإسناد جيد والبيهقي والطبراني من حديث أبي هند الداري

(١) في (ب) (وفي رواية) .

أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من قام مقام رياء وسمعة رآه الله به يوم القيامة وسمع » .

وأخرج الطبراني في الكبير بأسانيد أحدها صحيح والبيهقي عن عبد الله بن عمرو ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من سمع الناس يملعه سمع الله به سماع خلقه وصغره وحقره » .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث جندب بن عبد الله ^(١) قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « من سمع سمع الله به ^(٢) » من يرأى يرأى الله به » .

وأخرج ابن ماجه والحاكم والبيهقي في كتاب الزهد من حديث معاذ قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : اليسير من الرياء شرك » الحديث قال الحاكم : صحيح ولا هالة له

وأخرج أحمد بإسناد جيد ، وابن أبي الدنيا والبيهقي في الزهد عن محمود ابن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر ؟ قال الرياء ، يقول الله عز وجل ، إذا جرى ^(٣) الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم ترأون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ؟ » .

وأخرج الترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث أبي سعيد

(١) في (ب) سقطت من النسخ (به)

(٢) في (جري) .

الأعلام

(*) جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي العلقمي ، أبو عبد الله له صحبة مات بعد الستين من الهجرة . خلاصة التهذيب ، للمعزرجي . وقرئ التهذيب لابن حجر .

نحوه ، وأخرج ابن ماجه بإسناد رجاله ثقات ، وابن خزيمة في صحيحه والبيهقي من حديث أبي هريرة نحوه أيضاً

والأحاديث الواردة في كون الرياء مبطلاً للعمل موجباً للإثم كثيرة جداً واردة في أنواع من الرياء : الرياء في العلم ، والرياء في الجهاد ، والرياء في الصدقة ، والرياء في أعمال الخير على العموم ، ومجموعها لا يفي به إلا مصنف مستقل .

والرياء هو أضرار المصالح الباطنة وأضرارها مع كونه لا قائدة فيه إلا ذهاب أجر العمل والمقبولة على روعه في الطاعة ، فلم يذهب به مجرد العمل بل لزم صاحبه مع ذهاب عمله الإثم البالغ

ومن كان ثمرة ريائه هذه الثمرة ، وهجرت عن صرف نفسه هذه فهو من ضمت العقول ، وحق الطبع يمكن فوق مكان المشهورين بالحقاقة

ومن الزجر عن الذنوب الباطنة الخارجة عن حديث الإيمان ما أخرجه الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يا أيكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ، ولا تنافسوا ولا تحادسوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا كما أمركم ، للسلم أخوا للسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا والتقوى هاهنا ، ويشير إلى صدره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله » .

وهذه الأمور غالبها من المصالح الباطنة ، ونهايتك أن التقوى التي هي طريق النجاة الكبرى قد صرح صلى الله عليه وآله وسلم هاهنا أنها من الأمور الباطنة ، فإذا كانت النية والإخلاص والتقوى من الأمور الباطنة ، وهي عمدة الاعتماد بالأفعال والأقوال فنهايتك بذلك

وأخرج ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا يجتمع في جوف همد مؤمن خبار في سبيل الله وفيح جهنم ، ولا يجتمع في جوف همد الإيمان والحسد » .

فقد أوضح في هذا الحديث أن الحسد مغاير الإيمان ، فصيح ما ذكرناه من الاهتراض على كلام الطوفي السابق .

وأخرج أبو داود والبيهقي من حديث أبي هريرة ، وأخرجه ابن ماجه من حديث أس عن علي الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » وأخرج الطبراني بإسناد رجاله ثقات عن ضمرة بن ثعلبة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا » ، وأخرج البزار والبيهقي بإسناد جيد من حديث الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « دب إليكم داء الأمم قبلكم : الحسد والبغضاء ، والبغضاء هي الحالقة أما إنى لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين » .

وأخرج ابن ماجه بإسناد صحيح والبيهقي « أنه سئل رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم] ^(١) عن أفضل الناس فقال : التقى النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد » . والأحاديث في هذا الباب كثيرة

وعما ورد في ذم الكبر والعجب حديث هياض بن حار الذي أخرجه مسلم وأبو داود وابن ماجه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد » ، وأخرج مسلم والترمذي من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله

(١) في (أ) سقطت : (صلى الله عليه وآله وسلم) .

صلى الله عليه وآله وسلم : « ما نقصت صدقة من مال وما زاد^(١) الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه » ، وأخرج للترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه من حديث ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات وهو يرى من التكبر والغلول والدين دخل الجنة »

وأخرج ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من تواضع لله درجة يرفعه درجة حتى يجعله فى أهلا علمين ، ومن تكبر على الله درجة يضعه الله درجة حتى يجعله فى أسفل سافلين ، ولو أن أحدكم يعمل فى صخرة صماء ليس عليها باب ولا كسوة يخرج ماغيبه للناس كأنما ما كان . »

وأخرج أحمد والبخارى بإسناد رجاله رجال الصحيح ، والطبرانى عن عمر بن الخطاب^(٢) أنه قال على المنبر : « أيها الناس تواضعوا فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : من تواضع لله رفعه الله وقال : — انتمش نعمتك الله — فهو فى أهين الناس عظيم وفى نفسه صغير ، ومن تكبر قصمه الله ، وقال : اخسأ فهو فى أهين الناس صغير ، وفى نفسه كبير . »

وأخرج مسلم من حديث أبى سعيد وأبى هريرة^(٣) قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يقول الله عز وجل : « العز إزاره والتكبر يابه

(١) فى (ب) (ولا زاد الله . . .) .

(٢) فى (ب) (رضى الله عنه) .

(٣) فى (ب) (رضى الله عنه) .

رداؤه ، فن^(١) نازهنى واحداً ، منهما هذبتنه « ، وفى الصحيحين وغيرهما من حديث حارثة بن وهب قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ألا أخبركم بأهل النار : كل هتل جَوَّاطٍ^(٢) مستكبر » .

وأخرج مسلم والنسائي من حديث أبى هريرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله تعالى يوم القيامة ولا يزكهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، ومالك كذاب ، وهائل^(٣) مستكبر » . وأخرج مسلم والنسائي من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر » . فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ، ونعله حسنة^(٤) قل . إن الله جميل يحب الجمال . الكبير بطار الحق وغط الناس « وأخرج البخارى وغيره من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « بينما رجل من كان قبلكم يحجر إزاره من الخيلاء خسف به فهو يتجملجل فى الأرض إلى يوم القيامة » . وأخرج نحوه البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبى هريرة .

وفى الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله له يوم القيامة فقال أبو بكر : يا رسول الله إن إزارى يسترخى إلا أن أتعاهده ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنك لست بمن يفعله خيلاء » ، والخيلاء ههنا أهل اللغة والشرع الكبير والمجرب . والأحاديث فى هذا الباب كثيرة . وأخرج الشيخان

(٣) فى (ب) (مما) .

(٣) الجواظ . المتكبر الجافى المختال . قاموس .

(٣) هائل : فقير . قال تعالى « ووجدك هائلاً فأغنى » سورة الضحى .

(٤) فى (ب) (حسناً) .

وغيرهما من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « تعبدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا » ، وتعبدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه . وأخرج البخاري من حديث ابن عمر أن رجلا قال له إنا ندخل على سلطاننا فنقول بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عنده فقال : كننا نمد هذا نفاقاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وأخرج أبو داود وابن حبان في صحيحه من حديث عمار بن ياسر (*) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار » . وأخرجه ابن أبي الدنيا (*) والطبراني والأصبهاني (***) من حديث أنس . وأخرجه الطبراني أيضاً في الأوسط من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ [ذو] (١) الوجهين في الدنيا يأتي يوم القيامة وله وجهان من نار .

(١) في (أ) ، (ب) (ذى) .

الأعلام

(*) عمار بن ياسر بن همار بن مالك : أسلم قديماً وكان من المستضعفين الذين يعذبون بمكة ليرجموا عن دينهم ، أحرقه المشركون بالنار وشهد بدراً ولم يشهدا ابن مؤمنين غيره ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومما الطيب الطيب قتل همار بصفين مع علي بن أبي طالب سنة ٣٧ هـ ، صفوة الصفوة ج ١ ص ١٢٥ .

(**) (من ٢٠٨ - ٢٨١ هـ) عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان ابن أبي الدينا القرشي الأموي مولاهم البغدادي حافظ للحديث مكثر من التصنيف ص ٢٦٠ ج ٤ الأعلام .

(***) (من ٥٠١ - ٥٨١ هـ) محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المدني (نسبة إلى مدينة أصبهان) من حفاظ الحديث المصنفين فيه من كتبه (الأخبار الطوال) و (اللطائف) خ في الحديث . الأعلام ج ٧ ص ٢٠٢ .

ومن الأمور الباطنة الخبيثة وقد وردت الأحاديث الصحيحة بأنها من خصال النفاق .

ومن الأمور الباطنة المحبة والبغض والكراهة وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا الله تعالى ، ومن يكره أن يهود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » وفي رواية « وأن يحب في الله ويبغض في الله » .

وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله تعالى يقول يوم القيامة : [أين] ^(١) المتحابون لأجلي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي » وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة في السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله « ومنهم رجلان تمابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه » . وأخرج مسلم من حديثه في الرجل الذي أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعرفه أنه زار أخاه أحبه في الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله قد أحبك كما أحببت فيه « وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي ذر « أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : المرء مع من أحب » .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً ومن ذلك ما ورد في ذم حب الدنيا ومدهح حب الآخرة ، وهي أحاديث كثيرة ^(٢) .

ومن الأمور الباطنة الطيبة وقد صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنها

(١) في (أ) سهى المؤلف عن كتابة (أين) .

(٢) في (ب) سقطت من النسخ (وهي أحاديث كثيرة) .

ترك كما في حديث ابن مسعود وصححه الترمذي وابن عبان .
ومن الأمور الباطنة التوبة ، والأحاديث الواردة في الترغيب فيها
متواترة . ومنها الأحاديث الواردة في مدح الخشية من الله عز وجل .
ومنها الأحاديث الواردة في ذم طول الأمل ومدح قصره . ومنها الأحاديث
الواردة في مدح الخوف من الله عز وجل ، ومراقبته .
ومنها الأحاديث الواردة في مدح حسن الظن بالله ، ولو لم يكن منها
إلا ما في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم قال : قال الله عز وجل أنا همدان همدى بي .
وحديث جابر هند مسلم وغيره أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم
قبل موته بثلاثة أيام يقول : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله
عز وجل » .

ومنها الصبر وقد ورد مدحه وكون الله مع الصابرين والملم^(١) من الأجر
العظيم في الكتاب والسنة .

وبالجملة فاستيفاء الفرائض الباطنة ، والمحرمات الباطنة التي تركها من
الفرائض يطول جدا ، فلم يقتصر على هذا المقدار ، وبه يتبين أن ما ذكره
الطوفي من اشتغال خصال الإسلام على الفرائض الظاهرة ، واشتغال خصال
الإيمان المذكورة في الحديث على الفرائض الباطنة غير صحيح .

مقام الإحسان ولمن يكون :

وأما قول الطوفي : والمركب منهما وهو الإحسان كما تضمنه حديث
جبريل الخ فأقول : وجه تركه منهما أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال في

الاحسان لما سأله السائل عنه : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، فأمره أن يعبد الله سبحانه على هذه الصفة ، وهي كأنه يراه فمجوع الاحسان هو العبادة مع الحضور والمراقبة ومزيد الخشوع فيها .
ولكن لا يخفى أن كون الاحسان يتركب من مجموع الاسلام والايمان مبنى على أن العبادة مع هذه المراقبة تحصل لكل مؤمن ، وهو ممنوع .

فإن هذه رتبة وراء الإيمان بمسافات طويلة ودرجات كثيرة ، لأن الإيمان يحصل بمجرد إيمانه بالله ولا تسكنه وكتبه ورسله والقدر خيره وشره وقد عرفنا أن هذا حاصل لغالب العباد ، ولو كان الاحسان من مجموع الاسلام والايمان لزم أن يحصل لكل مسلم مؤمن ، وأنه إذا لم يحصل له ذلك ولم يعبد الله كأنه يراه لم يحصل الإيمان . وهذا باطل من القول وتكليف بما لا يستطيعه من أهل الايمان إلا من هو التكبريت الأحر والفراغ الأبقع ، وكل عالم بهذه الشريعة الغراء لا يخفى عليه مثل هذا .

فلاحسان هو موهبة يتفضل الله بها على خالص عباده وجلة صفوته وأكابر أوليائه وأهل محبته .

فالذى ينبغي أن يقال : إن الاحسان مشروط بالاسلام والايمان ، وأنه لا يتم إلا لمن حصل له هذان الامران وهو شيء ثالث ، ليس هو عين أحدهما ولا مركب منهما ، وفرق بين الشرط والشرط ، فإن الشرط خارج عن المشروط وإن استلزم عده ، عده بخلاف الشرط فإنه جزؤه الذى تتركب منه مع غيره .

فالطوفى لما صرح بتركيب الاحسان من الاسلام والايمان ، استلزم كلامه هذا ، أنهما جزآن له ، وليس كذلك ، بل هما شرطان له ، من فقدهما أو أحدهما فقد الاحسان كما هو مفهوم الشرط . فلا بد من هذا ، وإلا

استلزم كلامه الباطل ، وهو أن كل من اجتمع له الاسلام والايمان يكون قد بلغ رتبة الاحسان ، وهذا غلط من القول ، وشطط من الرأى ، وهب من النسكليف ثقیل لا ينوء به غالب عباد الله المؤمنين .

مقام الاحسان :

والمراتب تتفاوت بتفاوت هذه المقامات ، وإن كان بينهما فى العلو ما بين السماء والأرضى ، وأعظم محصلات هذا المقام الاحسانى هو الخشوع والخوف والخشية من الله عز وجل كما قال عز وجل : « ولن خاف مقام ربه جنتان » (١) وفى الحديث المتفق عليه فى السبعة الذين يظلمهم الله فى ظله ومنهم رجل دعه امرأ ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله .

وكذلك فى حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فقال صاحب المرأة التى دعه فتركها : « اللهم إن كنت تعلم أنى إنما فعلت ذلك رجاء رحمتك وخشية هذا بك » وهو فى الصحيحين وغيرهما .

وكذلك حديث الرجل الذى أمر أولاده بإحراقه إذا مات فقال له الله عز وجل : « لم فعلت هذا ؟ قال : خشيتك يارب وأنت أعلم بفقر الله له » . وهو فى الصحيحين وغيرهما .

وأخرج ابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن الله سبحانه أنه قال : « وعزتى لا يجتمع على عبد خوفان وأمانان : إذا خافنى فى الدنيا أمنت يوم القيامة ، وإذا أمنتى فى الدنيا أخفته يوم القيامة » .

وأخرج الترمذى وحسنه والبيهقى من حديث أنس قال : قال رسول الله

(١) سورة الرحمن آية : ٤٦ . وفى (ب) لا توجد (عز وجل) بعد قال .

صلى الله عليه وآله وسلم : « قال الله عز وجل : أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خافني في مقام » وأخرج الترمذي وصححه من حديث أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ساعة الله غالية ، ألا إن ^(١) ساعة الله الجنة »

وأخرج البخاري وغيره من حديث أبي ذر ، أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : « والله لو تعلمون ^(٢) ما أهلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً ، وما تلذثتم بالنساء على الفراش ، ولخرجتم إلى العمدات فجارون إلى الله والله لوددت أني شجرة تفضد » وهو في الصحيحين من حديث أنس .

ومن ذلك حديث أنس عند الترمذي وابن ماجه : أنه صلى الله عليه وآله وسلم دخل على شاب وهو في الموت ، فقال : « كيف تجدك » قال : أرجو الله يا رسول الله وإنني أخاف ذنوبي ؛ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : لا ينجيهمان في قلب عبد مؤمن في مثل هذا للوطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف ؛ وإسناده حسن ، وفي إسناده جعفر بن سليمان الضبعي ^(٣) والكنه صدوق . أخرج له مسلم ووثقه الجمهور ، وتكلم فيه قوم منهم الدارقطني .

(١) في (ب) سقطت من النسخ (ألا إن) .

(٢) في (ب) (علمتم) .

الأعلام

(*) (الضبعي) : وردت الضبعي بالصاد في (أ) ، (ب) وفي خلاصة تذهيب السكال (للمحافظ صفي الدين أحمد بن عبد الله الحزرجي الأنصاري : (جعفر بن سليمان الضبعي بضم المعجمة وفتح الباء أبو سليمان البصري الزاهد ، وثقه أحمد وابن معين قال ابن سعد ثقة بتشيع مات سنة ١٧٨ هـ) الطبعة الأولى .

وأخرج أحمد والنسائي والحاكم وصححه من حديث أبي رجالة^(١٠) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « حرمت النار على عيني دمرت أو بكت من خشية الله » وأخرجه الحاكم وصححه من حديث أسد، وأخرج الترمذي وصححه والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث أبي هريرة « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « لا يبالغ النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع » والأحاديث في هذا الباب كثيرة .

ومن أعظم الأسباب للوصول إلى مقام الإحسان الزهد في الدنيا ، وفي ذلك ترغيبات كثيرة^(١١) : ومنها ما أخرجه ابن ماجه من حديث سهل بن سعيد^(١٢) قال : جئت رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « يا رسول الله داني على عمل إذا علمته أحبني الله تعالى وأحبني الناس » قال : ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس ، وفوق إسناد^(١٣) خالد بن عمرو القرشي الأموي السعدي وفيه يقال

وأخرج مسلم وغيره من حديث أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [قال]^(١٤) : « إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله تعالى متخلفكم

(١٠) هو أبو رجالة شمعون بن زيد الأزدي حليف الأنصار مولى رسول الله ﷺ شهد فتح دمشق وسكن بيت المقدس ولم يعرف له تاريخ وفاة .
(خلاصة التذهيب) ص ١٤٣ .

(١) في (أ) تكررت (كثيرة) .

(٢) في (أ) سقطت (الماء) من المؤلف سهواً .

(٣) في (أ) لا توجد (قال) .

الأعلام

(١١) هو سهل بن سعد الخزرجي الأنصاري من بني ساعدة صحابي مشهور من أهل المدينة له في الصحيحين ١٨٨ حديثاً توفي سنة ٩١ هـ (الأعلام ج ٣ ص ٢١٠) .

فيها فينظر كيف يعملون فانقوا الله ، وانقوا النساء » وأخرج مسلم عن عبد الله ابن عمر ^(٢) سأله رجل فقال له عبد الله : « ألك امرأة تأوى إليها ؟ قال نعم قال ألك مسكن تسكنه ؟ قال نعم قال فأنت من الأغنياء ؟ قال فإن لى خادما قال فأنت من للوك » .

وأخرج مسلم والترمذى ، وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « قد أنلج من أصلم ورزق كفافاً وقدمه الله تعالى بما آناه » .

وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً » وفى رواية كفافاً » . وأخرج مسلم من حديث للمستورد ^(٣) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إيمانه هذه فى اليم ، وأشار بالسبابة فلم ينظر بما ترجم » .

وأخرج أحمد بإسناد رواه ثقات والبخارى ، وابن حبان فى صحيحه والحاكم والبيهقى فى الزهد من حديث أبى موسى ^(١) أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من أحب دنياه أضرب آخرته ، ومن أحب آخرته أضرب دنياه ، فأثروا مابقى هلى مابقى » -

(٢) عبد الله بن عمرو بن العاص . صحابى من النساك ، ومن كتاب الوحي ، ولد سنة ٧ قبل الهجرة وتوفى سنة ٦٦ هـ ، وكان كثير العبادة ، له فى الصحيحين ٧٠٠ حديث .

(١) فى (ب) (رضى الله عنه) .

الأعلام

(٣) هو المستورد بن أحنف الفهرى روى عن عبد الله بن مسعود وكان ثقة وله أحاديث (الطبقات الكبرى لابن سعد) ج ٦ ص ١٩٥ .

وأخرج الحاكم وصححه من حديث أبي مالك الأشعري^(*) قال هند موته : يا مفسر الأشعريين : ليبلغ الشاهد الغائب : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « حلوة الدنيا مرة الآخرة ، ومرة الدنيا حلوة الآخرة » .

وأخرج الترمذى وصححه وابن حبان فى صحيحه من حديث كعب بن مالك^(**) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما ذهبان جائعان أرملا فى فتم بأفسد لما عن حرص للره على اللال وللشرف لدينه » . وأخرج الطبرانى وأبو يعلى بإسناد جيد من حديث أبي هريرة نحوه . وأخرج البزار أيضاً بإسناد حسن من حديث ابن عمر نحوه .

وفى الصحيحين وغيرهما من حديث عمرو بن هوف الأنصارى قال : « لما قدم عليه^(١) بجزية البحرين [قال]^(٢) : أبشروا وأهلوا ما يسركم ، فوالله ما أفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » .

وفى الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدرى قال : « جالس

(١) فى (ب) تفسير للضمير من عمل الكاتب أحد القراء كما يلى (على النبي صلى الله عليه وآله وسلم) .

(٢) فى (١) لا توجد (قال) وهى ضرورية

الأعلام

(*) قيل اسمه عبيد ، وقيل عبد الله ، وقيل عمرو بن الحارث ، صحابى ، مات فى طاعون (عمواس) سنة ١٨ هـ . نقيب التهذيب لابن حجر .
 (**) هو كعب بن مالك بن عمرو بن لقيط البدرى الأنصارى الخزرجى . صحابى من أكابر الشعراء من أهل المدينة اشتهر فى الجاهلية ، وكان فى الإسلام من شعراء النبي ﷺ شهد الوقائع . توفى سنة ٥٠ هـ (الأعلام ج ٥ ص ٨٥) .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر ، وجلسنا حوله فقال : إن مما أخاف عليكم ما يفتح^(١) هاتين من زهرة الدنيا وزينتها . وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا أبا ذر . قلت : لبيك يا رسول الله ، فقال^(٢) : ما يسرني أن هندي مثل أحد هذا ذهباً يعطى عليه ثلاثة وهندي منه دينار إلا شيء أرصده لدين إلا أن أقول في هباد الله هكذا ، وهكذا ، من يمينه وعن شماله ومن خلفه ثم سار فقال : إن الأكرنين^(٣) هم الأتقون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا من يمينه وعن شماله ومن خلفه . وقليل ما هم .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما شبع^(٤) نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة حتى فارق الدنيا .

وأخرج الترمذي وقال : حديث صحيح من حديث ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبيت البيت الأبيض وأهله طويلاً لا يجدون عشاء ، وإما كان أكثر خبزهم الشعير . وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة قالت : ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وأخرج أحمد والطبراني برجال ثقات من حديث أنس أن فاطمة رضي الله عنها ناولت النبي صلى الله عليه وآله وسلم كسرة من خبز شعير ، فقال :

(١) في (ب) (أن يفتح) .

(٢) في (ب) (قال) .

(٣) في (ب) (الأكثر) .

(٤) في (ب) (رسول الله) .

« هذا طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام » .

وأخرج ابن ماجه بإسناد حسن والبيهقي بإسناد صحيح من حديث أبي هريرة قال : « أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بطعام سخن فأكل ، فلما فرغ قال : الحمد لله ما دخل بطفي طعام سخن منذ ^(١) كذا وكذا » .

وأخرج الترمذي وقال : حسن من حديث أبي أمامة قال « قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : عرض على ربي عز وجل ليجعل لي بطعام مكة ذهباً ، قلت : لا يارب ، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً أو قال ثلاثاً أو نحو هذا فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعمت شكرتك وحمدتك » .

وأخرج البخاري والترمذي من حديث أبي هريرة قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أيدينا ^(٢) ولم يشبع من خبز الشعير » . وأخرج الطبراني بإسناد جيد من حديث كعب بن عجرة قال : « أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرأيتُه متغيراً قال : فقلت بأبي أنت مالي أراك متغيراً ؟ فقال : ما يدخل جوفي ما يدخل جوف ذات كعب منذ ثلاث ^(٣) » .

وأخرج البخاري عن حديث سهل بن سعد قال : « ما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النقي ^(٤) من حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه الله ، فقيل هل كان لكم في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مناخل ؟ فقال ما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منخلًا من حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه

(١) في (أ) بعد منذ (ألف) زائدة . هو .

(٢) في (ب) سقطت من (أيدينا) من الناسخ .

(٣) في (ب) سقطت من الناسخ (جوف) وهي ضرورة لتكميل المعنى .

(٤) هو الخبر الذي نقي دقيقه فصار أبيض ، ويسمى . الحسوارى صفوة

الله ، فقيل : فكيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول ؟ قال : كنا نطحنه وننفضه فيطير ما طار ، وما بقي نريناه فأكلناه .

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عائشة أنها قالت : « إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين ، وما أوقد في أبيات النبي صلى الله عليه وآله وسلم نار . قال هروء يا خالة فما كان يعيشكم ؟ قالت : الأسودان : التمر والماء . »

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أنس « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عصب بطنه بمصاصة من الجوع . »

وأخرج الترمذي وصححه وابن حبان في صحيحه من حديث أنس قال : قال صلى الله عليه وآله وسلم : لقد أنت هلى ثلاثون من بين يوم وليلة ومالى^(١) ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال . » وأخرج ابن ماجه والترمذي وصححه الطبراني من حديث عبد الله بن مسعود قال : نام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه قلنا^(٢) يارسول الله : « لو اتخذنا لك وطاء فقال مالى والمدينا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استغل تحت شجرة ثم راح وتركها » وأخرجه أحمد وابن حبان في صحيحه والبيهقي من حديث ابن عباس وأخرج نحوه ابن ماجه بإسناد صحيح والحاكم وصححه من حديث عمر بن الخطاب ونحوه من حديث في الصحيح في قصة دخوله على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما [آلى]^(٣) من نسائه وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة قالت « إنما كان فراش رسول الله صلى الله عليه

(١) في (ب) (مالي) فقط دون الواو .

(٢) في (ب) (قلنا) .

(٣) في (أ) ، (ب) (آلا) بالأنف .

وآله وسلم الذي بنام عليه أدماء حشوة ليف . وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي بردة بن أبي موسى قال : « أخرجت لنا عائشة كساءً ملبداً ، وإزاراً غليظاً فقالت : قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذين » والمليد : (المرقع) وأخرج البخاري من حديث عمرو بن الحارث قال : « ما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هديته درهماً . ولا ديناراً ولا عبداً ، ولا أمة ، ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه وأرضاه جعلها لابن السبيل » .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة قالت : « توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودرهه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير » .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث سعد بن أبي وقاص وقال : « إني لأول العرب رحيلاً باسم في سبيل الله ، ولقد كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مالنا طعام إلا ورق الحبلية وهذا السمح حتى إن كان أحداً يضع كما تضع الشاة ماله خلط » [والحبلية (١)] والسمح من شجر البادية .

وأخرج مسلم وغيره من حديث خالد بن عمير العدوي قال : « خطبنا خالد ابن هزوان وفي خطبته ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مالنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا » .

وفي الصحيحين من حديث خباب بن الارت (٥) « أنهم لم يجدوا ما يغطوا

(١) في (أ) (الحبلية) بالميم قبل الحاء ، ولعله سهو من المؤلف فلما في القاموس (الحبلية) كما كتبها المؤلف قبل .
الأعسلام

(٥) كان عبداً ، لأن أنمار امرأة من أهل مكة وأسلم قبل أن يدخل رسول

به رأس مصعب بن عمير^(٥) لما قتل يوم أحد إلا بردة إذا غطوا به رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطوا بها رجله خرج رأسه فأصرهم صلى الله عليه وسلم أن يغطوا بها رأسه^(١).

وأخرج البخاري وغيره من حديث أبي هريرة قال: «لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء، إما إزار أو كساء قد غطوا في أعناقهم منها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ السكبين فيجعله بيده كراهية أن ترى عورته».

ومن الخصال التي يبلغ بها العبد مقام الإحسان: الرفق والأناة والحلم وحسن الخلق وطلاقة الوجه، وإفشاء السلام.

في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة قالت: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله».

وأخرج مسلم وغيره عنها قالت: «قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شاله»». وأخرج

== الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ولقي من المشركين الأذى الكثير والمذاب بالهجر وحاش حتى خلافة علي بن أبي طالب فتوفي سنة ٢٧ هـ وهو ابن ثلاث وسبعين سنة. صفوة الصفوة ج ١ ص ١٦٨.

(١) نلاحظ أن هذا ليس زهدا وإنما هو فقر وضيق ذات اليد فاستدلال الشوكاني بهذه الأحاديث ليس في موضعه.

الأعلام

(*) هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي (رضي الله عنهم) دخل على رسول الله ﷺ دار الأرقم فأسلم وكنم إسلامه وكان من أنعم الناس غيشا قبل إسلامه فلما أسلم زهد في الدنيا وأرسله الرسول إلى المدينة قبل الهجرة يدعو أهلها إلى الإسلام حتى أسلم معظمهم وهو أول من صلى الجمعة بالمدينة. المصدر السابق ص ١٢٥.

مسلم وغيره من حديث جرير بن عبد الله عنه صلى الله عليه وآله وسلم
« من يحرّم الرفق يحرّم الخير زاد أبو داود كذا » .

وأخرج الترمذى وصححه بن حديث أبي الدرداء عنه صلى الله عليه وآله وسلم
« من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير » . وأخرج
البخارى ومسلم وغيرهما بن حديث أنس عنه صلى الله عليه وآله وسلم
قال : « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » . وأخرج البخارى من
حديث أبي هريرة : (عنه صلى الله عليه وآله وسلم : « إنما بهتمم ميسرين ،
ولم تبهموا معسرين » . وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة قالت :
« ما خير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أمرين قط إلا اختار
أيسرهما ما لم يكن إلماً »

وأخرج مسلم بن حديث ابن عباس^(١) قال : « قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم للأعرج « إن فيك خصلتين يحبهما الله : رسول الله الحلم والأناة »
وأخرج مسلم والترمذى من حديث أنس بن سيمان قال : (سألت رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم عن البر والإيمان فقال : البر جس الخلق ، والإيمان ما حاك
في صدرك زكركم أن يطلع عليه الناس) وفي الصحيحين وغيرهما من حديث
ابن عمرو قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاحشاً ، وكان
يقول : (إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً . والأحاديث في الثناء على حسن
الخلق كثيرة جداً .

وأخرج مسلم وغيره من حديث أبي ذر قال : (قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم (لا يحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق) .
وأخرج أحمد والترمذى وصححه من حديث جابر قال : قال رسول الله

(١) في (ب) (رضى الله عنه) .

صلى الله عليه وآله وسلم « كل معروف صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك » وصدره في الصحيحين من حديث حذيفة وجابر .

وأخرج الترمذى وحسنه وابن حبان وصححه من حديث أبي ذر^(١) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « بسمك في وجه أخيك لك^(٢) صدقة الحديث » . وأخرجه البزار من حديث ابن عمر وفي الصحيحين، وغيرهما من حديث عدي بن حاتم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبسكامة طيبة » .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عمر « أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أى الإسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » وأخرج مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم » .

وأخرج الترمذى وقال حسن صحيح من حديث عبد الله بن سلام قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : يأبى الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » ، وأخرج الترمذى وصححه وابن حبان وصححه من حديث ابن عمر قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اعبدوا الرحمن وأفشوا السلام وأطعموا الطعام تدخلون الجنان » . وأخرج الطبرانى وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه

(١) فى (ب) (رضى الله عنه) .

(٢) فى (ب) لا توجد (لك) .

من حديث أبي شريح أنه قال : يا رسول الله أخبرني بشيء يوجب لي الجنة ، قال : « طيب الكلام وبذل السلام وإطعام الطعام » . وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة « قال صلى الله عليه وآله وسلم : حق المسلم على المسلم خمس ، وفي رواية ست ، ومنها إذا لقيتك مسلم عليه » . وأخرج الطبراني في الأوسط بإسناد جيد من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أَعْجِزْ النَّاسَ مِنْ عَجْزٍ فِي الدَّهَاءِ ، وَأَبْخُلِ النَّاسَ مِنْ بَخْلِ بِالسَّلَامِ » . وأخرج الطبراني في معجمه الثلاثة بإسناد جيد من حديث عبد الله بن مغفل^(١) قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أَسْرَقَ النَّاسُ الَّذِي يَسْرِقُ صَلَاتَهُ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : كَيْفَ يَسْرِقُ صَلَاتَهُ ؟ قَالَ : لَا يَتِمُّ رُكُوعُهَا ، وَلَا سُجُودُهَا ، وَأَبْخُلِ النَّاسَ مِنْ بَخْلِ بِالسَّلَامِ » . وأخرج أحمد والطبراني والبيهقي ، وبإسناد أحمد لا بأس به من حديث جابر « وفيه أنه صلى الله عليه وآله وسلم قل للذي امتنع من أن يبيعه هذقة بالجنة : ما رأيت أبخل منك إلا الذي يبخل بالسلام » .

ومن أعظم الأسباب الموصلة إلى مقام الإحسان المداومة على العمل الصالح ، فقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة^(١) أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [قال]^(٢) : « إِنْ أَحَبَّ الْأَعْمَالُ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمَهَا وَإِنْ قَلَّ » .

(١) في (ب) (رضي الله عنها) .

(٢) سها المؤلف في (أ) عنها أي عن (قال) .

الأعمال

(*) عبد الله بن مغفل أبو سعيد (رضي الله عنه) كان من البكائيين ومن

الذين بهم هم إلى البصرة يفتقونهم ، صفوة الصفوة ج ١ ص ٢٨٢ .

مقام الولي وإجابة الدعاء :

ولنرجع إلى شرح الحديث الذي نحن بصدده شرحه فنقول : إن قوله : « ائتن سألني لأعطيه » واثن استعاذني لأهينته » ربما يقال : ما الفائدة في توقف العطية منه عز وجل على السؤال ، والإعانة له على الاستعاذة مع أنه سبحانه المعطي بغير حساب المنفضل على عباده بكل جميل وغالب ما يصل إلى العباد الذين لم تكن لهم مرتبة الولاية المعطى بل الذين هم دونها برأجل ، بل الذين خاطوا على أنفسهم وقهروا فيما يجب عليهم هو من تفضلاته الجملة ونسكرا أنه الفائضة عن غير تقدم سؤال .

قلت : هاهنا ^(١) نكتة عظيمة وفائدة جليلة وهي أنهم إذا أخطوا بعد السؤال وأهينوا بعد الاستعاذة عرفوا أن الله سبحانه قد أجاب ^(٢) لهم الدعاء وتلك منة لا تساويها منة ورتبة تتقاصر عنها كل رتبة وهذا يحصل لهم من المرور ما لا يقدر قدره ويكونون عند هذه الإجابة أعظم مروراً بها من العطية وإن بلغت أعظم ^(٣) مبلغ في الكثرة والنفاسة . وهذا يستكثر من أعمال الخير ويبالغون في تحصيلها لأنهم قد عرفوا ما لهم عند ربهم حيث أجاب دعاءهم وإني نداهم .

وأيضاً قد قدّمنا أن الدعاء هو العبادة بل هو مخ العبادة فالإرشاد إليه إرشاد إلى عبادة جليلة تترتب عليها فائدة جميلة مع ما في ذلك من امتثال الأمر الرباني حيث يقول : (ادعوني أستجب لكم) ^(٤) وقوله سبحانه : (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) ^(٥)

(١) في (ب) (عنا) فقط . (٢) في (ب) استجاب لهم .

(٣) في (ب) (أبلغ مبلغ) . (٤) سورة غافر آية : ٦٠ .

(٥) سورة البقرة آية : ١٨٦ .

ومع ما فيه أيضاً من خلوص عبادة من الاستكبار على ربهم الذي وده
الوهميد هليه بقوله سبحانه : (إن الذين يستكبرون عن عبادتي) ^(١) أي
دهائي كما سبق بيانه .

فكانت الفوائد ثلاثاً :

الأولى : انظر بالمرتبة العالية من كونهم من [مجابى] ^(٢) المدهوة .

الثانية . ما في ذلك من العبادة لله هو وجعل بدائه .

الثالثة : توقيهم ^(٣) لما خوطب به غيرهم من المستكبرين عن الدماء .

ومع هذا فلا شك أن بعض المسببات مرسطة بأسمائها من العظام لا يحصل
للعبد ^(٤) إلا بسبب الدماء . فالولى وإن كان في أعلى مراتب الولاية لا يزال
مأقوده الله بسبب إلا بفعل ذلك السبب فكان في الدماء من هذه الخبيثة فائدة
رابعة لأن العبد لا ينسره أن يقطع بوصول مطلوب من مطالبه إليه حتى
يتترك ^(٥) الدماء لربه هو وجل بأن يوصله إليه .

مقام الهبة وإجابة الدماء :

قال ابن حجر في الفتح : « وفي الحديث أيضاً أن من أتى بما وجب عليه
وتقرب بالزوافل لم يرد دعاؤه لوجود هذا الوعد الصادق المؤكد بالقسم ، وقد
تقدم الجواب عما يختلف ^(٦) . انتهى .

(١) سورة البقرة آية : ١٨٦ .

(٢) في (أ) ، (ب) : (مع من مجابى) وهو خطأ نحوى .

(٣) في (ب) (توقيهم) وهو خطأ كما يفهم من السياق .

(٤) في (ب) سقطت كلمة (للعبد) سهواً من النسخ .

(٥) هنا يترك ، بمعنى : يجعل (٦) ص ٢٩٦ .

أقول : قد قدم ذكر استشكل ما في الحديث من الوعد بالإجابة بأن جماعة من العباد والصلحاء دهاواً وبالفوا ، ولم يجابوا . ثم ذكر ذلك الجواب الذي قدمه وقد منّا الاستدلال على ما ذكره في الجواب . وكان الأولى له أن يقدم ما ذكره هنا على ما ذكره هناك حتى يكون ذلك الاستشكل ، لما أفاده هذا الاستدلال المذكور هنا .

وأقول : هذا الحديث ، ورد ، هم أولياء الله الذين تقربوا إليه بما يحب حتى أحبهم ، وهو مقتضى إجابتهم لأعماله .

ولا يرد عليه ما أورده من عدم إجابة جماعة من العباد والصلحاء ، فإن هذا مقام هو أعلى من مقامهم ، ونزلة هي أرفع من منزلتهم ، ولا ملازمة بين مقام للعبادة والصلاح ، وبين مقام المحبة ، فإن العبادة وإن كثرت وتنوعت قد تقع منه عز وجل الموقع المقتضى لمحبة ، وقد لا [تقع] ^(١) إما لكونها مشوبة بشائبة تكدر صفوها وتمحق بركتها مما لا يعتمد عليه العبادة ، بل يصدر إما على طريق التقصير في علم الشريعة أو التقصير في الخلوص الذي يوصل صاحبه إلى محبة الرب عز وجل .

ولا يخرج على قائل أن يقول : إن من بلغ إلى رتبة المحبة ، وكان الله سمعه وبصره أن يجاب له كل دهاه ويحصل [بغيته] ^(٢) على حسب إرادته . وأى مانع يمنع من هذا ؟ بل كل ما يظن أنه مانع ليس بمانع شره ولا عقلي . ووجود بعض أهل العبادة على الصفة التي ذكرها من كونه دها وبالعز ولم يجب لئس ذلك إلا للمانع يرجع إلى نفسه . ولا يكون المانع الراجع إلى نفسه مانعاً في حق من هو أعلى منه رتبة وأجل منه مقاماً وأكبر منه منزلة .

(١) في () (يقع) وهو سهو من المؤلف . وفي (ب) (الياء) دون نقط .

(٢) في (أ) (بعينه) وهو سهو خطي من المؤلف .

وإذا هرفت انتفاء المانع الذى يعتمد به فى المانعية فقد وجد هاهنا
المقتضى الذى هو أوضح من شمس النهار ، وهو وعد^(١) من لا يخلف الميعاد .
وإذا وجد المقتضى وانتهى المانع حصل المطلوب الذى وجد ما يقتضيه إعمالا
لهذا المقتضى الذى ورد ، وكذا بإقسام الرب سبحانه .

فما أبعد ما جاء به المشككون فى هذا الأمر الذى لا يقبل التشكيك لا شرعا
ولا هقلا بل ولا هادة . فإن من اطلع على أحوال أولياء الله سبحانه وهرف
ما ذكره المؤرخون فى أخبارهم ، وما اشتملت عليه تراجمهم وجد كل ما توجهوا
به إلى ربهم حاصل لهم فى كل مطلب من المطالب كأننا ما كان . والمحروم
من حرم ذلك .

وكيف ترى ليلى بهين ترى بها سواها وما طورتها بالمدايع
وتليد منها بالحديث وقد جرى حديث سواها فى خروث السامع
أجلك ياليلى عن العين إنما أراك بقلب خاشع لك خاضع
أولئك قوم لما دهبوا أجيبوا ولما أحبو^(١) أجبوا ، ولما أخلصوا استخلصوا
صدقت منهم الضائر . فصفت منهم السرائر ، وصاروا صفوة الله فى أرضه
ففاضت عليهم أنواره ، وامتلات قلوبهم من معارفه .

ألا إن وادى الجزع أضغى ترابه من المس كافورا وأهواده رندا
وما ذاك إلا أن هنأ هشة تمشت وجرت فى جوانبه بردا
فلا تجهد نفسك فى كشف حقائقهم ، وذوق دقائقهم حتى تفصل منهم بسبب
وتتمسك من هديهم بطرف فلسان حالهم يأنسك :

(١) وهو قوله : (ولئن سألنى لأعطينه إلخ) .

(٢) فى (ب) (أحيوا) ولا يستقيم مع السياق .

وكم سائل هن سر ايلي رددته بمياء من ليلي بغير يقين
يقولون : خيرنا فانت أمينها وما أنا إن خيرهم بأمين
فهم القوم الذين لا يشقى جليسهم ، ولا يستوحش أنيسهم قد قالوا
مطالبهم برفع أكتفهم إلى خالقهم ، لا يحتاجون في حوائجهم إلا إليه ولا يقولون
إلا هليه .

ونبيت ليلي أرسلت بشفاة إلى فملا نفس ليلي شفيها
أأكرم من ليلي هلي فقر تجي به الوصل أم كنت أمراً لأطيعها ؟
وقول ابن حجر في كلامه الذي نقلناه هنا^(١) أنه قد تقدم الجواب عما
يتخلف . هو كلام لا حاصل له لأن الاستشكال الذي قدمه ، هو على ما يقتضيه
الحديث القهوي الذي نحن بهدد شرحه . فأجاب هن الإشكال بما ذكره
سابقاً من قوله : « والجواب أن الإجابة تنوع : فتارة قد يقع المطلوب بعينه
إلى آخر كلامه » .

فإن كان هذا الجواب منه الذي جعله متنوعاً هو عما أورده من استشكل
ما في هذا الحديث من قوله فيه « إن سألني لأطعنه ولئن استعاذني لأعبدنه »
فكلامه هنا حيث قال : إن من أتى بما وجب عليه وتقرّب بالنوافل لم يردده
دعائه لوجود هذا الوعد الصادق المؤكّد بالقسم هو كلام على ذلك اللفظ الذي
أورد الإشكال عليه . ومجموع كلاميه هما في شرح ذلك اللفظ . فما معنى قوله :
إنه قد تقدم الجواب عما يتخلف ؟ فإن كان التخلف وغير التخلف بالنسبة
إلى الولي الذي وعده الله بذلك فقد تناقض كلامه .

وإن كان مراده أنه قد يتخلف تارة ويقع المطلوب بعينه تارة فكلامه

(١) (ب) سقطت من الناسخ كلمة (هنا) .

(٢) في (ب) (إشكال) .

السابق قد تضمن هذا بل صرح به نصرياً لا يبقى بعده ريب . فما معنى تكرير الكلام بما يوم أن دعاء الولي لا يرد على كل حال ؟

مقام المحبة ومدوامه الدعاء :

ثم قال ابن حجر فيفتح : « وفيه أن العبد ولو بلغ أعلى الدرجات حتى يكرن محبوباً لله لا ينقطع عن الطلب من الله تعالى لما فيه من الخضوع وإظهار العبودية (١) » انتهى

أقول : إذا كان أنبياء الله [صلوات تعالى وسلامه عليهم] (٢) لا ينقطعون عن الطلب من الله (٣) والرجاء له ، وأطوف منه حتى قال سيد ولد آدم صلى الله عليه (٤) وسلم كما صح عنه : « والله ما أدري وأنا ورسول الله (٥) صلى الله عليه وآله وسلم ما يفعل بي » مع أنه الذي خفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . ويقول كما صح عنه من شدة خوفه من ربه (٦) « لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً » الحديث الذي تقدم حتى قال في آخره : « وذدت (٧) ألى شجرة تفض » .

فإذا كان مقام النبوة تفضى هو أهلى مقام وأرفع رتبة ، وليس مقام الولاية بالقسبة إليه إلا كمقام التابع من التبوع والخدام من المخدم ، فكيف يحتاج أن يقال : إنه لا ينقطع عن الطلب من الله عز وجل مع انفراد العصمة عنه ، وثبوتها لمن لم ينقطع عن الطلب من الله سبحانه . بل كان نبينا « صلى الله عليه وآله

(١) ص ٢٩٧ (٢) فى (أ) جاءت مختصرة هكذا (سلم) .

(٣) فى (ب) (سبحانه) بعد لفظ الجلالة .

(٤) فى (ب) (وآله صلى الله عليه وسلم) وإن كان المؤلف فى (أ) نسبها .

(٥) فى (ب)

(٦) فى (ب) عز وجل بعد (من ربه) (٧) (ب) (وذدت) .

وسلم « مديماً لدهاء ربه في جميع أحواله مستمراً على طلب حوائجه الدنيوية والأخروية من خالقه لا يهتريه ملل ولا يتعاق به كال ، وله من العبادة على اختلاف أنواعها مالا يباحته به غيره ، ولا يطاقه سواء .

فكيف ينقطع الولي عن الطلب . فإنه إن فعل ذلك كان ممكوراً به ، ورجم هدوا لله بعد أن كان ولياً له . وبقيضاً له بعد أن كان حبيباً له . « اللهم أحسن هاجتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعباد الآخرة » .

وشأن كل عبد من عباد الله إذا ازداد الله قرباً إلى الله وصار من المحبوبين له أن يزداد خضوعاً له ^(١) وتضرعاً إليه ، وتذللاً وتمسكاً وعبادة . وكما ارتفع عند ربه درجة زاد فيما يحبه الله منه ^(٢) درجات . هذا شأن العبودية .

وإذا كان هذا هو السكائن فيما بين العبد وبيده في بني آدم ، فكيف لا يكون فيما بين العبد وخالقه ورازقه ومهيّيه وممّيته .

ضلال المدهين لرفع التكليف :

وما أقبح ما يحكى عن بعض المتلاهين بالدين المدهين لتصفو أنهم يزعمون أنهم وصلوا إلى ربهم فاقطعت عنهم التكليف الشرعية ، وخرجوا من جيل المسلمين المؤمنين ، وسقط عنهم ما كلف الله به العباد في هذه الدار . فإذا صح هذا ، فما يقوله أحد من أولياء الرحمن ، بل يقوله أولياء الشيطان . لأنهم خرجوا إلى حزبه وصاروا من جملة أتباعه .

فالمعجب هؤلاء المغرورين ، فإنهم رفعوا أنفسهم عن طبقة الأنبياء وطبقة الملائكة ، فإن الأنبياء عالمهم كما عرفناك من إدامة العبادة لله في كل حال .

(١) في (ب) سقطت من الناسخ (له) .

(٢) في (ب) سقطت من الناسخ (منه) .

والإزدياد من المقربات المقربة^(١) إلى الله^(٢) حتى توفاهم الله تعالى .

وكذلك الملائكة فإنهم كما وردت بذلك الآية لا ينفكون عن العبادة لله وصارت أذكاه سبحانه من التسبيح والتهليل هي زادهم الذي يمشون به وهذا هم الذي يتفقدون به .

فأشأ أولياء^(٣) الله سبحانه أن يقع من أحقرهم في هذه المرتبة العظيمة وأدناهم في هذا المنصب الجليل هذا الزعم الباطل ، والله هوى الشيطانية ، وإما ذلك الشيطان رسول لجاهة من أتباعه ومطيعيه وأمنزله ، وأخرجهم من حزب الله إلى حزبه ومن طاعة الله^(٤) إلى طاعته ، ومن ولاية الله سبحانه^(٥) إلى ولايته . وقد رأينا في ترجمة جماعة من أهل الله وأولياءه أنهم سمعوا خطاباً من فوقهم ، ورأوا صورة تسكدهم ، وتقول يا عبادي قد وصات إلى ، وقد أسقطت عنك النكاليف الشرعية بأسرها . فعند أن يسمع منهم المامع ذلك^(٦) يقول : ما أطعت أبها المنكلم إلا شيطاناً ، فأعوذ بالله منك ، فعنه ذلك تتلأفي تلك الصورة ولا يبقى لها أثر .

فقد بلغ كيد الشيطان إلى هذا السكيد العظيم ، والله لم ينفق كيداً هذا هلى أولياء الله سبحانه فردوه في نحره حتى إنه قد يتطايه هذه ذلك إلا أنه شرراً كما وقع لكثير منهم

فهذا الذي يزعم أنه من أولياء الله قد كاده الشيطان بهذه الخيلة واجتنبه

(١) (ب) (المقربات) •

(٢) بعد لفظ الجلالة في (ب) توجد كلمة (سبحانه) •

(٣) في (ب) (أولياء) دون اللام •

(٤) في (ب) بعد لفظ الجلالة كلمة (سبحانه) •

(٥) في (ب) (عز وجل) بدل (سبحانه) •

(٦) في (ب) سقطت من النسخ (ذلك) •

سيفنا المكر ، فانفدع وعاد به فيه ضاللا وعبادته كفراً وعمل خسراناً ، وسبب ذلك ما هو فيه من الجهل بالشريعة المطهرة ، ولولا ذلك لسكان له من أنوار الدين ووجه الشرح ما يرد عنه كيد الشيطان الرجيم ، كما رده أولياء الله فماد خاسفاً وهو حسير .

وقد مر فتلك أن دعوى الولاية إذا لم تسكن مربوطاً بالشرع مقيدة بالكتاب والسنة فكل صاحبها وهو لا يدري ومكر به وهو لا يشعر ووقع في مضارب الله سبحانه وهو يقطن أنه في مواضعه .

وما أحسن قول الشاعر :

فساد كبير عالم متهتك وأفسد منه جاهل منسك
عما فتنة المالمين كبيرة لمن بهما في دينه يتمسك

المراد بتردد الله سبحانه من نفس المؤمن :

قوله : « وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن » في حديث عائشة عن مودة .

التردد : التوقف عن الجزم بأحد الطرفين ولأجل كونه هذا معناه عند أهل اللغة احتياج شراح الحديث إلى تأويله بوجوه .

قال الخطابي : « التردد في حق الله تعالى غير جائز ، والبدا عليه في الأمور غير سائغ ، ولسكن له تأويلات ^(١) » .

« أحاديث ^(٢) : أن النبي قد يشرف على الملائكة في أيام صومه من داء يصبه

(١) في الفتوح : (تأويلان) وهو المستقيم لأن الخطابي لم يورد إلا تأويلين .

(٢) في الفتوح : (أحدها) .

وفاقه قُول به فيدهو الله تعالى ويستغفبه فيشفيه منها ، ويدفع عنه مسكر وهما ،
فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد أمراً ثم ^(١) يبدو له فيتركه ويعرض عنه
ولا بداه من لقائه إذا باخ الكتاب أجله ، ولأن الله تعالى قد كتب الفناء
على خلقه ، واستأنز بالبقاء لنفسه ^(٢) انتهى الوجه الأول .

أقول : ما أورد هنا التأويل رأمحجه ، وأقل [فادته] ^(٣) فإن صدور
الشفاء من الله عز وجل لذلك الذي أصابه الداء شفاء منه ليس من التردد في
شيء ، بل هو أمر واحد وجزم لا تردد فيه قط .

وكذلك إزال المرض به جزم لا تردد فيه فوما قضاء بعد قضاء ، وقدر
بعد قدر ، وإن كانا [با] ^(٤) اعتبار شخص واحد ، فمما يختلفان متبايران لم
يتحداهما ، ولا وقتاً ، ولا زماناً ، ولا صفة ، بل قضى الله على عبده بالمرض
ثم شفاه منه .

فأى مدخل للتردد أو لما يشبه التردد ، أو لما يصح أن يؤل به التردد في
مثل هذا .

وقد ذكر أهل العلم أن التأويل لما احتيج إلى تأويله لا بد أن يكون مقبولاً
على وجه ، وله مدخل على حالة ، وإلا وقع تحريف الكلمات الإلهية والنبوية
لمن شاء كيف شاء ، وتلاهب بهما من شاء بما شاء :

قال الخطابي :

الثاني ، أن يكون معناه : « ما رددت رملي في شيء أنا فاعله كتردي يدي

(١) في (ب) (ولم يبدو له) وهو خطأ في الأسلوب .

(٢) الفتح ص ٢٩٧ (٣) في (أ) (فائدة) وهو اضطراب في الأسلوب .

(٤) في (أ) سقطت (با) من المؤلف .

إمام في نفس المؤمن ، كما روى في قصة موسى عليه السلام ، وما كان من لطمه حين ملك الموت وترده إليه مرة بعد أخرى ، قال وحقيقة المعنى على الوجهين هطف الله تعالى على العبد ولطفه به وشفقته عليه ^(١) انتهى .

أقول : جعل التردد الذي معناه التوقف عن الجزم بأحد الطرفين بمعنى التردد الذي هو الرد مرة بعد مرة ، وهما مختلفان مفهوماً وصدقاً ، فصاحبه : إخراج التردد عن معناه اللغوي إلى معنى لا يلاقيه ولا يلبسه بوجه من الوجوه فليس هذا من التأويل في شيء ، قال في الفتح بعد أن ذكر كلام الخطابي باللفظ الذي حكيناه : « وقال السكلاباذي ما حاصله : أنه هب عن صفة الفعل بصفة الذات أي عن التردد بالتردد ، وجعل متعلق التردد باختلاف أحوال العبد من ضعف ونصب إلى أن تنتقل محبته في الحياة إلى محبته في الموت فيقبض على ذلك .

قال وقد يحدث الله تعالى في قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق إليه والمحبة لائقه ما يشقاق منه إلى الموت فضلا من إرادة السكراة عنده فأخبره أنه يسكره الموت ويسوءه فيكره الله تعالى مساعدته ، فيزيل عنه كراهة ^(٢) الموت بما يورده عليه من الأحوال ، فيأتيه الموت وهو له مؤثر ، وإليه مشتاق . قال : « وقد ورد تفعل بمعنى فعل ، مثل تفكر ، وفكر ، وتدبر ودبر ، وتهدد وهدد والله أعلم » ^(٣) انتهى .

أقول : كلامه هذا قد اشتمل على أمرين : أحدهما هو كالتفسير لما ذكره الخطابي ، ولما كتبه ربطه بنهاية هي قوله إلى أن تنتقل محبته في الحياة إلى محبته في الموت ، فصار كلامه بهذه الغاية أتم من كلام الخطابي ، فإنه إنما جعل

(٢) في الفتح : (كراهية) .

(١) الفتح ص ٢١٧

(٣) ص ٢٩٧

حاصل الوجهين الذين ذكرهما ، هو عطف الله على العبد ، ولطفه به وشفقته عليه .

ويقال للكلاباذى : غاية ما جاء به التأويل الذى ذكرته أن التردد الذى حكاه الله عن نفسه هو انتقال العبد من حالة إلى حالة ، فأخرجت التردد عن معناه ، وأخرجت التردد إلى اختلاف أحوال المتردد فى شئ من الأمور المتعلقة به ، وهذا إخراج للمعنى إلى معنى مغاير له بكل حال وهى كل وجه .

ويقال للخطابى : جماع التردد فى الموت عطف الله على العباد ولطفه به وشفقته عليه ، وهذا معنى لأجامع بينه وبين التردد فى موت العبد ، فإن لطف الله [بعباده] ^(١) وعطفه عليهم وشفقته بهم أمر مقطوع به لا تردد فيه منه من وجوه ، وأما ما ذكره الكلاباذى من قوله : « وقد يحدث الله فى قلب عبده من الرغبة فيما عنده والاشوق إليه إلخ » ، فهو تكرير لقوله قبله إلى أن تنتقل محبته فى الحياة إلى محبته فى الموت ، وقد تدننا الجواب عنه .

وأما قوله : وقد ورد تفعل بمعنى فعل مثل تفكر ^(٢) إلخ فأقول : هذا مسلم فيما لم يخرج منه المبنى إلى معنى آخر ، فإن فسكر ، وتفكر ، لم يخرج عن معنى حصول الفكرة للعبد فى شئ منفكر فيه ، وكذلك دبر وتد فى إيهام واجهان إلى معنى التدبير ، وكذلك هدد وتهدد ، وأما التردد والترديد فلا يرجعان

(١) فى (ب) (على عباده) على أنها كانت مكتوبة أولاً بجاء بعض القراء ووضع فوقها : (بعباده) ، وكذلك فى (أ) (على عباده) ولكن المشهور أن لطف تتعدى بالباء (الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز) .
سورة الشورى آية : ١١ ، أو تتعدى باللام ، كما فى لسان العرب .
(٢) فى (ب) زاد الناصخ (فكرة)

إلى معنى كما بينا، بل لكل واحد منهما معنى مستقل بغير (١) ، معنى (٢) الآخران تدبر وتفكر .

قال في الفتح : « وهن بعضهم : يشتمل أن يكون تركيب الولي يشتمل أنه يعيش خمسين سنة وعمره الذي كتب له سبعون ، فإذا بانها فرض دها الله تعالى بالمائة فيجيبه عشرين أخرى مثلاً ، فبهر عن قدر التركيب وعما انتهى إليه بحسب الأجل المكتوب بالتردد » (٣) انتهى .

أقول : هذا التأويل لم يأت بفائدة تخط فإن العمر الذي هو السبعون لا بد أن يبلغه العبد على اعتقاد هذا القائل سواء كان التركيب محتملاً له أم لا ، وسواء مرضى عند انتهاء عمره إلى خمسين أو لم يمرض ، وسواء دها الله بالمائة أو لم يدع ، فإنه لا بد أن يبلغ السبعين ، وغاية ما هنا أن الله رحمه ولطف به فشفاه من مرضه الذي فرض له وهو في خمسين سنة .

فأى شيء هذا ، وما الجامع بينه وبين معنى التردد المذكور في الحديث ؟ قال في الفتح : « وعبر ابن الجوزي عن الثاني (٤) بأن التردد للهلاكه الذين يتبصرون الروح فأضاف (٥) الحق ذلك لنفسه لأن ترددهم من أمره قال : وهذا التردد يفتأ من إظهار الكرامة ، فإن قيل إذا أمر الملك بالقبض كيف يقع منه التردد ؟ فالجواب أنه متردد فيما لم يجد له (٦) فيه الوقت كأن يقال : لا تقبض روحه إلا إذا رضى » (٧) انتهى .

(١) في (ب) (مقابر) .

(٢) في (ب) (المعنى) . (٣) ص ٢٩٧ .

(٤) (ب) سقطت من النسخ (عن الثاني) .

(٥) في الفتح : (وأضاف) . (٦) في (ب) (يجعل فيه) .

(٧) ص ٢٩٧ .

أقول . انظر مافى هذا الكلام من الخطب والخطاط ، فإنه أولا جعل التردد للملائكة فأخرج الكلام عن معناه إخراجاً لا يبقى المعنى الأصلي معه أثر قط ، وكأنه جملة من الجواز العقلى كقوله بنى الأمير المدينة وهو منه أجنبي ، فإنه قد وقع البناء فى الخارج ، وإنما نسب الفعل إلى [الأمير ^(١)] ، وأما هذا فلم يمكن للتردد لواقع من الملائكة فائدة قط ولا وجد فى الخارج [له ^(٢)] أثر ، ثم قال : وهذا للتردد ينشأ عن إظهار الكراهة ، فيقال : إن كان هذا الإظهار من جهة الرب سبحانه فهو يحتاج إلى تأويل آخر كما احتجج التردد إلى تأويل ، فإن الكراهة لا تجوز عليه بهذا المعنى .

ثم لم يظهر ^(٣) لهذا الإظهار فائدة ، فإن ذلك ^(٤) العهد الذى وقع التردد فى قبض روحه لم يمت إلا بأجله المحتوم من دون أن يتقدم عنه ساحة ، أو بناخر عنه ساحة ، ثم انظر إلى ما أورده على نفسه من قوله : فإن قيل : إذا أصر الملك بالقبض ، كيف يقع منه التردد ؟ وهذا إيراد وارد ، فإنهم لا يصرون الله فيما أصرهم ولا يتراخون عن إنجاز أصره سبحانه ، ثم انظر إلى سوط ما أجاب من أن الملك متردد فيما لم يجد له فيه الوقت ، وكيف يؤصر الملك بفعل خير محدود ثم يسارع إلى فعله ^(٥) .

أما قوله : كأن يتم له : لا تقيض روحه إلا إذا رضى فهو مع كونه بعمل للتأويل بالمرة والكثرة ، ليس الملك أن يفعل إلا ما يرضى به العبد من قبض روحه أو هدمه ، لأنه قد خلق ذلك برضاء ، وعينه لا ينجز الفعل إلا عند الرضى من العبد ، والمفروض أنه يكره الموت كما نفاق به هذا الحديث القدسى ،

(١) فى (أ) (الأمير) ولكن الأمير هى المقصودة ، موافقة لظاهر السياق .
(٢) فى (أ) ، (ب) (له) ولكن (له) هى الصيغة لأنها تعود على التردد .
(٣) فى (ب) (تظهر) (٤) فى (ب) سقطت (ذلك) من الناسخ .

فمنذ أن يعرف الملك أن العبد لا يرضى بقبضى روحه ، مابقى إلا الإمهال له حتى يرضى ، وأن يخالف الوقت المحدود لموته .

وحينئذ ينفتح إشكال أكبر من هذا الإشكال الذى هم بصدد تأويله .

قال فى الفتح : « ثم ذكر ابن الجوزى جواباً ثانياً وهو احتمال أن يكون معنى التردد اللطف به كأن الملك يؤخر القبض ، فإنه إذا نظر إلى قدر المؤمن وهظم المنفعة به لأهل الدنيا احتقره فلم يبسط يده إليه ؛ فإذا ذكر أمر ربه تعالى ^(١) لم يجد بداً من امتثاله ^(٢) » انتهى .

أقول ^(٣) هذا اللطف الذى بنى عليه هذا الجواب لم يظهر له أثر ، ولا تبين له معنى ، فإن الملك وإن تردد فهو لا محالة سيقبض الروح فى الوقت المحدود ووقوع ذلك الشيء فى نفسه لم يجد له العبد فائدة ولا علم به فضلاً عن أن ^(٤) يصل إليه منه منفعة .

فهذا اللطف ليس بلطف أصلاً ، وإن ^(٥) فرضنا أنه ^(٦) بتلك الرأفة على العبد ، لسكونه ممن ينتفع العباد به ، كان بها تأخير قبضى روح العبد لحظة وأن مجرد ذلك يمد لطفاً ، فإنه يرد عليه إشكال أعظم من الإشكال الذى هم بصدد تأويله ، وهو أن الأجل المحتوم قد تأخر هن وقتاً بسبب تراخى الملك عن إنفاذ أمر الله به ، وحاشا للملك أن يكون منه هذا ، وحاشا الأمر الإلهى أن لا يجز حسب المشيئة الربانية ، فما أحق صاحب هذا التأويل ، بقول الشاعر :

فكنت كالسهمى إلى منعب موائلا من سبيل الراحه

(١) فى الفتح (لا توجد) (تعالى) (٢) ص ٢٩٧ .

(٣) فى (ب) (قلت) . (٤) فى (ب) (تصل)

(٥) فى (ب) (ولو) . (٦) فى (ب) (أن)

قال في الفتح : « وجواباً ، رابعاً ، وهو أن يكون خطاباً ، لنا بما لعقل ،
والرب عز وجل ^(١) يتنزه عن حقيقة ، بل هو من جلس قوله : « ومن ^(٢)
أتاني شيء أتيت به رولة » فكما أن أحداً يريد أن يضرب ولده تأديباً فتمنعه
الحبة وتبسمه الشفقة فيتردد بينهما ، ولو كان غير الوالد كالمعلم لم يتردد بل كان
لا يبالى ، بل يبادر إلى ضربه لتأديبه ، فأريد تفهيمنا بتحقيق الحبة أولى
بذكر التردد ^(٣) » انتهى .

أقول : هذا التأويل هو أحسن مما تنضم من تلك الوجوه ، فإنهم قد أولوا
مالا يجوز هل الله سبحانه من مثل التعجب والاستفهام ونحوها مما يرد هذه
الموارد بأن ذلك بالنسبة إلى العباد الخاطئين .

ولكن المقام الذي نحن بصدد ، هو مقام أولياء الله وأحبائه وصفوته
من خلقه ، وخاصته من عباد .

وفيه الترغيب للعباد بأن يحرصوا على هذه الرتبة ، وعلى البلوغ إليها
بما تبلغ إليه طاقتهم ، وتصل إليه قدرتهم ، ولا يألون جهداً في تحصيل أصباها
الموصلة إليها من التقرب إلى الله سبحانه بما يجب .

فلا بد أن يكون لذلك التردد فائدة تعود على الولي حتى يكون ذلك سبباً
لنمط العباد إلى بلوغ رتبته .

وأما إذا كان يموت بأجله المحتوم فهو كغيره من عباد الله من غير فرق
بين سعيدهم وشقيهم وصالحهم وطالحهم .

قال في الفتح : « وجوز الكرماني احتمالاً آخر وهو أن المراد أنه

(١) في (ب) (متنزه) .

(٣) ص ٢٩٧ .

(٢) في (ب) (وإن) .

يقبض روح المؤمن بالتأني والتدريج بخلاف سائر الأموات^(١) فإنها تحصل بمجرد قول كن صريحا^(٢) انتهى .

أقول : هذا التأني والتدريج إن كان له تأثير في الأجل ولو يسيرا رجع الإشكال بأعظم مما نحن بهمة له لأنه قد تأخر عن وقته المحدود وأجله المعلوم . وإن كان لا تأثير له فلا نفع فيه للعبد أصلا بل قد يكون قبض روحه دفعة واحدة من غير تراخ ولا تدريج أسهل عليه من قبضه على خلاف ذلك : فإن قلت إذا لم ترض شيئا من هذه التأويلات فأين لنا ما لديك حتى ننظر فيه : قلت : ستعرف ما لدى في ذلك إن شاء الله لكن لا بد ها هنا^(٣) من تقديم مقدمة يتضح بها الكلام ، ويتمين بها الصواب ، نافعها حتى فهمها وتدبرها حتى تدبرها .

أعلم أن كثيرا من أهل العلم لمسا نظروا في آيات وأحاديث تدل على أن ما قد سبق به القضاء لا يتحول ، وأنه ليس في هذه الدار إلا ما قد فرغ منه من قليل وكثير وجليل ودقيق مما انظره على ما ورد مما يدل على ذلك ، ووقفا هذه قواعد مقرونة قد تقررت عند أهل الكلام حتى قال قائلهم إنه لو وقع غير ما سبق به العلم وفصل به القضاء للزم لازم باطل ، وهو انقلاب العلم جهلا ، لتخلف ما قد سبق به القضاء .

لا تلازم بين علم الله ونفاذ قضائه :

فقصروا أنظارهم على هذا الإلزام وفعلوا عن لزوم ما هو أشد منه ، وهو أن الرب القادر النوي تصرف في عالمه بما يشاء ، وكيف يشاء لم يبق لأحد وجل

(١) في الفتوح (الأمور) (٢) ص ٢٧٩ .

(٣) في (ب) (هنا)

إلا ما قد سبق به قضاؤه ، ولا يتمكن من تغييره ولا من نقله إلى قضاء آخر .
وهذا تقصير عظيم بالجانب العلى عز وجل وتعالى وتقدس وهو يستلزم إهمال
كثير من الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة .

فمنها إهمال ما أرشدنا إليه سبحانه من التضرع إليه ولدهاء له لأنه ليس
الداعي إلا ما قد جف به القلم دعا أو لم يدع . وهذه مقالة تبطل بها فائدة الدعاء
الذى أرشدنا سبحانه إليه في كتابه العزيز وقال : « ادعوني أستجب لكم » ،
وجعل ترك دعوته من الاستكبار عليه ، وتوعد عليه ، كما قال ^(١) : « إن الذين
يستكبرون عن عبادتي الآية » وقال : (أم من يجيب المضطر إذا دعاه) ^(٢)
وقال : « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » .
الدعاء كسب لرد القضاء :

فأخبرنا سبحانه أنه يجيب دعوة من دهاه بعد أن أمرنا بالدعاء في آيات
كثيرة ، ومنها هذا الحديث القدسي الذى نحن بصدد شرحه ، فإنه قال فيه .
« لئن سألتني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأهيئنه » . وهو صادق ولا يخلف
الميماد كما أخبرنا بذلك في كتابه العزيز .

وقد أكد الإجابة منه للأبد في هذا الحديث القدسي بالقسم على نفسه
عز وجل . فكيف يتخلف ذلك .

وقد ورد من الترغيب في الدهاه ما لو جمع لكان مؤلفا مستقلا ، فمن
ذلك . ما هو في الصحيحين وغيرهما ومنها ما هو صحيح كما ستقف عليه .
فمن ما في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله

(١) في (ب) (بقوله) .

(٢) في (ب) زاد الناسخ جزءا من الآية بعد ذلك وهو (ويكشف السوء)

صلى الله عليه وآله وسلم قال الله عز وجل : « أنا هندی ظن هندی ، وأنا معه إذا دعاني » . وفي الحديث القدسي ، الذي أخرجه مسلم وغيره عن أبي ذر^(١) . « يا هادي لو أن أولسكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد فسألوني فأعطيت كل إنسان منهم مسألته ما نفص ذلك مما عندي إلا كما ينقص الخيط إذا أدخل البحر » وأخرج أهل السنن وابن حبان والحاكم ، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم من حديث الثعلبي بن بشير عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « الدعاء هو العبادة ثم قرأ : (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) : وأخرج الترمذي والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة^(٢) أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من سره أن يستجيب الله له هندی الشدائد فليكثر من الدعاء في الرخاء » وأخرجه أيضاً الحاكم من حديث سليمان ومحمد . وأخرج الترمذي وحسنه من حديث أنس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول قال الله : « يا ابن آدم ، إنك مادعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان ولا أبالي » .

وأخرج الترمذي والحاكم وصححه من حديث عبادة بن الصامت « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها ، أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، فقال رجل من القوم : إذا نكثت قال : الله أكثر » .

وأخرج أحمد بإسناد لا بأس به من حديث أبي هريرة قال : قال رسول

(١) للمؤلف كتاب على ذلك الحديث اسمه (نثر الجواهر على حديث أبي ذر) ألفه (هام ١٢٤٠) وهو مصور بدار المكتب المصرية (رقم ٣٣٤٧٣ ب) وقد شرح ذلك الحديث فيه متعرضاً لما يتصل به من نواح كلامية وتصوفية وغيرها .
(٢) في (ب) (رضى الله عنه) .

الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما من مسلم ينصب وجهه لله عز وجل في مسألة إلا أخطأها إياه : إما أن يعجلها له ، وإما أن يدخرها » . وأخرج أحمد والبخاري وأبو يعلى بأسانيد جيدة والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أخطأه الله بها إحدى ثلاث : إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها . قالوا : إذن فكثير . قال الله أكثر » .

وأخرج ابن حبان في صحيحه ، والحاكم وصححه ، والضياء في المختارة من حديث أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تعجزوا في الدهاء فإنه إن يهلك مع الدعاء أحد » . وأخرج الحاكم وصححه من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض » . وأخرجه أبو يعلى من حديث علي . وأخرج الترمذي والحاكم وصححه من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة ، وما سئل الله شيئاً أحب إليه من أن يسأل العافية والدعاء ينفع مما نزل ، ومما لم ينزل فمليكم هبادة الله بالدعاء » . وفي إسناد هبة الرحمن بن أبي بكر المليكي وفيه مقال . وأخرج أبو داود والترمذي وحسنه ، وابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وصححه من حديث سلمان^(٢) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله حي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبين » .

(١) في (أ) نسي المؤلف (الراء) من (رسول) .

(٢) في (ب) توجد (رضى الله عنه) .

وأخرج الحاكم وصححه من حديث أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله رحيم كريم يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه ثم لا يضع فيهما خيرا » . وأخرج أبو داود والترمذي وصححه والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من نزلت به فاقة ، فأنزله بالناس لم تسد فاقته ، ومن نزلت به فاقة فأنزله بالله فيوشك الله له برزق عاجل وآجل » .

وأخرج الترمذي وابن أبي الدنيا من حديث ابن مسعود^(١) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل » . وأخرج الترمذي من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الدعاء منج العباد » . وأخرج أبو يعلى من حديث جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ألا أدلكم على ما ينجيكم من هدمكم ويدرككم أرزاقكم تدهون الله في ليلكم ونهاركم ، فإن الدعاء سلاح المؤمن » . وأخرج أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « سمع رجلا يقول : اللهم إني أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد فقال : لقد سألت الله بالاسم الذى إذا سئل به أهدى ، وإذا دعى به أجاب » .

وأخرج الترمذي وقال : حسن من حديث معاذ « قال سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلا وهو يقول : يا ذا الجلال والإكرام فقال : قد استجيب لك فسل » . وأخرج الحاكم بن حديث أنى أمانة قال : « قال

(١) فى (ب) (رضى الله عنه)

« رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الله ملكا موكلا بقول : يا أرحم الراحمين فن قالها ثلاث مرات قال الملك : إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسل » .

وأخرج أحمد وأبو داود واللساني ، وابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وصححه من حديث أنس قال : « مر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأبي عياش زيد بن الصامت الزرق وهو يصلي وهو ^(١) يقول : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض إذا الجلال والإكرام ، يا حي يا قيوم : فقال رسول صلى الله عليه وآله وسلم : لقد دعا الله باسمه الأعظم ، الذي إذا دعي به أجاب » :

ومن ذلك ما ورد في إجابة دعوة المظلوم على ظالمه ، والأب على ولده ، وورد أيضاً أن جهالة لا يرد دعاؤه ، والأحاديث بذلك صحيحة ثابتة . والأحاديث في هذا الباب كثيرة وفيها الترغيب في الدعاء ومحبة الله له ، حتى أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعاً : « من لم يسأل الله بغضب عليه » وأخرج ابن أبي شيبة من حديثه « من لم يدع الله غضب عليه » .

فلو لم يكن الدعاء نافعا لصاحبه ، وأن ليس له إلا ما قد كتب له دعا أولم يدع لم يقع الوعد بالإجابة وإعطاء المسألة في هذه الأحاديث ونحوها ، بل قد ثبت أن الدعاء يرد القضاء كما أخرجه الترمذي وحسنه من حديث سلمان أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر » وأخرجه أيضاً ابن حبان في صحيحه ، والحاكم وصححه ، وأخرجه أيضاً الطبراني في الكبير ، والضياء في المختارة .

وأخرج ابن أبي شيبة وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه والطبراني

(١) في (ب) لا توجد (وهو) .

في الكبير من حديث ثوبان « لا يرد القدر إلا الداء ، ولا يزيد في العمر إلا البر وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » .

وأخرج البزار والطبراني والحاكم وصححه وأبزار من حديث عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يفتى حذر من قدر ، والداء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وأن البلاء لينزل ، فيتلقاه الداء فيعتلجان إلى يوم القيامة » .

فهذه الأحاديث وما ورد موردها قد دلت على أن الداء يرد القضاء فما بقي بعد هذا ؟

ومن الأدلة التي تدفع ما قدمناه من قول أولئك القائلين ما ورد من الاستمادة من سوء القضاء ، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما ، أنه كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « اللهم إني أعوذ بك من سوء القضاء ، ودرك الشقاء ، وجهد البلاء وشماتة الأعداء » . وقد قدمنا هذا الحديث .

فلو لم يكن للعبد إلا ما قد سبق به القضاء لم يستعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سوء القضاء .

ومن ذلك حديث الدعاء في التوراة وفيه : « وقني شر ما قضيت » . وهو حديث صحيح ، وإن لم يكن في الصحيحين حسبنا الإشارة إليه .

ومن الأدلة التي ترد قول أولئك القائلين ما ورد في صلاة الرحم ، ففي الصحيحين وغيرهما من حديث أس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من أحب أن يبسط له في رزقه ، وينسأ له في أثره فليصل رحمه » . قوله ينسأ : بضم الياء وتشديد الميم المهملة مهموز أي يؤخر له في أجله . وأخرجه البخاري وغيره من حديث أبي هريرة .

وأخرج البزار والحاكم وصححه من حديث ابن عباس^(١) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مكتوب في التوراة : من أحب أن يزاد^(٢) في عمره ويزاد في رزقه فليصل رحمه » .

وأخرج أحمد بإسناد رجاله ثقات عن عائشة^(٣) أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « صلة الرحم وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار » وهو من طريق عبد الرحمن بن القاسم^(٤) ولم يسمع عن عائشة . والأحاديث في هذا الباب كثيرة .

فلو لم يكن للعبد إلا ما قد سبق له لم يحصل له الزيادة بصلة رحمه ، بل ليس له إلا ما قد سبق به القضاء ، وصل رحمه أو لم يصل ، فيكون ما ورد في ذلك لغواً لا عمل عليه ولا صحة له .

ومن الأدلة التي ترد قول أولئك ما ورد من الأمر بالتداوى ، وهي أحاديث ثابتة في الصحيح . فلولا أن لذلك فائدة كان الأمر به لغواً .

إذا هرفت ما قد مناه فاعلم أن الله سبحانه قال في كتابه العزيز : (يحو الله ما يشاء ويثبت وهنه أم الكتاب)^(٥) . وظاهر هذه الآية العموم المستفاد من قوله ما يشاء ، فما شاء سبحانه مما قد^(٦) وقع في القضاء وفي الأورح المحفوظ بحاه ، وما شاء أثبته . ومما يستفاد منه مثل معنى هذه الآية قوله عز وجل :

(١) في (ب) (رضى الله عنه) (٢) في (ب) (يزاد له) .

(٣) في (ب) (رضى الله عنها) .

(٤) سورة الرعد : ٣٩ (٥) في (ب) سقطت (قد) .

الأعلام

(٦) عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التميمي القرشي ، من سادات أهل المدينة فقهاً وعلماء وديانة ، وحفظاً للأحاديث وإتقاناً . توفي بالمشام سنة ١٢٦ هـ الأعلام ج ٤ ص ٩٧ .

﴿ وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب ﴾^(١) ، وقوله عز وجل :
﴿ ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ﴾^(٢) .

وقد أجاب أولئك القوم الذين قدمنا ذكرهم^(٣) عن الآية الأولى
بجوابات : منها أن المراد : يمحو ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه
ويبدله : ويثبت ما يشاء فلا يلمسه ولا يبدله . وجلة الناسخ والمنسوخ عنده
في أم الكتاب .

ويجاب عن ذلك بأنه تخصيص عموم الآية بغير مخصص . وأيضاً يقال لهم :
إن الفلم قد جرى بما هو كائن إلى يوم القيامة كما في الأحاديث الصحيحة .
ومن جملة ذلك الشرائع والفرائض ، فهي مثل العمر إذا جاز فيها المحو
والإثبات جاز في العمر المحو والإثبات .

وكل ما هو جواب لهم عن هذا فهو جوابنا عليهم .

ومنها أن المراد بالآية محو ما في ديوان الحفظ مما ليس بحسنة ولا سيئة
لأنهم أمرون بكتب ما ينطق به الإنسان .

ويجاب عنه الجواب الأول ، ويلزم فيه مثل اللازم الأول ، وجميع ما ينطق
به بنو آدم من غير فرق بين أن يكون حسنة أو سيئة أو لا حسنة ولا سيئة
هو في أم الكتاب ، و (ما يلفظ)^(٤) من قول إلا لديه رقيب عتيد^(٥)
﴿ وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾^(٦) ، (ما فرطنا في الكتاب من شيء)^(٧)

(١) سورة فاطر : ١١ (٢) سورة الأنعام : ٢ .

(٣) علماء الكلام .

(٤) في (ب) (ينطق) وهو خطأ واضح يخالف لما في المصحف .

(٥) سورة ق : ١٨ (٦) سورة يس : ١٢ .

(٧) سورة الأنعام : ٣٨ .

— ٥٥٥ —

ومنها أن المراد أن الله يغفر ما يشاء من ذنوب عباده ، ويترك ما يشاء فلا يغفره . ويجاب عنه بمثل الجواب السابق .

ومنها أن المراد يحو ما يشاء من القرون فيمحور قرنا ويثبت قرنا كقوله : (ألم يروا كم أهلكننا قبلهم من القرون)^(١) وقوله : (ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين)^(٢) ويجاب عنه بمثل ما تقدم .

ومنها أن المراد الذي يعمل بطاعة الله ثم بمصيبته فيموت [فيموت]^(٣) هل ضلّاه فهذا الذي يحوره الله والذي يثبت : الرجل يعمل بمصيبة^(٤) الله ثم يتوب فيمحوره من ديوان السيئات ويثبت في ديوان الحسنات . ويجاب عنه بما تقدم ، ويلزم فيه ما يلزم في الأول وما بعده بلا شك ولا شبهة .

وأى فرق بين محو السيئة وإثبات الحسنة ، وبين محو أحد المعرّين

وإثبات الآخر .

ومنها أن المراد يحو ما يشاء بمعنى الدنيا ويثبت الآخرة . ويجاب عنه بما تقدم . وإذا تقرر لك هذا عرفت أن الآية هامة ، وأن العمر فرد من أفرادها . ويدل على هذا التاميم ما ثبت عن كثير من أكابر الصحابة [أنهم]^(٥) كانوا يقولون في دعائهم : « اللهم إن كنت قد أثبتني في ديوان الأشقياء ، فانتقلني إلى ديوان السعداء »^(٦) ونحو هذه العبارة من عباراتهم وهم جمهور قد جمع بعض الحنابلة فيها ورد عنهم من ذلك مجلداً بسيطاً .

(١) سورة يس ٣١ (٢) سورة المؤمنون : ٣١ .

(٣) في (١) لا توجد (فيموت) الثانية وهي لازمة لسلامة الأسلوب وقوة المعنى .

(٤) في (ب) (بمصيبة) دون لفظ الجلالة .

(٥) في (أ) (أنه) ولا يستقيم .

(٦) في (أ) (السعد) دون مدة . وهو سهو من المؤلف .

وبالجملة فالقول بالتحصيص بغير تخصيص هو من التثنية هل الله بما لم يقل لأن الذي قاله هو ذلك اللفظ المام ، وتلك الآية الشاملة فتعبرها هل بعض مدلولاتها بغير حجة نيرة لا شك أنه من التثنية هل الله بما لم يقل . وقد قال سبحانه : (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا هل الله ما لا نعلمون)^(١) .

وأجابوا عن قوله تعالى : وما يعمر من معمر ، ولا ينقص من عمره إلا في كتاب) ، بأن المراد بالمعمر الطويل العمر ، والمراد بالمنقوص قصير العمر .

وبجواب عن ذلك بأن الضمير في قوله : « ولا ينقص من عمره » يعود إلى قوله من معمر لا شك في ذلك . والمعنى على هذا « وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمر ذلك المعمر » .

هذا معنى النظم القرآني الذي لا يحتمل غيره ، وما عداه فهو إرجاع الضمير إلى غير ما هو المرجع ، وذلك لا وجود له في النظم .

وأجابوا أيضا بأن معنى ما يعمر من معمر ما يستقبله من عمره . ومعنى ولا ينقص من عمره ما قد مضى . وهذا تعسف وتكلف وتلاعب بكتاب الله وتصرف فيه بما يوافق المذهب وبطابق الهوى .

وأجابوا أيضا بأن المراد بالمعمر من بلغ سن الهرم ، وبالمنقوص من عمره هو معمر آخر غير هذا الذي بلغ سن^(٢) الهرم أي ينقص من عمره من عمر الذي بلغ سن الهرم ، ويجب عتبه بمنزل ما تقدم .

(١) في (ب) (سن) .

(١) سورة الأعراف : ٣٣

وقيل للمعمر : من بلغ عمره ستين ، والمنقوص من عمره من يموت قبل
الستين ، ويجب عليه بما تقدم .

والحاصل أن ما جاءوا به من الأجوبة يردّها اللفظ القرآني ، ويدفعها النظام
الرباني ، والصيغة هامة بما فيها من النفي الدال على العموم المتوجه إلى النسبة
المنفية المؤكدة نفيها بمن . وكذا لك النفي الآخر باللفظ لا ، المتوجه إلى نفي
المنقص ، من عمر ذلك المعمر . وهذا ظاهر لا يخفى ، ومحاولة تخصيصه ، أو
إرجاع ضميره إلى غير من هو له نصف ، وتلاعب بكتاب الله ، وردّه بالاحجة
نيرة إلى ما يطابق هو الأنفس .

وأجابوا عن قوله تعالى : (ثم قضى أجلا وأجل مسمى ههنا) بأن المراد
بالأجل الأول ، النوم ، والأجل الثاني الموت . وهذا من بدع التفسيرين
وغرائب التأويل . ومعنى الآية أوضح من أن يخفى .
وأجابوا أيضا بأن الأجل الأول ما قد انقضى من عمر كل أحد . والثاني
ما بقي من عمر كل أحد .

وهذا كالأول . وقيل الأول أجل الموت ، والثاني أجل الحياة في الآخرة ،
وهذا أشد تعسفا مما قبله .

وقيل الأول ما بين خلق الإنسان إلى موته : والثاني ما بين موته إلى بعثه .
وهو كالذي قبله . والكل مخالف لما يدل عليه النظم القرآني .

وإذا هرفت بطلان ما أجابوا به . تقرر لك أن الثلاث الآيات دالة على
ما أردناه . فإن الحو والإثبات عامان يدخل تحت عمومها العمر والرزق
والسعادة والشقاوة وغير ذلك^(١) .

(١) في (ب) (وغيرها) .

ومعنى الآية الثانية أنه لا يطول عمر إنسان ولا يقصر ، إلا وهو في كتاب
أى الألواح المحفوظ . ومعنى الآية الثالثة : أن الإنسان أجلين يقضى الله سبحانه
له بما يشاء منهما من زيادة أو نقص .

فإن قلت : فعلام تحمل مثل قوله تعالى : (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون)^(١) وقوله سبحانه^(٢) : (إن يضر الله نفسا إذا جاء
أجلها)^(٣) وقوله سبحانه (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر)^(٤) . قلت :
أفسرها بما هي مشتملة عليه فإنه قال : في الآية الأولى : « فإذا جاء أجلهم »
وقال في الثانية « إذا جاء أجلها » ، وقال في الثالثة : « إن أجل الله
إذا جاء » .

فأقول : إذا حضر الأجل ، فإنه لا يتقدم ، ولا يتأخر . وقبل حضوره
يجوز أن يؤخره الله بالدهاء أو بصلة الرحم ، أو بفعل الخير ، ويجوز أن
يقدمه لمن عمل شراً ، [أو]^(٥) قطع ما أمر الله به أن يوصل ، وانتك
محارم الله سبحانه .

مبدأ السببية في الشريعة الإسلامية :

فإن قلت : فعلام تحمل نحو قوله عز وجل : « وما أصاب من مصيبة
في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها »^(٦) وقوله
سبحانه « قل إن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا »^(٧) وكذلك سائر ما ورد
في هذا للمعنى .

(١) سورة المرحل : ٦١ (٢) في (ب) سقطت من المداخ (سبحانه) .

(٣) سورة المداخون الآية : ١١ (٤) سورة نوح الآية : ٤ .

(٥) في (أ) (وقطع) بالواو والسكن (أو) أصبح وأوضح وأقرب إلى المنطق .

(٦) سورة الحديد : ٢٢ (٧) سورة التوبة : ٥١ .

قلت : أجمع بينها وبين ما عارضها في الظاهر من قوله عز وجل :
 « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويدفعو عن كثير » ^(١) وما ورد
 في معناها . ومن ذلك الحديث القدسي الثابت في الصحيح عن الرب عز وجل
 « يا عبادي : إنما هي أعمالكم أحصها عليكم فن وجد خيراً فليحمد الله ،
 ومن وجد شراً ^(٢) فلا يلومن إلا نفسه » يحمل الآيتين [الأوليين] ^(٣)
 وما ورد في معناها على عدم التسبب من العبد بأسباب الخير من الدعاء وصلة
 الرحم ، وسائر الأعمال والأقوال الصالحة . وحمل الآية [الأخرى] ^(٤) ،
 والحديث القدسي ، وما ورد في معناها ، وهلى وقوع التسبب من العبد
 بأسباب الخير الموجبة لحسن القضاء ، واندفاع شره . وهلى وقوع التسبب
 من العبد بأسباب الشر المقتضية لإصابة المسكر به ، ووقوعه على العبد .

وهكذا أجمع بين الأحاديث الواردة بسبق القضاء ، وأنه قد فرغ من
 تقدير الأجل والرزق ، والسعادة والشقاوة ، وبين الأحاديث في طلب الدعاء
 من العبد ، وأن الله يجيب دعاه ، ويعطيه ما سأل مثله ، وأنه يفضى إذا
 لم يسأل ، وأن الدعاء يرد القضاء ونحو ذلك مما قدمنا ، كهلة الرحم
 وأعمال الخير .

فأجل أحاديث الفراغ من القضاء على عدم تسبب العبد بأسباب الخير
 أو الشر . وأجل الأحاديث [الأخرى] ^(٥) على وقوع التسبب من العبد
 بأسباب الخير أو التسبب بأسباب الشر .

(١) سورة التوبة : ٣٠ .

(٢) في (ب) (غير ذلك) بمد (شرا) وهى زيادة لاداعى لها .

(٣) في (أ) (الأوليين) غير صحيحة إملائياً ورسمها كذلك (الأوليين) .

(٤) في (أ) (الأخرى) بالهاء .

(٥) في (أ) (الأخرى) بالهاء .

وأنت خبير بأن هذا الجرم لا بد منه لأن الذي جاءنا بالأدلة الدالة على أحد الجانبين هو الذي جاءنا بالأدلة الدالة على الجانب الآخر . وليس في ذلك خلف لما وقع في الأزل ، ولا مخالفة لما تقدم العلم به . بل هو من تقييد المسببات بأسبابها ، كما قدر الشجع والرى بالأكل والشرب ، وقدر الولد بالوطء وقدر حصول الزرع بالبذر^(١) .

فهل يقول قائل بأن ربط هذه المسببات بأسبابها يقتضى خلاف العلم السابق ، أو ينفيه بوجه من الوجوه ؟ .

فلو قال قائل : أنا لا آكل ، ولا أشرب ، بل أنتظر القضاء ، فإن قدر الله لي ذلك كان ، وإن لم يقدره لم يكن ، أو قال : أنا لا أزرع ولا أجمع زوجي ، فإن قدر الله لي الزرع^(٢) والولد حصلاً ، وإن لم يقدرهما لم يحصل .

أليس هذا القائل قد خالف ما في كنب الله سبحانه ، وما جاءت به رسوله وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، والتابعون ، وتابعهم وسائر علماء الأمة ، وصالحاتها ، بل يكون هذا القائل قد خالف ما عليه هذا النوع الإنساني من أبينا آدم إلى الآن ، بل خالف ما عليه جميع أنواع الحيوانات في البر والبحر ؟ .

فكيف ينكر وصول العبد إلى الخير بدهائه ، أو بعده الصالح ، فإن هذا من الأسباب التي ربط الله مسبباتها ، وعلما قبل أن تكون . فعلمه على كل تقدير أزل في المسببات ، والأسباب . ولا يشك من له اطلاع على كتاب الله عز وجل ، ما اشتمل عليه من ترتيب حصول المسببات على حصول أسبابها ، وذلك كثير جداً .

(١) في (ب) (حصول البذر بالزرع) في الهامش كتصحيح لتلك العبارة . ولكنّه إخراج لها مخرج الخطأ ، فإن الزرع لا يحصل إلا ببذر البذر وزرعه .
(٢) في (ب) (البذر) وهو غير مقبول .

ومن ذلك قوله : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم »^(١) ، « فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً . يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً »^(٢) و « لنن شكرتم لأزيدنكم »^(٣) « اتقوا الله ويعلمكم الله »^(٤) « فلولاً أنه كان من المسببين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون »^(٥) .

وكم يعد الاماد من هذا الجنس في الكتاب العزيز . وما ورد في معناه من السنة المطهرة .

فهل ينكر هؤلاء الغلاة مثل هذا ويجهلونه مخالفاً^(٦) لسبق العلم مبيناً لأولية ؟ . فإن قالوا نعم ، فقد أنكروا ما في كتاب الله سبحانه من فاتحته إلى خاته ، وما في السنة المطهرة من أولها إلى آخرها ، بل أنكروا أحكام الدنيا والآخرة جميعها ، لأنها كلها مسببات مترتبة على أسبابها ، وجزاءات معلقة بشروطها .

ومن بلغ إلى هذا الحد في الغباوة^(٧) ، وعدم تعقل الحجة ، لم يستحق المناظرة ، ولا ينبغي الكلام معه في الأمور الدليلية ، بل ينبغي إزالته بإهمال أسباب^(٨) ما فيه صلاح مآلته ، وأمر دنياه كله حتى ينفض من غفلته ، ويستيقظ من نومته ، ويرجع عن ضلالته وجهالته .

والهداية بيد ذى الحول ، والقوة .

-
- (١) سورة النساء : ٣١ (٢) سورة نوح : ١٠ ، ١١ ، ١٢ .
 (٣) سورة إبراهيم : ٧ (٤) سورة البقرة : ٢٨٢ .
 (٥) سورة الصفات : ١٤٣ ، ١٤٤ .
 (٦) سقطت من الناسخ (مخالفاً) في (ب) .
 (٧) في (ب) (المناد) (٨) في (ب) نسي الناسخ (أسباب) .

ثم يقال لهم : أيما فائدة لأمره عز وجل لعباده بالدعاء بقوله : « ادعوني أستجب لكم » ثم عقب ذلك بقوله : « إن الذين يستكبرون عن عبادتي » أي دهائي « سيدخلون جهنم داخرين » وقوله عز وجل : (واسألوا الله من فضله)^(١) فأى فائدة لهذين^(٢) الأمرين منه عز وجل بالدعاء ووعيده لمن تركه وجمله مستكبراً ، وتعدده سبحانه بقوله « أم من يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء »^(٣) . وبقوله : « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » فإن قالوا إن هذا الدعاء الذي أمرنا الله عز وجل به وأرشدنا إليه وجعل تركه استكباراً وتوعد عليه بدخول النار مع الذل ، وأنكر هلمهم أن غيره يجيب المضطر .

إن [كان]^(٤) ذلك كله لا فائدة فيه للعبد ، وأنه لا ينال إلا ما قد سبق به القضاء فعل الدعاء ، أو لم يفعل ، فقد نسبوا إلى الرب عز وجل ما لا يجوز عليه ولا تحل نسبته إليه بإجماع المسلمين ، فإنه عز وجل لا يأمر إلا بما فيه فائدة للعبد دنيوية أو أخروية إما جلب نفع أو دفع ضرر .

هذا معلوم لا يشك فيه إلا من لا يعقل حجج الله ، ولا يفهم كلامه ولا يدري بخير ولا شر ، ولا نفع ولا ضرر . ومن بلغ في الجهل إلى هذه الغاية فهو حقيق بأن لا يخاطب ، وقين بأن لا يناظر ، فإن هذا المسكين المتخبط في جهله المتقلب في ضلاله قد وقع فيما هو أعظم خطراً من هذا أو أكثر ضرراً منه .

(١) سورة النساء : ٣٤ (٢) في (ب) (لهذه) وهي سهو من الناسخ .

(٣) سورة النمل : ٦٢ .

(٤) في (أ) لا توجد كان وهي لازمة لسكى يفهم المعنى ويستقيم . ولعل المؤلف سها عنها . وكذلك في (ب) قد سهى الناسخ عن هذه الملاحظة ونقل حرفياً ما أمامه .

وذلك بأن يقال له : إذا كان دعاء الكفار إلى الإسلام ، ومقاتلتهم على الكفر وهزومهم إلى حق الديار ، كما فعله رسول الله ونزلت به كتبه ، لا يأتي بفائدة ، ولا يعود على القائلين به من الرسل وأنبيائهم ، وسائر المجاهدين بمائدة ، وأنه ليس هناك إلا ما قد سبق به الفناء ، وجف به القام ، وأنه لا بد أن يدخل في الإسلام ، ويهتدى إلى الدين من علم الله في سابق هله أنه يقع منه ذلك سواء قوتل أم لم يقاتل ، وسواء دعى أم لم يدع ، كان هذا القتال والنتج كليف الشاق ضاماً ، لأنه من تحصيل الحاصل ، وتكوين ما هو كائن فعلوا أو تركوا . وحيث أن يكون الأمر بذلك هبناً ، تعالى الله عن ذلك .

وهكذا ما شرهه الله لعباده من الشرائع على لسان أنبيائه ، وأنزل به كتبه يقال فيه مثل هذا فإنه إذ كان ما في سابق هله كائناً لا محالة ، سواء أنزل كتبه ، وبعث رسوله أم لم ينزل ولا بعث ، كان ذلك من تحصيل الحاصل فيكون هبناً ، تعالى الله عن ذلك .

ثم يقال لهم : هذه الأدهية التي علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمته في صلواتهم وإيمانهم ونهارهم وسفرهم وحضرهم ، لو رام العالم جهماً متوناً لكانت في مجلد . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثر الناس قياماً وتضرعاً إلى ربه حتى كان في تارة يرفع كفيه حتى يرى بياض إبطيه وفي تارة يرفعهما حتى يسقط الرداء عن منكبيه ، ثم أخبرنا بما للدهى لربه من الجزاء الجزيل ، والثواب الجليل عموماً ، وخصوصاً .

هل كان لهذا فائدة يتبين أثرها أم لا فائدة ، بل ما خط في الواح فهو كائن لا محالة وقع الدعاء أم لم يقع ؟ ؟ ؟

فيقال لهم : يا نوكي^(١) . أنتم أهرق بالله سبحانه من رسوله صلى الله

عليه وآله وسلم حتى يكون ما فعله ، وما علمه أمته لغوا ضائماً لا فائدة فيه ولا هائدة ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

ثم يقال لهم : لو كان القضاء السابق حتما لا يتحول ، فأى فائدة في استمادته صلى الله عليه وآله وسلم من سوء القضاء ، كما صح ذلك منه في الصحيحين ، وصح عنه أنه كان يقول : وقى شر ما قضيت .

فيالله العجب من دعاوى هريضة من قلوب مهيضة ، وأفهام مريضة . بالسك الويل ، أما تدرون في أى بلية وقعتم ، وعلى أى جنب سقطتم ، ومن أى باب من الشريعة خرجتم ؟ فأنكم لم تعملوا بشرع ولا اهتديتم بعقل . وقد كان لكم قدوة وأسوة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبكنايت الله المنزل عليه ، وبما كان عليه أكبر الصحابة في هذه المسألة [التى]^(٢) نحن بصدد كسر بن الخطاب . وعبد الله بن مسعود ، وأبى وائل ، وأمثالهم من أكبر الصحابة الذين صح عنهم أنهم كانوا يسألون الله سبحانه أن يشبهم في ديوان السعادة وأن ينقلهم من ديوان الشقاوة إن كانوا فيها ، إلى ديوان السعادة كما قدمنا .

ولله در كعب^(*) الأخبار ، فإنه قال لما طعن عمر رضى الله عنه : « والله لو دعا عمر أن يؤخر الله أجله لأخره » فقيل له : إن الله عز وجل يقول : « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة » ولا يستقدمون » فقال : هذا إذا

(١) فى (أ) (الذى) وهو سهو من المؤلف .

الأعسلا

(*) كعب بن ماتع بن ذى هجن الحميرى أبو إسحاق : تابعى : كان فى الجاهلية من كبار علماء اليهود فى اليمن وأسلم فى زمن أبى بكر وقدم المدينة فى دولة عمر وأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الفابرة ، وأخذ هو من الكتاب

حضر الأجل^(١) ، فأما قبل ذلك فيجوز أن يزداد وينقص ، وقرأ قوله تعالى :
(وما يعمر من معمر ، ولا ينقص من عمره إلى في كتاب) .

وكلامه هذا يرشد إلى الجمع الذي جمعناه كما عرفت ، ولنتنصر هلى
هذا المقدار في تقرير المقدمة التي قدمنا أنه يظهر بها ما سنذهب إليه في ذلك
للقيام ، بعد أن تعقبنا جميع تلك النواويل المذكورة في التردد الذي وقع في
الحديث القدسي .

فتقول الآن : إن ذلك التردد هو كناية عن محبة الله لعبده المؤمن أن
يأتى بسبب من الأسباب الموجبة لخلوصه من المرض الذي وقع فيه حتى يطول
به عمره ، من دهاء ، أو صلوة رحم ، أو صدقة ، فإن فعل مد له في عمره
بما [يشاء]^(٢) ، وتقتضيه حكمته ، وإن لم يفعل حتى جاء أجله ، وحضره الموت
مات بأجله الذي قد قضى عليه إذا لم يتسبب بسبب يترتب عليه الفسحة له
في عمره ، مع أنه وإن فعل ما يوجب التأخير ، والخلوص من الأجل الأول ،
فهو لا بد له من الموت بعد انقضاء تلك للذة التي وهبها الله سبحانه له .

فكان هذا التردد معناه : انتظار ما يأتى به الله بما يقتضى تأخير
الأجل أولاً يأتى ؛ فيموت بالأجل الأول ، وهذا معنى صحيح لا يرد عليه
إشكال ، ولا يمتنع في حقه سبحانه بحال^(٣) ، مع أنه سبحانه يعلم أن الله

عن الصحابة ، وخرج إلى الشام وسكن حمص وتوفي فيها سنة ٣٢ هـ عن ١٤٠ سنة .
الأعلام ج ٦ ص ٨٥ وفي شذرات الذهب ٣٥ هـ ص ٤٠ ج ١ .

(١) في (أ) كثر المؤلف سموا (فقال هذا إذا حضر الأجل) .

(٢) في (أ) (يشاء) بالهاء وهو سمو .

(٣) نعم لا يمتنع في حقه سبحانه ، ولكن يرد عليه إشكال ، وهو أننا مادامنا
قد جوزنا تأخير موته لسبب من الأسباب ، فيجوز أن يؤخر بعد ذلك أيضاً ،
ويؤخر ويؤخر ، وهكذا حتى يموت ذلك الشخص إذا تأتت الأسباب في تأخير أجله ؟

سيفعل ذلك السبب ، أو لا يفعله ، لسكنته لا يقع لتنجيز لذلك السبب إلا بحصول السبب الذي ربطه عز وجل به .

« كراهة الموت ومقام الولاية » :

قوله : « يكره الموت وأكره إسماعته »^(١) قال ابن حجر : « وفي حديث عائشة : أنه يكره الموت وأنا أكره مصاعته ، زاد ابن عجلون ابن كرامة في آخره : « ولا بدله منه »^(٢) ووقفت هذه الزيادة أيضاً في حديث وهب^(٣) انتهى .

فيه فائدة جلية هي أن المؤمن قد يكره الموت ولا يخرج بذلك عن رتبة الإيمان الجلية ، ولا يخفى ذلك أن شأن المؤمن أن يحب لقاء الله سبحانه ، كما ورد في الأحاديث الصحيحة لوتوع البيان فيها بأن محبة لقاء الله لا تسنزم أن لا يكره صاحب هذه المحبة الموت ، كما في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقلت يا نبي الله ألا كراهية

(١) في (ب) (مسامحة) . (٢) لفتح ص ٢٩٨ .

الأعلام

(٥) وهب بن منبه من رواة الحديث وجامعه ، أسند عن جابر بن عبد الله والنعمان بن بشير وابن عباس ، وقد روى عن معاذ بن جبل وأبي هريرة وروى عن أناس كثيرين من كبار التابعين . كخطاوس ، وروى عنه من التابعين جماعة منهم عمرو بن دينار وروى عن التابعين ، من مآثراته : « الإيمان قائد والعدل سائق والنفوس بينهما حرون ، فإذا قاد القائد لم يسق السائق لم يغن ذلك شيئاً ، وإذا ساق السائق ولم يقد القائد لم يشن ذلك شيئاً ، وإذا قاد القائد وساق السائق اتبعته للنفس طوعاً وكرهاً وطاب العمل » . مات بصنعاء سنة ١١٥ أو في سنة ١١٤ . صفوة الصفوة ج ٢ ص ١٦٧ وينظر أيضاً الكواكب الدرية ص ١٨٦ .

الموت فكلنا نسكركه الموت ! قال : ليس ذلك ، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وخطبه كره لقاء الله ، وكره الله لقاءه .

وأخرج أحمد بن حنبل الصحيح ولقد أتى بإسناد جيد من حديث أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، قلنا يا رسول الله : كلنا نسكركه الموت . قال : ليس ذلك كراهية الموت ، ولكن المؤمن إذا حضر جاءه البشر من الله فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقي الله فأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا حضر جاءه ما هو صائر إليه من الشر ، أو ما يأتي من الشر ، فكره لقاء الله فسكره الله لقاءه . »

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قال الله : إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه ، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه . » وأخرج الطبراني بإسناد جيد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « تحبب المؤمن للموت . » وأخرج أحمد بن حنبل في رواية عبد الله بن [زجر] (*) من حديث معاذ (١) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن شئتم أنبأكم ما أول ما يقول الله عز وجل للمؤمنين يوم القيامة ، وما أول ما يقولون له ، قلنا : نعم يا رسول الله قال : إن الله عز وجل يقول للمؤمنين : هل أحببتكم لقائي ،

(١) ف: (ب) (رضي الله عنه) .

الأحاديث

(*) الصحيح (عبد الله بن زجر الظمري) هؤلاءهم الأتريقي ، صدوق ، يخطئ ، من السادسة ، التقريب لابن حجر ، وخلاصة التهذيب للبخاري ، وقد جاء في أ ، ب [زجر] بإحدى المهملة .

فيعتولون نعم يا ربنا ، فيقول لهم : لم ؟ فيقولون : رجونا هفوك ومغفرك
فيقول : قد وجبت لكم مغفرتي .

قال ابن حجر في الفتح : « وأسند البيهقي في الزهد عن الجنيد سيد الطائفة
قال : الكراهة هنا لما يلقى المؤمن من الموت ، وصعوبته وكربه وليس المعنى
أنى أكره له الموت لأن الموت يورده إلى رحمة الله ومغفرته »^(١) انتهى .

أقول . ظاهر الأحاديث التي قد عيناها : أن الكراهة لنفس الموت الذي
هو انتقال من الدار الأولى إلى الدار الآخرة من غير حاجة إلى تأويل . ولا شك
أن الكراهة للموت قد تكون لاستصعاب مقدماته ، وقد تكون لما في الموت
من مفارقة أهل والولد والأصحاب والأتراب ، وقد تكون للخوف من أن
يفارق الدنيا وهو غير راضٍ من نفسه بأعماله الصالحة ، أو لذنوب اقترفتها لم
يخلص التوبة عنها ، أو لحقوق لله سبحانه ، أو لعبادة لم يخلصها عنها ، فليست
كراهة الموت مختصة بذلك الوجه الذي ذكره الجنيد رحمه الله .

قال في الفتح : « وهب بعضهم عن هذا بأن الموت حتم مقضى ، وهو
مفارقة الروح الجسد ، ولا يحصل غالباً إلا بالم [شديد]^(٢) جداً كما جاء عن
عمر بن الخطاب أنه سئل وهو يموت ، فقال : كأنى أتتقى من خرم لمرة ،
وكان غصن شوك يجرب به من قاتى إلى هاتى »^(٣) انتهى .

قلت : هذا هو مثل كلام الجنيد . والجواب عنه جواب عن هذا ، وقصة
عمر وهذه مشهورة في كتب التاريخ ، قال له رجل وهو يجود بنفسه : إنك

(١) الفتح ص (٢٨٩) .

(٢) لعل المؤلف نسي كلمة (شديد) فهي ضرورية قبل (جداً) والناسخ

في (ب) نسيها كذلك .

(٣) الفتح ص ٢٩٨ .

كنت تقول لنا : وددت أن يخبرني رجل عاقل [و]^(١) هو في سياق الموت كيف يجد الموت فقال له رجل : أنت ذلك الرجل العاقل فأخبرنا فقال : « كأنه نفس الخ » قال في الفتح : « ومن كعب أن عمر سألته عن الموت فوصفه بنحو هذا ، فلما كان الموت بهذا الوصف والله سبحانه يكره [أذى]^(٢) المؤمن أطلق على ذلك الكراهة . ويحتمل أن تكون المسافة بالنسبة إلى طول الحياة ، لأنها تؤدي إلى أرذل العمر ، وتنكس الخلق والرد ، إلى أسفل سافلين » انتهى .

أقول : معنى قوله وأكره إساءته كراهة إساءته بنفس الموت كما يفيد قوله يكره الموت ، فإن قوله وأكره إساءته هو معطوف عليه ، فالمراد أكره إساءته بما كرهه . وتخصيص التفسير بوجه مع وضوح المعنى لا حاجة إليه ؛ فإنه لا يلزم من ذلك شيء حتى يصار إلى التناويل ، وهي فرض وجود مقتضى للتناويل ، فهو ذو وجوه كما بينا ، وغير ما تطابق عليه قول الجنيد وكعب والمصنف [وهو]^(٣) أولى منه .

قال في الفتح : « وجوز الكرماني أن يكون المراد أنه يكره الموت فلا أسرع بقبض روحه فأكون كالتردد »^(٤) انتهى .
أقول : هذا صواب إذ لا مقتضى للتناويل كما هرفناك .

-
- (١) هذه الواو ضرورية ، لأن الجملة حالية اسمية . وقد سهى عنها المؤلف أيضاً ، وعبارته (رجل عاقل هو في الخ) . وكذلك الناسخ في (ب) نقلها حرفياً .
(٢) في (أ) ، (ب) (أذا) بالألف .
(٣) ليست في (أ) ولا في (ب) وهي لازمة لسلامة الأسلوب .
(٤) ص ٢٩٨ مع اختلاف يسير .

قال في الفتح : « وقال الشيخ أبو الفضل ^(٥) : في هذا الحديث ، هضم قدر الولي ، اسكونه خرج من تدبير نفسه ^(١) إلى تدبير ربه تعالى ، ومن انتصاره لنفسه إلى انتصار الله له ، ومن حوله وقوته بصديق توكله .
قال : وبؤخه ، منه أن لا يحكم لإسنان آذى ولياً ثم لم يعاجل بمصيبة في نفسه أو ماله أو ولده ، بأنه يعلم من انتقام الله تعالى له : فقد يكون مصيبتاه في غير ذلك مما هو أشبه عليه كالمصيبة في الدين مثلاً .

قال : ويدخل في قوله : افترضت عليه الفرائض الظاهرة فعلاً ، كالصلاة والزكاة وغيرهما من العبادات .
ونزكاً كالزنا والقتل وغيرهما من المحرمات ، والباطنة كالألم بالله تعالى والحب له والتوكل عليه ، والظوف منه وغير ذلك .
وهو ينقسم أيضاً إلى أفعال وترك .

الولي ومعرفة الغيبيات :

قال : وفيه دلالة على جواز اطلاع الولي على الغيبيات بإطلاع الله تعالى إياه ، ولا يمنع من ذلك ظاهر قوله : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً)

(١) في (ب) (تدبيره) .

الأعلام

(*) المتوفى سنة ٧٠٩ ، أحمد بن محمد بن عبد الكريم أبو الفضل تاج الدين ابن عطاء الله الاسكندري متصوف شاذلي ، من العلماء كان من أشد خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية ، له تصانيف منها (الحكم العطائية ط) في التصوف ، و (تاج العروس) ط ، في الوصايا والمقامات ، وينسب إليه كتاب (مفتاح الفلاح) و ليس من تأليفه . الأعلام ج ١ ص ٢٠٣ .

إلا من ارتضى من رسول) ^(١) فإنه لا يمنع دخول بعض أتباعه معه بالتبعية
لصديق قولنا : ما دخل على الملك اليوم إلا الوزير ، ومن المعلوم أنه دخل معه
بعض خدمه .

قلت : الوصف المستثنى لرسول هنا إن كان فيما يتعلق بخصوص كونه
رسولاً فلا مشاركة لأحد من أتباعه فيه إلا دنه ، وإلا فيجوز ما قال ، والعلم
هناك الله عز وجل ^(٢) انتهى .

أقول : أما قوله : في هذا الحديث عظم قدر الولي ، فلا شك في ذلك لأن
الله سبحانه قد أحبه وكان سمعه وبصره ويد ورجله ، ووحد بأنه إذا سأله
أعطاه ، وإذا استأذنه أأذنه

وأما قوله : « لكونه » ^(٣) خرج من تدبيره الخ ، فإن أراد بهذا التمهيل أن
الولي في الواقع كذلك فصحيح وإن أراد أن في الحديث للمدعى دلالة على
هذه الالة فلا ، فإنه لم يذكر ذلك فيه إلا أن يريد أن في قوله : كنت سمعه
الذي يسمع به إلى آخره ، ما يدل على أنه بذلك قد صار في تدبيره من صار سمعه
وبصره الخ . وهو الرب عز وجل ، ولكن ليس هذا الخروج من فعل الولي
حق يكون ذلك ^(٤) هلة لتعظيم قدره ، فإن ذلك من فعل الله سبحانه ، فهو
الذي جازى الولي بالمحبة وكان سمعه وبصره الخ ، هو من جملة ما جازى به
الولي فلا يصح أن يكون هلة المجازاة .

وأما قوله « يؤخذ منه أن لا يحكم لإيمان آذى ولياً الخ »

(١) سورة الجن آية : ٢٦ ، ٢٧ (٢) ص ٢٩٨ .

(٣) في (ب) (أنه) بدل (لكونه) وهو سهو من الناسخ وخطأ في نفس
الوقت ، لأن كلام أبي الفضل المتقدم : (لكونه .. الخ) .

(٤) في (ب) نسي الناسخ (ذلك) .

فلعله يريد أنه سبحانه لما آذن من بعدى الولى بالحرب كان ذلك واقعا
لا محالة إما معجلا ، أو مؤجلا ، فى النفس أو فى المال أو فى الولد ، فإن كل
ذلك يصدق عليه أنه من حرب الله لذلك المعادى للولى .

وأما قوله : ويدخل فى قوله : « افترضت عليه : الفرائض الظاهرة الخ »
فقد أوضحنا هذا عند كلامنا على قوله : « وما تقرب إلى هبدي بمثل أداء
ما افترضت عليه » بأوضح بيان فارجع إليه .

وأما قوله : « وفيه دلالة على جواز اطلاع الولى على المغيبات بإطلاع الله
تعالى إياه الخ » فهو مأخوذ من قوله : « كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره
الذى يبصر به . . الخ » .

فإن من كان الله سبحانه سمعه وبصره لا مانع من اطلاعه على بعض
[أسرارہ]^(٢) الإلهية ولا سيما بعد بيان هذا بقوله : « فبى يسمع ، وبى يبصر ،
وبى يبطلش ، وبى يمشى ، وقد أطلعنا الكلام على هذا فيما سبق ، وبيناه أكمل
بيان وذكرنا ما يعضد ذلك من الأدلة .

وأما قوله : « ولا يمنع من ذلك ظاهر قوله تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر
على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول » فإنه لا يمنع أحد من دخول بعض
أتباعه معه بالتبعية الخ .

فأقول : هذا صحيح ، فإن الله سبحانه قد أطلع على ما يشاء^(٢) من غيبه
من برأيه من رسوله ، كما تفيد هذه الآية : ولم يمنع الرسول من إظهار ما أطلع
عليه على بعض خواصه من أتباعه :

(١) فى (أ) نسى المؤلف (هاء) (أسرارہ) .

(٢) فى (ب) (من يشاء) وهو خطأ لأن الغيب غير عاقل ،

وقد وقع منه صلى الله عليه وآله وسلم ذلك في غير قضية كاطلاعه حذيفة^(١) على أهل النفاق ومعرفة بهم ، وإطلاعه له أيضاً على بعض الأمور المستقبلية خصوصاً أمور الفتن التي حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنه كان به ١٠١ يراً ، وكان يسأل عنها فيجيب كسؤال عمر له الثابت في الصحيح ، وإخباره بأن بينه وبينها باباً ، فقال عمر له^(٢) : أيكسر أم يفتح ؟ فقال : بل ينكس . ففهم عمر رضي الله عنه أنه الباب وأنه يقتل .

(١) هذا في الواقع ليس إخباراً من الله سبحانه بالغيب لغير الرسول لأن الرسول هو الذي أخبر به ، وما دام الأمر قد علمه الرسول فلم يعد غيباً ، وخصوصاً إذا أخبر به . ونص الآية (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول) يدل دلالة قاطعة أن ذلك غير ممكن لغير الرسول : هذا بالنسبة لغيبه سبحانه الذي . أضافه لنفسه ، وهو المذكور في قوله تعالى : « إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت » آخر سورة لقمان . أما بقية أنواع الغيب غير هذه الأنواع الخمسة ، فهي مما لم يستأثر الله بعلمه ، ومن الممكن أن يعلمه المخلوقين على مختلف أصنافهم ، رسل وغير رسل ، ثم إن هناك قاعدة ، في تمييز غيب الله من غيب المخلوقين ، وهي أن ما كان مغيباً ، لا يزال في طي الغيب ، فهو من غيب الله الذي لا يظهره ، إلا للرسول (صلى الله وسلم عليهم) ، وأما ما علمه أحد المخلوقين فلم يعد من غيبه سبحانه ، وليس غيباً ، إلا بالنسبة لمن لم يعلمه ، فمن الممكن ، أن يعلم أحد المقيمين ، في جهة من الجهات ، ما حدث ووقع في جهة أخرى ، وأصبح معلوماً لأصحاب تلك الجهة الأولى ، أو لأحد أفرادها . ينظر تفسير الفخر الرازي ج ٤ ص ٨٠ - ٨٢ ، ج ٨ ص ٣٣٠ ، ٣٣١ ، وتفسير أبي السعود على هامش الفخر في الموضوعين المتقدمين طبعة سنة ١٢٨٩ هـ . وتفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٤١ ، ج ٢ ص ١٣٧ ، ٢٧٣ ، ج ٤ ص ٤٣٣ ، طبعة سنة ١٩٥٦ ، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، لابن تيمية ص ١٣٩ - ١٤٩ ، طبعة صبيح سنة ١٩٥٨ .

(٢) في (ب) (فقال له عمر الخ) .

فهذا وأمثاله هو من هند الله سبحانه ومن ذلك : قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما في صحيح مسلم وغيره : « والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق » ومن ذلك قضية المخدج^(١) الذي قتل من الخوارج في يوم النهروان وأمرهم علي^(٢) أن يجهنموا عنه فلم يجهنموا ، فقام فوجده فقال له أبو عبيدة السلمي^(٣) : « الله إنه لعهد النبي إليك^(٤) » قال : نعم .

بل ثبت في الصحيح « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قام مقاماً فترك شيئاً من الأمور المستقبلة حتى أخبرهم به حفظه من حفظه واسمعه من نسيه » . وذكر كل قائد من قواد الفتنة ، وأخبار جماعة من الصحابة كأبي ذر ، وأبي هريرة

(١) في (ب) (رضي الله عنه) .

الأعلام

(*) في اللغة ، المخدج . الناقص ، وأخذ رجال الخوارج الذين أخبر رسول الله ﷺ علياً (رضي الله عنه) بأنهم سيقا تلونه ، وأن علامتهم أنه يكون فيهم هذا المخدج ، وقد كان رجلاً ، « ناقص اليد » ليس فيها عظام ، طرفها حلقة ، مثل مئذى المرأة ، وقد عثر عليه علي رضي الله عنه بين قتلى الخوارج في يوم (النهروان) فتأكد بذلك ، وأكد به مسلمة في روايته عن الرسول (ﷺ) هذا الخبر . ينظر : الروضة الندية ، شرح التحفة العلوية ص ٩٣ — ٩٦ ، للسيد محمد بن إسماعيل الأمير . مطبعة المعارف بصنعاء سنة ١٣٧١ هـ ، (مروج الذهب للمسعودي ، ج ٢ ص ٣٥ طبعة سنة ١٢٨٣ هـ) .
(٢) في الروضة الندية ، اختلاف يسير في عبارة السلمي .

الأعلام

(*) هو عبيدة بن عمر ، ويقال ابن عمر بن قيس بن السلمي أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بستين ، ولم يلقه ، روى الحديث ، وتوفي سنة ٧٢ هـ ، وقبل سنة ٨٣ هـ ، وقيل سنة ٧٤ هـ . (وقعة صفين لابن مزاحم المنقري ، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٥ هـ) .

وغيرهما بشيء من الأمور المستقبلة ، كما ذكره أهل الحديث والسير والتاريخ .

وكما قال (٢) لعبد الله بن عباس ، لما وصل إليه بابنه علي (٣) ليبركه هلمه : خذ إليك أبا الأملاك ، فكان أول من ملك من أولاده الصفا (٤) . عبد الله بن محمد ابن علي بن الله بن العباس ، ثم ملك بعده أخوه المنصور (٥) ثم أولاده من خلفاء بني العباس ، وكانت لهم تلك الدولة العاقلة . بل كان لدى أولاد علي بن أبي طالب من الأخبار المتعلقة بالدول ما هو معروف ، وكان الإمام الباقر والإمام الصادق يخبران خواصهم بالوقت الذي تنتقل فيه الدولة من بنى أمية إلى بنى هاشم . بل كان هناد بن أبي أمية من دولتهم أخبار : نقول في كتب التاريخ وكان المعارف بها مسلمة بن عبد الملك بن مروان (٦) .

ومن أوجب ما روى عنه (٧) أنهم اجتمعوا في أيام دولتهم في مسجد من

(١) في (ب) زائد للناسخ بعد قال : (على رضى الله عنه) .

الأقسام

(٨) علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ولد ليلة قتل علي بن أبي طالب (رضى الله عنه) سنة ٤٠ هـ فسمى باسمه وكنيته ، فقال له عبد الملك بن مروان لا أحتمل لك الاسم والسكنية فغير كنيته . قيل عنه . (كان يسجد كل يوم ألف سجدة) ولما توفي محمد بن علي بن أبي طالب وكان قد أوصى بنصيبه من الخلافة إلى علي هذا ، انتقل جانب من الشيعة إلى جانب علي هذا ، واستمر الهداه في هذا الاتجاه حتى قامت الخلافة السياسية على يد حفيده عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس . صفوة الصفوة ج ٢ ص ٥٩ ، المصدر السابق ص ١٣ .

(٩) أبو العباس أول خليفة عباسي من ١٣٢ - ١٣٦ هـ .

(١٠) أبو جعفر تاج الخلفاء العباسيين من (١٣٦ - ١٦٨) هـ .

(١١) هو مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي ، الأديب ، مقبول

من الطبقة السادسة ، مات سنة ١٢٠ هـ أو بعدها (تقريب التهذيب) .

(١٢) في (ب) (عنهم) وهو من النسخ .

المساجد الخاصة بهم ، فصار مسلمة بن عبد الملك^(٤) يحدثهم بالأمور التي يكون بها زوال دولتهم ، وبينما هو يذكر لهم قيام أبي محمد بظهور الدولة الهاشمية بخراسان ، صادف في ذلك الوقت دخول رجل غريب عليهم ووقف يسمع الحديث ومسلمة يحدثهم عن الجيش الذي يقدم^(٥) من خراسان ويصل إلى العراق ، وتظهر دولة بني العباسية^(٦) فسماه باسمه ، وقال هو رجل اسمه قحطبة ابن شبيب^(٧) صفته كذا ، ثم وقعت حينه على ذلك الغريب ، فقال كأنه هذا أو يشبه هذا ، واستمر في حديثه حتى قال : ثم يهلك بعد وصوله هو وجيشه إلى العراق في دجلة أو الفرات ، الشك مني

وكان ذلك الرجل الغريب الداخل عليهم هو قحطبة بن شبيب ، فلما سمع الحديث انخلس من بينهم وقصد خراسان ، وكان هو الأمير الذي أرسله أبو مسلم إلى العراق ، وطوى الممالك ما بين خراسان إلى العراق ولما وصلوا إلى النهر الذي لا يجاز معه إلى العراق إلا من القنطرة أمر الجيش أن يترقبوا إلى الليل ويجوزوا القنطرة ، ثم جمع خواص الجيش وكبارهم وطلب منهم أنهم يقدمون الإمارة بعد لابنه حميد بن قحطبة^(٨) إذا عرض له الموت ففعلوا وهو

(١) (الملك) في (أ) غير واضحة تماماً .

(٢) في (ب) (تقدم) .

(٣) في (ب) سقطت من النسخ كلمة (بني) ولعل الأوفق كان يكون (دولة بني العباس) .

(٤) قحطبة بن شبيب داع من الدعوة لقيام دولة بني العباس ، وأحد النقباء الاثني عشر الذين اختيروا لقيادة الدعوة وإعلان الخلافة العباسية (محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) ١٥٠٠ - ٢٥٠٠) .

الأعسلا

(٥) في كتاب (تاريخ الأمم الإسلامية) أن الذي تولى مكان قحطبة ابنه الحسن وأما حميد هذا فوجهه أبو سلمة الخلال - أول وزير عباسي وأحد

قد ظن أنه يكون هلاكه بالقتل فدخل في غمار الجيش كواحد منهم وأخفى نفسه وركب فرسا من هرص الأفراس ومشى بها في الجسر ، فزدحم الخيل حتى رمت به إلى النهر فهلك ، وكان في تدبيره تدميره .

ومن عجائب ما ألقى من هذا العلم على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه اجتمع بنو هاشم من آل علي وآل العباس ^(١) في بعض الأوقات في أيام بني أمية ، فبايعوا محمد (●) بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، فقال جعفر الصادق ^(**) لبعض خواصه : إن هذا يعني المنصور والعباسي هو الذي يكون خليفة ، وسيكون قتل من بايعناه الآن ، يعني محمد بن عبد الله

المؤسسين لدولة بني العباس — إلى المدائن : ونص عبارة الحضري (سار قحطبة واغلا في بلاد العراق فقصد ابن هبيرة أمير العراق من قبل مروان بن محمد ، وكان اجتماعهما غربي الفرات وقبل أن تقع بينهما الموقعة الكبرى مات قحطبة فولى إمرة الجيش ابنه الحسن) ص ٢٠ .

(١) في (ب) سقطت من النسخ (آل) .

(●) ولما انتقلت الخلافة من أولاد علي إلى أولاد العباس لم يبايع لأبي العباس السفاح ولا لأبي جعفر المنصور ، وظل على خلاف لهم مدة من الزمن يرى أنه هو الخليفة الحقيقي ، ثم خرج بالمدينة وأعلن نفسه خليفة وجرت بين أبي جعفر وبينه مكاتبات انتهت بهزيمة محمد هذا وقتله على يد عيسى ابن موسى ولى عهد السفاح بعد المنصور سنة ١٤٥ هـ بالمدينة (محاضرات الحضري ص ٦٠ — ٦٨) .

الأعلام

(●●) هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام كان مشغولا بالعبادة عن حب الرياسة روى عن أبيه وعن عطاء بن أبي رباح ، وروى عنه من التابعين كثيرون ، وكثيرا ما أراد أبو جعفر المنصور قتله لانتفاخ الناس حوله ، ولكن استعانت بالله عليه كانت تنجيها دائما . توفي بالمدينة سنة ١٤٨ هـ . صفوة الصفوة ج ٢ ص ٩٤ — ٩٨ .

المذكور وهو الملقب بالنفس الزكية على يد جيش المنصور هذا . فانظر الى هذا العجب العجيب .

ومن ذلك ما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما صح عنه في الصحيح من خروج الترك على بلاد الإسلام ، وذكر ما يصدر منهم من أخذ البلاد الإسلامية وفتح مدائن الإسلام ، ثم وصفهم بأوصاف من جهلتها أن رجوعهم كالجهنم المطرقة ، وأن نعالهم الشعر ، ونحو ذلك من الأوصاف

فخرج الترك الذين يقال لهم الترك ، وفعلوا تلك الأفاعيل ببلاد الإسلام ، حتى كادوا يستولون عليها جميعاً ، ولم يبق إلا اليسير منها .

وكم بعد الامداد من ذلك فإنه كثير جداً ، وكلمه مستفاد من الجانب النبوي ومن الغيب الذي أعلم الله رسوله عليه فأطاع عليه من ارتضاء من أصحابه (١) .

وقد قدنا حديث « إن في هذه الأمة محدثين ، وإن منهم عر » وهو في الصحيحين ، وهذا هو نوع من أنواع علم الغيب . وكذلك ذكرنا حديث « اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله » وهو حديث حسن كما بينا فيما سلف . ومن أغرب ما تحكيه فيما يتعلق بهذا الحديث أن السري السعدي (٢)

(١) هنا تسكلف في تفسير الآية « لا من ارتضى من رسول » فإن الله هو الذي يرتضى الرسول ، لا أن الرسول يرتضى أيضاً بعض أصحابه ، فإن ارتضاء الرسول هذا ، خلاف نص الآية ، وخلاف (فسكرة إخبار الله بالغيب بعض مخلوقاته مباشرة منه سبحانه) .

الاعتماد

(٥) هو السري بن المفلس السعدي خال الجنيدي وأستاذ من كبار العباده والزهاده ومن كلامه . (أجلة الناس من ملوك غنمه ، ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله ، وإن يكمل رجل حق يؤثر دينه على شهوته ، وإن يملك حق يؤثر شهوته على دينه) توفي سنة ٧٥٣ هـ . (صفوة الصفوة ج ٢ ص ٢٠٩) .

شيخ الجنيد أمره بأن يخرج يتكلم على الناس فنهذر منه ^(١) ما في لسانه من المعجزة ، وبعدهم صلاحيته لذلك ، فزعم عليه أن يخرج صبيح تلك الليلة يتكلم على الناس في الجامع ، فكان أنه نادى [مناد] ^(٢) في الناس : بأن الجنيد سيتكلم على الناس هقيب صلاة الفجر في الجامع ، فجاؤا إليه أفواجا .

وكان هذا أول كرامته للجنيد ، لأنه لم يعلم على ما دار بينه وبين شيخه أحمد ، فخرج ووجد الجامع [غاصا] ^(٣) أهله فلما قعد أقبلوا إليه بأجهمهم ، فبرز رجل وسأله عن معنى حديث : « اتقوا فراصة المؤمن » فأطرق قائلاً ثم قال له : أسلم فقد آن لك أن تعلم ، فقام وجهاً ^(٤) بين يديه رأسم ، وانكشف أن ذلك الرجل من الصناديق لما سمع أخبار الناس بأن الجنيد سيتكلم في ذلك الحفل في ذلك الوقت لبس لبس المسلمين ودخل معهم مخبراً الإسلام وأهله ، فكان في ذلك سعادته الأبدية .

وبهذا نعرف أنه لا حاجة إلى ما نقله الشيخ أبو الفضل في آخر كتابه من قوله : « لصدق قولنا سادخل على الملك إلا الوزير ، ومن المعلوم أنه قد دخل معه بعض خدمه » . لأن مثل هذا التثقيب لا يؤكل ^(٥) به الحكمة ولا ينفع في مقام النزاع . ومراذه أن بعض أتباع الرسل قد يدخل معه كما دخل أتباع الوزير معه فيعلمهم الله على أنبياء كما أطاع عليه من ارتقى من رسول .

-
- (١) في (ب) (إليه) واصل المؤلف يعنى (منه) أى من الحديث .
 (٢) في (أ) و (ب) (منادى) بإثبات الياء ، وهو خطأ نحوى .
 (٣) في (أ) (غاص) بالرفع وهو خطأ نحوى لأنها مفعول ثانٍ للوجد .
 (٤) في (ب) (جنى) بالياء .
 (٥) في (ب) (تؤكل) .

وهذا إلهاق بع فارق أوضح من الشمس ، وهو كونه رسولا ، وكون الله
ارتضاه . ولا يوجد ذلك في غير رسول .

وليس النزاع في دخول أتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في قوله :
« إلا من ارتضى من رسول » ، فمعلوم أنه لا دخول لهم في ذلك ، لكن
النزاع في أن الرسول هل له أن يطلع غيره من أتباعه على ما أطلعه الله عليه
من علم الغيب أم لا ؟ فنحن نقول : لا نسلم قول من قال إنه لا يجوز له ، ونسند
هذا المنع بما قدمنا ذكره وبأمثاله مما لم نذكره .

وإذا تبرعنا بالاستدلال على جواز إطلاعه لبعض أتباعه على ما أطلعه الله
عليه من علم الغيب ، فنقول : عموم قوله : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل
إليك »^(١) . ولهذا يقول الله عز وجل : « وإن لم تفعل ، فما بلغت
رسالتك »^(٢) ونقول عائشة^(٣) : « من زعم أن محمداً كنهم شيئاً مما أوحاه الله إليه
فقد أعظم على الله الفرية » وهو في الصحيح .

ولو سلمنا تخصيص ذلك بما يحتاجه الناس من علم الشريعة ، وهذا
لا يحتاجونه لكان ما قدمنا ذكره من الواقعات منه صلى الله عليه وآله وسلم
من إطلاع بعض أتباعه على شيء من علم الغيب دليلاً على أن ذلك جائز .

وأما قول ابن حجر مستدركا على أبي الفضل بقوله : « قلت : الوصف
المستثنى للرسول هنا إن كان فيما يتعلق بخصوص كونه رسولا فلا مشاركة

(١) في (ب) زاد الناسخ من تكملة الآية كلمة (من ربك) ، وفي (أ)
(رسالاته) وهو سهو من المؤلف .
(٢) سورة المائدة آية ٦٧ .
(٣) في (ب) (رضى الله عنها) .

لأنه من أتباعه فيه إلا منه ، وإلا فيحتمل ما قال وأعلم هند الله ^(١) انتهى .
فأقول : ليس المراد إلا الشق الأول ، فإنه قال : لا يظهر على غيبه أحدا
إلا من ارتضى من رسول فهو لم يكن ذلك الوصف المستثنى متمملاً بخصوص
كونه رسولا لكن في قوله : « إلا من ارتضى » بدون قوله : « من رسول » فلا
يتسم ما قاله في الشق الثاني من قوله . وإلا فيحتمل ما قال .

نعم اقتصر الشيخ أبو ^(٢) الفضلي على مجرد ذلك المثال ، وهو أفقه ابن حجر
له بقوله ، وإلا فيحتمل ما قال إن [أراد] ^(٣) أن ذلك المثال . وهذا الاحتمال
في الآية القرآنية . فقد هرفت اندفاع ذلك من الأصل ، ولكن كان يلزمني لهما
أن يحتاجا لدخول بعض أولياء الله وصلاحه عباده في الظاهر بشيء من الغيب
الذي استأمر الله بعلمه بما قدمنا من قوله : « كنت سمعته الذي يسمع به ، وبصره
الذي يبصر به الخ » .

ولو فرضنا أن دلالة هذا مخصوصة بقوله : « لا يظهر على غيبه أحداً إلا
من ارتضى من رسول » فإن هذا النفي والاستثناء مشعران أتم إشعاراً بخصوص
ذلك بمن جمع بين وصف كونه ممن ارتضاه الله ، ووصف كونه رسولا .
والولي وإن كان ممن ارتضاه الله ، فإن وصف المحبة له يفيد كونه مرتضى لله
لكنه ليس برسول .

نعم ما قدمنا من حديث المحدثين ، وأن في هذه الأمة منهم ، وأن منهم

(١) الفتح ص ٢٩٨ مع زيادة كلمة (تعالى) .

(٢) هكذا في (أ) ولعلها بالباء أحسن لأنها مجرورة بالإضافة ، ويجوز
أن يكون الشوكاني قد قصد الحكاية .

(٣) في (أ) تسكررت (إن أراد) وبذلك الرسم .

هر رضى الله [عنه] ^(١) يفيد أهظام إفادة بأن وصف كونه من المحدثين طريقه إلى تلقى شيء من علم الغيب ووصوله إليهم ، والحديث في الصحيحين .
وانظر إلى قول عمر رضى الله عنه : « ياسارية الجبل » مع كونه في المدينة ينطرب في منبرها ، وسارية ومن معه من المسلمين في أقاصى بلاد المعجم فأطاعه الله على الحرب الذى هم فيه حتى كأنه مشاهد لهم ، وأسمعهم الله ^(٢) صوته فنقمهم به وسلموا ^(٣) من معرة الكفار مع أن ذهنه في تلك الحالة ^(٤) كان مشغولاً بالخطابة التى هي محتاجة إلى جمع الفهم هليها ، وإفراغ الذهن لها ، وعدم الاشتغال بغيرها ، لتكون ذلك في مجمع الصحابة رضى الله عنهم ، وهم أهل النصيحة التامة والبلاغة الفائقة .

فانظر إلى ما منح الله هذا الرجل من المواهب العظيمة من كل باب : جملة خليفة المسلمين وإمامهم ثم فتح الله له أقطار الأرض ، وكانت دولته مثلاً مضروباً لكل دولة جامعة بين كمال الحزم والورع ، والعمل بالشريعة الواضحة ثم جعل له من المهابة في الصدور ما لا تبلغ إليه المهابة لعاقل ، أو جائر ^(٥) حتى قال الناس : إن درته أهييب في الصدور من سيف الججاج الذى قتل بن هباد الله ظملاً وهدواً نحو مائة وعشرين ألفاً .

وكان ابن عباس رضى الله عنه ^(٦) يقول : « إذا هوتب هلى قول لم يقله في أيام عمر ، أو هلى فتيا لم يفت بها في زمانه : كان عمر مهيباً فهبته » ولقد صدق

(١) في (أ) (عنها) وهو سهو من المؤلف .

(٢) في (ب) (سبحانه) بعد لفظ الجلالة .

(٣) في (ب) (وأسلمهم) (٤) في (ب) (الحال) .

(٥) في (ب) (جائز) دون نقط أو وضع همزة .

(٦) ههما في (ب) وهو سهو من الناسخ .

من قال : « إن سعادة المسلمين طويبت في أكفان عمر » لأن معظم الفتوح^(١) الإسلامية فيها ثم حدث بعده ما حدث من الاختلاف العظيم في آخر أيام الإمام المظلوم الشهيد [همام] بن عذان^(٢) رضى الله عنه . وما زالت من بعده قبله سيوف المسلمين مختلفة ، من بعضهم على بعض إلى هذه النهاية ، وأنت إذا كنت عالماً بأخبار النمامى عارفاً بما [اشتملت]^(٣) عليه تواريخ أهل الإسلام لم تشك في هذا ، ولأنجل هذه المزايا الحميرية قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، لما رأى عمر في أكفانه : « ما أحب أن ألقى الله بعمل رجل من الناس إلا بعمل هذا » وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذووا الفضل .

وقد أخبرنا الصادق المصطفى بأن خلافة النبوة بعده ثلاثون عاماً ، [فكلمت]^(٤) بخلافة الحسن السبط^(٥) رضى الله عنه .

وهذا مما ألقاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أصحابه من هم الغيب فيه مدخل في الاستدلال به على ما نحن بصدده .

ومن إخباره صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه رضى الله عنهم بما هو من هم الغيب مما يتعاقب بهذا الإمام : الحسن السبط رضى الله عنه : قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن أبى هذا سيد ، وسيد صاحب الله به بين طائفتين من المسلمين » فكان ذلك كما أخبر به الصادق المصدوق . وبالجمل فالأخبار المتأخرة عن النبي

(١) في (ب) (الفتوحات) (٧) (أ) و (ب) (عنمن) .

(٣) في (أ) (اشتمل) ولكن اشتملت أوفق انطابقتها مع (تواريخ) .

(٤) في «أ» كتبها المؤلف هكذا (فكلمت) .

الأعلام

(٥) هو الحسن بن على بن أبى طالب : تولى الخلافة بعده أبيه ثم تنازل عنها في نفس العام سنة ٤٠ هـ لمعاوية بن أبى سفيان .

صلى الله عليه وآله وسلم من غيب الله كثيرة جداً تشمل هليها المؤلفات المدونة في معجزاته .

تواضع الولي وحقيقته :

واعلم أنه قد استدل البخاري بهذا الحديث الذي شرحناه هلى التواضع ذكره له في باب التواضع ، فمن جهة ما يستفاد منه مشروعية التواضع . وقد قال ابن حجر في الفتح عند تمام شرحه لهذا الحديث .

« تلبيه : أشكل وجه دخول هذا الحديث في باب التواضع حتى قال الداردي : ليس هذا الحديث من التواضع في شيء . وقال بعضهم : المناسب إدخاله في الباب الذي قبله وهو مجاهدة المرء نفسه في طاعة الله تعالى :

والجواب من البخاري من أوجه :

أحدها : أن التقرب إلى الله تعالى بالتواضع لا يكون إلا بغاية التواضع لله تعالى والتذلل له . ذكره السكرماني .

وثانيها : ذكره أيضاً فقال : قيل : الترجمة مستفادة مما قال : كنت سمعه ، ومن التردد .

قلت . ويخرج منه جواب ثالث ، ويظهر لي رابع ، وهو أنه يستفاد من لازم قوله من عادى لي ولياً لأنه يقتضي الزجر عن معاداة الأولياء المستنزم لو الاتهام . وموالات جميع الأولياء لا تنأى إلا بغاية التواضع لله تعالى ، والتذلل له ، إذ منهم الأشعث الأغبر الذي لا يؤبه له .

وقد ورد في الحث هلى التواضع هدة أحاديث صحيحة ، لكن ليس في شيء منها هلى شرطه فاستغنى عنها بمهدي^(١) الباب .

(١) وهما هذا الحديث « موضوع هذا الكتاب » وحديث قبله فقط وهو =

منها حديث هياض بن حمار رفعه : « إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد » أخرجه مسلم ، وأبو داود وغيرهما . ومنها حديث أبي هريرة رفعه « وما تواضع أحد لله تعالى ^(١) إلا رفعه » أخرجه مسلم أيضا . والترمذي . ومنها حديث أبي سعيد رفعه : « من تواضع لله رفعه الله تعالى حتى يجعله في أعلى علمين » الحديث . أخرجه ابن ماجه وصححه ابن حبان ^(٢) انتهى .

أقول : كثيراً ما يقع في أذهان كثير من الناظرين في البخاري عدم المطابقة بين بعض تراجم الأبواب ، وبين ما ذكره فيها من الأحاديث ، فإذا أعطوا الفهم حقه ، وتدبروا كل التدبر ، وجدوه قد عمد إلى معنى دقيق ومنزع لطيف من منازع ذلك الحديث فجعله دليلاً على الترجمة ، وإذا لم يجد على شرطه شيئاً مما يصلح لذلك الباب ، جهل مجرد ترجمته إشارة إلى ذلك الخبر الذي لم يكن على شرطه .

وقد منح الله هذا الرجل من صدق الفهم ونفوذ الذهن ما لم يكن ليفتره من أذكياء العالم . هذا مع ما وهب له من حفظ السنة المطهرة والتمييز بين صحيحها وسقيمها ، وإختيار ما اختاره في كتابه من أصح الصحيح حتى سماه كثير من أئمة هذا الشأن ، أمير المؤمنين في الحديث ، وجعل الله سبحانه كتابه هذا أرفع مجاميع كتب السنة المطهرة وأهلها وأكرمها عند جميع الطوائف الإسلامية ، وأجلها عند كل أهل هذه الأمة . وصاروا في جميع الديار إذا دعاهم

== قول رسول الله صلى الله عليه وسلم . « إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه » . ينظر صحيح البخاري (باب التواضع) ، كتاب ، الرقاق والله لا يعيش إلا عيش الآخرة .

(١) في (ب) سقطت من النسخ (تعالى) .

(٢) الفتح ص ٢٩٨ .

صدر أو أسيبوا بمذهب يفزهون إلى قراءته في المساجد والتوسل إلى الله
بالمسكوف على قراءته لما جربوه قرناً بعد قرن وهدماً بعد هدم من حصول
الهدم والافتقار إلى الأهداء بالتوسل به ، واستبدال حيث السماء ، واستدفاع
كل الشورور بذلك ، ومصار هذا ليسهم من أعظم الوسائل إلى الله سبحانه ،
وهذه مزية عظيمة ، ومنقبة كريمة ، ولم يكن هذا لغير هذا الكتاب من حسن
الانتقاء ، وسلامة ما اشتمل عليه من قول وقيل ، ومن تعرض لشيء من ذلك
أرغم الله أنفه بما يرد عليه أهل الإتيان من الردود التي تدفع اعتراضه هباء
منشوراً ، وهشياً تذروه الرياح .

وقد كان هذا الرجل في العبادة على اختلاف أنوعها ، وإثراء في الدنيا
بمنزلة عالية برتبة رفيعة ، وتم الله له ذلك بما استحسن به في آخر أيامه من أهداء
الكلماء النمايين ، والمتجربين على عباد الله الصالحين حتى مات كمداً رحمه الله
ووفر عنه جزاءه فسكوف في كتابه هذا بهذا الحظ العظيم في الدنيا ،
ليتوفر في الأخرى بما ^(١) يصل إليه من الثواب المصالح من انتفاع الناس به ،
فإن العلم الذي ينتفع به هو إحدى الثلاث التي يدوم لميت ثوابها بعد انتفاع
كل شيء عنه ، كما صح الحديث بذلك الذي أخرجه مسلم من حديث أبي
هريرة قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا مات ابن آدم
انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو
له » وأخرجه ابن ماجه بإسناد صحيح من حديث أبي قتادة بنحوه .

وبما ذكرنا نعرف الجواب على ما قاله الداودي إجمالاً .
وأما ما حكاه ابن حجر عن السكرماني من الوجهين المذكورين . فيقال
على الأول : إن كل العبادات وسائر العبادات فرائضها ونوافلها هي عبادة

(١) في (ب) (ما) دون الباء وهو سهو من السامع .

لرب . والمأبد متواضع للمعبود دائماً خصوصاً هذه العبادة . فما الوجه لتقييد
للتواضع المذكورة في الباب بقيد التواضع مع أن غيرها مثلاً ؟ .

وهذا ورد أن الصلوات ^(١) الفرائض وغيرها تتفاوت بتفاوت المشيوع
حتى تكون لبعض العباد صلاة كاملة ، وللبعض نصف صلاة وللبعض أقل
من ذلك ، كما في الحديث الوارد في هذا المعنى .

والمشيوع لا يتم إلا بنهاية المشيوع فلهذه خاصة العبادات ، خصوصاً ^(٢)
الصلوات شاملة لا تختص بنوع منها . وكلها إذا حصل الاستكثار من نوافلها
حصلت للمعبود المحبة من الرب عز وجل فيلزم ههنا أن العبادات كلها يستدل
بها على التواضع في جميع الأساطير المذكورة في أنواعها في البخاري وغيره ،
بل مجرد العبودية إذا لم تكن على تواضع وخضوع فليست عبودية ^(٣)
معنبرة .

وأما الوجه الثاني فما بعده . فالرب سبحانه تد وصف نفسه بأنه المنكبر
وأنه ذو الكبرياء ، وأنه ذو الجلال ، فما أسمى بأن يوصف بالتواضع مع عبده
الحقير القليل .

قال في المصباح : التواضع : التذلل . فانظر هل يفتح إطلاق التواضع
الذي معناه في هذه اللغة العربية التذلل على رب العالم وخالق السك والرازقه
وحميه ومجته ؟ سبحانه هذا بهتان عظيم .

تملى قدرك وجل اسمك ، سبحانه ما أعظم شأنك ، سبحانه ما أهرز
سلطانك .

(١) (ب) الصلاة (٢) في (ب) (وخصوصاً) ، بزيادة الواو .

(٣) في (ب) (عبودية) .

وأما قول ابن حجر : قلت ويخرج منه جواب ثالث ، يريد أنه يخرج من التردد كما خرج من قوله « كنت معه » وهذا الذي استخرجه مثل الوجه الثاني الذي ذكره السكرماني . وكلاهما في غاية السقوط ونهاية البطلان .

أما قول ابن حجر ، ويظهر لي وجه رابع إلى آخر كلامه ، فلما قيده بأن يكون التواضع لله سبحانه لم يبق لاولي منه شيء .

ولا موجب لذلك فإن تواضع العباد مع بعضهم البعض ، هو الذي تدب الله إليه وجاءت به الترغيبات الكثيرة .

وأما تواضع العباد مع الرب سبحانه فهم أحقر وأقل من أن يتواضعوا له ، وإن كان ذلك من لوازم العبودية .

وانظر في مثال هذا في الأحوال ، فإنه يسمح أن يقال : تواضع الرجل لسلطانة روالديه ، لأن التواضع هو التذلل بعد التلبس بضده ، كما تدل عليه صيغة التفعّل مع أن ابن حجر ذكر في أول هذا الباب ما لفظه : « باب التواضع بضم المعجمة مشتق من الضعة بكسر أوله وهي التذلل والهوان . والمراد بالتواضع : إظهار التذلل لمن يراد تعظيمه : وقيل : هو تعظيم من فوقه لفضله » ^(١) انتهى .

فانظر هل يصح إطلاقه على الرب عز وجل هل كلا للمعنيين ؟ . فلعله سوي من أول الباب .

وأما تواضع العباد مع بعضهم البعض ، فهو الممدوح المرغّب فيه ، كما ذكره في الحديث الذي استدل به في آخر البحث « إن الله ^(٢) أوحى إلى أن

(١) الفتح ص ٢٩٣ ج ١٣ (٢) في (ب) نسي الناسخ لفظ الجلالة .

تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، فإن المراد تواضع العباد [لبعضهم] ^(١) .
البعضى حتى لا يفخر أحد على أحد .

وأما حديث : لا من تواضع لله رفقه الله ^(٢) الخ . فالمراد تواضع لعباد الله لأجل الرب سبحانه ^(٣) استمالا لما أرشد إليه رسوله ، أو يكون المراد به (التواضع لكتابه واسمائه وصوره واهله وأئمة ولائهم من هذا فإن الله ^(٤)) أعظم وأجل من أن يتواضع له العباد ، فيكون معنى قوله من تواضع لله من تواضع لأجل الله هو وجل . ومن هذا التجميل من تصدق الله ، من أحب الله ، وأبغض الله ، ونحو ذلك كثير .

وإذا عرفت هذا كان هذا الوجه الذى ذكره ابن حبيب أحسن ما يحمل عليه ترجمة البخارى ، لكن بدون ذلك التقيد إلا أن يريد هذا المعنى الذى ذكرناه ، فيكون معنى قوله لا يتأتى إلا بغاية التواضع لله ، أى لأجله .

وقد وردت أحاديث فى مشروعية التواضع خبر ما ذكره المصنف ، منها ما هو صحيح ، ومنها ما هو حسن .

وورد فى ذم التكبر الذى هو مقابل التواضع أحاديث صحيحة ، منها ما فى الصحيحين وغيرهما من حديث حارثة بن وهب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل همل [جواظ] ^(٥) مستكبر . ومنها حديث أبى سعيد وأبى هريرة عند مسلم وغيره قال : « يقول الله عز وجل : العز إزاره ، والتكبرياء رداؤه ، فن نازعنى واحداً »

-
- (١) فى (أ) (لبعض البعض) وليس أسلوباً مستقيماً ، ولم يسع بمثل هذا التعبير .
(٢) فى (ب) نسي الناسخ لفظ الجلالة (٣) فى (ب) (وتعالى) بعد سبحانه .
(٤) نسي الناسخ فى (ب) من أول (التواضع إلى — فإن الله) .
(٥) فى (أ) ، (ب) (جواظ) بالضاد ، وهو تصحيف .

منها حديثه ^(١) .

ومنها حديث أبي سعيد هند مسلم قال : « استنجت الجنة والنار فقاتل النار في الجبارون ، وللتكبرون ، وقالت الجنة في ضعف المساكين ومساكينهم » وأخرج مسلم وغيره من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكهم ، ولا ينظر إليهم ، ولم يذهب أليم : شيخ زان ، ولك كذاب ، وعاهل ^(٢) مصمكبر » وأخرجه البزار بإسناد حسن من حديث سلمان :

وأخرج النسائي والترمذي وحسنه من حديث ابن محرو ، نحوه وأخرج مسلم وغيره من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » ، وأخرج البغاري وغيره من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « بينما رجل عن كان قلبكم يحرق إزاره من الخيلاد خسف به فهو يتجملجل في الأرض إلى يوم القيامة » .

وأخرج نحوه أحمد والبزار برجال الصحيح من حديث أبي سعيد . وأخرج نحوه البزار بإسناد رجاله ثقات من حديث جابر .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل رأسه يمتل في مشيته إذ خسف الله به فهو يتجملجل في الأرض إلى يوم القيامة » :

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عمر عنه صلى الله عليه وآله وسلم

(١) في (ب) زاد الناسخ (باري) .

(٢) في (ب) (عاهل) وهو خطأ كما تقدم قبل ذلك .

« لا ينظر الله إلى رجل جر ثوبه خيلاء » .

وأخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه
من حديث ثوبان قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من مات
وهو يرى من الكبر والافول والدين دخل الجنة » :

خاتمة الشرح :

والى هنا انتهى الشرح للحديث القدسي في شهر الاثنين، اعدته صابغ شهر
القمعة من شهر سنة ١٤٣٩ : بقلم مؤلفه « محمد بن علي النشوتاني حفظه الله هـ ما »

أهم المراجع (أ) المراجع العربية

القرآن الكريم .

المعجم للأفهام لألفاظ القرآن الكريم . محمد فؤاد عبد الباقي .

صحيح البخاري .

الجامع الصحيح للإمام مسلم .

ابن تيمية : (أحمد عبد الحليم) :

١ — الفرقان بين أولياء الرحمن ، وأولياء الشيطان (الطبعة الثانية سنة ١٩٥٨ م) . تصحيح وتعليق ، (محمود عبد الوهاب فايد) .

٢ — مجموعة الرسائل والمسائل . طبعة للنار .

٣ — النسخة العراقية (في الأعمال القلبية) الطبعة الأولى إدارة الطباعة النورية .

٤ — الرد الأقوم على ما في كتاب فصوص الحكم . المطبعة السلفية سنة ١٩٤٩ م .

٥ — بغية المراتد في الرد على المنطسفة والقراطة ، وللباطنية . ج ٥ من مجموعة فتاوى ابن تيمية طبعة سنة ١٣٢٩ هـ مطبعة (كردستان العلمية) .

٦ — شرح العقيدة الأصفهانية ج ٥ من مجموعة الفتاوى الطبعة للتقدمة .

٧ — منهاج السنة النبوية ج ١ ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم طبعة سنة ١٩٦٢ م . وطبعة سنة ١٣٢١ هـ المطبعة الأيرية ببولاق .

- ٨ — رأس الحسين . طبعة سنة ١٩٤٩ م مطبعة السنة المحمدية .
- ٩ — نقض المنطق طبعة سنة ١٩٥١ م مطبعة السنة المحمدية .
- ١٠ — رسالة الصوفية والفراء . الطبعة الثانية . المنار سنة ١٣٤٨ هـ .
- ١١ — عقيدة أهل السنة ، الفرق الناجية . مطبعة أنصار السنة سنة ١٣٥٨ هـ
- ١٢ — القبوات . إدارة الطباعة المنيرية سنة ١٣٤٦ هـ .
- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي) :
 - ١ — تلميس إبليس . إدارة الطباعة المنيرية . الطبعة الأولى .
 - ابن صينا :
 - ١ — الإشارات والتعليقات . تحقيق الدكتور سليمان دنيا . الطبعة الأولى دار المعارف سنة ١٩٥٨ .
 - ٢ — رسالة الزيارة . مخطوطة بدار السكتب المصرية ضمن مجموعة رقم (٢٦٩٤ ، و) .
 - ابن عربي (أبو بكر محمد بن علي الملقب بمحيي الدين بن عربي) .
 - ١ — الفوحات المكية طبعة بولاق سنة ١٨٧٦ هـ .
 - ٢ — فصوص الحسم . تحقيق الدكتور أبو العلا هديني ، طبعة سنة ١٩٤٦ م .
 - ٣ — تفسير ابن عربي . المطبعة البعثية بالقاهرة .
 - ٤ — هداية مغرب . الدارسة الرسانية سنة ١٣٥٣ هـ .
 - ابن كثير . (إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ) .
 - ١ — تفسير القرآن العظيم طبعة سنة ١٩٥٦ .

ابن هشام (أبو محمد هبید الملائک بن هشام بن أيوب الحميري) :

١ - السيرة النبوية . طبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٩٣٦ م .

أبو الحسن الأشعري :

رسالة في استحقاق الخوض في علم الكلام . طبعة حيدر آباد الدكن

سنة ١٣٢٣ هـ

أبو السعود (محمد بن محمد العمادى) :

١ - تفسير أبو السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)

على هامش تفسير الفخر الرازي . مطبعة الكافوخانة سنة ١٢٨٩ هـ .

أبو هبید الرحمن السلمي :

١ - حقائق التفسير مخطوط بدار الكتب رقم ٤٨١ تفسير .

الدكتور أبو العلا هففى :

١ - (النصوص) الثروة الروحية في الإسلام : الطبعة الأولى ، دار

المعارف بالأسكندرية .

١ - التعليلات على فصوص الحکم لابن عربى طبعة سنة ١٩٤٦ .

٢ - من أين استقى ابن عربى فلسفته التصوفية . مجلة كلية الآداب ٩٦

مجلة (١) مايو سنة ١٩٣٣ م .

الدكتور أبو الوفا الفنجى ، التفتازانى :

١ - ابن همام الله الاسكندري وتصوفه ، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٨ .

التستري (أبو محمد سهل بن هبید الله التستري) :

١ - تفسير القرآن العظيم . طبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٩٢٩ هـ .

أحمد حميد الدين السكرمانى (الداهية الإسماعيلية) :

٣٥ - ولاية الله

١ — راحة العقل طبعة دار الفكر العربي سنة ١٩٥٢ . تحقيق الدكتور

محمد مصطفى حلي ، والأستاذ محمد كامل حسين .

إخوان الصفاء :

١ — رسائل إخوان الصفاء . المكتبة النيبارية سنة ١٩٢٨

أسين بلاثيوس :

١ — ابن عربي (حياته ومذهبه) ترجمة الدكتور هبيل الرحمن بدوي

مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٥ .

الدكتور توفيق النوايل :

١ — الأحلام . المطبعة الأولى سنة ١٩٤٥

الدكتور جبور عبد النور :

١ — إخوان الصفاء . دار المعارف سنة ١٩٦١ (نوافل الفكر العربي) - (٧)

الدكتور أحمد أمين :

زعماء الإصلاح في العصر الحديث (طبعة ١٩٥٨) .

دي بور :

١ — تاريخ الفلسفة في الإسلام . ترجمة الدكتور محمد هبيل الهادي

أبو ريطة طبعة لجنة التأليف سنة ١٩٤٨ .

روحيه باستيد :

١ — مبادئ علم الاجتماع الديني . ترجمة الدكتور محمود قاسم الأنجلو

سنة ١٩٥١ .

الزنجشري :

١ — تفسير الكشاف . مطبعة الاستقامة سنة ١٩٤٦ .

سامي السكيالي :

١ - السهر وردي : نوابغ الفكر العربي - ١٣ - دار المعارف سنة ١٩٥٥ .

السجستاني (أبو بكر السجستاني المتوفى سنة ٣٣٠ هـ) :

١ - نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن . هلى هاش للمصحف طبعة
المكتبة السعيدية .

السراج (أبو نصر) :

١ - الامع تحقيق الدكتور عبد الحليم محرد ، وطه عبد الباقي سرور ،
دار المكتب الحديثة بمصر سنة ١٩٦٠

السهر وردي البغدادي (ا وحفص عمر ١١٤٥ - ١٢٣٤ م) :

١ - مرارف المعارف : هلى عامش الإحياء للنزالي ، المطبعة الأميرية
بيولاق سنة ١٢٨٩ هـ .

السهر وردي الحلبي . أو المقتول :

١ - مجرمة في الحكمة الإلهية . نشر جمعية المستشرقين الألمانية استانبول
مطبعة المعارف سنة ١٩٤٥ .

٢ - هياكل النور . تحقيق الدكتور أبو ريان . المطبعة التجارية
الطبعة الأولى .

السيوطي :

١ - القول الأشبه في حديث (من عرف نفسه فقد عرف ربه) ضمن
مجرمة رسائل السيوطي . مخطوط دار المكتبة رقم (٧٥ مجاميع)
قوله .

الشوكاني (محمد بن علي) :

- ١ — العقد الثمين ، في إثبات وصاية أمير المؤمنين علي رضي الله عنه .
المطبعة المنيرية سنة ١٣٤٨ هـ .
- ٢ — نثر الجواهر على حديث أبي ذر . مصور بدار السكتب رقم :
(٣٣٤٧٣ ب)
- ٣ — عقود الزبرجد في جبهه مسائل هلامه ضمد . مخطوط ولدى منه نسخة .
- ٤ — الدواء العاجل في دفع العدو الصائل . في مجموعة بعنوان ترحم الصدور
بتحريم رفع القبور ، مطبعة السنة الحمديّة سنة ١٩٤٧ م .
- ٥ — القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد . طبعة مصطفى البابي الحلبي
سنة ١٣٤٧ هـ .
- ٦ — إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول الأصول . المطبعة
المنيرية سنة ١٣٤٧ هـ .
- ٧ — بحث في وجوب محبة الله . مخطوط ولدى منه نسخة .
- ٨ — فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير . طبعة
مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٤٩ هـ .
- ٩ — الفوائد المجموعة ، في الأحاديث الموضوعة . تحقيق عبد الرحمن
ابن يحيى الديلمي البياني طبعة سنة « ١٩٦٠ أنصار السنة الحمديّة بدمر »
- ١٠ — قطر الولي على حديث الولي (موضع التحقيق والدراسة) .
الطهري :
- ١ — جامع البيان ، من تأويل وتفسير القرآن . تحقيق الأستاذ محمود
محمد شاكر . طبعة المعارف الأولى .

طه هبب الباقي سرور :

١ - الحسين بن منصور الخلاج طبعة ١٩٦١ .

الظواهرى :

الألم والعلماء . المطبعة العمومية بطنطا سنة ١٩٠٤ .

القاضي هبب الجيسار :

١ - المغنى فى أبواب التوحيد والعدل ج ١٥ طبعة ١٩٦٥ هببى الحلبي .

تحقيق الدكتور محمود الخضيرى ، والدكتور محمود قاسم .

٢ - ج ٢٠ فى الإمامة . الدار المصرية ، لتأليف والترجمة والنشر .

تحقيق د . هبب الخليم محمود ، د . سليمان دنيا .

هبب الجليل عيسى :

١ - صفوة صحيح البخارى ج ٣ ، ج ٤ الطبعة الرابعة سنة ١٩٤٨ .

الدكتور هبب الخليم محمود :

١ - (منطق التصوف) مقدمة للمنقذ من الضلال ، للإمام الغزالى

الطبعة الثانية (الأنجلو المصرية سنة ١٩٥٥) .

هبب الحى الاسكنوى الهندى :

تذكرة الراشد برد تبصرة المناقد . طبع الهندى .

الدكتور هلى سامى المشار :

١ - نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام . النهضة المصرية سنة ١٩٥٤ .

الدكتور هلى هببى هتمان :

١ - الإنسان عند الغزالى . تعريف الأستاذ خيرى حماد ، الأنجلو سنة ٦٤

الإمام الغزالي :

- ١ - إجماع العوام من علم الكلام . (إدارة الطباعة المنيرية) .
- ٢ - جواهر القرآن . طبعة الجندی . إشراف الشيخ محمد مصطفى أبو العلا .
- ٣ - الرسالة الدنية للغزالي . ضمن مجموعة التصور الموالي للإمام الغزالي (مكتبة الجندی - القاهرة) .
- ٤ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس . مطبعة السعادة المطبعة الأولى سنة ١٩٤٧ .
- ٥ - إحياء علوم الدين . المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٢٨٩ هـ . وطبعة لجنة نشر النفاة الإسلامية سنة ١٣٥٦ هـ .
- ٦ - فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة . طبعة الجندی .
- ٧ - كيمياء السعادة . مكتبة الجندی ، تعليق وتصحيح محمد جابر من علماء الأزهر .
- ٨ - المستصفى في علم الأصول . المطبعة التجارية سنة ١٩٣٧ م .
- ٩ - المنقذ من الضلال ، تحفة الدكتور عبد الحليم محمود . المطبعة الثانية الأجلو سنة ١٩٥٥ .

الفارابي :

- ١ - آراء أهل المدينة الفاضلة . المطبعة الثانية ١٩٤٨ .
- فتح الله بن أبي بكر البنانى :
- ١ - تحفة الأصفياء في بيان معنى القول بمعصية الأنبياء ، على هامش كتاب (إتحاف أهل العناية الربانية) له - واف نفسه . المطبعة الأولى سنة ١٩٣٤ هـ .

الفخر الرازي :

- ١ — مفاتيح الغيب المشهور بتفسير الفخر الرازي مطبعة السكاكيد خانه
سنة ١٢٧٩ هـ .

القشيري :

- ١ — الرسالة القشيرية . طبعة محمد هلى صبيح سنة ١٩٥٧ م .
الدكتور كامل مصطفى الشبيبي :
١ — الصلة بين التصوف والتذرع الطبعة الأولى بغداد سنة ١٩٦٣ م .
الكلينى (أبو جعفر محمد بن يعقوب الكلينى) :
١ — الكافي مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (١٢٢٦ ب) .
محمد زبارة البنى .
نيل الوتر . المطبعة السلفية ١٣٥٠ هـ

محمد بن عطية المسكى :

- ١ — علم القلوب . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (١١٣ تصوف)
محمد أبو الفيض المنوفى :
١ — المدخل إلى التصوف الإسلامى : الطبعة الأولى عدد ٧٦ من سلسلة
(مذاهب وشخصيات) دار القومية للطباعة والنشر .

الدكتور محمد هلى أبو ريان :

- ١ — أصول الفلسفة الاشراقية عند السهروردى طبعة سنة ١٩٥٩

الدكتور محمد غنيمى هلال :

- ١ - ليلى والمجنون ، فى الأدبين العربى ، والفارسى : الأنجلو المصرية
الطبعة الأولى .

الدكتور محمد مصطفى حلمي :

١ — الحياة الروحية في الإسلام طبعة سنة ١٩٤٥ م

الدكتور محمد يوسف موسى :

١ — فلسفة الأخلاق في الإسلام . طبعة سنة ١٩٤٥ م .

الدكتور محمود قاسم :

١ — دراسات في الفلسفة الإسلامية الجامعة الأولى سنة ١٩٦٦ م
مكتبة الأنجلو المصرية .

٢ — جمال الدين الأفغاني (حياته وفلسفته) الأنجلو المصرية الجامعة الأولى

٣ — (ابن باديس) الزعيم الروحي لحركة التحرير الجزائرية . طبعة سنة
١٩٦٨ م . دار المعارف .

٤ — مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد . تقديم وتحقيق الدكتور
محمود قاسم . الأنجلو سنة ١٩٥٥ .

٥ — المنطق الحديث ومناهج البحث . الأنجلو الجامعة الثالثة .

الإمام النسفي (أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي) :

١ — تفسير النسفي .

نيكولسون :

١ — في النهج الإسلامي وتاريخه . ترجمة الدكتور أبو الملاح هاني .
طبعة سنة ١٩٥٦ م . لجنة التأليف .

يوسف كرم :

١ — تاريخ الفلسفة اليونانية ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،
سنة ١٩٤٦ .

(ب) المراجع الإفرنجية

- (1) (La Lande) Vocabulaire - Technique et critique de la Philosophie. P. U. F. Paris 1951.
 - (2) Les Problemes de la Vie myetique par roger bastide.
 - (3) Carl Brockel Mann : Arabischen literatur 1943.
 - (4) Corbin (Henri) : Histoire de la philosophie Islamique.
(Gallmard 1964).
-

محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	الإهداء
٥	حديث الولي
٧	تقديم
١٣	الفقرة الأولى (التعريف بالإمام الشوكاني)
١٥	١ - ميلاده ونشأته
١٧	٢ - حياته العلمية والعامة
٢٠	(١) دعوته إلى الاجتهاد
٢٨	(٢) الدعوة إلى عقيدة السلف في الأصول
٣٣	(٣) دعوته إلى تطهير الاعتقاد
٣٨	(٤) الشوكاني وابن تيمية وابن عبد الوهاب
٤١	٣ - أساتذته
٤٢	٤ - تلاميذه
٤٦	٥ - مكتبه
٤٦	(أ) المخطوطة
٦١	(ب) المطبوعة
٦٥	٦ - الفقرة الثانية (ولاية الله والطريق إليها) دراسة على كتاب
٦٧	(قطار الولي على حديث الولي)
٦٩	منهج هذه الدراسة
٦٩	الفصل الأول (من هو الولي)
٦٩	(١) مفهوم كلمة (ولي) في اللغة وعند جمهور المسلمين .

الصفحة	الموضوع
	(ب) مفهوم الولاية عند غلاة الصوفية ، وصلة ذلك
٧٨	بمفهوم غلاة الشيعة
٧٩	١ — الوصاية
٨٠	٢ — العلم اللدني
٨٣	٣ — العصمة
٨٦	٤ — القضاء
٩٨	الولاية عند أبي عريبي
١٠٤	(ج) مناقشة هذا المفهوم عند الشيعة والصوفية
١٠٧	١ — رد فكرة الوصاية
١٠٨	٢ — رد فكرة العصمة
١١٥	٣ — ماذا وراء الاتفاق بين هاتين الطائفتين
١١٩	الفصل الثاني (شخصيات الأولياء وأصنافهم)
١٢٩	مناقشة ابن تيمية والشوكاني
١٣٧	الفصل الثالث (الطريق إلى ولاية الله)
١٤١	(١) الطريق إلى ولاية الله كما يراه الإمام الشوكاني
١٤١	(١) الإيمان بالله
١٤٣	(ب) أداء الفرائض
١٤٤	١ — الفرائض الظاهرة
١٤٥	٢ — الفرائض الباطنة
١٤٦	(ج) التقرب بالدوافل
١٤٧	١ — من نوافل الصلاة
١٤٧	٢ — من نوافل الصيام

الصفحة	الموضوع
١٤٩	(ب) الطريق إلى الله كما يراه الصوفية
١٥٤	الزهد
١٥٩	الترهب وترك الزواج
١٦١	السماع والغناء
١٦٦	الحلوة والعزلة
١٦٧	الحلوة اتجاه سلبى
١٧١	الحلوة والعلم الدنى
١٧٩	(ج) موازنة بين طريقة الإمام الشوكانى وطريقة الصوفية
	الفصل الرابع (الإنسان بين مظاهر حب الله له)
١٨٢	(١) المنزلة الدينية للإنسان المتقرب إلى الله
١٨٢	١ — المسكنة الدينية للإنسان المتقرب إلى الله عند الشوكانى
١٨٢	٢ — المسكنة الدينية للإنسان المتقرب إلى الله عند الصوفية
١٩٢	(ب) إسناد الكرامات للأولياء
١٩٢	١ — رأى الإمام الشوكانى
١٩٣	٢ — رأى الفلاسفة الاشرقيين والصوفية
١٩٦	الفصل الخامس (أفضل الأولياء)
١٩٦	(١) رأى الامام الشوكانى
١٩٦	(ب) رأى الصوفية
٢٠٥	فكرة خاتم الأولياء عند ابن عربى ومناقشتها
٢١١	نهاية المطاف
٢١٣	الفقرة الثالثة (قطار الولى على حديث الولى
٢١٥	الأمول المتعاطوة للكتاب

الصفحة	الموضوع
٢١٨	منهج التحقيق
٢٢١	صورة لنلاف النسخة (١)
٢٢٣	صورة للصفحة الأولى من المخطوطة (١)
٢٢٥	صورة للصفحة الثانية من المخطوطة (١)
٢٢٧	صورة للصفحة الأخيرة من المخطوطة (١)
٢٢٩	تقديم
٢٣٤	الفصل الأول (من هو الولي ؟)
٢٣٦	تعريف الولي
٢٣٨	أفضل الأولياء
٢٤٨	الأولياء غير الأنبياء ليسوا بمعصومين
٢٤٩	المقياس في قبول الواقعات والمكاشفات
٢٤٩	إمكان وقوع المكاشفات
٢٥٠	الواجب على الولي فيما يصدر من أعمال
٢٥٢	خوارق غير الأولياء
٢٥٤	المكاشفات للصحيحة وأولياء المؤمنين
٢٥٥	شخصية الولي
٢٥٧	جواز الكرامات
٢٥٩	من كرامات الصحابة رضى الله عنهم
٢٦٨	من كرامات التابعين رضى الله عنهم
٢٧٧	مقى يكون الخارق كرامة
٢٧٣	المعاعدة من الولي كما يمكن أن تتصور
٢٧٨	عود إلى مقياس الولاية

الموضوع	الصفحة
المراد بالشريعة	٢٨١
الكونيات والدينيات في القرآن الكريم	٢٨٢
القدرة ونفي احتجاج العصاة به	٢٩٠
الصحابة رضى الله عنهم ومركزهم من الولاية	٢٩٢
موقف أهل البيت من الصحابة رضى الله عنهم	٢٩٨
مبدأ الباطنية وكيف قاموا	٢٩٩
كراهة الرافضة للصحابة أريد به هدم السنة	٣٠٥
نصيب العلماء من الولاية	٣٠٧
أسباب رسوخ العلماء في الولاية	٣٠٩
حماية العلماء العاملين للأمة من التناقيد	٣١٠
الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله في مسائل الدين هو الطريقة العلمية	٣١٧
حقيقة المقلد والتقليد وحكمها	٣٢١
التقليد في نظر العلم والمعرفة	٣٢٥
موقف أئمة المسلمين من المقلدين	٣٢٧
تناقض المقلد مع نفسه	٣٢٩
منهج الصحابة والتابعين	٣٣٣
معنى الاقتداء بالصحابة ، وحديث « أصحابي كالجموع » وما قيل فيه	٣٣٥
رأى العالم عند فقد الدليل رخصة له فقط	٣٣٦
منهج الاجتهاد ، وهو منهج الرسول ﷺ وأصحابه	٣٣٨
المطلوب من المقلد ومن عوام المسلمين	٣٤٠
الاجتهاد ووحدة الأحكام	٣٤١
منطق المقلدين هو منطق السوفسطائيين	٢٤٣
سد باب الاجتهاد نسخ للشريعة	٣٤٥

الصفحة	الموضوع
٣٤٧	جهاد الشوكاني للمقلدين
٣٥٣	من أخطار التقليد والمقلدين
٣٥٤	وجود الاجتهاد في المذاهب حجة على المقلدين
٣٥٦	أهل اليمن والاجتهاد
٣٥٧	تعصب المقلدين أساسه الجهل
٣٥٢	واجب العلماء وأولى الأمر نحو المقلدين
٣٦٠	مدى تسكريم الله سبحانه للأولياء
٣٦٢	الفصل الثاني (الطريق إلى ولاية الله)
٣٦٩	(١) أداء الفرائض :
٣٧١	١ — من أداء الفرائض ترك المعاصي
٣٧١	٢ — من المعاصي إبطال الفرائض بالحيل
٣٧٤	(١) إبطال حجج القائلين بالحيل
٣٧٧	(ب) الحيلة والشرعية
٣٧٨	(ج) الحيلة من الإضافات للشرعية المبطله لفرائضها
٣٧٨	(د) المعارض من الشرعية
٣٨٠	(هـ) من الحيل المكفرة والمنافية للدين
٣٨٢	(ب) التقرب بالنوافل
٣٨٣	١ — من نوافل الصلاة
٣٨٩	٢ — من نوافل الصيام
٣٩١	٣ — من نوافل الحج
٣٩٢	٤ — من نوافل الصدقة
٣٩٢	(ح) التقريب بالاذكار

الصفحة	الموضوع
٣٩٥	ترغيب الكتاب والسنة فيها
٣٩٥	أعظم الأذكار أجراً
٣٩٩	أذكار الأوقات
٤٠٤	أذكار التوحيد
٤٠٥	الصلوة على النبي ﷺ وآله وسلم وفضلها
٤٠٧	التسبيح وفضله
٤٠٨	الأدعية النبوية
٤١٠	الأدعية عقب الوضوء والصلوة
٤١٠	الأدعية عند الأذان والإقامة ودخول المسجد
٤١١	الأدعية داخل الصلاة
٤١١	الأدعية في الصيام والحج والجهاد والسفر وغيرها
٤١٢	(د) الإيمان وطريق الولاية
٤١٣	١ — الإيمان بالقدر وخاصة المؤمنين
٤١٤	٢ — فوائد الإيمان بالقدر
٤١٥	٣ — الإيمان بالقضاء والاستعاذة من سوءه
٤١٦	٤ — الإيمان والإحسان ولين يجتمعا
٤١٧	الدعاء أعظم مظاهر الولاية
٤١٧	الولاية والعزلة
٤١٩	اللطيف والتصور وعامة المؤمنين
٤٢٣	محبة الله بين أداء الفرض والنفل
٤٢٥	أداء الفرائض شرط في اعتبار النوافل
٤٢١	ليست المداومة شرطاً في القرب

المنحة

الموضوع

٤٢٣

حبة الله شاملة للمتعرب بالفرض والمتعرب بالنفل

٤٢٥

الفصل الثالث

(أثر حبة الله في حياة الولي)

٤٢٦

هدايته وتوفيقه

٤٢٨

المراد من أن الله صار سمع العبد وبصره إلخ

٤٣٢

تحقيق آراء الاتحادية والصوفية

٤٣٨

منشأ الخطأ عند الإتحاديين

٤٣٩

فضل السمع على البصر في الثأر والاعتبار

٤٤٠

إجابة الدعاء من مظاهر حبة الله للعبد

٤٤٣

أثر نوافل الصلاة وغيرها في حبة الله لعبد

٤٤٥

للصمة والتقرب للقي في هذا الحديث

٤٤٦

مق نسلم بآراء أهل الولاية وخواطرهم

٥٠١

الفصل الرابع

(قيمة هذا الحديث في باب السلوك والأخلاق)

٤٥٣

الإحسان والمفروضات الباطنة

٤٥٥

طهارة الباطن وأثرها في مركز الإنسان من الولاية

٤٥٥

الطريق إلى طهارة الباطن

٤٦٢

مقام الإحسان ولين يكون

٤٨٠

مقام الولي وإجابة الدعاء

٤٨١

مقام المحبة وإجابة الدعاء

٤٨٥

مقام المحبة ومداومة الدعاء

الموضوع	الصفحة
ضلال المدين لرفع التكليف	٤٨٦
المراد بتردد الله سبحانه عن نفس المؤمن	٤٨٨
لا تلازم بين علم الله ونفاذ قضائه	٤٩٦
مبدأ السببية في الشريعة الإسلامية	٥٠٨
كراهية الموت ومقام الولاية	٥١٦
الولي ومعرفة الغيبات	٥٢٠
تواضع الولي وحقيقته	٥٣٤
خاتمة الشرح	٥٤١
المراجع العربية	٥٤٣
المراجع الأجنبية	٥٥٣

فهرس الأعلام التي وردت بالنص المحقق

ابن دقيق العيد * ٣٥٥ .	(أ)
ابن سيد الناس * ٣٥٥ .	إبراهيم التيمي * ٢٧١
ابن شاهين * ٣٩٨	إبراهيم النخعي * ٣٢٩
ابن عباس (عبد الله) * ٣١٢، ٢٤٣	ابن أبي الدنيا * ٣٦١، ٤٥٨، ٤٦٣، ٥٠٠
٣٨٥، ٣٩٠، ٣٩٩، ٤٥٧	
٤٧٢، ٥٣٢ .	ابن أبي شيبة * ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٠١
ابن عبد البر * ٣١٣، ٣١٩، ٣٢٠	٤٠٢، ٥٠١ .
٣٢١ : ٣٥٦ .	ابن تيمية * ٢٤١، ٣٥٥ .
ابن عبد السلام * ٣٥٤ .	ابن الجوزي * ٢٥٩، ٤٠١، ٤٩٤ .
ابن عدي * ٣٨٥ .	ابن حبان * ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٩
ابن العربي * ٣٥٦ .	٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣
ابن عباس * ٣٩٧ .	٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٩، ٤٤٢
ابن قدامة * ٣٥٥ .	٤٤٣، ٤٥٨، ٤٧٤، ٤٩٩
ابن القطان * ٤٠٢ .	٥٣٥ .
ابن القيم * ٣٢٧، ٣٥٥ .	ابن حجر * ٧٣٠، ٧٣٧، ٧٧٣
ابن كرامة * ٥١٦ .	٣٥٥، ٣٦٩، ٤١٩
ابن ماجه * ٣٦٣، ٣٩١، ٣٩٦	٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٨، ٤٢٩
٤٠٢، ٤٠٥، ٤٠٨، ٤٤٣	٤٣٥، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤٠
٤٥٦، ٤٥٨، ٥٣٥ .	٤٤٣، ٤٥٣، ٤٨٥، ٥١٦
ابن محله * ٥١٦ .	٥٣٥، ٥٣٢، ٥٣٤، ٥٣٨
ابن مسعود * ٢٨٣، ٣٢٥، ٣٤٠	٥٣٩ .
٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٤، ٤٦٢	ابن خزيمة * ٣٨٤، ٤٥٩

(*) يلاحظ أنه قد وضعت هذه العلامة (ـ) بجانب رقم الصفحة التي ترجم

فيها للعالم .

- . ٤٦٥ ٥٠٠
 ابن ميم (يحيى) : ٤٠١
 ابن هبيرة : ٤٢١ ٣٦١ ٤٢٦
 . ٤٣٠
 أبو أسيد : ٤١١
 أبو أمامة : ٣٦٣ ٣٨٢ ٣٨٤
 . ٣٩٣ ٤٢٧ ٤٥٧ ٤٧٣
 أبو أيوب : ٤٠٦ ٣٩٠
 أبو بردة بن أبي موسى : ٤٧٥
 أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) : ٢٦٤
 . ٣٢٩ ٢٩٨
 أبو حاتم الرازي : ٤٤٣ ٣٨٦
 أبو حميد : ٤١١
 أبو حنيفة : ٣٢٨ ٣١٣ ٣٢٩
 . ٣٢٦
 أبو داود : ٣٨٤ ٣٨٣ ٢٤٧
 . ٣٨٥ ٤٠٩ ٤٠٤ ٤٠٢
 . ٤١١ ٤٤٣ ٤٥٧ ٥٣٥
 أبو داود الطيالسي : ٣٩٨
 أبو الدرداء : ٤٧٧ ٣٩٦ ٢٦٣
 أبو ذر : ٤٦٤ ٤٠٦ ٣٦٩
 . ٤٧٣ ٤٧٧ ٤٩٨
 أبو ريمحانه : ٤٦٩
 أبو سعيد الخدري : ٤٠٤ ٣٩٧
 . ٤١٠ ٤٤١ ٤٥٨ ٤٩٩
 . ٥٤٠
 أبو سعيد القرمطي : ٣٠٣
 أبو سليمان الداراني : ٢٥١
 أبو شريح : ٤٧٩
 أبو طاهر القرمطي : ٣٠٣
 أبو العالية : ٣١١
 أبو عبد الله الداعي : ٣٠٢
 أبو عبيدة بن الجراح : ٢٤٠
 أبو عبيدة السلمي : ٥٢٤
 أبو عثمان الحيري : ٤٣٥ ٤٣٧
 أبو عثمان النيسابوري : ٢٥٢
 أبو مهران عبد البر : ٣١٩ ٣١٣
 . ٣٢٦ ٣٢٥
 أبو مهران بن نجيذ : ٧٥٢
 أبو عياش : ٥٠١
 أبو الفضل (ابن عطاء الله السكندري)
 . ٥٢٠ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١
 أبو القاسم القشيري : ٤١٢ ٤١٧
 أبو قتادة : ٣٨٧ ٣٩١ ٥٣٦
 أبو مالك الأشعري : ٤٧١
 أبو مسلم الخولاني : ٢٦٩
 أبو موسى الأشعري : ٤٧٠ ٣٩٦
 أبو نعيم : ٣٦٣ ٣٦١ ٢٥٨
 أبو هرير : ٣٨٥ ٣١٧ ٢٤٧
 . ٣٨٧ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤
 . ٣٩٥ ٣٩٧ ٤٠٢ ٤٠٣
 . ٤٠٦ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤٥٦

أم هاني : ٣٨٧ .
الأوزاعي : ٣٤٦ ، ٣٢٨ .
أويس القرني : ٢٧١ .
أيوب (عليه السلام) : ٣٧٦ ، ٣٧٥ ، ٣٧٤ .

(ب)

الإمام الباقر : ٥٢٥ .
البخاري (محمد بن اسماعيل) : ٢٣٠ ،
٣٩٣ ، ٣٨٦ ، ٣٨٥ ، ٢٣١ ،
٤٠٢ ، ٤٠١ ، ٣٩٦ ، ٣٩٤ ،
٤١١ ، ٤١٠ ، ٤٠٥ ، ٤٠٣ ،
٥٣٩ ، ٥٣٤ ، ٤٧٣ ، ٤٥٦ .
البراه بن مالك : ٢٦٥ .
البزار : ٤٠٢ ، ٤٠١ ، ٣٩١ ،
٤٦٠ ، ٤٤٢ ، ٤٤٠ ، ٤٠٤ .

٥٢٠ ، ٤٢٧

بشر بن الوليد : ٣٢٨ .
بكر بن العلاء القشيري : ٣٤٦ .
بلال (ابن أبي رباح) : ٣٨٨ .
بنو بويه : ٢٦١ .
بنو قلاوون : ٢٦١ .
البیهقي : ٤٣٧ ، ٤٣٥ ، ٣٧٨ ، ٣٦١ ،
٤٧٤ ، ٤٦٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٧ .

(ت)

الترمذي : ٣٢٤ ، ٢٥٠ ، ٢٤٤ ،
٣٨٩ ، ٣٨٥ ، ٣٨٤ ، ٣٨٣ ،
٤٠٠ ، ٣٩٨ ، ٣٩٦ ، ٣٩٢ ،
٤١٤ ، ٤٠٣ ، ٤٠٢ ، ٤٠١ .

٤٨٩ ، ٤٤٧ .
أبو هندي الباري : ٤٥٧ .
أبو وائل : ٥١٤ .

أبو يعلى : ٤٠٣ ، ٤٠٢ ، ٣٩٨ ،
٤٧١ ، ٤٤٧ ، ٤٤٠ ، ٤٤٤ ،
٤٩٩ .

أبو يوسف : ٣٤٦ ، ٣٢٨ ،
أحمد (ابن حنبل) : ٣١٤ ، ٣١٢ ،
٣٨٣ ، ٣٦١ ، ٣٣٧ ، ٣٢٥ ،
٣٩٠ ، ٣٨٩ ، ٣٨٥ ، ٣٨٤ ،
٣٩٨ ، ٣٩٦ ، ٣٩٢ ، ٣٩١ ،
٤٠٥ ، ٤٠٤ ، ٤٠٣ ، ٤٠٢ ،
٤٤١ ، ٤٠٩ ، ٤٠٨ ، ٤٠٧ ،
٥١٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٧ ، ٤٤٢ .

الأحنف بن قيس : ٥٧٠ .

الأزدى : ٤٠٥ .
أحمد بنت أبي بكر : ٣٩٤ .
أسيد بن حضير : ٢٦٧ .
الأشعج : ٤٧٧ .
الأصبهاني : ٤٦٣ .

أنس : ٣٩٨ ، ٣٩٦ ، ٣٨٩ ، ٣٨٨ ،
٤٤٣ ، ٤٠٩ ، ٤٠٤ ، ٤٠٣ ،
٤٦٧ ، ٤٦٣ ، ٤٥٦ ، ٤٤٤ .

٤٦٨

أم أيمن : ٢٦٥ .
أم حبيبة (بنت أبي سفيان) : ٣٨٣ ،
٣٨٤ .
أم سلمة : ٣٩٢ .

- الحسن بن زياد الأوّلوى ٣٤٦ .
(الإمام) الحسن السبط ٤١٥ ،
• ٥٣٣ •
حميد بن قحطبة بن شبيب ٥٢٦ .

(خ)

- خالد بن عزوان ٤٧٥ .
خالد بن عمرو القرني السعدي ٤٦٩
خالد بن عمير المدوي ٤٧٥ .
خالد بن الوليد ٢٦٦
خبيب بن الأرت ٤٧٥ .
خبيب بن عدى ٢٦٤ .
الخطابي ٤٨٩ ، ٤٣٧ ، ٤٣١
الخلفاء الأربعة ٣٢٠ .

(د)

- الدارقطني ٤٦٨ .
الدارمي ٣٩١
الداودي ٥٣٤ .
دحية ٤٣١ .

(ذ)

- الذهبي ٣٥٥ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٤٣

(ز)

- الزبير ٤٦٥ .
زفر بن الهذيل ٣٤٦
زكريا بن منصور ٤٠١ .

- ٤٤٦٧ ، ٤٥٨ ، ٤٤٣ ، ٤٠٥
• ٥٤٠ ، ٥٣٥ ، ٤٧٣

(ث)

- ثوبان ٣٩١ ، ٤٠١ ، ٤٦١ ،
• ٥٤١ ، ٥٠٢
الثوري ٣٢٨ .

(ج)

- جابر بن عبد الله ٣١١ ، ٤٠٣ ،
• ٤٧٧ ، ٤١١ ، ٤٠٥
الجراسكة ٢٦١ .
جرير بن عبد الله ٤٧٧ .
جعفر الفرياني ٣٢٩ .
جعفر بن سليمان الضبيعي ٤٦٨ .
جنبد بن عبد الله ٤٥٨ .
الجنيد ٢٥٢ ، ٥١٨ ، ٥٢٩ .

(ح)

- حارثة بن وهب ٤٦٢ ، ٥٣٩ .
الحاكم ٣٩٦ ، ٤٠٥ ، ٤٠١ ،
٤٤٥ ، ٤٠٤ ، ٤٠٣ ، ٤٠٢
٤٤٣ ، ٤٤٢ ، ٤٤١ ، ٤٠٩
• ٤٥٨

- الحجاج ٥٣٢ .
حذيفة ٣٢٣ ، ٤٧٨ ، ٥٢٣ .
الحربي ٤١٤ .
الحسن البصري ٣١١ .

٠ ٣٤٦٦٣٢٩٠٣١٦

الشعبي ٣٨٤

(ص)

الصادق (الامام جعفر الصادق)

رضى الله عنه ٥٢٧٠٥٢٥

صدقة بن موسى ٣٨٩

صلاح الدين الأيوبي ٣٠٣

صلاح الدين (الإمام الأعظم) محمد

ابن علي ٣٠٣ ، ٣٠٢

صلة بن أشيم ٠٢٦٩

(ض)

الضحاك ٣١١

ضمرة بن ثعلبة ٤٦٠

الضبي ٤٤٣٠٤٠٣ ، ٤٠١

٠ ٥٠١ ، ٤٩٩

(ط)

الطبراني ٣٦٤ ، ٣٦٣ ، ٣٦١

٤٠٢ ، ٤٠١ ، ٣٩٩ ، ٣٩٦

٤٥٨ ، ٤٥٧ ، ٤٤٢ ، ٤٠٩

٠ ٥٠١ ، ٤٢٩ ، ٤٢٣

طاحنة بن جرائس ٤٥٥

الطوفي ٤٣٠ ، ٣٧٠ ، ٣٦٦

٠ ٤٦٦ ، ٤٦٥ ، ٤٥٣

(ح)

عائشة (أم المؤمنين) رضى الله عنها

٠ ٤٤٢ زكريا بن موسى

٣٩٧ زياد بن أبي زياد

٣١٢ زيد بن أسلم

٣٥٥ زيد الدين الرازي

(س)

٥٣٢ ، ٢٦٧ سارية

٣١٢ السدي

٥٢٨ السمرى السقطي

٤٦٣ ، ٢٦٧ سعد بن أبي وقاص

٠ ٤٧٥

٢٦٧ سعيد بن زيد

٠ ٢٦٩ سعيد بن المسيب

٥٢٥ السفايح (عبد الله)

٣٤٦ سفبان النوري

٠ ٦٥ سفينة مولى رسول الله ﷺ

٠ ٣٩٥ سلمان بن طاهر

٤٠٠ ، ٢٦٣ سلمان الفارسي

٠ ٥٤٠ ، ٤٩٨ ، ٤٤٣ ، ٤٠٤

٠ ٣٩٠ سلعة بن الأكلوع

٤٠٨ سمرة بن جندب

٠ ٤٠٦ سمرة بن عطية

٠ ٤٧٣ ، ٤٦٩ سهل بن سعد

٠ ٣٥٥ السيوطي

(ش)

٣١٤ ، ٣١٣ الشافعي (الإمام)

عدي بن حاتم ٥٣٢٣ ٥٣٨٥
 عروة بن الزبير ٣٦١ ٥٣٦٢
 عطاء بن أبي رباح ٣١١
 العلام بن الحفصمى ٢٦٨
 على بن أبي طالب (رضى الله عنه)
 ٥٣٠٦ ٥٣٨٩ ٥٤٠٣ ٥٤٩٩
 ٥٣٣
 على بن أحمد الرافعى
 على بن عبد الله بن العباس ٥٢٥
 على ابن على الرافعى ٤٤٢
 على بن الفضل ٣٠٠
 على بن محمد الصليحي ٣٠١
 عمر بن الخطاب (ص) ٥٣٢٩ ٥٣٦٩
 ٥٤١٠ ٥٤١١ ٥٤٦٥ ٥٤٦٦
 ٥٤٧٤ ٥٤٧٨ ٥٥٣٢ ٥٥٣٥
 عمر بن عتبة ٢٧٠
 عمر بن محمد الأسلمى ٤٤٣
 عمران بن حصين ٢٦٣
 عمران القطان ٤٠٢
 عمرو بن الحارث ٤٢٥
 عمرو بن العاص ٢٤٧
 عمرو بن عوف الأنصارى ٤٧١
 عمار بن ياسر ٤٦٣
 عنبسة ٣٨٤
 عوف بن مالك ٢٤٧ ٣١٩٦
 عياض (القاضى عياض) ٣٥٦

٥٣٦٩ ٥٣٨٣ ٥٣٨٥ ٥٣٨٩
 ٥٣٨٧ ٥٣٩٠ ٥٣٩٤ ٥٤٠١
 ٥٤٠٢ ٥٤٢٧ ٥٤٤٧ ٥٤٥٦
 ٥٤٧٤ ٥٥١٩ ٥٥٣٠
 عامر بن عبد قيس ٢٦٩
 عامر بن فجرة ٢٦٤
 عباد بن اسحق ٣٨٦
 عباد بن بشر ٢٦٤
 عبادة بن الصامت ٤٩٨
 عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي
 ٤٩٩
 عبد الرحمن بن اسحق ٣٨٦
 عبد الرحمن بن القاسم ٥٠٣ ٣٨٤
 عبد الله بن بريدة ٥٠٠
 عبد الله بن سلام ٤٧٨
 عبد الله بن عباس ٣١١ ٣٧٢
 عبد الله بن عمر ٥٣٨٤ ٣٨٣
 ٥٤٠٩ ٥٤٦٢ ٥٤٠٥
 عبد الله بن عمرو بن العاص ٤٠٧
 ٤٥٨ ٥٤٧٠ ٤٧٧
 عبد الله بن المبارك ٣٤٦
 عبد الله بن هفيل ٤٧٩ ٣٨٨
 عبد الواحد بن زيد ٣٧١
 عبد الواحد بن هيمون ٣٦١
 ٤٢٧ ٤٤٠
 عبيد بن زجر ٥١٢
 عثمان بن عفان رضى الله عنه ٥٣٣

المستورد بن أحنف * ٤٧٠
 مسلم (الامام) * ٣٨٣ ٢٤٤
 ٣٨٩ ٣٨٧ ٣٨٦ ٣٨٥
 ٣٩٧ ٣٩٣ ٣٩١ ٣٩٠
 ٤٤٢ ٤١٠ ٤٠٩ ٣٩٨
 ٥٤٠
 مسلة بن عبد الملك * ٥٢٦ ٥٢٥
 مصعب بن عمير * ٤٧٦
 مطرف بن عبد الله * ٢٧٠
 معاذ * ٣٦٣ ٣٩٧ ٤٥٨
 معاوية ٣٩٨
 المنيرة (ابن شعبة) ٤١٠
 الفضل الضبي * ٣٣٧
 مقاتل * ٣١٢ ٣٨٥
 مكحول * ٣٨٤
 المناوي * ٣٩٨
 المنسرى * ٣٩٧ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥
 ٤٠٧ :
 منصور بن حسن * ٣٠٠
 المنصور (أبو جعفر) * ٥٢٥
 ٥٢٨ ٥٢٧ :
 المنصور (علي بن صلاح الدين) *
 موسى (عليه السلام) ٢٩٢ ٢٩١
 مولى الربيعي * ٣٣٧
 ميمون القداح * ٣٠١
 ميمونة (بنت الحارث الهلالية) رضى
 الله عنها * ٣٦٣ ٣٨٥ ٣٩٤
 (ن)
 النسانى ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٩١ ٣٩٥

عباض بن حار * ٤٦٠ ٥٣٥
 (ف)
 فاطمة (بنت رسول الله ﷺ) ٤٧٢
 الفاكهاني * ٢٧٦ ٣٦٥ ٤٢٠
 ٤٣٠
 (ق)
 قحطبة بن شبيب * ٥٢٦
 (ك)
 الكرماني (محمد بن يوسف بن علي)
 ٥١٩ ٤٩٥ ٣٦٠ ٢٤٣
 الكشميني * ٣٦٣ ٣٨٢ ٤١٩
 كتب الاحبار * ١٤
 كتب بن عجرة ٤٧٣
 كتب بن مالك * ٤٧١
 السكلاذى ٤٩٠ ٤٩١
 (م)
 مالك * ٣١٤ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٩٦
 مجاهد * ٣١٢ ٣٦١
 محمد بن الحسن الشيباني ٣٤٦
 محمد بن الله بن الحسن بن الحسن بن علي
 ابن أبي طاب * ٥٢٧
 محمد بن علي الشوكاني ٥٤١
 محمد بن مهران ٣٨٥
 محمود بن أبيد ٤٥٨
 المجدج * ٥٢٤
 المزني * ٣٢٧

٤٤٢٦٤٠٨

(و)

وكيع بن الجراح ٣٤٦

وهب بن منبه * ٥١٦٦٢٦٣

(ي)

يحيى بن معين * ٣٨٦

يعقوب * ٤٢٧٦٣٦١

يوسف صلى الله عليه وسلم ٣٧٦

٤٤٠٨٦٤٠٥٦٤٠٢٦٣٩١

٤٤٥٧٦٤٤٣٦٤١١٦١٠٩

. ٥٤٠

الخنزوي ٢٩٥

النعمان بن بشير * ٤٩٨٦٤٠٠

الزواس بن سمعان ٤٧٧

(هـ)

الهادي الإمام الهادي يحيى بن الحسين ٣٠١

الهمشمي * ٤٤٠٢٦٣٩٧٦٣٩٦

تصويب

خطا	الصفحة السطر	المصواب
ابن عمر	٤٧٠ ٧	ابن عمرو
قدمه	٤٧٠ ٧	قنعه
هو	٥٠٧ ٨	هوى
وما أصاب	٥٠٨ ٤ من أسفل	ما أصاب
أستعجب	٥١٢ ٢	أستعجب
	٥٢٥ ٣	ابن على بن عبد الله بن العباس
التشغيل	٥٢٩ ٤ » »	التعليق
بل	٥٣٢ ٤ » »	من

رقم الإيداع بدار الكتب ١٨٣٣ لسنة ١٩٢٩

مطبعة حسن

٢٤١ شارع الجبس - القاهرة ت ٨٣٣٥٤٠

